سلسلة: شراب النسيم مع النبي الكريم ﷺ



« إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

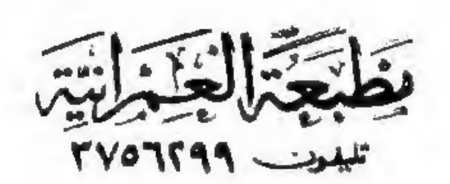
المجلد الأول

الناشر
دار العفاني

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع	٢٠٠٦/٢٢٦٩١

دار العفاني
٣ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٠٢/٥١٠٨٢٥٧ ـ ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١
فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف
ت/٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤





إهداء

* أهدي على استحياء هذا الكتاب إلى سيدي
وحبيبي وقدوتي، سيدِ ولدِ آدم،
وإمامِ المرسلين وقائد الغُرّ المحجلين
رسولِ الله
محمد ﷺ





وَامُحَمَّدَاهُ

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

✍ إن الحمدَ للَّه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله.

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

* ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

✍ **أما بعد:**

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللَّه، وأحسنَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمور محدثاتُها، وإن كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

✍ **أما بعد:**

حين نريدُ أن نَشْرُفَ بالدخول إلى رحاب سيِّد البشر رسولِ اللَّه ﷺ

وأُفُقِه الوضيء الطليق المرفرف، ونَرِفَّ بأجنحةِ الشوق والنور والطُّهْر إلىٰ ذلك المقام الأعلىٰ، ونتَّخذَ من ذلك مِعراجًا إلىٰ السِّراج المنير والقلبِ المُصَفَّىٰ لسيِّد الرُّسل وأزكىٰ العالمين وأحبِّ الرجال وأجلِّهم وأفضلِهم وأغلاهم ﷺ . . نقتربُ في حياءِ مَن يعلمُ أنه يجاوزُ قَدْرَه . . نقتربُ في تهلُّلٍ، ونعيشُ لحظاتٍ مُترَعةٍ بغِبطةِ الحياة مع رسولٍ رَفع اللَّهُ به قَدْرَ الإنسان والحياة . . مع السِّراج المنير . . وحاملِ النور إلىٰ هذه البَسيطة . . الذي قال فيه ربُّه ـ عز وجل ـ وكلامُ الملوك ملوكُ الكلام ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٤ـ٤٦].

* نورٌ فكيف تُحيط بكُنهِهِ الظَّلْمَاءُ؟!!:

كيف أتطاولُ للحديث عن ذلك المَقام الأنور وثُقْلَةُ الطينِ في كياني، وظلمةُ التراب وكثافةُ اللحم والدم، وعَرامةُ الشهوة في دروبي وحياتي وآثامي!!! فعُذراً يا طُهْرَ الطُّهْر.

* عُذراً رسول اللَّه . .

كيف أرنو إلىٰ سَنَاك وذُنوبي جسامُ؟! . .

عَــزَّ الوُرُودُ وطــالَ فيــكَ أُوامُ ... وأرِقْتُ وَحْدي والأنــامُ نيــامُ
وَرَدَ الجميــعُ ومنْ سَــنَاك تَزَوَّدُوا ... وطُرِدْتُ عن نَبْــع السَّنَا وأقامُوا
ومُنِعْتُ حتى أنْ أَحــومَ ولَم أكَدْ ... وتَقَطَّعَت نفسي عليك وحامُوا
قَصَدُوكَ وامتدحُوا ودُونيَ أُغْلقَتْ ... أبوابُ مَدْحِكَ فالحــروفُ عقــامُ
أدْنو فأذكــرُ ما جنَــيْتُ فأنْثَنِي ... خَجلاً تَضيقُ بحِمْليَ الأقْــدَامُ

أَمِنَ الحضيضِ أُريدُ لَمسًا للذُّرَى ... جَلَّ المَقامُ فلا يُطالُ مُقامُ
وِزْري يُكبِّلُني ويُخرِسُني الأسَى ... فيموتُ في طَرَفِ اللسانِ كَلامُ
يَمَّمْتُ نحوكَ يا حبيبَ اللَّهِ في ... شوقٍ تُقضُّ مضاجعي الآثامُ
أرجو الوصولَ فليلُ عُمري غايةٌ ... أشواكُها الأوزارُ والآلامُ
يَا مَن وُلِدْتَ فأَشْرَقَتْ بربوعِنَا ... نفحاتُ نُورِكَ وانجلى الإظْلامُ
أأعودُ ظمآنًا وغيري يَرْتَوِي ... أيُرَدُّ عن حوضِ النبيِّ هُيامُ؟!
كيفَ الدخولُ إلى رحابِ المصطفى ... والنَّفْسُ حَيْرَى الذنوبُ جِسامُ؟!
ماذا أقولُ وألفُ ألفِ قصيدةٍ ... عصماءَ قَبْلي سطَّرَتْ أقلامُ؟!
مَدَحُوكَ ما بَلَغوا برغْمِ ولائِهِم ... أسوارَ مَجْدِكَ فالدُّنُوُّ لِمامُ
حتى وقفتُ أمامَ نُورِكَ باكيًا ... فتدفَّقَ الإحساسُ والإلهامُ
وتوالتِ الصُّوَرُ المُضيئةُ كالرُّؤَى ... وطَوَى الفؤادَ سكينةٌ وسَلامُ
يا مِلءَ روحي وَهْجُ حُبِّكَ في دمي ... قَبَسٌ يُضيءُ سريرتي وزِمامُ
أنتَ الحبيبُ وأنْتَ مَن أرْوَى لَنَا ... حتى أضاءَ قلوبَنا الإسلامُ
حُورِبتَ لَم تَخْضعْ ولَمْ تَخْشَ العدَا ... مَن يَحْمِه الرحمنُ كيفَ يُضَامُ؟!
وملأْتَ هذا الكونَ نُوراً فاختفتْ ... صورُ الظَّلامِ وقُوِّضَتْ أصنامُ

* * *

* عُذرًا رسولَ اللَّه:

حين أريدُ الدخولَ إلى جَنابك ورحابك ومَقامك الأنور أحتاجُ إلى عُمرٍ جديد، أولُ نَفَسٍ منه حتى آخرِهِ ملؤه الطهارةُ كلُّ الطهارة.. ونورُ الإيمان الغامر، وجَمالُ الإحسانِ الباهر.

✍ أحتاج إلىٰ قلبٍ حيٍّ كأجملِ ما تكونُ القلوب.. رقيقٍ ليِّنٍ صافٍ.. تَنبِضُ فيه كلُّ نابضةٍ بالإشراق والتفتُّح لاستقبالِ النور الذي يُشرِقُ في الضمائر مع النور الذي يُشرق في النواظر.

✍ أحتاجُ إلىٰ كلِّ جمالٍ في الوجود يَهمِسُ لقلمي.. وقفةٌ لقلمي في الجَمَال والنور.. جمالِ كلِّ هامسٍ وكلِّ جاهر.. وكلِّ مُسْتَخْفٍ وكلِّ سارب.. وكلِّ نورٍ باهرٍ يواجهُ العيون والمشاعر.. ائتوا لي بكلامٍ من نورٍ عليه رَوْنقُ الماء، كأنما اشتَعَلت به الغيوم، كلامٍ يتلألأ بالنور، فكأنما عُصِر من النجوم.

✍ ائتوا لي بجمالِ الجنة الباهر.. بظلِّها الممدود.. ومائِها المسكوب، بنورها، وسَجْسَجِها كلُّ تسنيمٍ وسلسبيلٍ ورحيقٍ مختوم، وأنهارِ خمرِها وعَسَلِها ولبنها ومائها ليطهرَ فيه قلمي بنور الخلد أولاً قبلَ أن يتكلم عن سيِّد الرسل ﷺ.

✍ ائتوا لي بكلِّ جمالٍ في الكون: بنسائم الأسحار، وزَجَلِ المُسبِّحين آناءَ الليل وأطرافَ النهار.. وطُهرِ المستغفرين الأبرار قائِمِي الليلِ وصائِمِي النهار المستغفرين بالأسحار.

✍ ائتوا بجمالِ الخِضَمِّ ومَوجِه الزَّاخر، والعيونِ الفوَّارة، والنَّبعِ الرَّوِيِّ، والنَّبتةِ النامية، والبُرْعمِ الناعم، والزهرةِ المتفتحة، وابتسامةِ الفجر الوليد، بجمال كلِّ طيرٍ سابحٍ في الفضاء، وسَمَكٍ يُسبِّحُ ويَسْبَحُ في الماء، حتىٰ يرتعشَ القلمُ رِقةً ويستحمَّ في النور ليكتبَ عن رسول الله ﷺ.

✍ حين أريدُ الشرف كلَّ الشرف والعزَّ كلَّ العزِّ بالكتابة عن رسول الله ﷺ، أحتاجُ إلىٰ خَطَراتٍ رفَّافةٍ شفَّافةٍ، وأعماقٍ طاهرةٍ كلَّ الطهر،

تستجيشُ فيها وفي أغوارها كلُّ مشاعرِ الطهْر اللامتناهية.

✍ أحتاجُ إلىٰ كلِّ رُوحٍ مأنوسةٍ شفيقةٍ، أحتاجُ إلىٰ إيناسٍ وَدُودٍ نَدِيٍّ، وأنفاسِ مناجاةٍ دامعة.. فيها كلُّ ذبُولِ العبادة الوضيء.. وجمالِها الحبيب الهامسِ اللطيفِ.. جمالٌ لا يدانيه جمالُ التصورات الشاعريَّة الطليقة.

✍ يَحتاج قلمي لمدادٍ نيِّرٍ طاهرٍ ذاب فيه طِيبُ كلِّ طيبٍ في الجنة قبل الدنيا.. كلُّ مِسكٍ أذفر، وكلُّ طيوب العنبر.. مِدادٌ يعلوه كلُّ بريقِ الماس واللآلئ وأصفىٰ الدُّرِّ والجواهر، عزًّا بشرفِ الكلام عن سيِّد الأوَّلين والآخرين ﷺ.

✍ مِدادٌ ذابت فيه آهاتُ المشتاقين إلىٰ لقاء اللَّه ورسوله ﷺ.. وكلُّ طُهْرٍ وأُنسٍ وطمأنينةٍ ويقينٍ في الكون.. وكلُّ رُوحٍ فجرٍ وضيئة.

✍ يحتاج قلمي إلىٰ نسيمِ مِسكٍ يَهُبُّ فوقَ شجرة طوبىٰ ليهتزَّ القلمُ بكل طهرٍ وطِيبٍ وظلٍّ حتىٰ يكتبَ ألفاظًا وعباراتٍ تليقُ بمَقام النبوة.. وتتأدَّبُ مع جلالها..

حروفُ معانٍ أو عقــودُ جواهرٍ ... تُحَاكِي مصابيحَ النجوم الزواهرِ
وإبريزُ تبريزٍ من النَّظْمِ فُتِّحَتْ ... قوافيه زهْرًا في رياضِ الدَّفَاترِ
يروحُ بأرواحِ المحامــد حُسنُها ... فيَرْقَى بها في سَاميات المفاخرِ
إذا ما هداها الفكرُ أهدتْ لِذِي النُّهَى ... شمائلَ أشهى من طُيوب المَعاصرِ
تشعشع من نــورِ المعــاني عنايَةً ... بها تُضرَبُ الأمثالُ بينَ المَعاشرِ
وتَنــظِمُ من نَثْــرِ المثاني قلائدًا ... تُزَخْرِف جِيْدَ الجُودِ من كُلِّ فاخرِ
وتَنشُــرُ من طَيِّ المُرُوءَــة للفتى ... مكارمَ أخــلاقٍ وحُسْنَ سَــرَائرِ
إذا سَتَرُوها بالحِجــاب تبرَّجتْ ... محاسنُ تبدو من وراءِ الســتائرِ

وإنْ فُضَّ في الأكون مسْكُ ختامها تَعَطَّرَ منها كلُّ نَجْـد وغـائرِ
تَخَيَّرْتُهـا للهاشـميِّ مُحمَّـد حَميدِ المساعي خيرِ بـادٍ وحاضرِ
هدانا الصـراطَ المستـقيمَ بهَـدْيهِ وأورَى بنورِ الحـقِّ نورَ البصـائرِ

✍ أحتاجُ إلىٰ نجاءٍ أليفٍ للقلب، وهَمْسٍ لطيفٍ للروح، ولَمْسٍ مُوحٍ للضمير.. ليكونَ اللفظُ في رقَّته كنسيم السَّحَروالفجر والجِنان.. ليكونَ أنداءً مشعشعةً بالعطر، وخَطَراتٍ رقَّافةً شفافةً ذَوَّبَها الشوقُ والحنينُ لرسول ربِّ العالمين ﷺ.

✍ أولىٰ أن نخطَّ هذه الأسطرَ والصفحات بنبضِ قلوبنا ولهيبِ أرواحنا، وواكفِ دموعنا، وكلِّ أدبِ العابدين الخاشعين الأوَّابين القانتين لتسدَّ عَجْزي وضَعفي وتجبُرَ كَسرِي.

✍ وتملؤني هيبةٌ لجلالِ النبوَّة أن أكتبَ أعمقَ وأجملَ اللمساتِ عن سيِّد السادات ﷺ..

مكانُك مِن قلبي وعينـي كلاهمـا مكانُ السُـوَيدَا من فؤادي وأقربُ
وذِكْرُك في نفسي وإنْ شفَّها الظَّما ألذُّ من المـاء الـزلالِ وأعـذبُ

✍ إي واللَّه..

دمـاءٌ مزجناهـا بحبِّ محمـد وأكبـادُنا من شوقـها تتـوقـدُ

✍ فاللَّهم ارزقنا الشوقَ إلىٰ لقياه، وشرفَ محبته والذبِّ عنه، وعن سُنَّتِه في الدنيا، وشرفَ جِواره والقربِ منه والشُّربِ من حَوضه في الآخرة.

✍ لا نؤمنُ حتىٰ يكونَ رسولُنا ﷺ أحبَّ إلينا من أنفُسِنا وأهلينا وأموالنا والدنيا وما عليها.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده»[١].

● وقال ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده، ووالده والناسِ أجمعين»[٢].

● وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه، لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلاَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمرُ: فإنه الآنَ، واللَّهِ لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[٣].

✍ واللَّهُ يعلمُ منَّا أنا نشتري رؤيتَه بأهلنا وأموالنا.. فاللَّهم ارزقنا شرَفَ محبَّته.

● عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أشدُّ أمتي لي حُبًّا قومٌ يكونونَ بعدي، يودُّ أحدُهم أنه فَقَد أهلَهُ ومَالَه وأنه رآني»[٤].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ أُناسًا من أمتي يأتُون بعدي، يَوَدُّ أحدُهم لو اشترى رؤيتي بأهلِه ومَالِه»[٥].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أنس.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب كيف كانت يمين النبي ﷺ. انظر «فتح الباري» (١١/ ٥٢٣) ح(٦٦٣٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤١٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٠٣).

(٥) حسن: أخرجه الحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٧٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٠٠٨).

* صغائرُ الحياة قد أحاطت بمجد الحياة، لِتُثبِتَ الصغائرُ أنها صغائر، ولِيُثبِتَ المجدُ أنه المجد:

✍ حين يتبجَّحُ الأقزامُ الأشقياءُ المناكيدُ من الصليبيِّين صغائرِ الحياة الدانماركيِّين ويُدنِّسون ويُسَوِّدون وجهَ صُحُفِهم التعيسة برسومِ الكاريكتير التي تُسيءُ وتستهزيُّ بالرسول ﷺ سيِّدِ البشر..

شُلَّت أياديهمُ قُبِّحت وجوهُهمُ تعسًا لكفرهم.. قومٌ مناكيدُ

✍ يجحدون نُبوَّته، ويكفرون بنوره ورسالته، وقد قال ﷺ: «إنه ليس شيءٌ بين السماء الأرض إلاَّ يعلمُ أني رسول الله؛ إلاَّ عاصيَ الجنِّ والإنس»(١).

✍ هم أقزامٌ تعيشُ أنفسُهم في التراب، ويتمرَّغون بأخلاقهم فيه، ينقلبون على الحياة من صُنْع التراب ناسًا دُودًا كطبع الدود، لا يقعُ في شيءٍ إلاَّ أفسده أو قذَّره، أوْ قومًا سُوسًا كطبع السُّوس لا ينالُ شيئًا إلاَّ نَخَره وعابه، أوْ قومًا كالحيَّاتِ والأفاعي تَنفُثُ سُمَّها في أرجاء الحياة، أو خنافسَ إذا دُفِنت في الورْد لم تتحرك، فإذا أُعيدت إلى الرَّوْث رَتَعتْ.. أشدَّ بلادةً من البقر والحمير حين جحدوا نُبُوَّةَ الأمينِ الكريم سيِّدِ البشر ﷺ، يُلقِي أعداؤه - أعداءُ الحياة أعداءُ النور - على هذا التراب من ظلامِ أنفسهم، فلا يبقى تُرابًا، بل يرجعُ ظلامًا، فكأنهم إذ يمشون يطؤون المجهول بخوفه ورَوْعَتِه، ثم لا يستقرُّ ظلامًا، بل يرجعُ آلامًا، فكأنهم يَنبُتون على المرض لا على الحياة، ثم لا يثبت آلامًا، بل يتحوَّلُ فَوْرةً وتوثُّبًا تكونُ منه نزواتُ الحُمق والجنونِ في النفس.

---

(١) حسن: رواه أحمد والدارمي والضياء عن جابر، وكذا رواه ابن حبان، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٧١٨)، و«صحيح الجامع» (٢٤٠٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣/ ٣١٠): «صحيح لغيره».

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تصل إليها حقيقةٌ من الهدىٰ ولا صدىٰ، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فلا نورَ يُوصوِصُ لها ولا هدىٰ.. نفوسٌ صَلْدة مظلمة جامدة.

✍ هم الظلام كلُّ الظلام.. هم أصحابُ الظلمات، فكيف يُدرِكون نورَ سيِّد السادات ﷺ؟!! هم المنغمسون في الكفر والشِّرك والجهل، أحاطت بهمُ الظلمات من كلِّ وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً، فهم في ظلمات آرائهم يعمهون، وفي ضلالتهم يتهوَّكون، وفي رَيبهم يتردَّدون، مغترِّين بظاهر السَّراب، مُمحِلين مُجدبين مما بعث اللَّهُ به رسولَه ﷺ من الحكمة وفَصْلِ الخِطاب، إنْ عندهم إلاَّ نُخالةُ الأفكار وزُبالاتُ الأذهان التي قد رَضُوا بها واطمأنوا إليها، ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، أوجبه لهم اتِّباعُ الهوىٰ ونخوةُ الشيطان، وهم لأجله يُجادلون في آيات اللَّه بغير سلطان.

✍ أهلُ الظلمات المناوؤون لمحمد ﷺ وشانؤوه من المغضوب عليهم والضالين من اليهود النصارىٰ، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، قولُهم ظُلْمة، وعَمَلُهم ظُلمة، ومُدخلُهم ظلمة، ومُخرَجُهم ظلمة، ومَصيرهم إلىٰ الظُّلْمة، قلوبهم مُظلمة، وجوهُهم مُظلمة، كلامهم مُظْلِم، وحالُهم مُظلم، وإذا قابَلَتْ بصيرتُهم الخُفَّاشيةُ ما بعث اللَّهُ به محمداً ﷺ من النور جَدَّ في الهرب منه، وكاد نورُه يَخطِفُ بصره، هَرَب إلىٰ ظلماتِ الشِّرك والجُحود والعِنادِ والاستهزاء التي هي به أنسبُ وأولىٰ، كما قيل:

خفافيشُ أعشاها النهارُ بضَوئه ... ووافَقَها قِطَعٌ من الليل مُظْلِمُ

فإذا جاء زُبالةَ الأفكار، ونُحاتةَ الأذهان، جال وصال، وأبدىٰ وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طَلَع نورُ الوحي وشمسُ الرسالة، انحَجَر في حُجرةِ الحشرات.

✍ هؤلاء الذين تنكَّبوا صراطَ اللَّه المستقيم، واستبدلوه بطريقٍ بهيم لا معالم فيه، واندفعوا بظُلمةِ شهواتِهم وشُبهاتهم، وغَيِّهم وضلالاتهم في التِّيه، وظلمةِ الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدىٰ، والوحشةِ من الجَنَاب الآمن المأنوس، وظلمةِ اضطراب القِيمَ وتخلخُلِ الأحكام والموازين والقيم، وظلمةِ الهواجس والوساوس.. لهم ومعهم وفيهم كلُّ نزغاتِ الشياطين..

وكيف يُدرك في الدنيـا حقيقتَـه قــومٌ ظـلامٌ تسَـلَّوْا عنه بالظُّـلَـمُ

✍ حوَّلوا الحياة هم وتلاميذُهم وأذنابُهم إلىٰ مستنقعٍ آسن، وارتكس الدجاجلةُ شانِؤو محمدٍ ﷺ ومعهم الغوغاء في الحمأة الوبيئة، وفي الدَّرْكِ الهابط، وفي الظلام البهيم، وأفسدوا الأرض، وأَسِنت الحياةُ بسببهم، وظَهَر الفسادُ في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وشكىٰ ضوءُ النهار وظلمةُ الليل والمعقِّباتُ إلىٰ ربِّهم، وكادت السماواتُ يتفطَّرْنَ مِن فوقهم، وتنفطرُ الأرضُ، وتَخِرُّ الجبال هدًّا لتطاولِ اللئام الأقزام علىٰ رسول اللَّه ﷺ وعلىٰ وحيه وعلىٰ شريعته، وعلىٰ تبجُّحهم، ومَلأَ القولُ الفاجرُ كلَّ حاضرٍ وبادِي، وعلا فحيحُ الأفاعي..

يُرمـرِمُ من فُتَــاتِ الغــرب قُوتًا ويَشربُ من كؤوسـهم الثُّمــالةْ

يُقَـبِّــلُ راحــةَ الإفرنـج دَوْمًا ويَلثِــمُ دونمـا خَجـلٍ نِعَــالَهْ

* * *

* جَحَدُوه، وحَنَّ الجِذعُ إليه، وسَلَمَّ الصَّخْرُ عليه، وسجدت الحيواناتُ بين يديه:

جَحدوا نُبُوَّتَه، وكانت الأحجارُ تُسلِّمُ عليه، والجِذعُ يبكي لفِراقه ويحنُّ إليه، وسَجَدت الحيواناتُ بين يديه تعظيمًا له:

● عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعْرِف حجرًا بمكَّةَ، كان يُسَلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعث**»(١) .

◻ وعن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما قال: «كان المسجدُ مسقوفًا على جُذوعٍ من نخْل، فكان النبيُّ ﷺ إذا خَطَب يقومُ إلى جِذْعٍ منها، فلما صُنع له المنبرُ فكان عليه، فسَمِعْنا لذلك الجِذعِ صوتًا كصوت العِشار، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده عليه فسكت»(٢) .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جِذعٍ قبل أن يَتَّخذَ المنبرَ، فلما اتَّخَذ المنبر وتحوَّل إليه، حَنَّ الجذعُ، فاحتَضَنه فسكن، وقال: «**لو لم أحتضِنْه لَحَنَّ إلى يوم القيامة**»(٣) .

◻ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لآل رسول اللَّه ﷺ وَحْشٌ، فكان إذا خَرَج رسولُ اللَّه ﷺ اشتدَّ ولَعِب في البيت، فإذا دخل رسولُ اللَّه ﷺ سكَن فلم يتحرَّك كراهيةَ أن يُؤذيَه»(٤) .

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان والطبراني والبيهقي، والحاكم في «المستدرك»، وصححه ووافقه الذهبي. . وسنده حسن.

(٤) حديث حسن: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٠٩) وقال الشيخ مقبل الوادعي:

● وعن أنس ﷺ قال: «كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جَمَلٌ يَسْنُون عليه[١]، وإن الجَمَلَ استصعب عليهم فمنعهم ظَهْرَه، وإن الأنصار جاؤوا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جَمَلٌ نُسنِي عليه، وإنه استصعب علينا، ومَنَعَنا ظَهْرَه، وقد عَطِش الزرعُ والنخل، فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «قوموا». فقاموا، فدخل الحائطَ ـ والجَمَلُ في نَاحية ـ، فمشىٰ النبي ﷺ نحوه. فقالت الأنصار: يا نبيَّ اللَّه، إنه قد صار مِثلَ الكلب الكَلِبِ، وإنا نخافُ عليك صَوْلَتَه! فقال: «ليس عليَّ منه بأسٌ»، فلما نظر الجمل إلىٰ رسول اللَّه ﷺ أقبل نحوه حتىٰ خَرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسولُ اللَّه ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط حتىٰ أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول اللَّه، هذه البهيمةُ لا تعقلُ تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك، فقال: «لا يصلحُ لبشرٍ أن يسجد لبشر، ولو صَلَح لبشر أن يسجدَ لبشرٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها من عِظَم حقِّه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قَدَمه إلى مَفْرِقِ رأسِه قَرحةٌ تنبجِسُ بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحَسَتْه ما أدَّتْ حقَّه»[٢].

□ وعن سَفِينةَ ﷺ مولىٰ النبي ﷺ قال: «ركبتُ البحرَ، فانكسرت السَّفينة، فركبتُ لَوْحًا، فطرحني اللَّوْحُ في أَجَمَةٍ فيها الأسدُ، فأقبل إليَّ يريدُني، فقلتُ: يا أبا الحارث[٣]، أنا مَوْلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فطأطأ رأسه

= هذا حديث حسن.

(١) أي: يَسْتَقون.

(٢) إسناده جيد: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٨)، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ١٥٥): وهذا إسناد جيد.

(٣) كُنْيَة الأسد.

وأقبل إليَّ، فدفعني بمَنكِبِه حتى أخرَجَني من الأجَمَة، ووضعني على الطريق وهَمْهَم، فظننت أنه يُوَدِّعني»[١] .

*** وأعجبُ من هذا استباقُ النوق للموت بين يديه، وكأنَّ الموت بين يديْه حياة:**

● عن عبداللَّه بن قُرْطٍ ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أعظمُ الأيام عند اللَّه يومُ النَّحْر، ثم يومُ النَّفْر**»، وقُرِّب إلى رسول اللَّه ﷺ خَمسُ بَدَنات، فطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إليه[٢] أَيَّتُهُنَّ يبدأ بها، فلما وَجَبَت جنوبُها، قال كلمةً خفيفةً لم أفهمها، فسألت بعضَ مَن يَلِيني: ما قال؟ . . قالوا: قال: «**مَن شاء اقتطع**»[٣].

ما بالُ النوق يُسْرِعْن للموت بين يديه . . وكأنَّ الموتَ بين يديه حياة!! ما بالُها وَعَت مَا لم يَعِه غِلاظُ الأكباد مَن البشر!! وما بالها سارعت فيما يُرضيه، وقصَّر في محبَّته مَن شَرَّفهم اللَّهُ بالانتساب إليه بعد أن كانوا على هامشِ الحياة لا شأنَ لهم في الأرض ولا ذِكر لهم في السماء!!.

*** حتى الكلاب تَغضب لرسول اللَّه ﷺ:**

إن كانت الكلابُ تغضبُ لمن ينتقصُ شخصَ الرسول الكريم . . فماذا يفعلُ المليارُ ورُبعُ مليار ممَّن أنقذهم اللَّه به من الظلمات، وأخرَجَهم إلى النور على يديْه؟! . . وماذا سنقول لنبينا ﷺ حينما نلقاه على الحوض؟! . .

---

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد، وأبو يعلى، والبزّار، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) يقترِبْن منه ويُسْرِعْن إليه.

(٣) حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٥٠) وأبو داود (٥/ ١٨٤)، وحسنه مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (ص١٠٢).

لَنُعِدَّ للسؤال جوابًا من الآن.. انظر إلى هذا الخبرِ وتدبَّرْه.. تجد العجبَ العُجاب، يَرويه حافظ الدنيا ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدرر الكامنة»: «كان النصارى ينشُرون دعاتَهم بين قبائلِ المغول طَمَعًا في تنصيرهم، وقد مَهَّد لهم الطاغية «هولاكو» سبيلَ الدعوة بسببِ زوجته الصليبية «ظفرخاتون»، وذات مرة توجَّه جماعةٌ من كبار النصارى لحضور حفلٍ مغوليٍّ كبير عُقِد بسبب تنصُّر أحدِ أمراءِ المغول، فأخذ واحدٌ من دُعاة النصارى في شتم النبي ﷺ، وكان هناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبيُّ الحاقد في سبِّ النبي ﷺ زمجر الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبي وخَمَشه بشدةٍ، فخلَّصوه منه بعد جَهْدٍ.

فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حقِّ محمد ﷺ.

فقال الصليبيُّ: كلاَّ، بل هذا الكلبُ عزيزُ النفس رآني أُشير بيدي، فظنَّ أني أُريدُ ضربه، ثم عاد لسَبِّ النبيِّ ﷺ وأقذع في السبِّ، عندها قطع الكلبُ رِباطَه ووثب على عُنق الصليبيِّ وقَلَع زَوره في الحال، فمات الصليبيُّ من فوره، فعندها أسلم نحوُ أربعين ألفًا من المغول»[1].

والتطاولُ على أزكى الرسل وسيِّدهم ﷺ فاق كلَّ حدٍّ من المغضوب عليهم والضالين: اليهود والنصارى، ومن عُبَّاد البقر، والزنادقةِ، والملاحدة، وأهل النفاق.. والتطاولُ على سُنَّتِه وإنكارُ المتواتر منها وما صحَّحه جهابذةُ الحديث وشيوخُ الحُفَّاظ: أصبح تجارةً رائجةً بين الدهماء والغوغاء وأهلِ الخبث ممن يعرفهم أهلُ اللَّه مِن لَحْن قولهم.

---

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٠٢).

◘ وقديمًا قال ناصرُ السُّنة الإمام الشافعي ـ للَّه درُّه ـ: «مَن استُغضِب ولم يَغْضَب فهو حمار»[١] .

✍ وهذي غضبتي ـ على قَدْري الضئيل ـ على صفحاتِ الكتب. . في هذه السلسلة التي أسأل اللَّه أن يجعَلها جُنَّةً لي ورِدءً من النار. . ورِفعةً وقربةً وجوارًا لسيِّد الأبرار ﷺ، وطُهْرةً من الذنوب والآثام والأوزار. . فاللَّهم سدِّد قلمي وزكِّه، واجعل له القبولَ بين الصالحين، ونَقِّه عن أعراض الدنيا، واجعله شجًى في حلوقِ المارقين والمنافقين. . واجعله وَقْفًا على نشر السُّنة والدفاع عنها، ونشرِ محاسن هذا الدين العظيم، ونهيًا عن المنكر، ووفِّر لي الأجرَ يوم لقياك.

● قال ﷺ: «إنَّ من أمتي قومًا يُعطَوْن مثل أُجُور أوَّلِهم، يُنكِرون المُنكَر»[٢] .

* أرفع عملٍ ووسامٍ أن ننافح[٣] عن رسولنا ﷺ:

● للَّهِ درُّ من ينافحُ عن رسولِ اللَّه ﷺ، ويكونُ من أنصارِ اللَّه ورسوله، هذا موضعٌ كريم يرفعُنا إليه اللَّه، وهل أرفعُ من مكانٍ يكونُ فيه العبدُ نصيرًا للرب وللرسول ﷺ؟! إن هذه الصفةَ تحملُ من التكريم ما هو أكبرُ من الجنة والنعيم. . فما أجدرَ أتباعَ محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمرِ الدائم!.

● وطوبى لمن يُنافحُ عن رسول اللَّه ﷺ . . فله نصيبٌ من قول

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٤٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٧٠٠)، وحسَّنه لغيره الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٥/ ٣٧٥).

(٣) نناقح: ندافع.

رسول اللَّه ﷺ لحسان: «إن رُوحَ القُدُسِ[١] لا يزال يؤيِّدك، ما نافحتَ عن اللَّه ورسوله»[٢] .

● وقوله ﷺ: «إن اللَّهَ يؤيِّدُ حسَّانَ بروُح القدس ما نافَحَ عن رسول اللَّه»[٣] .

● وقوله ﷺ: «إن رُوحَ القدس معك ما هاجَيْتَهم[٤] »[٥] .

● وقوله ﷺ: «اهْجُ المشركين، فإن رُوحَ القُدسِ معك» . قاله لحسان[٦] .

● وقوله ﷺ: «اهْجُ قريشًا، فإنه أشدُّ عيهم من رَشْقِ النَّبْل[٧] »[٨] .

● وقوله ﷺ: «يا حسانُ، أجِبْ عن رسول اللَّه، اللَّهم أيِّدْه برُوحِ القدس»[٩] .

● وقوله ﷺ: «هَجَاهم حسانُ فشَفَى واشتفى[١٠] »[١١] .

---

(١) روح القدس: جبريل عليه السلام.

(٢) رواه مسلم عن عائشة.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٦١).

(٤) هاجيتهم: ذممتهم وتركت معايبهم.

(٥) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن البراء، وصححه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٠٨٠).

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن البراء.

(٧) رَمْي السهام.

(٨) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

(٩) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن حسان وأبي هريرة.

(١٠) شفى: أذهب غيظ المؤمنين، واشتفى: مزّق الكافرين.

(١١) رواه مسلم عن عائشة.

◘ ولله درُّ حسان رضي الله عنه وهو يقول لأبي سفيان بنِ الحارثِ بنِ عبدالمطلب لما هجى رسول الله ﷺ ـ وذلك قبل إسلامه ـ:

هَجَوْتَ محمداً فأَجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ اللَّهِ في ذَاكَ الجزاءُ

هَجَوْتَ محمداً بَرًّا تقيًّا ... رسولَ اللَّه شيمتُه الوفاءُ[1]

أَتَهْجُوهُ ولَستَ له بكُفْءٍ ... فشرُّكما لخَيْرِكُما الفِداءُ

فإنَّ أبي ووالدَهُ وعِرْضي ... لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ[2]

نعم.. إن أعراضنا ودماءَنا وأنفُسَنا وأهلينا فداءٌ لرسول اللَّه ﷺ..

عِرضي فدا عرضِ الحبيبِ محمد ... وفِداهُ مُهجةُ خافقي وجَناني

وفِداهُ كُلُّ صغيرِنا وكبيرِنا ... وفِداهُ ما نظرت له العينانِ

ننافحُ عنه وذاك عزُّ الدهر.. ونمدحه وهذا علوٌّ وسموّ.. ونقول: عذراً رسول اللَّه ﷺ.. ننافح عن سيِّد السادات، وذاك بَهاءُ وعزُّ الدهر.. ونمدحه وذاك علوٌّ وسموٌّ، وتَقصر كلماتُنا مهما أوتينا من لَسَنٍ وفصاحة أنْ نوفِّيه عُشْرَ معشار قَدْره ﷺ..

بمديحه العَطِرِ المَنيفِ تَعَطَّرَتْ ... وتطهَّرَتْ وتنوَّرَتْ أوْزَاني

يُعطِي القَرِيضَ غَضاضةً ونضارةً ... وفَصاحةً تُرْبِي على سُحْبَانِ[3]

---

(١) عند ابن عساكر (٤/ ١٢٧): هجوت محمداً برًّا حنيفًا ... رسولَ اللَّه شيمته الوفاء

وفي «الاستيعاب» (ص٤٧٤): هجوت مُطَهَّرًا برًّا حنيفًا ... أمينَ اللَّه شيمته الوفاء

(٢) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٧٦) ـ تحقيق دكتور سيد حنفي ـ دار المعارف.

(٣) ديوان الصرصري: ورقة ١١٥.. انظر «المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي» ـ للدكتور محمود سالم محمد ـ دار الفكر ـ سورية.

أو كما قال الصرصري للَّه درُّه:

إذا قيل فيك الشِّعْرُ جاء مُهَذَّبًا جَلِيَّ المعاني ليس فيه عَويصُ
ووَصْفُك يُعْطِي الفَهْمَ نُوراً كأنَّهُ على الدُّرِّ في البحر الخِضمِّ يَغُوصُ[1]

* وأخيراً:

هذه سلسلةُ: «شَرَابُ التسنيم مع النبيِّ الكريم ﷺ»، تأتي في مجلدات على النسق التالي:

* **الكتاب الأول**: «وا محمداه.. وا رسولاه.. إن شانئك هو الأبتر»، أَتتَبَّعُ فيه كلَّ شانِئي النبي الكريم ﷺ على مَدَار التاريخ ممَّن وَعَتْهم ذاكرتي بدايةً من فرعون هذه الأمة.. مروراً بزعماء الكفر من قريش أهلِ قَليبِ بدر، وشانئيه من يهود، وعلى رأسهم شيطانُ اليهود كعبُ بن الأشرف، ومَن أساؤوا الأدب معه ككسرى ـ لعنه اللَّه ـ، أو الذين ادَّعَوا النبوَّة كمسيلِمة والعَنْسِي، ومن ادَّعوا النبوةَ بعد ذلك من الطوائف المارقة الخارجة عن الإسلام.

وأذكر شانئيه في عصرنا الحديث «البابية، والبهائية، والقاديانية»، وأُعرِّجُ على أقوالِ الصليبيين من المستشرقين، والمفكرين قديمًا وحديثًا.. وأذكر مقال بعضِ مفكِّري الغرب الذين شهدوا للنبي ﷺ بالبطولة والعبقرية والأثر العظيم في قومه، وإن لم يُثبتوا له النبوة.. ولكنهم أحسَنُ حالاً من الموتورين المسعورين الكلاب من بني جلدتهم.

وأُعرِّجُ على نواقضِ الإيمان برسول اللَّه ﷺ، وأُجَلِّي ذلك للمسلمين،

(١) «ديوان الصرصري» ورقة ٥٢.

وأزيل بذلك ـ بحول اللَّه وقوته وله المِنَّةُ والفضل ـ كثيراً من الغِشاوة عن أعين السُّذَّج . . بعد أن نَجَمَ النِّفاقُ واستفحل أمره .

* **الكتاب الثاني** : الكوكبُ الدُّرِّي في خصائص النبي ﷺ .
* **الكتاب الثالث** : شرابُ التسنيم من أخلاق النبي الكريم ﷺ .
* **الكتاب الرابع** : أُنس المقرَّبين من شمائل النبي الكريم ﷺ .
* **الكتاب الخامس** : لآلئُ البحار في دلائلِ نبوة سيِّد الأبرار ﷺ . . ومعه «الكواكب النيرات في صحيح المعجزات» .
* **الكتاب السادس** : الأقوالُ العاطرات في حقوق النبي سيِّد السادات ﷺ . . ومعه «رد أهل الاتباع الزكي على الغلاة في شأن النبي ﷺ» .
* **الكتاب السابع** : المدائحُ النديَّة لسيد البشرية ﷺ .

✍ ونُفرد بعد ذلك ثلاثة مجلدات في سيرة رسول اللَّه ﷺ وهو «الطَّيبُ النَّديّ في سيرة النبي ﷺ» .

ومِن التَّيمُّنِ : أن الأخَ الذي قام بصفِّ الكتاب سَمع في الرؤية رسولَ اللَّه ﷺ يَسألُ في المَنام» رجلاً عن الكِتاب ، ويَطمئنُّ عمَّا تمَّ فيه . . ولله الحمد والمِنَّة .

فاللَّهم ثقِّل ميزاني ، وأصلح نيَّتي وسريرتي ، وارزقني شهادةً في سبيلك ، وموتًا في بلد رسولك ، وارزقني جِوار النبي الكريم ﷺ في أعلى الفردوس ، ومتِّعني بالنظر إلى وجهك الكريم . .

وكتبه محبُّ رسول اللَّه ﷺ

السيد بن حُسين العفاني

الإثنين ٢٧ صفر ١٤٢٧هـ ـ ٢٧ مارس ٢٠٠٦م



بأبي أنتَ وأمي

يــا

رســـول الله

بِأَبِي أَنتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه

* السِّراجُ المنير والإنسانُ النَّجْمِيُّ ﷺ:

✍ كما تَطلُعُ الشمسُ بأنوارها فتُفَجِّرُ يُنبوعَ الضوء ـ المُسَمَّىٰ بالنهار ـ، يُولَدُ محمدٌ رسول اللَّه ﷺ فيُوجَدُ في الإنسانية يُنبوعُ النور ـ وهو الإسلام ـ.

✍ وليس النهارُ إلاَّ يَقَظةَ الحياةِ تُحقِّقُ أعمالَها، وليس ما جاء به محمدٌ رسولُ اللَّه ﷺ إلاَّ يقظةَ النفس تُحقِّقُ أفضالها.

✍ والشمسُ خَلقها اللَّهُ حاملةً طابعًا خاصًّا، في عَمَلها للمادة تُحَوِّل به وتُغَيِّر، والنبيُّ محمدٌ ﷺ أرسله اللَّهُ حاملاً طابعًا في عَمَله تترقَّىٰ فيه النفسُ وتسمو.

✍ وليس النبيُّ محمدٌ ﷺ إنسانًا من العُظماء يُقرأ تاريخُه بالفِكر معه المنطق، ومع المنطق الشكُّ، ولكنه إنسانٌ نَجْمِيٌّ يُقرأُ بمثلِ «التلسكوب» في الدِّقَّة معه العِلم، ومع العلم الإيمان.

✍ ومحمدٌ رسول اللَّه ﷺ مِثلُ النَّجم سراجٌ منير، وإشراقٌ علىٰ الإنسانية يُقوِّمها في فَلَكها الأخلاقي، ويجذبُها إلىٰ الكَمَال في نظامٍ هو بعينه صورةٌ لقانونِ الجاذبية في الكواكب.

✍ ونفسُ رسولِ اللَّه ﷺ أبلغُ الأنفس قاطبةً، لا يمكنُ أن تَعرِفَ الأرضُ أكملَ منها، ولو اجتمعت فضائلُ الحكماء والمتألِّهين، وجُعلت في نِصابٍ واحدٍ، ما بَلغت أن يجيء منها مِثلُ نفسه ﷺ.

✍ نفسٌ سامقةٌ عاليةٌ تُطِلُّ علىٰ الدنيا من عَلٍ لتصحيح الوضع المغلوطِ للبشريَّة، وكأنَّ الحقيقةَ الساميةَ في هذا النبي ﷺ تنادِي: أن قابِلوا علىٰ هذا

الأصل، وصحِّحوا ما اعترىٰ أنفسكم من غَلَطِ الحياة وتحريفِ الإنسانية.

✍ هو نَبعٌ في الأرض لمعاني النور بإزاءِ الشمس نَبْعِ النور في السماء.

✍ مِن أين تَدَبَّرْتَ هذه النفسَ العظيمةَ، رأيتَها تَنبسطُ علىٰ الإنسانية كالشمس في الأفق الأعلىٰ تنبسط وتضحَىٰ.

* قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. وهو حاملُ النور إلىٰ البشرية.. نورِ الوحي.

* وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

📖 قال العلامة ابن جرير الطبري: «قد جاءكم يا أهلَ التوراة والإنجيل ﴿مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ يعني بالنور محمداً ﷺ الذي أنار اللّهُ به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومَحَق به الشرك، فهو نورٌ لمن استنَار به، يُبيِّن الحقَّ، ومِن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيراً مما كانوا يُخفون من الكتاب.. قد جاءكم من اللّه تعالىٰ النورُ الذي أنار لكم به معالِمَ الحق»[1].

نورٌ تُشرقُ به كينونةُ الإنسان عند الإيمان به وبما جاء به، فتَشِفُّ وتَخِفُّ وتَرِفُّ، ويُشرقُ به كلُّ شيء أمامه، فيَتَّضحُ ويتكشَّفُ ويستقيم.

ثُقلة الطين في كِيانه، وظُلمةُ التراب، وكثافةُ اللحم والدم، وعَرامةُ الشهوة والنزوة، كلُّ أولئك يُشرقُ ويُضيء ويتجلَّىٰ.. تَخِفُّ الثُّقْلة،

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٤) - طبع دار هجر.

وتُشرقُ الظلمة، وتَرقُّ الكثافة، وترِقُّ العرامة.. واللّبسُ والغَبَشُ في الرؤية، والتأرجُحُ، والتردُّدُ في الخُطوة، والحَيرةُ والشرودُ في الاتجاه والطريقِ البهيم الذي لا معالم فيه: كل أولئك يُشرقُ ويُضيء ويتجلّى.. يتضحُ الهَدَف، ويستقيمُ الطريقُ إليه، وتستقيمُ النفسُ على الطريق.

◻ وللّه درُّ القائل في نبي اللّه ﷺ:

وأبيضَ يُستسقَى الغمامُ بوَجهه	ثُمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

◻ وللّه درُّ القائل:

كأن الثُريّا علِّقَتْ بجبينه	وفي جِيْدِه الشِّعْرَى وفي وجهه القَمَرُ
عليه جَلالُ المَجْدِ لوْ أَنَّ وَجْهَهُ	أضَاءَ بليلٍ هلَّلَ البَدْوُ والحَضَرُ

◻ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمّا كانَ اليومُ الذي دخَل فيه رسول اللّه ﷺ المدينة، أضاءَ منها كُلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء، وما نَفَضْنَا عن رسول اللّه ﷺ الأَيْدِي - وإِنَّا لَفِي دفْنِه - حتى أنكَرنَا قُلُوبَنا»(١).

✍ وهو حامل النور - القرآن - إلى البشرية:

* قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وأعظمُ مِنَّةٍ وتكريمٍ يَمُنُّ اللّهُ به ويُورِدُه في كتابه الكريم هذا المثل:

(١) حديث صحيح: روه أحمد، والترمذي وقال حسن صحيح، وكذا رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

والضمير في «نوره» يعود على الله سبحانه.

قال أُبَيُّ بنُ كعب ﷺ: «مَثَلُ نورِه في قلب المسلم».

وقال ابن القيم: «والمعنى: مَثَل نورِ اللَّه سبحانه وتعالى في قلب عبده.. وأعظمُ عبادِه نصيبًا من هذا النور رسولُه ﷺ».

والمؤمنُ قلبُه مُضِيءٌ يكادُ أن يُضيءَ بنفسه، يكادُ يعرفُ الحقَّ بفطرته وعَقْله، ولكن لا مادَّةَ له من نفسه، فجاءت مادةُ الوحْي فباشرت قلبه، وخالطت بشاشتَه، فازداد نوراً بالوحي على نورِه الذي فَطَره اللَّه عليه، فاجتمع له نورُ الوحي إلى نورِ الفطرة، ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

فما ظنك بنورِ رسول اللَّه ﷺ ؟!.

انظر إلى هذا التشبيه العجيب الذي تضمَّنته الآيةُ، فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمامِ نِعمته على عَبدِه المؤمن ـ وأكملُ عبادِه رسولُه ﷺ بما أناله من نوره ـ ما تَقَرُّ به عيونُ أهله، وتبتهجُ به قلوبُهم.

فتأمَّلْ صفةَ «المشكاة»، وهي كُوَّةٌ تَنفُذُ لتكونَ أجمعَ للضوء، قد وُضع فيها مِصباحٌ، وذلك المصباحُ داخلَ زجاجةٍ تُشبهُ الكوكبَ الدُّرِّيَّ في صَفائها وحُسنها، ومادتُه من أصفى الأدهانِ وأتمِّها وَقوداً، فمن شدةِ إضاءةِ زيتها وصفائِه يكادُ يُضيءُ من غير أن تمسَّه نار.

● فالمشكاةُ صَدْرُ المؤمن، والزجاجةُ قلبُه، وبصفائه تتجلّى فيه صُورُ الحقائق والعلوم على ما هي عليه، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «إن للَّه تعالى آنيةً من أهل الأرض، وآنيةُ ربّكم قلوبُ عبادهِ الصالحين، وأحبُّها إليه أَلْيَنُها وأرقُّها»(١) .

والشجرةُ المباركة: هي شجرةُ الوحي، وهي مادةُ المصباح التي يتَّقد منها.

فماذا ظنُّك بحظِّ رسولِ اللَّه ﷺ مِن هذا المَثَل؟! .

● عن عبداللَّه بن عمرو ﵄ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ : «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَه في ظُلْمة، ثم ألقى عليهم من نُوره، فمن أصابه من ذلك النورِ اهتدى، ومن أخطأه ضَلَّ، فلذلك أقول: جَفَّ القلمُ على عِلم اللَّه»(٢) .

فيا لها من أنوارٍ كانت لرسول اللَّه ﷺ! فإنَّ نورَ الإيمان يملأُ قلبَه، ومُدخَلُه نور، ومُخْرَجُه نور، وعِلمُه نور، ومِشيتُه في الناس نور، وكلامه نور، ومصيرُه إلى نور، وللمؤمن نصيبٌ من هذا.

---

(١) إسناده قوي: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي عنبة، وقال الألباني: «رجاله كلهم ثقات أثبات غير «بقية»، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وهو هنا قد صرَّح بالتحديث». . وقواه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٩١)، وحسَّنه في «صحيح الجامع» برقم (٣١٦٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» مطولاً (١٠/ ١٢٧)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر. وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤): «رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات»، ورواه الترمذي في «سننه» (٥/ ٢٦) في الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث حسن، وأخرجه الحاكم مطولاً وصححه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٦٤) رقم (١٠٧٦).

وتتزايدُ مادةُ النور حتىٰ تظهرَ علىٰ وجوهِ المؤمنين وجوارحِهم وأبدانِهم، بل وثيابهم، ودُورِهم، يُبصِرُه مَن هو من جِنسهم، فإذا كان يومُ القيامة بَرَز ذلك النورُ يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم، منهم مَن نورُه كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم.

◻ قال ابن القيم: «ولما كان «النـورُ» من أسمائه الحُسنىٰ وصفاته، كان دينُه نوراً ورسولُه نوراً، وكلامُه نـوراً، ودارُه نوراً يتلألأ، والنورُ يتـوقَّدُ في قلوب عبـاده المؤمنين، ويجـري علىٰ ألسـنتهم، ويظهر في وجوههم».

◻ قال ابن تيمية: «إن اللَّه ضَرَب مَثَلَ نورِه في قلوبِ المؤمنين بالنور الذي في المصباح وهو في نفسه نورٌ، وهو مُنَوِّرٌ لغيره، فإذا كان نورٌ في القلوب هو «نورٌ»، وهو «منوِّر»، فهو في نفسه أحقُّ بذلك، وقد عُلِم أن كلَّ ما هو نورٌ فهو منوِّرٌ»[1].

* وقفة:

حين يَفيضُ النورُ الهادئُ الوضيءُ، فيَغمُرُ الكونَ كلَّه، ويَفيضُ علىٰ المشاعر والجوارح، وينسكبُ في الحنايا والجوانح، وحتىٰ يَسْبَحَ الكونُ كلُّه في فيضِ النور الباهر، وحتىٰ تُعانقَه وتَرشُفَه العيونُ والبصائر، حين تنزاحُ الحُجُب، وتَشفُّ القلوب، وترفُّ الأرواح، ويَسْبَحُ كلُّ شيءٍ في الفيض الغامر، ويتطهَّرُ كلُّ شيءٍ في بحرِ النور، ويتجرَّدُ كلُّ شيءٍ من كثافته وثُقْله، فإذا هو انطلاقٌ ورَفرفة، ولقاءٌ ومعرفة، وامتزاجٌ وأُلفة، وفَرَحٌ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٣٦).

وحُبور، وإذا الكونُ كلُّه بما فيه ومَن فيه نورٌ طَليقٌ من القيود والحدود، تَّصلُ فيه السماواتُ بالأرضُ، والأحياءُ بالجماد، والبعيدُ بالقريب، وتلتقي فيه الشِّعابُ والدُّرُوب، والطوايا والظواهر والحواس والقلوب.

فَيضٌ غامر من النور.. وأُفُقٌ وضيءٌ يدركُه القلبُ كلما شَفَّ ورَفَّ، ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

مَثَلٌ يُقرِّبُ للإدراك المحدود صورةَ غيرِ المحدود، مَثَلٌ يُقرِّبُ للإدراكِ طبيعةَ النورِ حين يَعجِزُ عن تتبُّعِ مَدَاه وآفاقِهِ المترامية وراءَ الإدراكِ البشريِّ الحسير.

وإنَّ مَن حُجب عن معرفةِ ربِّه ونورِه يُحجَبُ عن معرفة رسوله الذي أرسله اللّه سراجًا منيراً.. وضرب مثلاً لنوره بالنور في قلبِ رسوله ﷺ..

وكيف يُبْلُغُ في دنياه غايَتَه مَن تستوي عنده الظَّلْماءُ والنُّورُ!

● انظر إلى دعاءِ مَن أرسله اللّه سراجًا منيراً ـ وقد استجاب اللّه لدعائه ـ: «اللّهم اجعَلْ في قلبي نوراً، وفي بَصَري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومِن خَلفي نوراً، واجعلْ لي في نفسي نوراً، وأعظِمْ لي نوراً»[1].

● «اللّهم اجعلْ في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعلْ في سمعي نوراً، واجعلْ في بَصَري نوراً، واجعلْ مِن خَلْفي نوراً، ومِن أمامي نوراً،

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن ابن عباس.

واجعلْ من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللَّهم أعطِني نوراً»[1] .

لا يفقهُ عِظَمَ هذا المَثَلِ وقَدْرَ هذا الدعاءِ النبويِّ الجميل إلاَّ مَن رَزَقه اللَّهُ نوراً وحياةً في قلبه، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

□ وللَّه درُّ القائل عن رسول اللَّه ﷺ :

قَمَـــرٌ تفـــرَّدَ بالكمالِ كمـالُه ... وحَـوَى المحاسنَ حُسْنُه وجمـالُهُ
وتنــاول الكَــرَمَ العريضَ نــوَالُه ... وَحَوَى المفـاخـرَ فخـرُه المتقـدِّمُ
فبربِّــه صَـلُّوا عليه وسـلِّمُوا
واللَّه ما ذَرَأَ الإلــهُ ولاَ بــرَاَ ... بَشَراً ولا مَلَكًا كأحـمدَ في الوَرَى
فعليه صلَّى اللَّهُ ما قلــمٌ جَـرَى ... وجَلاَ الدياجـي نــورُه المُتَبَسِّمُ
فَبِربِّــه صَـلواُّ عليه وسـلِّمُـوا

□ والقائل :

قمرٌ تشعشعَ مِن ذؤابـةِ هاشــمٍ ... في الأرض نورُ هـدايةٍ وصـوابِ
العاقبُ الماحي الضَّلالةَ بالهــدى ... ومُـدَمِّـرُ الأزلامِ والأنـصـابِ

□ وللَّه درُّ القائل فيه :

فهو الذي تـمَّ معناهُ وصورتُـــه ... ثم اصطفاه خليـلاً بارئُ النَّسـمِ

لكأنما خَرَجت هذه النَفْسُ مِن صِيغةٍ كصيغـةِ الـدُّرة في محـارتـها،

---

(١) رواه مسلم وأبو داود ـ واللفظ له ـ عن ابن عباس .

أو تركيبٍ كتركيب الماسِ في مَنْجَمِه، أوْ صفةٍ كصفةِ الذهب في عِرْقِه.

* سبحان من رفع قَدْرَ رسولِ اللَّه ﷺ فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء: ١٠٧]:

❑ «هو رحمةٌ للإنسان، إذ عَلَّمه الرحمن، وسَكَب في قلبه نورَ الإيمان، ودلَّه على طريق الجِنان.

ـ هو رحمةٌ للشيخ الكبير، إذ سهَّل له العبادة، وأرشده لحُسنِ الخاتمة، وأيقظه لتداركِ العمرِ واغتنامِ بقية الأيام.

ـ هو رحمةٌ للشاب، إذ هداه إلى أجملِ أعمالِ الفُتُوَّة وأكملِ خِصال الصِّبا، فوجَّه طاقتَه لأنبلِ السجايا وأجلِّ الأخلاق.

ـ وهو رحمةٌ للطفل، إذ سقاه مع لَبَنِ أُمِّه دِينَ الفطرة، وأسمعه ساعةَ المَولِدِ أذانَ التوحيد، وألبسَه في عهدِ الطفولة حُلَّةَ الإيمان.

ـ وهو رحمةٌ للمرأة، إذْ أنصفَها في عالَم الظُّلْم، وحَفِظ حقَّها في دنيا الجَوْر، وصان جانبَها في مهرجانِ الحياة، وحَفِظ لها عفافَها وشَرَفها ومُستقبلها، فعاش أبًا للمرأة وزوجًا وأخًا ومُربيًا.

ـ وهو رحمةٌ للوُلاة والحُكَّام، إذْ وضع لهم ميزانَ العدالة، وحَذَّرهم من مَتَالِفِ الجَور والتعسُّف، وحَدَّ لهم حدودَ التبجيل والاحترام والطاعة في طاعةِ اللَّه ورسوله.

ـ وهو رحمةٌ للرعيَّة، إذْ وقف مدافعًا عن حقوقها، مُحرِّمًا الحيفَ، ناهيًا عن السَّلب والنَّهْب والسَّفك والابتزاز والاضطهاد والاستبداد»[1].

---

(١) «محمد ﷺ كأنك تراه» لعائض القرني (ص١٠٦ـ١٠٧)ـ طبع دار ابن حزم.

* وزَكَّى اللَّه خُلُقَه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

◻ «عظيمُ الأخلاق، كريمُ السجايا، مُهَذَّب الطِّباع، نقيُّ الفِطرَة، جَمُّ الحياء، حَيُّ العاطفة، جميلُ السِّيرة، طاهرُ السريرة، أُلبس إِهابَ الهَيبة، وتُوِّج تاجَ السِّيادة، وضُمِّخ بأذكىٰ خَلوقٍ أذكىٰ الأخلاق، وأُحِلَّ دارَ المُدَاراة، وأُعطِيَ لقطعِ مفازة الدنيا جَوادَ الجُودِ، فهو هلالُ شهرِ الكمال، وأميرُ جيشَ الجود، ورُوحُ جُثمانِ الكون، وحشاشةُ نفسِ المملكة»[1].

◻ «أُجْلِس علىٰ صفحةِ الصَّفح، ولُقِمَ لُقَمَ لقمان الحكيم، ووُضِعت له أكوابُ التواضع، وأُديرت عليه كؤوسُ الكَيْس، مُتضمِّنةً حلاوةَ الحِلم، خِتامُها مِسْكُ النُّسك، نُووِلَ قلمَ العزِّ، فوقَّع علىٰ صحائفِ الكَدِّ، «كلُّ عملٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ».

كان يعودُ المريض، ويُجيب دعوةَ المملوك، ويجلسُ علىٰ الأرض، ويَلبَسُ الخشِن، ويأكلُ البشع، ويَبيتُ اللياليَ طاويًا، يتقلبُ في قفرِ الفقر، ولسانُ الحال يناديه: يا محمد، نحن نَضِنُّ بك عن الدنيا، لا بها عنك»[2].

أُشرِبت نفسُه عِلمَ اليقين وعَينَه وحقَّه.

* ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

◻ «إنك قِمَّةُ الفضائل، ومَنبعُ الجُود، ومَطْلَعُ الخير، وغايةُ الإحسان.

يَظلِمونك فتَصبِر، يُؤذونك فتَغفِر، يَشتمونك فتحلُم، يَسبُّونك فتعفو، يجفونك فتصفح.

---

(١) «مقامات ابن الجوزي» لابن الجوزي (ص٤٨)ـ دار فوزي للطباعة.

(٢) «المدهش» لابن الجوزي (ص١١٧ـ ١١٨)ـ دار مروان للطباعة.

يُحبُّك المَلِكُ والمملوكِ، والصغيرُ والكبير، والرجلُ والمرأة، والغَنِيُّ والفقير، والقَرِيبُ والبعيد؛ لأنك مَلَكْتَ القلوب بعطفك، وأسَرْتَ الأرواح بفضلك، وطَوَّقتَ الأعناقَ بكرمك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. هذَّبك الوحيُ، وعَلَّمك جبريل، وهداك ربُّك، وصاحَبَتْك العناية، ورافقتك الرعاية، وحالفك التوفيق.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. البسمةُ على مُحيَّاك، البِشْرُ على طَلْعتك، النورُ على جَبِينك، الحبُّ في قلبك، الجُودُ في يَدِك، البركةُ فيك، الفوزُ معك..

مَن زار بابكَ لم تبـرَحْ جوارحُهُ تروي أحـاديثَ ما أوليتَ من مِنَنِ
فالعينُ عَن قُـرَّةٍ والكَفُّ عَن صِلَةٍ والقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حسنِ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. لا تكذبُ ولو أن السيفَ على رأسك، ولا تخونُ ولو حُزْتَ الدنيا، ولا تَغْدِر ولوْ أُعطِيتَ المُلْك؛ لأنك نبيٌّ معصوم، وإمامٌ قُدْوة، وأُسوةٌ حسنة.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. صادقٌ ولو قابَلَتْك المنايا، شُجاعٌ ولو قاتلتَ الأُسُود، وجَوَادٌ ولو سُئِلت كلَّ ما تملِك، فأنتَ المِثالُ الراقي والرمزُ السامي.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. سَبَقْتَ العالَمَ ديانةً وأمانةً وصيانةً ورزانةً، وتفوَّقْتَ على الكُلِّ عِلمًا وحِلمًا وكرمًا ونبلاً وشجاعةً وتضحيةً»[1].

---

(١) «محمد كأنك تراه» (ص٦٥ ـ ٦٧).

✍ إذا ذُكِرتَ ذُكِرَتْ معك الفضيلةُ في أجمل صورها، وذُكِر معك الطُّهْرُ في أرقى مشاهِدِه، وذُكِر معك العدلُ في أسمى معانيه.

✍ كُتِب اسمُك بحروفٍ من نور في قلوبِ الموحِّدين.. فلو شَقَقْتَ كُلَّ قلبٍ لرأيتَك محفوراً في النِّياط، مكتوبًا في السُّوَيداء، مرسومًا في العُروق..

والله لو شُقَّ قلبي في الهَوَى قطعًا ... وأبصر اللَّحْظُ رسمًا في سُويْداهُ
لكنتَ أنت الذي في لوحِه كُتِبَتْ ... ذِكْرَاه أو رُسِمَتْ بالحُبِّ سيماهُ

✍ أنت صاحبُ الغُرَّة والتبجيل، المذكورُ في التوراةِ والإنجيل، المؤيَّد بجبريل.. بَشَّرَت بك الرُّسُل، وأخبَرَتْ بك الكُتُبُ، وحَفَلت باسمك التواريخُ، وتشرَّفت بك النوادي، وعَمَّ ذِكرُك الحواضرَ والبوادي، وتضوَّعت بذِكرك المجامع، وصَدَحتْ بذكراك المنائر، ولَجْلَجَتْ بحديثك المنابر.

✍ عُصمتَ من الضلالة والغواية، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]، وحُفِظت من الهوىٰ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

✍ كلامُك شريعة، ولفظُك دِين، وسنَّتك وَحْيٌ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

✍ سجاياك طاهرة، وطَبيعتُك فاضلة، وخِلالُك جميلة، وخِصالُك نبيلة، ومواقفُك جليلة، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

✍ ليِّن الجانب، سَهْلُ الخليقة، يسيرُ الطبع، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

✍ ظاهرُ العِناية، ملحوظٌ بعينِ الرعاية، منصورُ الراية، مُوَفَّقٌ محظوظ، مُظَفَّرٌ مفتوحٌ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

✍ أصلح اللَّهُ لك قلبَك، وأنار لك دَرْبَك، وغَفَر لك ذَنْبَك ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

▫ لا يُقال لغيرك هذا الشِّعر:

الشمسُ من حُسَّادِه والنصرُ من ... قرنائه والحمدُ من أسمائه
أين الثلاثةُ من ثلاث خِلالـه ... من حُسنِه وإبائه ومَضائه
مَضتِ الدُّهورُ وما أَتَيْنَ بمثله ... ولقد أتى فعَجَزْنَ عن نُظرائه

* عظيمٌ كلَّ العظمة:

✍ رجلُ السماء في الأرض، وهِبَةُ السماء للأرض، كان ﷺ ـ وهو في حدودِ نفسه وضِيق مكانه ـ يتسعُ في الزمن من حيثُ لا يَرىٰ ذلك أحدٌ ولا يعلمه، وكأنما كانت شمسُ اليوم الذي سينتصرُ فيه ـ قبل أن يُشرقَ علىٰ الدنيا ـ مشرقةً في قلبه.

✍ أراد اللَّهُ تعالىٰ أن يبدأ هذا الجليلُ العظيم من أَسْمىٰ خِلالِ الجلال والعظمةِ، ليكونَ أولُ أمره شهادةً بكماله، فكانت الحسنةُ فيه بشهادةِ السيئة من قومه، فحِلْمه بشهادة رُعونتهم، وأَناتُه وحِلْمه بدليل طيشهم، وحِكمته ببرهانِ سفاهتهم.

✍ نَثَروا الترابَ علىٰ رأسه . . إنَّ هذا الترابَ هو شذوذُ الحياةِ الأرضيَّةِ الدنيئةِ في مقابلة إنسانها المتفرِّد، هذه القبضةُ من التراب قبضةٌ سفيهة تحاول رَدَّ الممالكِ الإسلاميةِ أن تنشأَ نشأتَها وتعملَ في التاريخ عملها.

✍ وكان قِطفُ العنب من «عدَّاس» في رحلة الطائف رمزاً لهذا العنقود الإسلاميِّ العظيمِ الذي امتلأ حَبًّا، كُلُّ حَبَّةٍ فيه مملكة.

◘ بأبي وأمي رسولُ اللَّه ﷺ .. والذي نفسي بيده هو أوْلى الناس بقول القائل:

زَمَانُكَ بُستانٌ وَعصرُكَ أخضَرُ ... وذكراكَ عصفورٌ منَ القَلْبِ يَنْقُرُ
دَخَلْتَ على تاريخنَا ذاتَ لَيْلَة ... فَرَائحَةُ التَّاريخِ مسْكٌ وعَنْبَرُ
وَكُنْتَ فكانَتْ في الحقول سَنَابلٌ ... وكَانَتْ عَصَافيرٌ وكَانَ صنُوبَرُ
لَمَسْتَ أَمَانينَا فَصَارَتْ جَدَاولاً ... وَأَمْطَرْتَنا حُبًّا ولازلتَ تُمْطِـرُ
تُعَاودُني ذكْراكَ في كُلِّ لَحْظَة[1] ... ويُورقُ فكْري حينَ فيك أُفَكِّرُ
وتأبَى جرَاحي أنْ تَضُمَّ شفَاهَهَا ... كأَنَّ جرَاحَ الحُبِّ لا تَتَخَثَّرُ
أَتَسْأَلُ عن أعْمارِنا أَنْتَ عُمْرُنا ... وأنت لنا التاريخُ أَنْتَ المُطَهَّرُ[2]

◘ ونبضُ فؤادِنا ووَجيبُ قلوبنا قاصرٌ على حُبِّ رسول اللَّه ﷺ بعد حب اللَّه ـ عز وجل ـ:

قصرْتُ عَلَيْكَ العُمْرَ وهو قَصيرُ ... وغَالَبتُ فيك الشَّوْقَ هو قَديرُ
وأنْشأتُ في صدري لحُسْنكَ دَوْلَةً ... لها الحُبُّ جُنْدٌ والولاءُ سَفيرُ
فؤادي لها عَرْشٌ وأنتَ مَليكُهُ ... ودُونَك من تلك الضُّلُوعِ سُتُورُ
وما انْتَقَضَتْ يومًا عليكَ جوَانحي ... ولاَ حَلَّ في قلبي سواكَ أميرُ
حبيبٌ[3] إذا غَنَّى اليرَاعُ بمَدحه ... سَرَتْ بالمَعَالي هزَّةٌ وسُرورُ
فَدينُكَ مَحْرُوسٌ وربُّك حَافظٌ ... وأنت على مُلْكِ القلوبِ أميرُ

* * *

(١) في الأصل: تعاودني ذكراك كل عشيَّة.
(٢) في الأصل: وأنت لنا الآمالُ أنت المُحَرِّرُ.
(٣) في الأصل: مَليكٌ.

* ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾:

لَمسةٌ من حَنان، ونسمةٌ من رحمة، وطائفٌ من وُدٍّ، ويدٌ حانيةٌ تمسحُ على الآلام والمواجع، وتَتَنَسَّمُ بالرَّوْح والرضى والأمل، وتسكبُ البَرْدَ والطمأنينةَ واليقين.. كلُّها خالصةٌ للنبي ﷺ، كلُّها نجاءٌ له من ربِّه، وتَسرِيةٌ وتَسليةٌ وترويحٌ وتطمين، كلُّها أنسامٌ من الرحمة، وأنداءٌ من الوُدِّ، وألطافٌ من القربى، هَدْهَدةٌ للرُّوحِ والخاطرِ والقلب.

يُقسِمُ اللَّهُ سبحانه وتعالى بهذَيْن الآنَيْنِ الرائقَيْنِ الموحيَيْن.. الضحى الرائق الصافي، والليلِ الساجي الذي يَرقُّ ويسكنُ ويصفو، وتغشاه سحَابةٌ رقيقةٌ من الشجَى الشفيف، والتأمُّلِ الوديع.. أَشَفُّ آنَيْنِ تسري فيهما التأملات، وتتصلُ الرُّوحُ بالوجود، وخالقِ الوجود، وتُحِسُّ بعبادةِ الكون كلِّه لمبدِعِه، وتوجُّهُه لبارئه بالتسبيح والفرحِ والصفاءِ، ويعيشُ القلبُ في أُنسٍ من هذا الوجود الجميل الحيِّ.

ما تَرَكَكَ ربُّك مِن قبلُ أبدًا، وما قَلاك من قبلُ قطُّ، وما أخلاك مِن رحمته ورعايته وإيوائه.. ما انقطع عنك بِرُّه وما ينقطع أبدًا.. ألاَ تجدُ مِصداقَ هذا في حياتك؟ ألا تُحِسُّ مسَّ هذا في قلبك؟ ألا ترىٰ أثَرَ هذا في قلبك؟.

رحمته عليك سابغة، ورضاه يغمُرك.. هو رَاعيكَ وكافلُك، ما غاضَ مَعينُ فضلهِ وفيضُ بِرِّه.

* ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾:

إن لك عنده في الآخرة من الحُسْنى خيرًا مما يُعطيك منها في الدنيا.

* ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ :

◻ قال بعض العلماء: «يعطيه في الدنيا مِن إتمام الدين وإعلاء كلمةِ اللَّه، والنصر على الأعداء»[١] .

◻ «إنه ليدَّخرُ لك ما يُرضيك من التوفيق في دعوتك، وإزاحةِ العقبات من طريقك، وغلبةِ منهجك، وظهور حقك»[٢] .

وليس بعد الرِّضى مطلب. لَمَّا بيَّن أن الآخرةَ خير له ﷺ من الأُولى، ولكنه لم يُبيِّن أن ذلك التفاوتَ إلى أيِّ حدٍّ يكون، فبيَّن بهذه الآية مقدارَ ذلك التفاوت، وهو أن ينتهي إلى غايةِ ما يتمناه الرسولُ ويرتضيه ﷺ.

والجمهورُ أنه في الآخرة، وقد فَصَّله في بعض المواضع، وأعظمها ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو المقامُ الذي يَغبطُه عليه الأوَّلون والآخِرون كما في حديث الشفاعة العظمى، حين يتخلَّى كلُّ نبيٍّ ويقول: «نفسي نفسي»، حتى يَصِلوا إلى النبي ﷺ فيقول: «أنا لها أنا لها»، ومنها الحوضُ المورود، والكوثر، ومنها الوسيلة، وهي منزلةٌ رفيعةٌ عاليةٌ لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ واحد، وإذا كانت لعبدٍ واحدٍ فمن يستقدمُ عليها، وإذا رجا ربَّه أن تكون له، طَلَب من الأمة طَلَبَها له، فهو مما يؤكِّدُ أنها له، وإلاَّ لَمَا طَلَبها ولا ترجَّاها، ولا أمر بطلبها له، وهو بلا شك أحقُّ بها من جميع الخلق، إذ الخلقُ أفضلُهم الرسل، وهو ﷺ مقدَّمٌ عليهم في الدنيا[٣] .

---

(١) «تتمة أضواء البيان» للشيخ عطية محمد سالم (ص٢٨٠)ـ مكتبة ابن تيمية.

(٢) «الظلال» (٦/ ٣٩٢٧).

(٣) انظر «تتمة أضواء البيان» (ص٢٨٠ـ٢٨١).

◘ عن علي بن عبداللَّه بن عباس، عن أبيه ﷺ قال: «عُرِض على رسول اللَّه ﷺ ما هو مفتوحٌ على أمته كَنزًا كَنزًا، فسُرَّ بذلك، فأنزل اللَّه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، فأعطاه في الجنة ألفَ ألفِ قصرٍ، في كلِّ قصرٍ ما ينبغي له من الأزواج والخدم».

◘ قال الحافظُ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٢): «رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا لا يُقال إلا عن توقيف»[١].

◘ قال الفخر الرازي: «أمَّا لو حَمَلنا هذا الوعدَ على أحوالِ الدنيا، فهو إشارةٌ إلى ما أعطاه اللَّه تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر، ويومَ فتح مكة، ودخولِ الناس في الدين أفواجًا، والغَلَبةِ على قُريظة والنضير

(١) قال الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٧٤): «الحديث رواه ابن جرير ـ كما قال الحافظ ابن كثير ـ (٣٠/ ٢٣٢) من طريقين عن الأوزاعي في أحدهما «عمرو بن هاشم البيروتي» الراوي عن الأوزاعي، وهو ضعيف، وفي الأخرى «روّاد بن الجراح» مختلف فيه، وهو مختلط، فأظن من وثّقه لصدقه وديانته، ومن جرحه فلأنه اختلط.

وأخرجه الحاكم وصححه (٢/ ٥٢٦) وتعقّبه الذهبي قائلاً: «تفرَّد به عصام بن روّاد عن أبيه وقد ضُعِّف»، وأخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، قال الهيثمي: «ورواية «الأوسط» قال رسول اللَّه ﷺ: «عُرِض عليَّ ما هو مفتوح لأمتي من بعدي، فسرَّني، فأنزل اللَّه ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾»، فذكر نحوه، وفيه «معاوية بن أبي العباس» ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات وإسناد «الكبير» حسن»، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٢) عن الطبراني، وفيه عمرو بن هاشم البيروتي، ثم قال: هذا حديث غريب من حديث علي بن عبداللَّه بن العباس لم يروه عنه إلا إسماعيل، ورواه سفيان الثوري عن الأوزاعي، عن إسماعيل مثله.

وإجلائهم، وبَثِّ عساكرِه وسراياه في بلاد العرب، وما فُتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن، وهَدَم بأيديهم من ممالكِ الجبابرة، وأنهبهم مِن كنوزِ الأكاسرة، وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيُّبِ الإسلام وفشوِّ الدعوة.

واعلم أن الأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة»[1] اهـ.

◻ «فهذه آية جامعة لوجود الكرامة، وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة»[2] .

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾:

مناجاةٌ حُلوة، وحديثٌ وَدود.

◻ ألم نشرحْ صَدْرَك لهذه الدعـوة؟ ونيسِّر لك أمرها؟ ونجعلْها حَبيبةً لقلبك، ونَشْرَعْ لك طريقَها؟ ونُنِرْ لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة؟! .

فَتِّش في صدرك، ألا تجدُ فيه الرَّوْحَ والانشراح والإشراقَ والنور؟ واسْتَعِدْ في حَسِّك مَذاقَ هذا العطاء، ألاَ تجدُ معه المتاعَ مع كلِّ مشقةٍ، والراحةَ مع كلِّ تعب، واليُسْرَ مع كلِّ عسر، والرضى مع كلِّ حرمان؟ .

أَمَا شرحنا لك صدرَك فصار وسيعًا فسيحًا لا ضِيقَ فيه، ولا حَرَجَ، ولا هَمَّ، ولا غمَّ، ولا حزَن، بل ملأناه لك نوراً وسروراً وحبوراً؟! .

أما شرحنا لك صَدْرَك وملأناه حِكمةً ورحمةً وإيمانًا وبِرًّا وإحسانًا؟ .

◻ شرحنا لك صدرك، فوَسِعْتَ أخلاقَ الناس، وعَفوتَ عن

---

(١) التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي.

(٢) «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض.

تقصيرهم، وصَفَحْتَ عن أخطائهم، وسَترتَ عيوبَهم، وحَلُمْتَ على سَفيههم، وأعرضتَ عن جاهلهم، ورَحِمْتَ ضعيفَهم.

❑ شرحنا لك صدرك، فكنُتَ كالغيث جُودًا، وكالبحر كَرَمًا، وكالنسيم لُطفًا، تُعطي السائل، وتَمنحُ الراغب، وتُكْرِمُ القاصد، وتجودُ على المؤمِّل.

❑ شرحنا لك صدرك، فصار بردًا وسلامًا يُطفئ الكلمةَ الجافية، ويُبَرِّدُ العبارةَ الجارحة، فإذا العفوُ والحلمُ والصَّفحُ والغفران.

❑ شَرَحْنا لك صَدْرَك، فصبرتَ على جفاء الأعراب، ونَيْلِ السفهاء، وعَجْرفةِ الجبابرة، وتطاوُلِ التافهين، وإعراضِ المتكبِّرين، ومَقْتِ الحَسَدةِ، وسِهامِ الشامتين، وتجهُّم القرابة.

❑ شرحنا لك صدرك، فكنتَ بسَّامًا في الأزمات، ضحَّاكًا في المُلمَّات، مسرورًا وأنت في عَين العاصفة، مطمئنًا وأنت في جَفنِ الرَّدَى، تُداهمُك المصَائبُ وأنت ساكن، وتلتفُّ بك الحوادثُ وأنت ثابت؛ لأنك مشروحُ الصدر، عامرُ الفؤاد، حيُّ النفس.

❑ شرحنا لك صدرَك، فلم تكن فظًّا قاسيًا غليظًا جافيًا، بل كنتَ رحمةً وسلامًا وبرًّا وحنانًا ولُطفًا، فالحِلمُ يُطلبُ منك، والجُود يُتَعلَّمُ من سيرتك، والعفو يُؤخذ من ديوانك.

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾:

❑ في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «شرح اللّه صدرَه للإسلام».

❑ وعن ابن كثير: «نوَّرْناه وجَعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]».

والذي يشهدُ له القرآن أنَّ الشَّرْح هو الانشراحُ والارتياحُ، وهذه حالةُ نتيجةِ استقرارِ الإيمانِ والمعرفةِ والنورِ والحكمة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، بيان لشرح الصدر للإسلام.

كما أنَّ ضيقَ الصدر دليلٌ على الضلال، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

◻ وفي حاشية الشيخ «زادة» على «البيضاوي» قال: «لم يُشرحْ صَدْرُ أحدٍ من العالمين، كما شُرِح صدره عليه السلام، حتىٰ وَسع علومَ الأوَّلين والآخرين، فقال: «أوتيتُ جوامعَ الكَلِم»..» اهـ.

ومرادُه بعلوم الأوَّلين والآخرين، ما جاء في القرآن من أخبارِ الأمم الماضية مع رُسلهم وأخبارِ المعاد، وما بينه وبين ذلك ممَّا علَّمه اللَّه تعالىٰ.

◻ «والذي يظهرُ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ: أن شرح الصدر المُمْتَنَّ به عليه ﷺ، أوسعُ وأعمُّ من ذلك، حتىٰ إنه لَيشملُ صَبْرَه وصَفْحَه وعَفْوَه عن أعدائه، ومقابلتَه الإساءةَ بالإحسان، حتىٰ إنه ليَسَعُ العدوَّ، كما يسعُ الصديق، كقصه عودته من «ثقيف»: إذْ آذوه سفهاؤهم، حتىٰ ضاق مَلَكُ الجبال بفعلهم، وقال له جبريل عليه السلام: «إن مَلَكَ الجبال معي، إن أردت أن يُطبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ فَعَل»، فينشرحُ صدره إلىٰ ما هو أبعد من ذلك، ولكأنهم لم يُسيؤوا إليه، فيقول ﷺ: «اللَّهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون، إني لأرجو أن يُخرجَ اللَّهُ من أصلابهم من يقول: لا إله إلا اللَّه

محمد رسول اللَّه» ﷺ»[١].

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾:

◻ «نَمْلأُه إيمانًا وحِكمَةً ورأفةً وعِلمًا ورحمةً، فانفسح جدًّا حتىٰ وَسعَ مناجاةَ الحقِّ ودعوةَ الخلق، فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه، ومع الخلق بفيضِ أنوارِه وشعاعِه»[٢].

◻ قال ابنُ القيم: «شَرَحَ اللَّه صَدْرَ رسولِه أتمَّ الشرح، ووضع عنه وِزرَه كلَّ الوضع، ورَفَع ذِكرَه كلَّ الرفع».

* ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[٣]:

◻ قال أبو حيان: «هو كنايةٌ عن عِصمته ﷺ من الذنوب وتطهيرِه من الأرجاس».

◻ وقال ابن جرير: «وغَفَرْنا لك ما سَلَفَ من ذنوبك، وحَطَطْنا عنك ثُقْلَ أيامِ الجاهلية التي كنتَ فيها».

◻ وقال ابن كثير: «هو بمعنىٰ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]».

◻ قال ابن القيم: «وأمَّا وَضعُ وِزرِه: فكيف لا يُوضَع عنه ومَن في

---

(١) «تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٠٨-٣١٠).

(٢) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٢/ ١١٦) - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

(٣) سنذكر مبحث «العصمة» بالتفصيل في كتابنا التالي «الكوكب الدُّرِّي في خصائص النبي ﷺ».

السماوات والأرض ودوابُّ البَرِّ والبحرِ يستغفرون له؟!!».

* ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾:

◻ للَّه درُّ حسانِ بنِ ثابت وهو يقول:

أَغَرُّ عَلَيْه للنُّبُوَّةِ خاتَمٌ ... مِنَ اللَّه مَشْهودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلى اسمه ... إذا قالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ «أَشْهَدُ»

وَشَقَّ لهُ من اسمه لِيُجِلَّهُ ... فَذُوا العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ[1]

رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعًا.. رفعناه فجعلنا اسمَه مقرونًا باسم اللَّه كُلَّمَا تحرَّكَتْ به الشِّفاه: «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه ﷺ»، وليس بعد هذا رفع، وليس وراءَ هذا منزلة، وهو المَقامُ الذي تفرَّد به ﷺ دون سائر العالمين.

◻ ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ، حين قَدَّر اللَّهُ أن تمرَّ القرون، وتَكِرَّ الأجيال، وملايينُ الشِّفاهِ في كلِّ مكانٍ تهتفُ بهذا الاسمِ الكريم مع اللَّه والتسليم، والحبِّ العميق العظيم.

◻ ورفعنا لك ذكرك، وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهيِّ الرفيع، وكان مُجردُ الاختيارِ لهذا الأمر رفعةَ ذكرٍ لم يَنَلْها أحدٌ من قبلُ ولا من بعدُ في هذا الوجود.

◻ ورفعنا لك ذِكرَك: هو حِسِّي في الأذان والإقامة، وفي الخُطب على المنابر، وافتتاحياتِ الكلام في الأمور الهامة.

◻ ومِن رَفْعِ الذكرِ معنًى ـ أَيْ من الرفعة ـ: ذِكرُه ﷺ في كتب الأنبياء

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٣٤).

قبله، حتىٰ عُرِف للأمم الماضية قبل مجيئه.

☐ وجعل اللَّهُ الوحيَ ذِكرًا له ولقومه، قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤]، ومعلومٌ أن ذِكرَ قومه ذِكرٌ له.

☐ ومِن رفع ذِكرِه توجيهُ الخطاب إليه بالنبوة والرسالة: «يا أيها الرسول»، «يا أيها النبي» والتصريح به في مقام الرسالة «محمد رسول اللَّه».

☐ قال الشافعي عن مجاهد في تفسير: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: «لا أُذْكَر إلاَّ ذُكِرْتَ معي: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه».

قال الشافعي يعني: «ذِكرَه ﷺ عند الإيمان باللَّه تعالىٰ والأذان، ويُحتمل ذِكرُه عند تلاوة القرآن، وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية.

فالفاعلُ للطاعة أو الكافُّ عن المعصية امتثالاً لأمر اللَّه تعالىٰ به ذاكرٌ للنبي ﷺ بقلبه؛ لأنه المُبلِّغُ لنا عن اللَّه تعالىٰ، وهذا أعمُّ من الذِّكر باللسان، فإنه قاصرٌ علىٰ الإسلام والأذان والتشهُّد والخطبة ونحوها.

قال الشافعي: فلم تُمسِ بنا نعمةٌ ظَهرت ولا بَطَنَتْ نِلْنا بها حظًّا في دينٍ أو دُنيا، أو دُفع عنا بها مكروهٌ فيهما، أو في واحدٍ منهما، إلاَّ ومحمدٌ ﷺ سببُها».

* ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾:

* ذُكِرْتَ في الكتب المُتقدِّمة، وجُعِل ذِكرُك في القرآن مقرونًا بذكره

وهذا منتهى قمة الثناء.. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٣]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النساء: ٥٩]، وقُرِن ذكرُك بذِكرِ ربِّك في الأذان والصلاةِ والخطب، فهل تريد شرفًا فوق هذا؟!.

* جَعَل اللَّه طاعتك طاعته، وبيعتك بيعته ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

◻ مُلِئ العالَمُ من أتباعك، كلُّهم يُثنون عليك، ويُصلُّون عليك، ويَحفظون سُنَّتك، بل ما من فريضةٍ من فرائضِ الصلاة إلاَّ ومعها سُنَّة، فهم يَمتثِلون في الفريضة أمرَ اللَّه، وفي السُّنَّة أمرَك.

لا تأنف السلاطينُ من اتِّباعك، والقُرَّاءُ يَحفَظون ألفاظَ منشورك، والمُفسِّرون يُفسِّرون معاني فُرقانِك، والوُعَّاظُ يُبلِّغون وَعْظَك، بل العلماءُ والسلاطين يَشْرَفون بخدمتك.

يَذكُرُك كلُّ مُصَلٍّ وكُلُّ مُسَبِّحٍ وكلُّ حاجٍّ وكلُّ خطيب، فهل تطلبُ مجداً أعلَى مِن هذا؟ أنت مذكورٌ في التوراة والإنجيل، ومُنَوَّهٌ باسمك في الصُّحُف الأُولى، والدواوينِ السابقة، اسمُك يُشادُ به في النوادي، ويُذكَر في الحواضرِ والبوادي، ويُمدَح في المحافِل، ويُكرَّرُ في المجامع.

◻ رفعنا لك ذكرك، فسار في الأرض مَسيرَ الشمس، وعَبَر القَّارات عُبورَ الريح، وسافر في الدنيا سَفَرَ الضوء، فكلُّ مدينةٍ تَدرِي بك، وكلُّ بلدٍ يَسمعُ بك، وكلُّ قرية تَسألُ عنك.

◻ رفعنا لك ذِكرَك، فصِرْتَ حديثَ الرَّكْب، وقِصةَ السَّمَر، وخَبَرَ

المجالس، وقضيةَ القضايا، والنبأَ العظيمَ في الحياة.

□ رفعنا لك ذكرَك، فما نُسي مع الأيام، ومَا مُحِيَ مع الأعوام، وما شُطب من قائمةِ الخُلود، وما نُسخ من ديوانِ التاريخ، وما أُغفِل من دفتر الوجود، نُسِي الناسُ إلاَّ أنت، وسَقَطت الأسماءُ إلاَّ اسمَك، وأُغفِل العظماءُ إلاَّ ذاتَك، فمَن ارتَفَع ذِكرُه من العُبَّاد عندنا، فبسبب اتِّباعك، ومَن حُفِظ اسمُه فبسبب الاقتداءِ بك.. ذهبت آثارُ الدول وبَقِيَتْ آثارُك، ومُحِيت مآثرُ السلاطين وبَقِيَتْ مآثرُك، وزالتْ أمجادُ الملوك وخُلِّد مجدُك، فليس في البشر أشرحُ منك صَدْرًا، ولا أرفعُ منك ذِكرًا، ولا أعظمُ مِنك قَدْرًا، ولا أحسنُ منك أثرًا، ولا أجملُ منك سيْرًا.

إذا تشهَّد مُتشهِّدٌ ذَكَرك مع اللَّه، وإذا تهجَّد متهجِّدٌ سمَّاك مع اللَّه، وإذا خَطب خطيبٌ نوَّه بك مع اللَّه.

* ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، رِفعةٌ تتلاشى عندها رفعةُ غيرك من الخَلْق كلِّهم.

رفعنا لك ذِكرَك عند جميع العالَمين العقلاء بالصِّدق والأمانة والحِلم والرَّزانة ومكارمِ الأخلاق وطهارةِ الشِّيَم وانتفاءِ شوائبِ النقصِ، حتى ما كانت شُهرتُك عند قومك قبلَ النبوَّة إلا «الأمين»، وكانوا يضربون المَثَلَ بشمائِلك الطاهرة، وأوصافِك الزاهرة الباهرة.

ولك الفضائلُ والمناقبُ والشمائلُ التي لا تُضبَطُ بالوصف، ولا يُحصيها وَصفٌ أو حَصر.

* ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ :

● عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لقد أُنزلتْ عليَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنيا جميعًا: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ عظيمًا ﴾»[(١)] .

● وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لقدْ أُنزلت عليَّ الليلةَ سُورةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾»[(٢)] .

◻ قال أنس ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾: «الحديبية».

◻ وعن البراء قال: «تَعُدُّون أنتم الفتحَ: فتْحَ مكة، وقد كان فتْحُ مكة فتْحًا، ونحن نَعُدُّ الفتح بيْعة الرِّضوان يومَ الحُدَيْبية، كُنَّا مع رسول اللَّه ﷺ خَمْسَ عشرة مِئةً. . والحُديبيةُ بئرٌ»[(٣)] .

● وفي حديث سهل بن حُنيف: «فنزل القرآنُ على رسول اللَّه ﷺ، فأرسل إلى عمرَ، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول اللَّه، أوَ فتحٌ هو؟! قال: «نعم».. فطابتْ نفسُه»[(٤)] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، والترمذي.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/ ٥٣٢، ٥٣٣، ٦١٣) (١٨٥٦٣، ١٨٥٦٤، ١٨٦٧١)، والبخاري (٤١٥٠)، وابن حبان (٤٨٠١) والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٠١)، والبيهقي (٩/ ٢٢٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٤٨، ٣٤٩) (١٥٩٧٥)، والبخاري (٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥) والنسائي في «الكبرى» (١١٥٠٤)، والبيهقي (٩/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٣٨، ٤٣٩)، (١٥/ ٣١٧-٣١٩)، والطبراني (٥٦٠٤) (٦/ ١٠٩).

□ قال الشعبيُّ: «نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ بالحديبية، وأصاب في تلك الغزوة ما لم يُصِبْ في غزوة؛ أصاب أن بُويع بيعةَ الرِّضوان، وغُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر، وظَهَرت الرُّومُ على فارس، وبلَغ الهَدْيُ مَحِلَّه، وأُطعِموا نخلَ خيبر، وفرح المؤمنون بتصديق النبي ﷺ وبظهورِ الروم على فارس»[1].

□ وقال الزُّهريُّ عن صُلح الحديبية: «فما فُتح في الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه، إنما كان القتالُ، حيث التقى الناسُ، فلما كانت الهُدنة، ووُضِعت الحرب، وأمِنَ الناسُ بعضُهم بعضًا، والتَقَوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكلَّمْ أحدٌ في الإسلام يَعقل شيئًا إلاَّ دخل فيه، ولقد دَخَل في تَيْنِكَ السَّنتين[2] مِثلُ مَن كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر».

□ قال ابن هشام: «والدليلُ على قول الزهريِّ: أن رسول اللَّه ﷺ خَرَج إلى الحديبية في ألفٍ وأربعمِئةٍ في قولِ جابر بن عبداللَّه، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتينِ في عشرة آلاف».

فَرِح قلبُ رسولِ اللَّه ﷺ الكبيرُ فرحًا كبيراً بهذه السورة، فرح قلبُه بالفتح، الذي كان فتحًا في الأرض، وفتحًا في الدعوة، وفتحًا في النُّفوس والقلوب، تُصوِّرُه بيعةُ الرضوان وشفافيةُ المُبايِعين ووضاءتُهم وتكريمُ اللَّهِ لهم ورضاه عنهم.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٤٤)، و«تفسير عبدالرزاق» (٢/ ٢٢٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٨).

(٢) «بين صلح الحديبية وفتح مكة».

فَرِح بالفتح المبين، وفَرِح بالمغفرة الشاملة، وفَرِح بالنعمة التامة، وفَرِح بالهداية إلىٰ صراط اللَّه المستقيم، وفَرِح بالنصر العزيز الكريم، وفَرِح برضىٰ اللَّه عن المؤمنين ووَصْفِهم ذلك الوصفَ الجميل.

*** والفتوحاتُ على رسول اللّه ﷺ كثيرة:**

فُتحت لك القلوبُ فغَرَسْتَ فيها الإيمان، فُتِحت لك الضمائرُ فبَنَيْتَ فيها الفضيلة، فُتحت لك الصُّدورُ فرفَعْتَ فيها الحقَّ، فُتحت لك البلدانُ فنشرت بها الهُدىٰ، وفتحنا لك كنزَ المعرفة، وديوانَ العِلم، ومستودعَ التوفيق، وفتحنا بدعوتك القلوبَ الغُلْفَ، والعيونَ العُمْيَ، والآذانَ الصُمَّ.

فتحنا لك، فتدَّفقَ العلمُ النافعُ من لسانك، وفاض الهُدَىٰ المباركُ من قلبك، وسَحَّ الجُودُ من يمينك.

وفتحنا لك، فحُزْت الغنائمَ وقَسَمْتَها، وجَمَعْتَ الأرزاق ووزَّعْتَها، وحَصَّلْتَ علىٰ الأموال وأنفقتَها.

وفتحنا لك بابَ العلمِ ـ وأنت الأُمِّيُّ الذي ما قرأ وكَتَب ـ، فصار العلماءُ يَنْهَلون من بحارِ علمك..

قَطَفَ الرجالُ القولَ قبل نباته وقطفتَ أنت القول لَمَّا نوَّرَا

وفتحنا عليك الخيرَ، فوَصَلْتَ القريبَ، وأعطيتَ البعيد، وأشبعتَ الجائع، وكَسَوْتَ العاري، وواسيْتَ المسكين، وأغنَيْتَ الفقيرَ برِزقِ مولاك.

فُتِحت له القِلاعُ والمُدن والقرىٰ، فهَيْمَنَ دينُه، وارتفعت رايتُه، وانتَصرت دولتُه، فهو مفتوحٌ عليه في كلِّ خيرٍ وبرٍّ وإحسانٍ ونصرٍ وتوفيق.

فُتِحت له فتوحُ العبارة، وأُعطي جوامعَ الكَلِم، وفتوحَ الحلاوة في

الباطن، فهو الذي يَبيتُ عند ربِّه يُطعمُه ويَسقيه.. وفُتحت له أقطارُ السماوات، فتجاوز طِباقَها طَبَقًا بعد طبقٍ إلىٰ سِدْرَةِ المنتهىٰ، فُتحت له أبوابُ الجِنانِ فرأىٰ ما فيها ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

* **أنواع العطايا في آيات الفتح:**

* قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ [الفتح: ١: ٣].

❑ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «ما جَمَع اللَّهُ سبحانه لرسوله في آيةِ الفتح من أنواعِ العطايا، وذلك خَمسةُ أشياء:

أحدها: الفتحُ المبين.

والثاني: مغفرةُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر.

والثالث: هدايتُه الصراطَ المستقيم.

والرابع: إتمامُ نعمته عليه.

والخامس: إعطاءُ النصر العزيز.. وجَمَع سبحانه له بين الهُدىٰ والنصر؛ لأن هذيْن الأصلَيْن بهما كمالُ السعادة والفلاح، فإنَّ الهدىٰ هو العلمُ باللَّه ودينه، والعملُ بمرضاته وطاعته، فهو العلمُ النافع والعملُ الصالح، والنصرُ والقُدرةُ التامة علىٰ تنفيذ دينه.

فالحُجةُ والبيانُ والسيفُ والسِّنان، فهو النصرُ بالحجة واليد، وقَهَر قلوبَ المخالفين له بالحجة، وقَهَر أبدانهم باليد»[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦).

* ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾: «بإظهاره إياك على عدوك، ورَفْعِه ذِكرَك في الدنيا، وغفرانِه ذنوبك في الآخرة.

* ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾: ويُرشدك طريقًا من الدِّين لا اعوِجاجَ فيه، يستقيمُ بك إلى رضا ربِّك.

* ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾: وينصرُك اللَّهُ على سائر أعدائك ومَن ناوَأكَ، نصرًا لا يَغْلِبُه غالبٌ، ولا يَدْفَعُه دافعٌ؛ للبأس الذي يُؤَيِّدك اللَّهُ به، وبالظَّفَر الذي يُمِدُّك به»[1].

* ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: «يعني النجوم التي تُرمَى بها الشياطين إذا سَقطت في آثارها عند استراق السمع.. وهذا قول الحسن، وهو أظهرُ الأقوال، ويكون سبحانه قد أقسَمَ بهذه الآية الظاهرة المشاهَدة التي نَصَبها اللَّه سبحانه آيةً وحِفظًا للوحي من استراق الشياطين له على أنَّ ما أتى به رسولُه حقٌّ وصِدقٌ، لا سبيلَ للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أُحرِس بالنجم إذا هَوَى رَصَدًا بين يدي الوحي، وحَرَسًا له.

وبين المقسَمِ به والمُقسَمِ عليه من التناسب ما لا يَخفى؛ فإن النجومَ التي تَرمي الشياطينَ آيةٌ من آيات اللَّه، يَحفظُ بها دينَه ووحيَه وآياتِه المنزَّلةَ على رسوله، بها ظَهَر دينُه وشَرعُه، وأسماؤه، وصفاته، وجُعِلت هذه النجومُ المشاهَدة خَدَمًا وحَرَسًا لهذه النجوم الهاوية.

ونَفَى سبحانه عن رسوله ﷺ الضلالَ المنافيَ للهدي، والغَيَّ المنافيَ

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٤٤-٢٤٥).

للرشاد، ففي ضمن هذا النفي الشهادةُ له بأنه علىٰ الهدىٰ والرشاد، فالهدىٰ في عِلمه، والرشادُ في عمله، وهذان الأصلان هما غايةُ كمالِ العبد، وبهما سعادتُه وفلاحُه، وبهما وَصَفَ النبيُّ ﷺ خلفاءَه، فقال: «عليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاءِ الراشدين المَهْدِيِّينَ من بعدي»[1]، فالراشد ضدُّ الغاوي، والمَهْدِيُّ ضدُّ الضال، وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو صاحبُ الهدىٰ ودينِ الحق، ولا يَشتبِهُ الراشدُ المَهدِيُّ بالضالِّ الغَوِيِّ إلاَّ علىٰ أجهلِ خَلقِ اللَّه، وأعماهم قلبًا وأبعدِهم من حقيقة الإنسانية.

◻ وللَّه درُّ القائل:

وما انتفـــاعُ أخي الدنيا بناظِــرِه ... إذا اســتوت عنده الأنوارُ والظُّـلَمُ

وتأمَّلْ كيف قال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ولم يقل: «ما ضلَّ محمدٌ»، تأكيدًا لإقامةِ الحُجَّةِ عليهم بأنه صاحبُهم، وهم أعلمُ الخلق به وبحاله وأقوالِه وأعماله، وأنهم لا يعرفونه بكَذِبٍ ولا عِيٍّ ولا ضلال، ولا يَنقِمون عليه أمرًا واحدًا قط». اهـ من كلام ابن القيم.

* ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]:

◻ قال ابن القيم: «قال سبحانه يُنزِّهُ نُطقَ رسوله أن يَصدُرَ عن هوًىٰ، وبهذا الكمال هداه وأرشده، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ولم يقل: «وما ينطق بالهوىٰ»؛ لأن نُطقَه عن الهوىٰ أبلغُ، فإنه يتضمَّنُ أن نُطقَه لا يَصدرُ عن هوًىٰ، وإذا لم يَصدُرْ عن هوًىٰ فكيف ينطقُ به؟! فتضمَّن نَفْيَ

---

(١) صحيح: رواه أحمد والأربعة إلا النسائي، ورواه ابن حبان، وصحَّحه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

الأمرين: نفيَ الهوىٰ عن مَصْدَرِ النطق، ونفيَه عن النطق نفسه، فنطقُه بالحقِّ، ومصدرُه الهدىٰ والرشاد، لا الغيُّ والضلال.

ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل، أيْ: ما نُطْقُه إلاَّ وحيٌ يُوحَىٰ، وهذا أحسنُ مِن قَوْل مَنْ جَعَل الضمير عائدًا إلىٰ القرآن، فإنه يعمُّ نطقَه بالقرآن والسُّنة، وأَنَّ كليهما وحيٌ يُوحَىٰ».

* ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]:

سبحان مَن زكَّىٰ مُعلِّمَ محمدٍ ﷺ وجَليسَه وهو جبريل عليه السلام، خلَع أجملَ الصفاتِ عليه، فقال عنه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥ - ٦]، وقال عنه أيضًا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فوصفه بأنه كريمٌ، قويٌّ، مكينٌ عند الرب تعالىٰ، مُطاعٌ في السماوات، أمين، فهذه خمسُ صفاتٍ تتضمَّنُ تزكيةَ سَنَدِ القرآن، وأنه سماعُ محمدٍ من جبريل، وسماعُ جبريل من ربِّ العالمين، فناهيكَ بهذا السَّند علوًّا وجلالةً: قول اللَّه سبحانه بنفسه تزكيتَه.

* **الصفة الأولى**: كونُ الرسول الذي جاء به إلىٰ محمدٍ ﷺ كريمًا، ليس كما يقول أعداؤه: «إن الذي جاء به شيطان»، فإن الشيطانَ، خبيثٌ مُخبِّث، لئيمٌ، قبيحُ المنظر، عديمُ الخير، باطنُه أقبحُ من ظاهره، وظاهرُه أشنعُ من باطنه، وليس فيه ولا عنده خيرٌ، فهو أبعدُ شيءٍ عن الكرم، والرسولُ الذي ألقَىٰ القرآنَ إلىٰ محمد ﷺ كريم، جميلُ المنظر، بَهِيٌّ

الصورة، كثيرُ الخير، طيِّبٌ مطيِّب، معلِّمُ الطيِّبين، وكلُّ خير في الأرض مِن هدًى وعلمٍ ومعرفةٍ وإيمانٍ وبرٍّ، فهو مما أجراه ربُّه على يده، وهذا غايةُ الكريم الصوري والمعنوي.

* وقال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦]، أي جميلُ المنظر، حسنُ الصورة، ذو جلالة، ليس شيطانًا أقبحَ خلقِ اللّه وأشوهِهم صورةً؛ بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمِهم أمانةً ومكانةً عند اللّهِ، وهذا تعديلٌ لسَنَدِ الوحي والنبوَّة وتزكيةٌ له.

فوَصَفَه بالعلم والقوَّة، وجمالِ المنظر وجلالته، وهذه كانت أوصافَ الرسول البشريِّ والمَلَكيِّ، فكان رسولُ اللّه ﷺ أشجعَ الناس، وأعلمَهم، وأجملَهم، وأجلَّهم.. والشياطينُ وتلامذتُهم بضدٍّ من ذلك، فهم أقبحُ الخلْق صورةً ومعنًى، وأجهلُ الخلقِ وأضعفُهم هِمَمًا ونُفوسًا.

* **الوصف الثاني: أنه ذو قوة:**

وفي ذلك تنبيهٌ على أمور:

أحدها: أنه بقوَّته يمنعُ الشياطينَ أن تدنوَ منه، وأن ينالوا منه شيئًا، وأن يَزيدوا فيه أو يَنقُصوا منه، بل إذا رآه الشيطانُ هَرَب منه ولم يَقْرَبْه.

الثاني: أنه مُوَالٍ لهذا الرسول الذي كذَّبتموه؛ ومعاضدٌ له، ومُوادٌّ له وناصرٌ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. ومَن كان هذا القويُّ وليَّه، ومِن أنصاره، وأعوانه، ومعلِّمَه، فهو المَهدِيُّ المنصور، واللّهُ هادِيه وناصرُه.

الثالث: أن مَن عادىٰ هذا الرسولَ فقد عادىٰ صاحبَه ووليَّه جبريل، ومَن عادَىٰ ذا القوّة والشدَّة، فهو عُرْضَةٌ للهلاك.

الرابع: أنه قادرٌ علىٰ تنفيذِ ما أُمِر به لقوَّته، فلا يَعجزُ عن ذلك، مؤدٍّ له كما أُمر به لأمانته، فهو القويُّ الأمين، وأحدُكم إذا انتدب غيرَه في أمرٍ من الأمور لرسالة، أو ولاية، أو وكالةٍ أو غيرها، فإنما ينتدبُ لها القويَّ عليها الأمينَ علىٰ فعلها.

وإن كان ذلك الأمرُ من أهمِّ الأمور عنده انتدب له قويًّا، أمينًا، معظَّمًا، ذا مكانةٍ عنده، مُطاعًا في الناس، كما وَصَفَ اللّٰهُ عبدَه جبريل بهذه الصفات.

هذا يدلُّ علىٰ عظمةِ شأنِ المرسِل، والرسول، والرِّسالة، المُرْسَل إليه، حيث انتدب له الكريمَ القويَّ، المكينَ عنده، المطاعَ في الملأ الأعلىٰ، الأمينَ حقَّ الأمين، فإنَّ الملوكَ لا تُرسِلُ في مهمَّاتها إلا الأشرافَ ذَوِي الأقدارِ والرُّتَبِ العالية.

* ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]:

أيْ: له مكانةٌ ووجاهةٌ عنده، وهو أقربُ الملائكة إليه، وفي قوله: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ إشارةٌ إلىٰ علوِّ منزلةِ جبريل، إذْ كان قريبًا من ذي العرش.

* ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]: إشارةٌ إلىٰ أنَّ جنودَه وأعوانَه يطيعونه إذا نَدَبهم لنصر صاحبِه وخليله محمد ﷺ، وفيه إشارةٌ أيضًا إلىٰ أنَّ هذا الذي تُكذِّبونه وتُعادُونه سيصيرُ مُطاعًا في الأرض، كما أن جبريلَ مطاعٌ في السماء، وأنَّ كُلاًّ مِن الرسولَيْن مطاعٌ في مَحلِّه وقومه، وفيه تعظيمٌ له بأنه بمنزلةِ الملوك المُطَاعِين في قومهم، فلم يُنتدبْ لهذا الأمر العظيم إلاَّ مثلُ هذا

المَلَكُ المُطاع.

◻ وفي وصفِهِ بالأمانة إشارةٌ إلىٰ حِفظه ما حَمَله، وأدائِه له علىٰ وجهه» اهـ.

* ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]:

◻ «سبحان مَن زَكّىٰ قلبَ عبدِه ومصطفاه وخليلِه، فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

فقد أخبر تعالىٰ عن تصديق فؤادِ النبي ﷺ ما رأته عيناه، وأن القلبَ صَدَّق العين، وليس كمَن رأىٰ شيئًا علىٰ خلافِ ما هو به، فكَذَّب فؤادُه بَصرَه، بل ما رآه ببصرِه صَدَّقة الفؤادُ وعَلِم أنه كذلك».

◻ «قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان: (ما كَذَب) خفيفة، وفي هشام ابن عمار: (ما كَذَّب) مُشدَّدة، وقرأ الباقون: (ما كَذَب) مخفَّفة الذال»[١].

و«ما» إمَّا أن تكون مَصدريَّة، فيكون المعنىٰ: ما كَذَّب فؤادُه رؤيتَه، وإمَّا أن تكون موصولة، فيكون المعنىٰ: ما كَذَّب الفؤادُ الذي رآه بعينه. وعلىٰ التقديرين فهو إخبار عن تطابق رؤية القلبِ لرؤية البصر، وتوافقِهما، وتصديقِ كلٍّ منهما لصاحبه.

وهذا ظاهرٌ جدًّا في قراءة التشديد.

وعلىٰ القراءتَين فالمعنىٰ: ما أَوْهَمَه الفؤادُ أنه رأىٰ ولم يَرَ، ولا اتَّهَم بَصَرَه.

* ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]:

◻ قال ابن عباس ﵄: «ما زاغ البصرُ يمينًا ولا شِمالاً، ولا جاوز ما

(١) انظر كتاب «السبعة في القرآءات» لابن مجاهد (ص٦١٤).

أُمِر به».

وعلىٰ هذا المفسِّرون، فنَفَىٰ عن نبيِّه ما يَعرِضُ للرائي الذي لا أدبَ له بين يَدَيِ الملوك والعظماء، من التفاته يمينًا وشمالاً، ومجاوزةِ بصرِه لما بيْن يديْه، وأخبر عنه بكمالِ الأدب في ذلك المقام، وفي تلك الحَضْرة، إذْ لم يلتفت جانبًا، ولم يَمُدَّ بَصَرَه إلىٰ غير ما رأىٰ مِن الآيات، وما هنالك من العجائب، بل قام مَقامَ العبد الذي أوجب أدبُه إطراقَه وإقبالَه علىٰ ما أُري، دون التفاتِه إلىٰ غيره، ودون تطلُّعه إلىٰ ما لَم يَرَه، مع ما في ذلك من ثباتِ الجأش، وسكون القلب، وطمأنينته.. وهذا غايةُ الكمال.

وزَيغُ البصرِ: التفاتُه جانبًا.. وطغيانُه: مَدُّه أمامَه إلىٰ حيث ينتهي.

فنَزَّه في هذه السورة عِلمَه عن الضلال، وقَصْدَه وعَمَلَه عن الغَيِّ، ونُطقَه عن الهوىٰ، وفؤاده عن تكذيب بصره، وبَصَرَه عن الطغيان، وهكذا يكون المدحُ..

تلك المكارمُ لا قُعبانُ من لبنٍ   شِيبَا بمــاءٍ فعادا بعـدُ أبوالا

* * *

*** سيِّد البَشَرِ ﷺ أكملُ الأنبياء أدبًا:**

* قال تعالىٰ في وصف أدبه ﷺ: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم: ١٧]، أُفُقٌ وضيءٌ طليقٌ مرفرِف، عاش فيه قلبُ رسولنا ﷺ وبصرُه.. لحظاتٌ خُصَّ بها القلبُ المصفَّىٰ، وأدبٌ مِن بَصَرِ رسولِ اللَّه ﷺ، لم يتجاوزْ رُتبَتَه وكُلُّه شَوْق، فأعطاه اللَّه ما لم يُعطِ أحدًا غيره.

▫ قال ابن القيم: «إن هذا وصْفٌ لأدبه ﷺ في ذلك المَقام؛ إذْ لم

يَلتفتْ جانبًا، ولا تجاوَزَ ما رآه، وهذا كمالُ الأدب. . والإخلالُ به أن يلتفتَ الناظرُ عن يمينه وعن شماله، أو يتطلَّعَ أمامَ المنظور، فالالتفاتُ زَيْغ، والتطلُّعُ إلىٰ ما أمامَ المنظور طغيانٌ ومجاوزَة؛ فكمالُ إقبالِ الناظرِ علىٰ المنظور: أن لا يَصْرِفَ بَصَرَه عنه يَمنةً ولا يَسْرةً، ولا يتجاوزه.

وهذا معنىٰ ما حصَّلْتُه عن شيخِ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس اللَّه روحه ـ.

وفي هذه الآيةِ أسرارٌ عجيبة، وهي من غوامضِ الآداب اللائقةِ بأكمل البَشَر ﷺ؛ تواطأ هناك بَصَرُه وبَصيرتُه، وتوافَقَا وتصادقَا فيما شاهَدَه بصرُه، فالبصيرةُ مواطِئةٌ له، وما شاهَدَته بصيرتُه فهو أيضًا حقٌّ مشهودٌ بالبصر، فتواطأ في حقِّه مَشهَدُ البصر والبصيرة.

* ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١١ ـ ١٢]، أي: ما كَذَب الفؤادُ ما رآه ببصره.

ولهذا قرأها أبو جعفر: «ما كَذَّب الفؤادُ ما رأىٰ» ـ بتشديد الذال ـ، أي: لم يُكذِّب الفـؤادُ البصرَ، بل صَدَّقَه وواطأه؛ لصحَّةِ الفؤادِ والبصر، أو لاستقامةِ البصيرةِ والبصر، وكونِ المرئيِّ المشاهَد بالبصر والبصيرة حقًّا.

وقرأ الجمهور ﴿ما كذَب الفؤاد﴾ ـ بالتخفيف ـ، وهو مُتَعَدٍّ، و«ما رأىٰ» مفعوله؛ أي: ما كَذَّب قلبُه ما رأته عيناه؛ بل واطأه ووافَقَه، فلمواطأةِ قلبِه لقالَبه، وظاهرِه لباطنه، وبصره لبصيرته؛ لم يُكذِّبِ الفؤادُ البصرَ، ولم يتجاوزِ البصرُ حدَّه فيطغىٰ، ولم يَمِلْ عن المَرْئيِّ فيَزيغ؛ بل اعتدلَ البصرُ نحو المرئي، ما جاوزَه ولا مال عنه، كما اعتدَل القلبُ في الإقبالِ علىٰ اللَّه

والأعراضِ عمَّا سواه؛ فإنه أقبل على اللَّه بِكُلِّيَّتِهِ.

وللقلب زَيْغ وطغيان، كما للبصر زَيْغ وطُغيان، وكلاهما مُنتفٍ عن قلبه وبصره، فلم يَزِغْ قلبُه الْتفاتًا عن اللَّه إلى غيره، ولم يَطْغَ بمجاوزتِه، وهذا غايةُ الكمالِ والأدبِ مع اللَّه، الذي لا يَلحقُه فيه سواه، فإن عادةَ النفوسِ إذا أُقيمتْ في مقامٍ عالٍ رفيع: أن تتطلَّع إلى ما هو أعلى منه وفوقه؛ ألاَ ترى أن موسى ﷺ لَمَّا أُقيم في مقامِ التكليم والمناجاة طَلَبت نفسُه الرؤية؟! ونبينا ﷺ لَمَّا أُقيم في ذلك المقام، وفَّاه حقَّه، فلم يلتفتْ بصرُه ولا قلبُه إلى غيرِ ما أُقيم فيه ألبتة؟! ولأجل هذا ما عاقَه عائقٌ، ولا وَقَفَ به مرادٌ، ولَم تَقِفْ به دونَ كمال العبودية هِمَّةٌ، ولهذا كان مركوبُه في مَسْرَاه يَسبقُ خَطْوُهُ الطرْفَ، فيضع قدمَه عند منتهى طرْفه، مُشاكلاً لحال راكبه وبُعْدِ شأوه، الذي سَبَق العالَمَ أجمعَ في سَيْره، فكان قَدَمُ البُراقِ لا يَختلفُ عن موضعِ نظَرِه، كما كان قَدَمُه ﷺ لا يتأخَّرُ عن محلٍّ معرفته.

فلم يزلْ ﷺ في خِفارةِ كمالِ أدبه مع اللَّه سبحانه، وتكميلِ مراتب عبوديته له، حتى خَرَق حُجُبَ السموات، وجاوزَ السبْعَ الطِّباق، وجاوزَ سِدْرةَ المنتهى، ووصل إلى محلٍّ منَ القُرْب سَبَق به الأوَّلين والآخرين، فانصبّتْ إليه هناك أقسامُ القُرْب انصبابًا، وانقَشَعت عنه سَحائبُ الحجُب - ظاهرًا وباطنًا - حِجابًا حجابًا، وأُقيم مقامًا غَبَطَهُ به الأنبياءُ والمرسلون؛ فإذا كان في المعاد، أُقيم مقامًا مِن القرْب ثانيًا، يَغبِطُه به الأوَّلون والآخرون..

واستقام هناك على صراطٍ مستقيم مِن كمالِ أدبِه مع اللَّه، ما زاغ البصر عنه وما طغى، فأقامه في هذا العالَم على أقومِ صراطٍ من الحقِّ والهدى، وأقسم بكلامِهِ على ذلك في الذِّكر الحكيم، فقال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ - ٤]، فإذا كان يومُ المعاد، أقامه على الصراطِ يَسألُه السلامةَ لأتباعه وأهل سُنَّته، حتى يَجُوزَه إلى جنَّاتِ النعيم، وذلك فَضْلُ اللَّه يؤتيه مَنْ يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم»[1] .

وكلُّ الآداب تُتَلَقَّى من رسولِ اللَّه ﷺ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام مَجْمعُ الآداب ظاهراً وباطنًا.

* صاحبُ الإسراء والمعراج - بأبي هو وأمي -:

* قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١].

* وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾

[النجم: ١٠ - ١٨].

أنوارٌ تَشعُّ من المجال العُلويِّ الذي تقعُ فيه الأحداثُ النُّورانيَّةُ والمَشَاهدُ الربَّانية.. نَعيشُ لحظاتٍ من ذلك الأفق الوضيءِ المرفرفِ الذي عاش فيه قلبُ رسولنا العظيم ﷺ، ونَرِفُّ بأجنحةِ النور المنطلقةِ إلى ذلك الملأ الأعلى.. نَعيشُ لحظاتٍ مع قلبِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ مكشوفةٍ عنه

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٨٢ - ٣٨٤).

الحجب، مُزاحةٍ عنه الأستار، يتلقَّىٰ من الملأ الأعلىٰ، يَسمعُ ويرىٰ، ويَحفظُ ما وَعَىٰ، وهي لحظاتٌ خُصَّ بها ذلك القلبُ المصفَّىٰ.

هي عِيانٌ مشهود، ورؤيةٌ محقَّقه، ويَقينٌ جازم، واتِّصالٌ مباشر، وقُربٌ من عَرشِ الرحمن فوقَ طاقتِنا أن نُدرِكَ كيفيتَه، ومعرفةٌ مؤكدة عُلْوِيَّة، وصحبةٌ محسوسة، ورِحْلةٌ واقعيةٌ بالرُّوح والجَسَد.

قصة الإسراء والمعراج هي من خصائصِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، هذا النَّجمُ الإنسانيُّ العظيمُ، والنورُ لهداية العالَم في حَيْرَة ظُلماته النفسيَّة.

وقد حار المفسِّرون في حِكمةِ ذِكر «الليل» في آية «الإسراء» من قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ الآية، فإن السُّرَىٰ في لغة العرب لا يكون إلاَّ ليلاً!.

والحكمةُ هي الإشارةُ إلىٰ أنَّ القصةَ قصَّةُ «النَّجمِ» الإنسانيِّ العظيمِ الذي جَمَع بين إنسانيته ورَفرفةِ قلبِه النُّورانيةِ في هذه المعجزة، ويُتمِّمُ هذه العجيبةِ أن آياتِ «المعراج» لم تجيء إلاَّ في سورة «النجم»!.

وعلىٰ تأويل أنَّ ذِكرَ «الليل» إشارةٌ إلىٰ قصة النجم، تكونُ الآيةُ برهانَ نفسِها، وتكونُ في نَسَقِها قد جاءت معجزةً من المعجزات البيانيَّة.

وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فإنها بهذه العبارة نصٌّ علىٰ إشراف النبي ﷺ فوقَ الزمانِ والمكان يرىٰ بغير حِجاب الحواسِّ مما مَرْجِعُه إلىٰ قُدرة اللَّه لا قُدرةِ نفسِه، بخلافِ ما لو كانت العبارةُ «ليرىٰ من آياتنا»؛ فإن هذا يجعلُه لنفسه في حدودِ قوَّتها وحواسِّها وزمانها ومكانها، فيضطربُ الكلام، ويتطرَّقُ إليه الاعتراضُ، ولا تكون ثَمَّ معجزةٌ.

وتحويلُ فعلِ «الرؤية» من صيغةٍ إلىٰ صيغة، معجزةٌ أخرىٰ.

وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ دون «بَعَث بعبده» و«أرسل به»، فقوله تعالىٰ يُفيد مصاحبَتَه له في مَسراه؛ فإن «الباء» هنا للمصاحَبة.

فجازَ السماءَ السَّبعَ في بعضِ ليلة ... ولكن بعدَ السَّبعِ أين يَصيرُ؟
فلاحَ له من رفرفِ النـورِ لائحٌ ... مِن النور للهادي البشيرِ بشيرُ
وشاهَدَ تحت العرشِ كلَّ عجيبةٍ ... وما ثَمَّ إلاَّ زائـــرٌ ومـــزورُ
حبيبٌ تمــلَّى بالحبيب فخصَّــه ... وشرَّفه بالقربِ وهو جديــرُ

والقصةُ بعد ذلك تُثبت أن هذا الوجودَ يَرقُّ وينكشفُ ويستضيءُ كلما سما الإنسانُ برُوحه، وهي من ناحيةِ النبي ﷺ قصةٌ تصفُه بخصائصِه في عظمتِه كما رأىٰ ذاتَه في ملكوت اللَّه.. ومن ناحيةِ كلِّ مسلمٍ مِن أتباعه هي كالدرس في أن يكونَ لقلبِ المؤمن مِعراجٌ سماويٌّ فوقَ هذه الدنيا، ليشهدَ ببصيرته أنوارَ الحقِّ وجمالَ الخير، فيكونَ بتدبُّره القصةَ كأنما يَصعَدُ إلىٰ السماء وينزل.

* ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾:

أقسم سبحانه بالكتاب وآلتِه، وهو القلم الذي هو أحدىٰ آياته وأولُ مخلوقاتِه الذي جرىٰ به قَدَرُه وشَرْعُه وكُتِبَ به الوحي، وقُيِّد به الدِّين، وأُثبتت به الشريعة، وحُفِظت به العلوم.. وأقام في الناس أبلغَ خطيبٍ وأفصَحَه، وأنفعَه لهم وأنصحَه، وواعظًا تَشفي مواعظُه القلوبَ من السَّقَم، وطبيبًا يُبرِئُ بإذنه من أنواع الألم، يكسر العساكرَ العظيمةَ علىٰ أنه الضعيفُ الوحيد، ويَخاف سطوتَه وبأسَه ذو البأس الشديد.. وبالقلم تُدبَّرُ

الأقاليمُ وتُسَاسُ الممالكُ.. والقلمُ لسانُ الضمير، يُناجيه بما استتر عن الأسماع، فيَنسُجُ حُلَلَ المعاني على القِرطاس، فتعودُ أحسنَ مِنَ الوَشْي المرقوم، ويُودِعُها حِكمةً فتصير بوادرَ الفهوم.. والأقلامُ نظيرٌ للأفهام، وكما أن اللسانَ بريدُ القلب، فالقلمُ بريد اللسان، وتولُّدُ الحروفِ المسموعة عن اللسان كتولُّد الحروفِ المكتوبة عن القلم، والقلمُ بريدُ القلب ورسولُه وترجمانُه ولسانُه الصامت.

والمقسَمُ عليه بالقلم والكتابةِ في هذه السورة تنزيهُ نبيِّه ورسولِه ﷺ عمَّا يقولُ فيه أعداؤه، وهو قوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وأنت إذا طابقْتَ بين هذا القَسَم والمقسَمِ به وجدتَه دَالاً عليه أظهرَ دلالةٍ وأبْيَنها، فإنَّ ما سَطَّر الكاتبُ بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقَّاها البشرُ بعضُهم عن بعضٍ لا تصدرُ عن مجنون، ولا تصدرُ إلاَّ من عقلٍ وافرٍ، فكيف يَصدرُ ما جاء به الرسولُ ﷺ مِن هذا الكتابِ ـ الذي هو في أعلى درجات العلوم ـ؟ بل العلوم التي تَضمَّنها ليس في قوى البشر الإتيانُ بها، ولا سيَّما مِن أُمِّيٍّ لا يقرأُ كتابًا ولا يَخُطُّه بيمينه، مع كونه في أعلى الفصاحة، سليمًا من الاختلاف، بَرِيًّا من التناقض، يَستحيلُ من العقلاء كلِّهم لو اجتمعوا في صعيدٍ واحدٍ أن يأتوا بمثله، ولو كانوا في عقل رَجُلٍ واحدٍ منهم، فكيف يتأتَّى ذلك من مجنونٍ لا عقلَ له يُميِّزُ به ما عَسَى كثيرٌ من الحيوانِ أن يُميِّزه، وهل هذا إلاَّ مِن أقبحِ البُهتانِ وأظهرِ الإفك؟!.

فتأمَّلْ شهادةَ هذا المقسَمِ به للمقسَم عليه ودلالتَه عليه أتمَّ دلالة، ولو أنَّ رجلاً أنشأ رسالةً واحدةً بديعةً منتظمةَ الأول والآخر، متساويةَ الأجزاءِ يُصدِّقُ بعضُها بعضًا، أو قال قصيدةً كذلك، أوْ صَنَّف كتابًا كذلك، لشهد

له العقلاءُ بالعقل، ولما استجاز أحدٌ رَمْيَه بالجنون مع إمكانِ ـ بل وقوع ـ معارضتها ومشاكلتها والإتيانِ بمثلها أو أحسنِ منها، فكيف يُرمَىٰ بالجنون مَن أَتَىٰ بما عَجَزَتِ العقلاءُ كلُّهم قاطبةً عن معارضته ومماثلته، وعرَّفهم من الحق ما لا تهتدي عقولُهم إليه، بحيث أذعنت له عقولُ العقلاء، وخَضَعت له ألبابُ الأولياء، وتلاشت في جَنبِ ما جاء به بحيث لم يَسَعْها إلاَّ التسليمُ له والانقيادُ والإذعان، طائعةً مختارةً، وهي ترىٰ عقولَها أشدَّ فقراً وحاجةً إلىٰ ما جاء به، ولا كمالَ لها إلاَّ بما جاء به؟ فهو الذي كمَّل عقولَها كما يَكمُلُ الطفلُ برَضاع الثدي، ولهذا فإنَّ أتباعَه أعقلُ الخلق علىٰ الإطلاق، وهذه مؤلَّفاتُهم وكُتُبُهم في الفنون، إذا وازَنْتَ بينها وبين مؤلفاتِ مخالفيه ظهر لك التفاوتُ بينها، ويكفي في عقولهم أنهم عَمَّروا الدنيا بالعلم والعدل، والقلوبَ بالإيمان والتقوىٰ، فكيف يكونُ مَتْبوعُهم مجنونًا وهذا حالُ كتابِه وهَديه وسيرته وحالُ أتباعه؟!! وهذا إنما حَصَل له ولأتباعه بنعمةِ اللَّه عليه وعليهم، فنفىٰ عنه الجنونَ بنعمته عليه.

إن هذه الصفةَ المفتراةَ لا تجتمعُ مع نعمةِ اللَّه علىٰ عبدٍ نَسَبه اللَّهُ إليه وقرَّبه واصطفاه.

إن العَجَبَ ليأخذُ كلَّ دارسٍ لسيرةِ الرسول ﷺ في قومه من مَقولتهم هذه عنه، وهم الذين علِموا منه رَجاحةَ العقل حتىٰ حكَّموه بينهم في رَفعِ الحَجَرِ الأسود قبل النبوَّة بأعوامٍ كثيرة، وهم الذين لقَّبوه بالأمين.

إن الإنسانَ ليأخذُه العَجَبُ أن يَبلُغَ الغيظُ بالناس إلىٰ الحدِّ الذي يَدفعُ مُشركي قريش إلىٰ أن يقولوا هذه القَوْلةَ وغيرَها عن هذا النبي الرفيعِ الكريم ﷺ، المشهورِ بينهم برجاحةِ العقل وبالخُلُق القويم، ولكنَّ الحقدَ يُعمي

ويُصِمُّ، والغرضُ يَقذف بالفرْية دون تحرُّج! وقائلُها يعرفُ قبل كلِّ أحد أنه كذَّاب أثيم!.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.. هكذا في عطفٍ وفي إيناسٍ وفي تكريم، رَدًّا على ذلك الحقدِ الكافر، وهذا الافتراءِ الذميم.

* ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، لستَ مجنونًا كما قال أعداؤك، لكن عندك دَواءُ الجنون، فالمجنونُ الطائشُ والسفيهُ التافهُ مَن خالَفَك وعصاك وحارَبَك وجفاك.

* ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وكيف يكونُ ذلك وأنت أكملُهم عقلاً، وأتمُّهم رُشْدًا وأسدُّهم رأيًا، وأعظمُهم حِكمةً، وأجلُّهم بصيرةً!.

كيف تكون مجنونًا وأنتَ أَتيتَ بوحيٍ يكشفُ الزَّيغَ، ويُزيل الضلال، ويَنسِفُ الباطل، ويمحو الجهلَ، ويَهدي العقل، ويُنير الطريق!.

لستَ مجنونًا لأنك على هُدًى من اللَّه، وعلى نورٍ من ربِّك، وعلى ثقةٍ من منهجك، وعلى بيِّنةٍ من دينك، وعلَى رُشدٍ منْ دعوتك، صانك اللَّهُ من الجنون، بل عندك كلُّ العقل، وأكملُ الرُّشد، وأتمُّ الرأي، وأحسنُ البصيرة، فأنت الذي يَهتدِي بك العقلاء، ويَستضيءُ بحكمتك الحكماء، ويَقتدي بك الراشدُون المهديُّون.

كَذَب وافترىٰ مَن وَصَفَك بالجنون، وقد ملأت الأرضَ حِكمةً، والدنيا رَشَدًا، والعالَمَ عَدْلاً، فأين يُوجد الرَّشَدُ إلاَّ عندك؟ وأين تكونُ الحكمةُ إلاَّ لديْك؟ وأين تَحِلُّ البَرَكة إلا معك؟ أنت أعقلُ العقلاء، وأفضلُ النُّبلاء، وأجلُّ الحكماء.

كيف يكونُ محمدٌ مجنونًا، وقد قدَّم للبشرية أحسنَ تراثٍ على وجهِ

الأرض، وأهدىٰ للعالَم أجلَّ تَرِكةٍ عَرَفها الناس، وأعطى الكونَ أبركَ رسالةٍ عرفها العقلاء؟!..

أخوك عيسى دعَا ميّتًا فقامَ لهُ | وأنتَ أحْيَيْت أجيالاً مِن الرِّمَمِ[1]

* ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]:

إن لك لأجراً دائماً موصولاً، لا ينقطع ولا ينتهي، أجراً عند ربك الذي أنعم عليك بالنبوة ومقامها الكريم.

هذا الأجر العظيم لا ينقطع ما تردَّد نَفَسٌ في جَنْبِ مسلمٍ يعيشُ في دار الدنيا، والداعي إلى الخير له مِثلُ أَجْرِ مَنِ اتَّبعه، فكيف ينقطعُ أجرُ رسول اللَّه ﷺ وله مِثلُ أجورِ ثُلُثَيْ أهلِ الجنة؟! فـ «أهلُ الجنَّة مئةٌ وعشرون صفًّا، أمتي منهم ثمانون صفًّا»[2]، كما قال ﷺ.

فأيُّ إيناسٍ وتَسريةٍ وتعويضٍ فائضٍ غامرٍ عن كلِّ حرمانٍ وعن كلِّ جَفْوةٍ وعن كلِّ بُهتانٍ يَرميه به المشركون!! وماذا فَقَد مَن يقول له ربُّه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؟ في عطفٍ وفي مَوَدَّةٍ وفي تكريم.

* ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

▫ قال ابن عباس ومجاهد: «لَعلَىٰ دينٍ عظيم، لا دينَ أحبُّ إليَّ ولا أرضىٰ عندي منه، وهو دين الإسلام».

▫ وقال الحسن: «هو آدابُ القرآن».

▫ وقال قتادة: «هو ما كان يأمرُ به من أمر اللَّه، وينهىٰ عنه مِن

---

(١) «محمد ﷺ كأنك تراه» (ص٦٨-٦٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والحاكم والطبراني وأبو يعلى والبزار.. وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

نَهيِ اللَّه، والمعنىٰ: إنك لعلىٰ الخُلُق الذي آثرك اللَّهُ به في القرآن»[١] .

● وفي «الصحيحين» أن هشامَ بنَ حكيم سأل عائشة ﵂ عن خُلُق رسول اللَّه ﷺ، فقالت: «كان خُلُقه القرآن».. فقال: «لقد هَمَمْتُ أن أقومَ ولا أسألَ شيئًا»[٢] .

وهذه من أعظمِ آياتِ نبوَّته ورسالتِه، لمن مَنَحه اللَّهُ فهمًا، فقد كانت أخلاقُ النبي ﷺ ـ وهي أزكىٰ الأخلاقِ وأشرفُها وأفضلُها ـ، مقتبَسةً من مِشكاةِ القرآن.

فترجمت أمُّ المؤمنين عائشة ﵂ ـ لكمالِ معرفتها بالقرآن وبالرسول ﷺ، وحُسنِ تعبيرها ـ عن هذا كلِّهَ بقولها: «كان خلقُه القرآن»، وفَهِم هذا السائلُ لها عن هذا المعنىٰ، فاكتفىٰ به واشتفىٰ.

فإذا كانت أخلاقُ العباد، وعلومُهم، وإراداتُهم، وأعمالُهم مستفادةً من القلم وما يَسطُرون، وكان في خَلْق القلم والكتابة إنعامٌ عليهم وإحسانٌ إليهم، إذْ وَصَلوا به إلىٰ ذلك، فكيف يُنكِرون إنعامَه وإحسانَه علىٰ عبده ورسوله ﷺ الذي أعطاه أعلىٰ الأخلاق، وأفضلَ العلوم والأعمالِ والإراداتِ التي لا تهتدي العقولُ إلىٰ تفاصيلها من غيرِ قلمٍ ولا كتابة؟! فهل هذا إلاَّ مِن أعظمِ آيات نُبُوَّته وشواهدِ صدق رسالته؟!.

* ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

تجيءُ الشهادةُ الكبرىٰ والتكريمُ العظيم، وتتجاوبُ أرجاءُ الوجود بهذا

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» لابن قيم الجوزية (٢٠٦ـ٢٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٣٩٦) في صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل والوتر.. وكذا أبو داود (١/ ٢٤٩) في الصلاة، باب: في صلاة الليل.

الثناء الفريد على النبي الكريم ﷺ، ويَثْبُتُ هذا الثناءُ العُلويُّ في صميم الوجود! ويَعجزُ كلُّ قلم، ويعجِزُ كلُّ تصورٍ عن وصفِ قيمة هذه الكلمة العظيمة من ربِّ الوجود، وهي شهادةٌ من اللَّه، في ميزان اللَّه، لعبد اللَّه، يقولُ له فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ومدلولُ هذا الخُلق العظيم هو ما عند اللَّه مما لا يبلغُ إلى إدراك مَداه أحدٌ من العالمين!.

✍ ودلالةُ هذه الكلمةِ العظيمةِ على عظمةِ النبيِّ محمد ﷺ تَبْرُزُ مِن نواحٍ شتَّى:

❑ تَبرزُ من كونها كلمةً من اللَّه الكبير المتعال، يُسجِّلُها في ضميرِ الكون، وتَثبُتُ في كِيانه، وتتردَّد في الملأ الأعلى ما شاء اللَّه.

❑ وتبرزُ من جانبٍ آخرَ في إطاقةِ محمد ﷺ لتلقِّيها، وهو يعلمُ من ربِّه هذا، قائلُ هذه الكلمة، ما هو؟ ما عظمتُه؟ ما دلالةُ كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلمُ مَنْ هو إلى جانبِ هذه العظمةِ المطلقةِ التي يُدرِكُ هو منها ما لا يُدرِكُه أحدٌ من العالمين.

إنَّ إطاقةَ محمدٍ ﷺ لِتَلَقِّي هذه الكلمةِ من ربِّه العظيم، وهو ثابتٌ لا يَنسحقُ تحت ضغطِها الهائل ـ ولو أنها ثناءٌ ـ، ولا تتأرجحُ شخصيته تحتَ وقعها وتضطرب.. تَلَقِّيه لها في طُمأنينة، وفي تماسُك، وفي توازن.. هو ذاتُه دليلٌ على عظمةِ شخصيته فوقَ كلِّ دليل.

ولقد رُويت عن عَظَمةِ خُلُقه في السيرة، وعلى لسانِ أصحابِه رواياتٌ مُنَوَّعةٌ كثيرة، وكان واقعُ سيرته أعظمَ شهادةٍ مِن كُلِّ ما رُوِي عنه، ولكنَّ هذه الكلمةَ أعظمُ بدلالتها من كلِّ شيءٍ آخر، أعظمُ بصدورها عن العليِّ الكبير، وأعظمُ بتلقِّي محمدٍ لها وهو يَعلمُ مَنْ هو العليُّ الكبير، وبقائه

بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا، لا يتكبَّر على العباد، ولا ينتفخُ، ولا يتعاظم، وهو الذي سَمِع ما سَمِع من العليِّ الكبير!.

واللَّهُ أعلم حيث يجعلُ رسالته، وما كان إلاَّ محمدٌ ﷺ ـ بعظمةِ نفسِه هذه ـ مَن يَحملُ هذه الرسالةَ الأخيرةَ بكلِّ عظمتها الكونيةِ الكبرىٰ، فيكون كُفئًا لها، كما يكونُ صورةً حيَّةً منها.

إنَّ هذه الرسالةَ من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدقِ والحقِّ، بحيث لا يَحملُها إلاَّ الرجلُ الذي يُثني عليه اللَّهُ هذا الثناء، فتُطيقُ شخصيتُه كذلك تلقِّي هذا الثناء، في تماسُكٍ وفي توازن، وفي طمأنينة؛ طمأنينةِ القلبِ الكبير الذي يَسَعُ حقيقةَ تلك الرسالةِ وحقيقةَ هذا الثناء العظيم.

إنَّ حقيقةَ هذه النفسِ من حقيقةِ هذه الرسالة، وإنَّ عَظَمة هذه النَّفْس من عظمة هذه الرسالة، وإن قَدْر رسول اللَّه ﷺ كقَدْر الإسلام لأَبعدُ من مَدَىٰ أيِّ مِجهر يملكُه بَشَر، وقُصارىٰ ما يَملكُه راصدٌ لعظمة هذه النفسِ أن يراها ولا يُحدِّد مداها، وأن يشيرَ إلىٰ مسارها دونَ أن يستطيعَ أن يحدد هذا المسار!.

ومرةً أخرىٰ يَجدُ المرءُ نفسَه مشدودًا للوقوفِ إلىٰ جوار الدلالة الضخمة لتلقِّي رسول اللَّه ﷺ لهذه الكلمةِ من ربِّه، وهو ثابتٌ راسخٌ متوازنٌ مطمئنُّ الكيان.. لقد كان ﷺ ـ وهو بَشَر ـ يُثني علىٰ أحد أصحابه، فيهتز كِيانُ صاحِبه هذا وأصحابِه مِن وَقْع هذا الثناءِ العظيم.. وهو بَشَرٌ وصاحبُه يَعلَمُ أنه بشر، وأَصحابه يُدرِكون أنه بَشر، إنه نبيٌّ نعم، ولكن في الدائرة المعلومة الحدود، دائرةِ البشرية ذاتِ الحدود.. فأمَّا هو فيتلقَّىٰ هذه

الكلمةَ من اللَّه، هو بخاصةٍ يعلمُ مَن هو اللَّه! هو يعلمُ منه ما لا يعلمُه سواه، ثم يصطبر ويتماسَكُ ويتلقَّىٰ ويَسير. . إنه أمرٌ فوقَ كلِّ تصورٌ وفوقَ كلِّ تقدير!!! إنه محمد ﷺ ـ وحدَه ـ هو الذي يَرقَىٰ إلىٰ هذا الأفق من العظمة. . إنه محمدٌ نبي اللَّه ﷺ ـ وحده ـ هو الذي يَبلغُ قمَّة الكمالِ الإنسانيِّ، إنه سيِّدُ البشر محمدٌ ﷺ ـ وحده ـ هو الذي يُكافئُ هذه الرسالةَ الكونيةَ العالميةَ الإنسانية، حتىٰ لتتمثَّل في شخصية حيَّة تمشي علىٰ الأرض في إهابِ إنسان. . إنه محمد ﷺ ـ وحده ـ الذي علم اللَّه منه أنه أهلٌ لهذا المقام، واللَّهُ أعلم حيث يجعلُ رسالته، وأعلن في هذه أنه علىٰ خُلُق عظيم، وأعلن في الأخرىٰ أنه ـ جلَّ شأنُه وتقدَّست ذاته وصفاته ـ يُصلِّي عليه هو وملائكتُه، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهو ـ جل شأنُه ـ وحده القادرُ علىٰ أن يَهَبَ عبداً من عبادِه ذلك الفضلَ العظيم.

* ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو الكسائي: (بِظَنين) بالظاء. . وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة (بضنين) بالضاد.

والمقصود هنا رسول اللَّه ﷺ.

لقد نَزَّه اللَّهُ رَسُولَيْه: المَلَكيَّ جبريلَ، والبشريَّ رسولَ اللَّه ﷺ عمَّا يُضَادُّ مقصودَ الرسالة من الكتمان الذي هو الضِنَّة والبُخل، والتبديلُ، والتغييرُ الذي يُوجبُ التهمة، فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، فإنَّ الرسالةَ لا يتمُّ مقصودُها إلاَّ بأمْرَين: أدائها من غير كتمان، وأدائها علىٰ

وجهها من غير زيادةٍ ولا نقصان.

والقراءتان كالآيتيْن، فتضمَّنت إحداهما ـ وهي قراءة الضاد ـ تنزيهَه عن البخل، فإن «الضَّنين» هو البخيل، يُقال: «ضَنِنتُ به، أضنُّ»، بوزن «بخِلت به أبخل» ومعناه.

◻ قال ابن عباس ﷺ: «ليس بخيلاً بما أنزل اللَّه».

◻ وقال مجاهد: «لا يضنُّ عليهم بما يعلم».

وأجمع المُفَسِّرون على أنَّ «الغيَب» ههنا: القرآن والوحي.

◻ وقال الفَرَّاء: «يقول تعالى: يأتيه غيَبُ السماء وهو منفوسٌ فيه، فلا يَضِنُّ به عليكم.. وهذا معنًى حسنٌ جداً، فإن عادةَ النفوسِ الشُّحُّ بالشيءِ النفيس، ولا سيَّما عمَّن لا يَعرفُ قَدْره، ويذمُّه ويذمُّ مَن هو عنده، ومع هذا فالرسولُ لا يبخلُ عليكم بالوحي الذي هو أنفسُ شيءٍ وأَجَلُّه».

◻ وقال أبو علي الفارسي: «المعنى: يأتيه الغيبُ فيُبيِّنه ويُخبرُ به ويُظهِرُه، ولا يَكتمُهُ كما يكتمُ الكاهنُ ما عنده، ويُخفيه حتى يأخذَ عليه حُلوانًا.

◻ وفيه معنًى آخر، وهو: أنه على ثقةٍ من الغيب الذي يُخبِرُ به، فلا يخافُ أن يَنتقضَ، ويظهرَ الأمر بخلافِ ما أخبر به، كما يَقعُ للكُهَّان وغيرهم مِمَّنْ يُخبر بالغيب، فإنَّ كَذِبَهم أضعافُ صِدقِهم، وإذا أَخْبَرَ أحدُهم بخبرٍ لم يكن على ثقةٍ منه، بل هو خائفٌ من ظهور كَذِبه، فإقدامُ هذا الرسول على الإخبار بهذا الغَيب العظيمِ واثِقًا به، مُقيمًا عليه، مُبْدِيًا له في كلِّ مَجْمع، ومُعِيداً مُناديًا به عَلى صِدْقه، مُجْلِبًا به على أعدائه: مِن

أعظم الأدلة علىٰ صدقه.

◻ وأمَّا قراءةُ من قرأ (بظنين) بالظاء، فمعناه: المُتَّهَم، يُقال: «ظننت زيدًا» بمعنىٰ: اتَّهمْتُه، وليس من الظنِّ الذي هو الشعورُ والإدراك، فإن ذاك يتعدَّىٰ إلىٰ مَفْعُولَيْن.

والمعنىٰ: وما هذا الرسولُ علىٰ القرآن بمُتَّهم، بل هو أمينٌ لا يَزِيدُ فيه ولا يَنقُص؛ وهذا يدلُّ علىٰ أن الضميرَ يرجعُ إلىٰ محمد ﷺ؛ لأنه قد تقدم وَصفُ الرسولِ المَلَكيِّ بالأمانة، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أي: وما صاحبكم بمُتَّهم، ولا بخيل.

واختار أبو عبيدة قراءة الظاء لمعنيَيْن:

أحدهما: أن الكُفَّار لم يُبَخِّلوه، وإنما اتَّهموه، فنفيُ التُّهمةِ أَوْلَىٰ مِن نَفْيِ البُخل.

الثاني: أنه قال: ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾، ولو كان المرادُ البخلُ لقال: «بالغيب»؛ لأنه يُقال: فلان ضنين «بكذا»، وقلَّما يُقال: «علىٰ كذا».

◻ قلتُ: ويُرجِّحه أنه وَصَفه بما وَصَفَ به رسولَه المَلَكِيَّ من الأمانة، فنَفَىٰ عنه التُّهْمةَ كما وَصَفَ جبريلَ بأنه أمين.

ويُرجِّحه أيضًا أنه سبحانه نفىٰ أقسامَ الكَذِب كلَّها عمَّا جاء به من الغيب، فإن ذلك لو كان كذبًا، فإمَّا أن يكونَ منه، أوْ ممَّن علَّمه، وإن كان منه، فإمَّا أن يكون تعمَّده أو لمْ يتعمَّدْه، فإن كان مِن مُعَلِّمِه، فليس هو بشيطان رَجيم، وإن كان منه مع التَّعَمُّد فهو المُتَّهم ضدُّ الأمين، وإن كان عن غير تعمُّد فهو المجنون.. فنفىٰ سبحانه عن رسوله ﷺ ذلك كلَّه، وزكَّىٰ

سَنَد القرآن أعظمَ تزكية، فلهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥] ليس تعليمَ الشيطان، ولا يَقدِرُ عليه، ولا يحسُنُ منه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١]، فنفىٰ فِعْلَه وابتغاءَه منهم، وقدرتَهم عليه.

وكلُّ مَن له أدْنىٰ خِبرةٍ بأحوالِ الشياطين والمجانين والمُتَّهَمِين، وأحوالِ الرُّسل يَعلمُ عِلْمًا لا يُمارِي فيه ولا يشك ـ بل عِلْمًا ضَرُورِيًّا كسائر الضروريَّات ـ منافاةَ أحدِهما للآخَر، ومضادَّته له، كمنافاةِ أحدِ الضدَّين لصاحبه، بل ظهورُ المنافاة بَيْن الأمْرَين للعقل، أَبْيَنُ من ظهورِ المنافاة بين النور والظلمة للبَصَر، ولهذا وبَّخ سبحانه مَن كَفَر بعد ظهور هذا الفَرْقِ المُبين بين دعوة الرُّسل ودعوة الشياطين، فقال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]، قال أبو إسحاق: فأيَّ طريقٍ تسلكون أَبْيَنَ من هذه الطريق التي بَيَّنَت لكم؟، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

فالأمر منحصرٌ في الحق والباطل، والهدىٰ والضلال[1] .. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

* * *

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم (١١٤ ـ ١٣٠).

*** محمد رسول اللّه ﷺ المُبَارَك :**

✍ بأبي هو وأمي . . هو المُبَارَك أينما كان . .

إذا نحنُ أدْلَجْنــا وأنت إمامُنــا ... كفى المطايـا طِيبُ ذكرِك حاديـا

وإنْ نحن أضَلَلْنا الطريقَ ولم نَجدْ ... ضِيــاءً كفَانَا نورُ وجهك هاديا

وإني لأستغْشِي وما بي غَشْــوةٌ ... لَعَلَّ خَيَـالاً منك يَلْقَى خياليـا

✍ كانت البركةُ فيه ومعه وعنده ﷺ :

◻ فكلامُه مبارك، يقول الكلمةَ المُوجَزَة، فتحملُ في طيَّاتها من العِبَرِ والعِظاتِ ما يَذْهَشُ لروعتها العقلُ حُسْنًا وبلاغةً، فلا أبْدَعَ، ولا أرْوعَ، ولا أوْجَزَ، ولا أعجزَ من هذا الكلام الباهي الزاهي . .

كأنَّهُ الروضُ حيَّتُـه الصَّبا سَحَرًا ... وزاره الغيثُ فـازدانت خَمائلُـهُ

◻ ويُلقِي الخُطبةَ، فيَجعلَ اللّه فيها من النفع والتأثير والبركة ما يَبقى صداهُ في الأجيال جِيلاً بعد جيل.

◻ والبركةُ في عمره ﷺ، فقد عاش ثلاثًا وعشرين سنةً في إبلاغِ رسالته ليس إلاَّ، فكان في هذه الفترةِ الوجيزةِ من الفتحِ والنصرِ والنفعِ والعلمِ والإيمانِ والإصلاحِ ما لا يقومُ به غيرُه في قرونٍ ودهور، ففي ثلاثِ وعشرين سَنةً فحسب، بلَّغ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانة، وعلَّم القرآن، ونَشَر السُّنة، وقضىٰ علىٰ الكفر، وأسَّس دولةَ العدل، وأقام أعظمَ حضارةٍ راشدةٍ عَرَفتها الإنسانية . . فسبحان مَن بارك في لحظاتِ عُمره ودقائقِ حياته . .

مرَّت سنينٌ بالسُّعـود وبالهنا ... فكأنها من حُسنِها أيــامُ

● وبُورك له ﷺ في آثاره، فقد مرَّ بصاحبِ قَبرَينِ يُعذَّبان، أحدُهما

كان لا يتنزَّهُ من البول، والآخرُ كان يَمشي بالنميمة بين الناس، فشَقَّ ﷺ عصًا خضراءَ كانت معه وغَرَسها على القبرين، وقال: «أرجو أن يُخفَّفَ عنهما من العذابِ حتى تَيْبَسا»[١]، وهذا خاصٌّ به، ولا يكونُ إلاَّ له ﷺ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فيه من البركة.

◻ ومَرِضَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه بالرمدِ يومَ خيبر، حتى أصبحَ لا يَرى شيئًا، فنَفَثَ عليه ﷺ، فأبصر ـ بإذنِ اللَّه ـ في الحالِ لبركةِ دعائِه ونَفْثِه ﷺ:

مَرِضَ الحبيبُ فزرتُـــهُ ... فمَرِضتُ من خوفي عليه
وأتى الحبيــبُ يَزورُني ... فشُـفيتُ من نظـري إليه

◻ وكان الجيشُ في الخندق ألفَ رجلٍ، قد بَلَغ بهم الجوعُ مبلغًا عظيمًا، فدعا جابرُ بنُ عبداللَّه الرسولَ ﷺ وثلاثةً معه على عَناقٍ من وَلَدِ الماعز ذَبَحها وشيءٍ من طعام الشعير، فدعا ﷺ الجيشَ جميعًا وسَبَقهم، ودعا على الطعام ونَفَث، ثم أدخلهم عَشَرَةً عَشَرة، فأكلوا جميعًا وشبِعوا جميعًا، وبَقِي الطعامُ بحاله، ووُزِّع على أهل المدينة، فما بَقِي بيتٌ إلاَّ دَخَله من ذلك الطعام. . فلا إله إلاَّ اللَّه! يا لها مِن معجزةٍ باهرةٍ وآيةٍ ظاهرة على صِدقِه وبركته ونبوَّته:

علوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... بحقٍّ فيك كلُّ المعجـزاتِ
عليك تحيةُ الرحمن تَسري ... بتَبْـريكٍ غوادٍ رائحـاتِ

◻ وسافر معه جيشٌ قِوامه ألفٌ وأربَعُمئةِ رجل، فانتهى ماؤهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦، ٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأشرفوا على الهلاك، وانقطعوا في البَيداء، فدعا ﷺ بقِرْبةٍ صغيرة فيها قليلٌ من ماء، فصبَّه على يدِه الشريفةِ الطاهرة المباركة، فثارت مِن بين أصابعه أنهارُ الماء، فملأ الناسُ أوعيتَهم وعبَّؤُوا قِرَبَهم، وسَقَوا رواحلَهم، وشَرِبوا وتوضَّؤُوا، واغتسلوا جميعًا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]..

وأبيض يُستسقى الغمـــامُ بوجهه ... ثُمالُ اليتـــامى عِصمةٌ للأرامــلِ

فحيًّا اللَّهُ ذاك الكفَّ الطاهرَ المبارَك الذي ما خان، ولا غشَّ، ولا غَدَر، ولا نَهَب، ولا سَلَب، ولا سَرَق ولا سَفَك..

يـــدٌ بيضــاءُ لو مُــدَّت بليــــلٍ ... عظيمِ الهــولِ أشرقَتِ الليــــالي

◻ وزار ﷺ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ رضي الله عنه وهو مريضٌ ملتهِبُ الجسم، فوضع يَدَه المباركةَ على صَدرِ سعد، فوجَدَ بَرْدَها كالثلجِ، فشُفِي بإذن اللَّه.

◻ يقول سعدٌ رضي الله عنه بعدَ سنواتٍ طويلة: «واللَّهِ لكأني أجدُ بَرْدَها الآنَ على صدري».

◻ ورَشَّ ﷺ بقيةَ وَضوئِه على جابرِ بن عبداللَّه رضي الله عنهما وهو مريضٌ، فشُفي بإذنِ اللَّه، وحلَق رأسه ﷺ بمِنًى يوم النحر، فأعطى شِقَّه الأيمنَ أبا طلحةَ الأنصاري، لأنَّ صَوتَه في الجيشِ كمئةِ فارسٍ جائزةً له، والنصفَ الآخَرَ وُزِّع على الناس، فكادوا يقتتلون عليه، فمنهم مَن حَصَل على شَعْرةٍ، ومنهم مَن تقاسَمَ هو وصاحبُه شَعرةً واحدة، ومنهم مَن كان يضعُ هذه الشعرةَ في الماءِ إذا أراد أن يشرب..

جَعلتُ لعرَّافِ اليمــامةِ حُكْمَــه ... وعرَّافِ نجدٍ إنْ هـمــا شــفيـاني

فواللَّه مـا من رُقيـة يُعلِّمانها ... ولا شـربـة إلاَّ بـهـا سَـقيـاني
فجئتُ إلى المعصومِ حتى أعلَّني ... بشَـربةِ حـقٍّ من هُـدًى وبيـانِ

❑ ومَسَح ﷺ رأسَ أبي مَحذورة وهو صغير، فأقسم أبو محذورة لا يُحلَقُ هذا الشعر الذي مسَّه كف الرسول ﷺ، فبقيَ طيلةَ حياتِه حتى طال ودُفن معه.

❑ وكان الصِّبيانُ يأتونه ﷺ بآنيتِهم، فيضع كفَّه المباركَ في إناءِ الماءِ واللبن، فيجدون فيه البركةَ والشفاءَ بإذن اللَّه.

وقَصَصُ بركته لا تنتهي، وأحاديثُ معجزاته لا تنقضي، فهو المباركُ أينما حلَّ وأينما ارتحل، وهو الموفَّق أينما سار وأقام.

* ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾:

هذه السورةُ خالصةٌ لرسول اللَّه ﷺ - كسورة الضحى، وسورة الشرح -، يُسَرِّي عنه ربُّه فيها، ويَعِدُه بالخير، ويُوعِدُ أعداءَه بالبَتْر. وفيها من تثبيتِ اللَّهِ وتطمينه وجميل وَعدِه لنبيِّه ﷺ ما فيها، ومَرهوبُ وعيده لشانئه.

كذلك تَمثُّلُ حقيقةُ الهدى والخير الإيمان، وحقيقةُ الضلال والشرِّ والكُفران. الأولى كثرةٌ وفَيضٌ وامتداد، والثانيةُ قِلَّةٌ وانحسارٌ وانبتار، وإنَّ ظَنَّ الغافلون غيرَ هذا وذاك.

نَزَلت هذه السورةُ تَمسحُ على قلبه ﷺ بالرَّوْح والنَّدى، وتقرِّر حقيقةَ الخير الباقي الممتدِّ الذي اختاره له ربُّه، وحقيقةَ الانقطاعِ والبتر المُقدَّر لأعدائه. وقد فسَّر رسولُ اللَّه ﷺ «الكوثر» بنهره في الجنة وذَكَر صِفَته.

● عن أنس ﷺ مرفوعًا: «نزلت عليَّ آنفًا سورةٌ»، فقرأ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ..﴾ السورة، قال: «هل تدرون ما الكوثر؟». قلنا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهرٌ وَعَدَنيه ربِّي في الجنة، عليه حَوضٌ تَرِدُ عليه أمَّتي يومَ القيامة، آنيتُه عددُ نجومِ السماء، فيختلجُ العبدُ منهم فأقول: ربِّي إنه من أمتي!! فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1] .

● وعنه مرفوعًا: «بينما أنا أسيرُ في الجنة إذا أنا بنهرٍ حافَّتاه قبابُ الدُّرِّ المجوَّف، قلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاك ربُّك، فإذا طِيبُه ـ أو طِينُه ـ مِسكٌ أذفر»[2] .

● وعن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «هو نَهَرٌ في الجنة حافَّتاه من ذهبٍ يَجري على الدُّرِّ والياقوتِ، تربتُه أطيبُ من رِيحِ المِسك، وطَعمُه أحلى من العسل، وماؤه أشدُّ بياضًا من الثلج»[3] .

☐ ومن حديث عائشة ﷺ موقوفًا: «الكوثر نهرٌ بفِناء الجنة، شاطئاه

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٠)، (٤/ ١٨٠١) بدون الشاهد، وأبو داود (٤٧٤٧)، والنسائي في «السنن» (٩٠٤) وفي «التفسير» (٧٢٢)، وأبو عوانة (٢/ ١٢١، ١٢٢)، وأحمد (٣/ ١٠٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٧)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٩٧)، وهناد في «الزهد» (١٣٣)، وابن أبي عاصم (٧٦٤) ـ بدون الشاهد ـ، وأبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (٣٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٢٢، ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٤، ٦٥٨١)، وأبو داود (٤٧٤٨ بنحوه)، والترمذي (٣٣٥٩، ٣٣٦٠)، وابن حبان (٦٤٤٠)، وأحمد (٣/ ١٦، ١٩١، ٢٠٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٣)، وأبو يعلى (٢٨٧٦، ٣١٨٦)، والطيالسي (١٩٩٢)، والآجري (٣٩٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦).

(٣) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٦١)، وأحمد وابن ماجه، والدارمي =

درٌّ مجوَّف، وفيه من الأباريقِ والآنيةِ عددَ النجوم»(١) .

◻ وعن ابن عباس ﷺ موقوفًا: «الكوثرُ: الخيرُ الكثير الذي أعطاه اللَّهُ إياه»(٢) .

◻ قال الإمام ابنُ جرير الطبري بعد سَرْده للأقوال التي قيلت في «الكوثر»: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قولُ من قال: هو اسمُ النهر الذي أُعْطِيَه رسولُ اللَّه ﷺ في الجنة، وَصَفه اللَّهُ بالكثرة لعِظَمِ قَدْره.

وإنما قلنا: ذلك أَوْلَى الأقوال في ذلك، لتتابُعِ الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ بأن ذلك كذلك».

وهذا الكوثرُ ـ نهرُ الجنة ـ هو مِن بينِ الخير الكثير الذي أُوتِيَه الرسولُ ﷺ، فهو كوثرٌ من الكوثر.. خَيرٌ كثير مُطلَقٌ فائضٌ غَزير.. غيرُ ممنوعٍ ولا مَبتور.. فإذا أراد أحدٌ أن يتتبعَ هذا الكوثرَ الذي أعطاه اللَّهُ لنبيِّه فهو واجدُه

= (٣٣٧/٢)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٩٨)، والطبري (١٥/ ٣٢٠، ٣٢٤) وهناد في «الزهد» (١٣١، ١٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٤١)، والبيهقي في «البعث» (١٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٥) بلفظ «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت، تُربتُه أطيب ريحًا من المِسك، وماؤهُ أحلى من العسل، وأشدُّ بياضًا من الثلج».

(١) موقوف وله حكم الرفع: أخرجه البخاري (٤٩٦٥)، والنسائي في «التفسير» (٧٢٥)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٠)، وهنّاد في «الزهد» (١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٦، ٦٥٧٨)، والنسائي في «التفسير» (٧٢٤)، والحاكم (٥٣٧/٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٠، ٣٢١)، وهنّاد في «الزهد» (١٤٠)، والبيهقي في «البعث» (١٣٩، ١٤١) ومرفوعًا بنحو حديث أنس برقم (١٤٠).

حيثما نظر أو تصوَّر:

◘ هو واجدُه في النبوَّة، في أنه رسولُ اللَّه ﷺ، وهو أفضلُ الرسل مكانةً عند ربِّه، وماذا فَقَدَ مَن وَجَد اللَّهَ؟.

◘ وهو واجدُه في هذا القرآن الذي نَزَل عليه، وسورةٌ واحدةٌ منه كوثرٌ لا نهايةَ لكثرته، وينبوعٌ ثَرٌّ لا نهايةَ لفَيضِه وغَزَارته.

◘ وهو واجدُه في الملأِ الأعلىٰ الذي يُصلِّي عليه، ويُصلِّي علىٰ مَن يُصلِّي عليه في الأرض، حيث يقترنُ اسمُه باسمِ اللَّه في الأرض والسماء.

◘ وهو واجدُه في سُنَّتِه الممتدَّة علىٰ مَدَار القرون، في أرجاءِ الأرض، وفي الملايين بعدَ الملايين السائرة علىٰ أثره، وملايينِ الملايين منَ الألسنِة والشِّفاه الهاتفةِ باسمه، وملايينِ الملايين من القلوب المُحبَّة لسيرته وذكراه إلىٰ يومِ القيامة.

◘ وهو واجدُه في الخير الكثيرِ الذي فاض علىٰ البشريَّة في جميعِ أجيالها بسببه وعن طريقه، سواءٌ مَن عَرَفوا هذا الخيرَ فآمنوا به، ومَن لم يَعرِفوه، ولكنه فاض عليهم فيما فاض.

◘ وهو واجدُه في مظاهرَ شتَّىٰ، ومحاولةُ إحصائها ضربٌ من تقليلها وتصغيرها! إنه الكوثر، الذي لا نهايةَ لفيضه، ولا إحصاءَ لعوارفه، ولا حدَّ لمدلوله، ومِن ثَمَّ تَرَكه النصُّ بلا تحديد، ليشملَ كلَّ ما يَكثُرُ من الخير ويَزيد.

* وقفة:

بدأت سورةُ الكوثر بأجودِ الجُود والعطاءِ لأشرف الخلائق، والمِنحةُ

بكلٍّ خيرٍ يمكنُ أن يكونَ . . ﴿إنا﴾ محمولٌ على التعظيم، ففيه تنبيهٌ على عظمةِ العطيَّة؛ لأن الواهبَ هو مَلِكُ الملوك ـ عز وجل ـ . فقد أشعرت الآية بعِظَمِ الواهب، والموهوبِ له، والموهوب، فيا لها من نعمةٍ ما أعظمَها وما أجلَّها، ويا له من تشريفٍ ما أعلاه!!.

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، ولم يقلْ «آتيناك»؛ لأن «الإيتاء» أصلُه الإحضار وإن اشتُهر في معنى الإعطاء، والإيتاءُ يَحتملُ أن يكونَ واجبًا، وأن يكون تفضُّلاً، وأمَّا الإعطاء، فإنه بالتفضُّل أشبهُ، وإذا كان الكوثرُ في نفسه في غايةِ الكثرة، لكنه بصدوره من مَلِكِ الملوك يَزدادُ عظمةً وكمالاً. . ولَمَّا كان كثيرُ الرئيس أكثرَ من كثيرِ غيره، فكيف بالمَلِك، فكيف بمَلِكِ الملوك، فكيف إذا أخرجه في صيغةِ مبالغة!! فكيف إذا كان في مَظهرِ العظمة!! فكيف إذا بُنيت الصيغة على «الواو» الذي له العلوُّ والغلبة!! فكيف إذا أتت أثرُ «الفتحة» التي لها مِثلُ ذلك ـ بَل أعظم ـ!! فكيف إذا صُدِّرت الجملةُ بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم!!.

أفاض عليه من كلِّ شيءٍ من الأعيان والمعاني من العلم والعمل وغيرهما من معادنِ الدارَين، والخيرِ الذي لا غاية له مما لا يدخلُ تحتَ الوصف، فاجتَمَع له أشرفُ العطاءِ من أكرم المُعطِين وأعظمِهم.

فقد اضمَحلَّ في جانب نعمةِ الكوثر الذي أُوتي كلُّ ما ذَكَره اللَّه تعالى في الكتاب من نعيمِ أهلِ الدنيا وتمكُّنِ مَن تمكَّن منهم، ولم يَقَعْ بعد هذه السورة ذِكرُ شيءٍ من نعيم الدنيا.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ . . لم يقل «سنعطيك». . . فأتى بصيغة الماضي ليدلَّ على أن رسول اللَّه ﷺ كان مُويَّدًا عزيزًا مَرْعِيَّ الجانب

مَقْضِيَّ الحاجة، وحُكمُ اللَّهِ له بالعطاء كان حاصلاً في الأزل، وأنَّ الغنيَّ الحميدَ قد هيَّأ أسبابَ سعادةِ النبي ﷺ قبل دخوله في الوجود، فكيف يُهمِلُ أمرَه بعد وجودِه واشتغالِه على أكملِ وجهٍ بالعبودية وآدابها، زِدْ على ذلك أن الكريمَ إذا شَرَعَ في العطيَّة على سبيل التفضُّل لا يُبطِلُها، بل كلَّ يومٍ يَزيدُ فيها بمَنِّه وإحسانِه وكرمه، فتفضُّله غيرُ متناهٍ، وكرمُه غير متناهٍ، وإعطاؤه لنبيِّه وعبده محمد ﷺ دائمٌ يَزيدُ أبداً.

*** التشريفات العظيمة السَّنيَّة لخير البريَّة وسيِّد البشريَّة:**

✍ سورة «الكوثر» تتمَّةٌ لِما قبلها مِن سُورٍ كلُّها تشريفاتٌ سنيَّة من ربِّ البرية لسيِّد البشريَّة:

* فسورةُ «الضحى» كاملةٌ كلُّها لرسول اللَّه ﷺ:

أولها: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

وثانيها: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

وثالثها: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

ثم خَتَمها بذِكر ثلاثةِ أحوالٍ من أحواله ﷺ فيما يتعلَّقُ بالدنيا، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨].

* وفي سورة «ألم نشرح» شرَّفه ﷺ بثلاثةِ أشياء:

أولها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الضحى: ١].

وثانيها: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢].

وثالثها: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

◘ وشَرَّف اللَّه نبيَّه ﷺ في سورةِ «التين» بثلاثةِ أنواعٍ من التشريف:

أولها: أنه تعالىٰ أقسَمَ ببلدِه ﷺ.. وهو قوله: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين: ٣].

وثانيها: أنه تعالىٰ أخبر عن خَلاصِ أُمَّتِه من النار.. وهو قوله: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [التين: ٦].

وثالثها: وصولُ أمته إلىٰ الثواب.. وهو قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٦].

◘ ثم مَنَّ اللَّه الودودُ الكريمُ علىٰ نبيِّه العظيم بثلاثةِ أنواعٍ من التشريفات:

أولها: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، أي: اقرأ القرآن علىٰ الخَلق مستعينًا باسم ربك.

وثانيها: أنه تعالىٰ قهر خَصْمَه بقوله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٧-١٨].

وثالثها: أنه خَصَّه ﷺ بالقُربىٰ التامةِ، وهو قوله: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق: ١٩].

◘ وشرفه ﷺ في سورة «القدر» بليلة القَدْر التي لها ثلاثةُ أنواع من الفضيلة:

أولها: كونها خيراً من ألف شهر.

ثانيها: نزول الملائكة والرُّوحُ فيها.

وثالثها: كونُها سلامًا حتىٰ مَطْلَعِ الفجر.

□ وشرَّفه ﷺ في سورة «لم يكن» بأنْ شَرَّف أمته بثلاثة تشريفات:

أولها: أنه خيرُ البرية.

وثانيها: أن جزاءَهم عند ربِّهم جنات.

وثالثها: رضي اللَّه عنهم.

□ وشرفه ﷺ في سورة «إذا زلزلت» بثلاثة تشريفات:

أولها: قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، وذلك يقتضي أن الأرضَ تشهدُ يوم القيامة لأمته ﷺ بالطاعة والعبودية.

والثاني: قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]، وذلك يدلُّ علىٰ أنه تُعرضُ عليهم طاعتُهم، فيَحصلُ لهم الفرحُ والسرور.

وثالثها: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، ومعرفةُ اللَّهِ لا شكَّ أنها أعظمُ من كلِّ عظيمٍ، فلا بدَّ وأن يَصِلوا إلىٰ ثوابها.

□ ثم شرَّفه ﷺ في سورة «العاديات» بأن أقسم بخيلِ الغُزاة من أمته ﷺ، فوصفت تلك الخيل بصفاتٍ ثلاث: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١-٣].

□ ثم شرَّف أمته ﷺ في سورة «القارعة» بأمور ثلاثة:

أولها: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦].

وثانيها: أنهم في عِيشة راضية.

وثالثها: أنَّهم يَرَون أعداءهم في نارٍ حامية.

◻ ثم شرَّفه ﷺ في سورة «ألهاكم» بأن بيَّن أن المُعرِضين عن دينهِ وشرعِهِ يصيرون معذَّبين من ثلاثة أوجه:

أولها: أنهم يَرَون الجحيم.

وثانيها: أنهم يَرَونها عين اليقين.

وثالثها: أنهم يُسألون عن النعيم.

◻ ثم شرَّف أمته ﷺ في سورة «العصر» بأمور ثلاثة:

أولها: الإيمان ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وثانيها: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وثالثها: إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحة، وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

◻ ثم شرَّفه في سورة «الهمزة» بأنْ ذَكَر أن مَن هَمَزَه ولَمَزَه فله ثلاثةُ أنواع من العذاب:

أولها: أنه لا ينتفع بدنيا ألبتة.. وهو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلاَّ﴾ [الهمزة: ٣-٤].

وثانيها: أنه يُنبَذُ في «الحُطمة»، ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾

وثالثها: أنه يُغلقُ عليه تلك الأبوابَ حتى لا يَبقى له رجاءُ الخروج، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].

□ ثم شرَّفه ﷺ في سورة «الفيل» بأن ردَّ كيدَ أعدائِه إلىٰ نَحرهم من ثلاثة أوجه:

أولها: جعل ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢].

وثانيها: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣].

وثالثها: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

□ ثم شرَّفه ﷺ في سورة «قريش» بأنه تعالىٰ راعىٰ مصلحةَ أسلافه ﷺ من ثلاثة أوجه:

أولها: جعلهم مؤتلِفين متوافِقِين ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

وثانيها: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: ٤].

وثالثها: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

□ وشرَّفه ﷺ في سورة «الماعون» بأن وَصَفَ المكذِّبين بدينه بثلاثةِ أنواعٍ من الصفات المذمومة:

أولها: الدناءة واللؤم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢-٣].

وثانيها: تَرْكُهم تعظيمَ الخالق، وهو قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٥-٦].

وثالثها: تركهم نفعَ الخلق، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

فهذه مناقبُ متكاثرة، كلٌّ واحدةٍ منها أعظمُ من مُلْكِ الدنيا بحذافيرها.

المَقامةُ النبويَّة لعائضِ القَرْني ـ للَّه درُّه ـ

◻ قال الشيخ عائض القرني بأسلوبه الرقراق الذي يَسيلُ منه دَمعُ كلِّ مُشتاق إلىٰ سيد الرسل عظيمِ الأخلاق ﷺ:

صَلَّى عَلَيْـــكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الهُـدَى
واستَبْشَــرَت بِقُـدُومِكَ الأَيَّــامُ
هَتَفَـتْ لَكَ الأَرْوَاحُ مِنْ أَشْـــوَاقِهَا
وَازَيَّنَـتْ بِحَدِيثِـــكَ الأَقْـــلامُ

ما أحسنَ الاسمَ والمسمَّىٰ! وهو النبيُّ العظيم في سورة «عمَّ»، إذا ذَكَرتُه هلَّت الدموعُ السواكب، وإذا تذكرتُه أقبلت الذكرياتُ من كلِّ جانب..

وَكُنْتُ إذَا ما اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوى
وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجَمِيـل تَفْصِمُ
أُعَــلِّلُ نَفْسِي بِالتَّـلاقِي وَقُرْبِـــــه
وَأُوهِـــمُـــهَـــا لَكِنَّهَا تَــتَوَهَّـــمُ

المتعبِّدُ في غارِ حراء، صاحبُ الشريعة الغرَّاء، والملَّةِ السَّمْحاء، والحنيفيةِ البيضاء، وصاحبُ الشفاعة والإسراء، له المقامُ المحمود، واللواءُ المعقود، والحوضُ المورود، هو المذكورُ في التوراة والإنجيل، وصاحبُ الغُرَّة والتَّحجيل، والمؤيَّدُ بجبريل، خاتمُ الأنبياء، وصاحبُ صفوةِ الأولياء، إمامُ الصالحين، وقدوةُ المفلحين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

السَّمَاوَاتُ شَيِّقَاتٌ ظِمَاءُ
وَالْفَضَا وَالنُّجُومُ وَالأَضْوَاءُ
كُلُّهَا لَهْفَةٌ إِلَى العَلَمِ الْهَادِي وَشَوْقٌ لِذَاتِهِ وَاحْتِفَاءُ

تُنظَم في مَدحه الأشعار، وتُدبَّجُ فيه المَقاماتُ الكبار، وتُنقل في الثناء عليه السِّيَرُ والأخبار، ثم يَبقى كنزًا محفوظًا لا يُوفِّيه حقَّه الكلام، وعَلَمًا شامخًا لا تُنصِفُه الأقلام، إذا تحدَّثنا عن غيره عَصَرْنا الذكريات، وبَحَثْنا عن الكلمات، وإذا تَحدَّثنا عنه تَدَفَّقَ الخاطرُ، بكل حديث عاطر، وجاش الفؤادُ بالحبِّ والوِداد، ونَسِيَتِ النفسُ همومَها، وأغفَلَتِ الروحُ غمومَها، وسَبَّح العقلُ في ملكوتِ الحُبِّ، وطاف القلبُ بكعبةِ القرب، هو الرمزُ لكل فضيلة، وهو قُبَّةُ الفَلَكِ خِصالٌ جميلة، وهو ذُروةُ سَنامِ المجدِ لكلِّ خلالٍ جليلة.

مرحبًا بالحبيب والأريب والنجيب، الذي إذا تحدَّثتُ عنه تزاحمت الذكريات، وتسابقت المشاهدُ والمقالات.

صلى اللَّه على ذاك القدوة ما أحلاه! وسلَّمَ اللَّهُ ذاك الوجهَ ما أبهاه! وبارك اللَّهُ على ذاك الأُسوةِ ما أكمَلَه وأعلاه! علَّمَ الأُمةَ الصِّدقَ وكانت في صحراءِ الكذبِ هائمة، وأرشَدَها إلى الحقِّ وكانت في ظُلماتِ الباطل عائمة، وقادها إلى النور وكانت في دياجيرِ الزور قائمة..

وَشَبَّ طِفْلُ الْهُدَى الْمَحْبُوبُ مُتَّشِحًا
بِالْخَيْرِ مُتَّزِرًا بِالنُّورِ وَالنَّارِ

فِي كَفِّهِ شُـعْلَةٌ تَهْدِي وَفِي دَمِـــهِ
عَقِيـــدَةٌ تَتَحَـدَّى كُلَّ جَبَّـــارِ

كانت الأمةُ قبلَه في سُباتٍ عميق، وفي حضيضٍ من الجهل سحيق، فبَعَثه اللَّهُ على فترةٍ من المرسلين، وانقطاعٍ من النبيين، فأقام اللَّهُ به الميزان، وأنزل عليه القرآن، وفَرَّق به الكفرَ والبهتان، وحُطِّمت به الأوثان والصلبان، للأمم رموزٌ يُخطؤون ويُصيبون، ويُسدَّدون ويَغلِطون، لكنَّ رسولَنا ﷺ معصومٌ من الزلل، محفوظٌ من الخلل، سليمٌ من العلل، عُصم قلبُه من الزيغ والهوى، فما ضَلَّ أبداً وما غوى، إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى.

للشعوب قاداتٌ لكنهم ليسوا بمعصومين، ولهم ساداتٌ لكنهم ليسوا بالنبوة مَوسومين، أمَّا قائدُنا وسيِّدُنا فمعصومٌ من الانحراف، محفوفٌ بالعناية والألطاف.

قُصارى ما يَطلبُه ساداتُ الدنيا قصورٌ مشيَّدة، وعساكرُ تَرفعُ الولاءَ مؤيِّدة، وخُيولٌ مُسَوَّمة في مُلكِهم مُقيَّدة، وقناطيرُ مقنطَرةٌ في خزائنهم مخلَّدة، وخَدَمٌ في راحتهم مُعَبَّدة.

أما محمدٌ ﷺ فغايةٌ مطلوبه، ونهايةٌ مرغوبه، أن يُعبَدَ اللَّهُ فلا يُشركُ معه أحد؛ لأنه فَردٌ صمد، لم يَلِدْ ولم يُولد، ولم يكن له كفواً أحد.

يسكنُ بيتًا من الطين، وأتباعُه يجتاحون قصورَ كسرى وقيصر فاتِحين، يَلبسُ القميصَ المرقوع، ويَربِطُ على بطنِه حَجَرين من الجوع، والمدائنُ تُفتح بدعوته، والخزائنُ تُقسم لأمته..

إِنَّ الْبَرِيَّـــةَ يَـــوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَـــدَ
نَظَـــرَ الإِلَـهُ لَهَا فَبَـــدَّلَ حَالَـهَـا

بَلْ كرَّمَ الإنسَانَ حِينَ اختَارَ مِنْ
خَيْرِ البَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهِلالَهَا
لَبِسَ المُرَقَّعَ وَهْوَ قَائِدُ أُمَّةٍ
جَبَتِ الكُنُوزَ فَكَسَّرَتْ أَغْلامَهَا
لَمَا رَآهَا اللَّهُ تَمْشِي نَحْوَهُ
لا تَبْتَغِي إلاَّ رِضَاهُ سَعَى لَهَا

ماذا أقولُ في النبيِّ الرسول؟ هل أقولُ للبَدْر: حُيِّيتَ يا قمرَ السماء؟ أم أقولُ للشمس: أهلاً يا كاشفةَ الظلماء؟ أم أقولُ للسحاب: سَلِمْتَ يا حاملَ الماء؟!..

يَا مَنْ تَضَوَّعَ بِالرِّضْوَانِ أَعْظُمُهُ
فَطَابَ مِنْ طِيبِهِ تِلْكَ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ
فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ

اسلُكْ معه حيثُما سَلَك، فإنَّ سُنَّته سفينةُ نوحٍ، مَن رَكِب فيها نجا، ومَن تَخلَّف عنها هَلَك، نَزَل بَزُّ رسالته في غارِ حراء، وبِيع في المدينة، وفُصِل في بدر، فلَبِسه كلُّ مؤمنٍ، فيا سعادةَ مَن لَبِس، ويا خَسارةَ من خلَعه فقد تَعِس وانتكَس، إذا لم يكنِ الماءُ مِن نهرِ رسالته فلا تشربْ، وإذا لم يكنِ الفَرَسُ مُسوَّمًا على علامتِه فلا تركبْ، بلالُ بنُ رباح صار باتِّباعِه سيِّدًا بلا نَسَب، وماجدًا بلا حَسَب، وغنيًّا بلا فِضةٍ ولا ذَهَب، أبو لهب عمُّه لما عصاه خَسِر وتبَّ، سيَصلى ناراً ذات لهب..

الْفُرْسُ وَالرُّومُ وَالْيُونَـــانُ إنْ ذُكِرُوا
فَعِنْـدَ ذِكْرِكَ أَسْــمَالٌ عَلَى قَـــزَمِ
هُمْ نَمقُّوا لَوْحَـــةً بِالرِّقِ هَائِمَـــةً
وَأَنْتَ لَوْحُــكَ مَحْفُـوظٌ مِنَ التُّـهَمِ

وإنك لَتهدي إلىٰ صراط مستقيم، وإنك لعلىٰ خلق عظيم، وإنك لعلىٰ نهجٍ قويم، ما ضَلَّ، وما زلَّ، وما ذلَّ، وما غَلَّ، وما مَلَّ، وما كَلَّ.

فما ضَلَّ؛ لأن اللَّهَ هادِيه، وجبريلَ يُكلِّمُه ويناديه.

وما زَلَّ؛ لأن العِصمة ترعاه، واللَّهُ أيَّده وهداه.

وما ذَلَّ؛ لأن النصرَ حليفُه، والفوز رديفه.

وما غَلَّ؛ لأنه صاحبُ أمانة، وصيانة، وديانة.

وما مَلَّ؛ لأنه أُعطي الصبر، وشُرِح له الصدر.

وما كَلَّ؛ لأن له عزيمةً، وهمةً كريمة، ونفسًا طاهرةً مستقيمة..

كَأَنَّـكَ فِي الكِتَــابِ وَجَــدت لاءً
مُحَرَّمَــــةً عَلَيْــكَ فَــلا تَحِــلُّ
إِذَا حَـضَرَ الشِّــتَاءُ فَأَنْـتَ شَـمْسٌ
وَإِنْ حَــلَّ المصِيــفُ فَـأَنْتَ ظِــلُّ

صلىٰ اللَّه عليه وسلم، ما كان أشرحَ صدرَه! وأرفعَ ذِكرَه! وأعظمَ قَدْرَه! وأنفَذَ أمرَه! وأعلىٰ شرَفَه! وأربح صَدَقَةَ مَن آمَنَ به وعرفه! ومع سَعَة الفِناء، وعظم الآناء، وكرم الآباء، فهو محمدٌ المجَّد، كريمُ المَحْتِد، سخيُّ اليد، كأنَّ الألسِنةَ والقلوبَ ريضت علىٰ حُبِّه، وأَنِست بقُربه، فما تنعقدُ إلاَّ

تنعقدُ إلاَّ على وُدِّه، ولا تَنطقُ إلاَّ بحمده، ولا تَسبحُ إلاَّ في بحرِ مجده..

نُـــورُ الْعَـــرَارَةِ نُـــورُه ونَســـيمُـهُ
نَشْـــرُ الْخُزَامَى فِي اخْـضِـرَارِ الآسِي
وَعَلَيْـــهِ تَـــاجُ مَحَبَّـــةٍ مِنْ رَبِّـــهِ
مَا صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ وَلا مِنْ مَاسِـــي

إنَّ للفِطَرِ السليمة، والقلوبِ المستقيمة حُبًّا لمنهاجه، ورغبةً عارمةً لسلوك فِجاجه، فهو القدوةُ الإمام، الذي يُهدىٰ به مَنِ اتبع رضوانَه سُبُلَ السلام.

صلىٰ اللّه عليه وسلم، عَلَّم اللسانَ الذِّكر، والقلبَ الشكر، والجسدَ الصبر، والنفسَ الطُّهْر، وعلَّم القادةَ الإنصافَ، والرعيةَ العفاف، وحَبَّبَ للناس عَيشَ الكفاف، صَبَر على الفقر؛ لأنه عاش فقيراً، وصَبَر على جُموع الغنىٰ لأنه مَلَك مُلكًا كبيراً، بُعِث بالرسالة، وحكم بالعدالة، وعلَّم من الجهالة، وهَدَىٰ من الضلالة، ارتقىٰ في درجاتِ الكمال حتىٰ بَلَغَ الوسيلة، وصَعِد في سُلَّمِ الفضل حتىٰ حاز كلَّ فضيلة..

أَتَـاكَ رَسُولُ الْمَكْرُمَـــات مُسَـــلِّمًا
يُرِيــــدُ رَسُـــولَ اللَّهِ أَعْـظَمَ مُتَّـقِي
فَأَقْبَلَ يَسْـــعَى فِي الْبِســـاطِ فَمَا دَرَى
إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الشَّمْسِ يَرْتَقِي

هذا هو النورُ المباركُ يا مَن أبصرَ، هذا هو الحُجَّةُ القائمةُ يا من أدبر، هذا الذي أنذَر وأعذَر، وبَشَّرَ وحَذَّر، وسَهَّلَ ويَسَّر، كانتِ الشهادةُ صعبةً

فسهَّلَها من أتباعه مُصعَب، فصار كلُّ بطلٍ بعدَه إلى حِيَاضِهِ يرغب، ومِن مَوْرِدِهِ يشرب، وكان الكذبُ قبلَه في كلِّ طريق، فأباده بالصديق، مِن طُلاَّبه أبو بكر الصديق، وكان الظُّلمُ قبلَ أن يُبعثَ متراكِمًا كالسحاب، فزحزحه بالعدلِ من تلاميذِه عمرُ بن الخطاب، وهو الذي ربَّى عثمانَ ذا النورين، وصاحبَ البيعتين، والمتصدِّقَ بكلِّ ماله مرَّتين، وهو إمامُ عليٍّ حَيْدَرة، فكم من كافرٍ عقَرَه، وكم من مُحارِبٍ نَحَره، وكم من لواءٍ للباطل كَسَره، كأن المشركين أمامَه حُمُرٌ مستنفِرة، فَرَّت من قسورة!!..

إِذَا كَانَ هَذَا الجِيـلُ أَتْبَـاعَ نَهْجِـه
وَقَدْ حكَمُوا السَّادَاتِ فِي البَدْوِ وَالحَضَرْ
فَقُلْ كَيْفَ كَانَ المُصْطَفَى وَهْوَ رَمْزُهُـمْ
مَعَ نُـورِه لا تُذْكَرُ الشَّمْسُ والقَمَـرْ!

كانت الدنيا في بلابلِ الفتنة نائمة، في خَسارةٍ لا تعرفُ الربحَ وفي اللهوِ هائمة، فأذَّن بلالُ بن رباح، بـ«حيَّ على الفلاح»، فاهتزَّتِ القلوب، بتوحيد علاَّمِ الغيوب، فطارت المُهَجُ تطلبُ الشهادة، وسبَّحَتِ الأرواحُ في مِحراب العبادة، وشَهِدَتِ المعمورةُ لهم بالسيادة..

كُلُّ المشَـارِبِ غَيْـرُ النِّيـلِ آسِـنَةٌ
وَكُلُّ أَرْضٍ سِوَى الزَّهْـرَاءِ قِيعَـانُ
لا تُنْحَـرُ النَّفْسُ إِلاَّ عِنْـدَ خَيْمَـتِه
فَالمَـوْتُ فَـوْقَ بَلاطِ الحُبِّ رِضْـوَانُ

أرسله اللَّهُ على الظَّلماء كشمسِ النهار، وعلى الظمأ كالغَيث المِدرار،

فهزَّ بسيوفه رؤوسَ المشركين هَزًّا؛ لأن في الرؤوس مساميرَ اللات والعزىٰ، عَظُمت بدعوته المِنَن، فإرسالُه إلينا أعظَمِ مِنَّة، وأحيا اللَّهُ برسالته السُّنَن، فأعظمُ طريقٍ للنجاة اتباعُ تلك السنة.. تعلَّم اليهودُ العلمَ فعطَّلوه عن العمل، ووقعوا في الزيغ والزلل، وعَمِل النصارىٰ بضلال، فعَملهم عليهم وبال، وبُعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد، والعملِ الصالح الرشيد..

أَخُـــوكَ عِيسَى دَعَا مَيْتًـا فَـقَامَ لَهُ
وَأَنْتَ أَحْيَـيْتَ أَجْـيَالاً مِـنَ الرِّمَـمِ

أَنْصِـتْ لِمِيمِـيَّــةٍ مِــنْ أُمَــمٍ
مِـدَادُهَـا مِـنْ مَعَانِي «نُـون وَالقَلَمِ»

***

سَالَتْ قَرِيحَــةُ صَبٍّ فِي مَحَبَّتِـكُم
فَيْضًا تَدَفَّــقَ مِثْلَ الهَاطِـلِ العَمَــمِ

كَالسَّيْلِ كَاللَّيْلِ كَالفَجْرِ اللَّحُـوحِ غَدَا
يَطْوِي الرَّوَابِي وَلا يَلْـوِي عَلَى الأَكَـمِ

أَجَشَّ عَلَيَّ كَالرَّعْدِ فِي لَيَالِي السُّعُودِ وَلا
يُشَابِهُ الرَّعْــدَ فِي بَطْشٍ وَفِي غَشَـمِ

كَدَمْــعِ عَيْنِي إِذَا مَا عِشْــتُ ذِكْرَكُمْ
أَوْ خَفَقَ قَلْبٌ بِنَــارِ الشَّوْقِ مُضْطَرِمِ

يَزْرِي بِنَابِغَــةِ النُّعْمَــانِ رَوْنَقُـهَــا
وَمِنْ زُهَيــرِ وَمَاذَا قَالَ فِي هَــرِمِ؟

دَعْ سَيْفَ ذِي يَزن صَفْحًا وَمَادِحَـهُ
وَتُبَّـعًا وَبَنِـي شَـدَّاد فِي إرَمِ

وَلا تَعْـرُجْ عَلَى كِسْـرَى وَدَوْلَتِـهِ
وَكُلِّ أَصيـدٍ أَوْ ذِي هَـالَةٍ وَكَمِـي

وانسَـخْ مَـدَائِـحَ أَرْبَابِ المَدِيحِ كَمَا
كَانَتْ شَـريعَتُـه نَسْـخًا لِدِينِهِم

رَصِّعْ بِهَا هَامَـةَ التَّـارِيخِ رَائِعَـةً
كَالتَّـاجِ فِي مَفْـرقٍ بِالمَجْـدِ مُرْتَسِمِ

فَالهَـجْرُ وَالوَصْلُ وَالدُّنْيَا وَمَا حَمَلَت
وَحُبُّ مَجْنُـونِ لَيْلَى ضَـلَّةٌ لَعَمِي

دَعِ المَغَـانِي وَأَطْـلالَ الحَبِيبِ وَلا
تَلْمَحْ بِعَيْنَيْـكَ بَرْقًـا لاحَ فِي أَضِـمِ

وَأُنْسُ الخَمَـائِـلِ وَالأَفْنَـانُ مَائِلَةٌ
وَخَيْمَـةٌ وَشُوَيْهَـاتٌ بِـذِي سَلَمِ

هُنَا ضِيَـاءٌ هُنَا رِيٌّ هُنَا أَمَـلٌ
هُـنَا رَوَاءٌ هُـنَا الرِّضْوَانُ فَاسْـتَلِمِ

لَوْ زُيِّنَتْ لامرئِ القَيْسِ انزَوى خَجَلاً
وَلَوْ رَآهَا لَبِيـدُ الشِّـعْرِ لَمْ يَقُـمِ

مِيـمِـيَّـةٌ لَوْ فَتَى بُوصِيرَ أَبْصَرَهَـا
لَـعَـوَّذُوه بِرَبِّ الحِـلِّ وَالحَـرَمِ

سَلْ شِعْرَ شَوْقِي أَيَرْوِي مِثْلَ قَافِيَتِي
أَوْ أَحْمَدَ بنِ حُسَيْنٍ فِي بَنِي حكَمِ
مَا زَارَ سُوقَ عُكَاظٍ مِثْلُ طَلْعَتِهَا
هَامَتْ قُلُوبٌ بِهَا مَنْ أَهْدَيْتُهُ كَلِمِي
أُثْنِي عَلَى مَنْ؟ أَتَدْرِي مَنْ أُبَجِّلُهُ؟
أَمَا عَلِمْتَ بِمَنِ اهْتَدَيْتُهُ كَلِمِي
فِي أَشْجَعِ النَّاسِ قَلْبًا غَيْرِ مُنْتَقِمِ
وَأَصْدَقِ الخَلْقِ طُرًّا غَيْرِ مُتَّهِمِ
أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ فِي قَلْبِ التَّمَامِ وَقُلْ
أَسْخَى مِنَ البَحْرِ بَلْ أَرْسَى مِنَ العلمِ
أَصْفَى مِنَ الشَّمْسِ فِي نُطْقٍ وَمَوْعِظَةٍ
أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ فِي حُكْمٍ وفِي حِكَمِ
أَغَرُّ تُشْرِقُ مِنْ عَيْنَيْهِ مَلْحَمَةٌ
مِنَ الضِّيَاءِ لِتَجْلُو الظُّلْمَ والظُّلَمِ
فِي هِمَّةٍ عَصَفَتْ كَالدَّهْرِ واتَّقَدَتْ
كَمْ مَزَّقَتْ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَمِنْ صَنَمِ
أَتَى اليَتِيمُ أَبُو الأَيْتَامِ فِي قَدَرٍ
أَنْهَى لأُمَّتِهِ مَا كَانَ مِنْ يُتُمِ
مُحَرِّرُ العَقْلِ بَانِي المَجْدِ بَاعِثُنَا
مِنْ رَقْدَةٍ فِي دِثَارِ الشِّرْكِ وَاللَّمَمِ

بِنُــورِ هَدْيِــكَ كَحَّلْنَــا مَحَــاجِرَنَا
لَمَّــا كَتَبْنَــا حُرُوفًا صُغْتُــهَــا بِــدَمِ
مَنْ نَحْنُ قَبْلَكَ إِلاَّ نُقْطَــةٌ غَــرِقَتْ
فِي اليَمِّ بَلْ دَمْعَــةٌ خَرْسَــاءُ فِي القِدَمِ
أَكَــادُ أَقْتَلِعُ الآهَــاتِ مِنْ حُــرَقِي
إِذَا ذَكَرْتُــكَ أَوْ أَرْتَــاعُ مِنْ نَــدَمِي
لَمَّا مَدَحْتُكَ خِلْتُ النَّجْــمَ يَحْمِلُنِي
وَخَاطِرِي بِالسَّنَا كَالجَيْشِ مُحْتَــدِمِ
شَجَّعْتُ قَلْبِي أَنْ يَشْــدُو بِقَافِيَــةٍ
فِيكَ القَرِيضُ كَوَجْــهِ الصُّبْحِ مُبْتَــسِمِ
صَهْ شِــكِسْبِيرُ مِنَ التَّهْرِيــجِ أَسْعَدَنَا
عَنْ كُلِّ إِلْيَــاذَةٍ مَا جَــاءَ فِي الحِكَمِ
الفُرْسُ وَالرُّومُ وَالْيُونَــانُ إِنْ ذُكِرُوا
فَعِنْدَ ذِكْرَاهُ أَسْــمَالٌ عَلَى قَــزَمِ
هُمْ نَمَّقُــوا لَوْحَــةً لِلرِّقِّ هَائِمَــةً
وَأَنْتَ لَوْحُكَ مَحْفُــوظٌ مِنَ التُّهَمِ
أَهْدَيْتَنَا مِنْبَــرَ الدُّنْيَــا وَغَــارَ حِــرَا
وَلَيْلَةَ القَــدْرِ وَالإِسْــرَاءَ لِلْقِمَــمِ
وَالحَوْضَ وَالكَوْثَــرَ الرَّقْــرَاقَ جِئْتَ بِهِ
أَنْتَ المُزَّمِّلُ فِي ثَوْبِ الهُــدَى فَقُمِ

الكَوْنُ يَسْأَلُ وَالأَفْـلاكُ ذاهِـلَةٌ
وَالجِنُّ وَالإِنْسُ بَيْنَ الـلاء والنَّعَـمِ
وَالدَّهْـرُ مُخْتَلِقٌ وَالجَـوُّ مُبْتَهِجٌ
وَالبَـدْرُ يَنْشَقُّ وَالأَيَّـامُ فِي حُلُمِ
سِرْبُ الشَّيَاطِينِ لَمَّـا جِئْتَنَا احْتَرَقَتْ
وَنَـارُ فَارِسَ تَخْبُـو مِنْـكَ فِي نَدَمِ
وَصُفِّدَ الظُّلْمُ وَالأَوْثَـانُ قَدْ سَقَطَتْ
وَمَـاءُ سَاوَةَ لَمَّا جِئْتَ كَالحِمَمِ
قَحْطَانُ عَدْنَـانُ حَـازُوا مِنْكَ عِزَّتَهم
بِكَ التَّشَرُّفُ لِلتَّارِيخِ لا بِهِمِ
عَقُـودُ نَصْـرِكَ فِي بَدْرٍ وَفِي أُحُـدِ
وَعَدْلاً فِيكَ لا فِي هَيْئَـةِ الأُمَـمِ
شَـادُوا بِعِلْمِكِ حَمْـرَاءَ وَقُـرْطُبَةَ
لِنَهْرِكَ العَذْبِ هَبَّ الجِيلُ وَهْـوَ ظَمِي
وَمِنْ عِمَامَتِكَ البَيْضَـاءِ قَـدْ لَبِسَت
دِمشْقُ تَاجَ سَـنَاهَا غَيْـرَ مُنْثَلِمِ
رِدَاءُ بَغْـدَادَ مِنْ بُرْدَيْـكَ تَنْسِـجُـهُ
أَيْدِي رَشِـيدٍ وَمَأْمُـونٍ وَمُعْتَصِمِ
وَسِدْرَةُ المُنْتَهَى أَوْلَتْـكَ بَهْجَتَـهَـا
عَلَى بِسَاطٍ مِنَ التَّبْجِيـلِ مُحْتَـرَمِ

دَارَسْتَ جِبْرِيلَ آيَاتِ الكِتَابِ فَلَمْ
يَنْسَ المُعَلِّمُ أَوْ يَسْهُو وَلَمْ يَهِمِ
اقْرأْ وَدَفْتَـــرُكَ الأَيَّـــامُ خُطَّ بِهِ
وَثِيقَةُ العَهْدِ يَا مَنْ بَرَّ فِي القَسَمِ
قَرَّبْتَ لِلْعَـــالَمِ العُلْوِي أَنْفُسَنَا
مَسَّكْتَنَا حبلاً غَيْرَ مُنْصَـــرِمِ
نُصِرْتَ بِالرُّعْبِ شَهْرًا قَبْلَ مَوْقِعَةٍ
كَأَنَّ خَصْمَكَ قَبْلَ الحَرْبِ فِي صَمَمِ
إِذَا رَأَوْا طِفْـــلاً فِي الجَـــوِّ أَذْهَلَهُمْ
ظَنُّوكَ بَيْنَ بُنُودِ الجَيْشِ وَالحَشَمِ
بِكَ اسْتَفَقْنَا عَلَى صُبْحٍ يُؤَرِّقُهُ
بِلالٌ بِالنَّغْـــمَـــةِ الحَـــرَّا عَلَى الأُطُمِ
إِنْ كَانَ أَحْبَبْتُ بَعْدَ اللَّهِ مِثْلَكَ فِي
بَدْوٍ وَحَضَرٍ وَمِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
فَلا اشْتَفَى نَاظِرِي مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ
وَلا تَفَوَّهَ بِالقَـــوْلِ السَّدِيدِ فَمِي[1]

* * *

---

(١) «مقامات عائض القرني ـ المقامة النبوية» (ص٣٨ ـ ٥٣) ـ مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

◻ للَّه درُّ أمهاتِ المؤمنين حين يَصِفْنَ علوَّ همَّةِ نبينا ﷺ للصحابة!! تقول إحداهن: «وأيُّكم يُطيق ما كان يُطيق؟».

◻ وتقول الأخرىٰ: «ما لكم وصلاتِه ﷺ ؟!».

فأيُّ همَّةٍ كانت همَّةَ سيِّد البشر؟! هذا المُترَعُ عَظمةً وعلوَّ همةٍ وسُمُوًّا!!.

ألا إن الذين بَهَرتهم عظمتُه لَمعذورون..

بأبي وأمي رسولُ اللَّه إلىٰ الناسِ في قَيْظ الحياة..

أيُّ سرٍّ توفَّر له فجعَل منه إنسانًا يُشرِّف بني الإنسان..؟.

وبأيَّةِ يدٍ طُولَىٰ، بَسَطها شطْرَ السماء، فإذا كلُّ أبواب رحمتِها، ونِعمتِها وهُداها، مفتوحةٌ علىٰ الرحاب؟.

أيُّ إيمان، وأيُّ عزْم؟ وأيُّ مَضاءٍ؟!

أيُّ صِدق، وأيُّ طُهْر، وأيُّ نقاءٍ..؟!

أيُّ تواضع.. أيُّ حُبٍّ، أيُّ وفاء؟!.

أيُّ احترام للحياة وللأحياء؟!.

ومهما تتبارَىٰ القرائحُ والإلهامُ والأقلامُ متحدثةً عنه، عازفةً أناشيدَ عَظَمَته؛ فستظلُّ جميعًا كأنْ لم تَبْرَحْ مكانها، ولم تحرِّك بالقوْل لسانها..

وله كمالُ الدينِ أعلى همَّةً ... يعلُو ويسمُو أن يُقاسَ بثاني

لَمَّا أضاءَ على البريَّةِ زانَها ... وعلا بها فإذا هو الثَّقَلانِ

فوجدتُ كلَّ الصيْدِ في جَوْف الفِرا ... ولقيتُ كلَّ الناسِ في إنسانِ

ومهما سُطِّرَتِ المجلداتُ في علوِّ همته، فليست غيرَ «بَنان» تومئُ علىٰ استحياءٍ إلىٰ بعض ما فيه.

وعلى تفنُّنِ مادحيـــهِ بوصْفِـــهِ ... يَفنى الزمـــانُ وفيه ما لم يُوصَفِ

فلِعُلُوِّ همته ﷺ في السَّير فهو المُفرَدُ السابق، فلِسَبْقه لم يُوقفْ له علىٰ أثرٍ في الطريق.. والمشمِّرُ بعدَه قد يرىٰ آثارَ نيرانه علىٰ بُعْدٍ عظيم، كما يرىٰ الكواكب، ويَسْتخبرُ ممَّن رآهم: أين رآهم؟ فحالُه كما قيل:

أُسائِلُ عنكم كلَّ غادٍ ورائـحٍ ... وأومي إلى أوطانكم وأُسلِّمُ

◻ ولِلَّه درُّ حسَّانَ حين يصفُ رسولَ اللَّه ﷺ ومَن ربَّاهم الرسول ﷺ من قومه علىٰ عيْنه!! يقول:

لو كانَ في الناسِ سبَّـاقونَ بعـدَهُمُ ... فكلُّ سـبْقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَــعُ

◻ يقول ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨): «انظر إلىٰ همَّة رسول اللَّه ﷺ، حين عُرضت عليه مفاتيحُ كنوز الأرض فأباها، ومعلومٌ أنه لو أخَذها لأنفقها في طاعةِ ربِّه تعالىٰ، فأبتْ له تلكَ الهِمَّةُ العاليةُ أن يتعلَّق منها بشيءٍ مما سوىٰ اللَّه ومَحابِّه، وعُرِض عليه أن يتصرَّف بالمُلْكِ فأباه.. واختار التصرُّفَ بالعبودية المحْضَة.. فلا إلهَ إلاَّ اللَّهُ خالقُ هذه الهمَّة، وخالقُ نفْسٍ تَحمِلها، وخالقُ هِممٍ لا تعدو هممَ أخسِّ الحيوانات!!».

* أعلى الهمم:

همَّةٌ اتصلت بالحق سبحانه وتعالىٰ طلبًا وقصدًا، وأوصلت الخلْقَ إليه دعوةً ونُصحًا، وأعلىٰ الهمة: همَّةُ مَن دعا الثقَلَيْن من الإنسِ والجنِّ إلىٰ اللَّه.. وأوْقَفَ كلَّ نَفَسٍ من أنفاسِه علىٰ هذه الغاية.

وإن كان موسى عليه السلام في مَظهَرِ الجلال، وشريعتُه شريعةُ جلالٍ وقهر، وكان من أعظمِ خَلْق اللَّه هيبةً ووقاراً، وأشدِّهم بأساً وغضباً للَّه، وبَطْشاً بأعداء اللَّه، وكان لا يُستطاع النظرُ إليه.. وعيسى عليه السلام كان في مَظهرِ الجمال، وكانت شريعتُه شريعةَ فضلٍ وإحسان، وكان لا يقاتِلُ ولا يحارب، وليس في شريعته قتالٌ ألبتةَ.. فإن نبيَّنا ﷺ كان في مَظهرِ الكمال، الجامعِ لتلك القوَّة والعدْل والشدَّة في اللَّه، ولهذا اللِّين والرأفةِ والرحمةِ، وشريعتُه أكملُ الشرائع، فهو نبيُّ الكمال، وشريعتهُ شريعةُ الكمال، وأمَّتُه أكملُ الأمم؛ وأحوالُهم ومقاماتُهم أكملُ الأحوال والمقامات، وجعَلَهم خيرَ أمة أُخرجتْ للناس، وكمَّل لهم منَ المحاسن ما فرَّقه في الأُمَمِ قبلَهم، كما كمَّل نبيَّهم ﷺ من المحاسن بما فرَّقه في الأنبياء قبله، وكمَّل كتابَه بالمحاسن التي فرَّقها في الكتب قبلَه، وكذلك في شريعته.

وتفصيلُ تفضيلِ النبي ﷺ وأمته وخصائصِه يستدعي سِفْراً، بل أسفاراً؛ فهم ضنائنُ اللَّهِ، وهم المجتبَوْن الأخيار، وذلك فضل اللَّه يُؤتيه مَن يشاء، واللَّه ذو الفضل العظيم.

*** رأى الناسُ رأْيَ العيْن علوَّ همَّتِه التي لا تدانيها همَّة:**

رأَوا طُهْرَه وعفَّتَه وأمانتَه واستقامتَه وشجاعته.. رأَوا سُموَّه وحَنانه.. رأَوا عقلَه وبيانَه.. رأوا الشمسَ تتألَّق تألُّقَ صِدْقِه وعَظَمةِ نفسه.. سمِعوا نُمُوَّ الحياة يَسري في أوصال الحياة، عندما بدأ رسولُ اللَّه ﷺ يَفيضُ عليها من وحي يومِه وأمسِه.. رأَوا الكمالَ البشريَّ وعلوَّ الهمةِ ملْءَ كلِّ عيْنٍ وأُذنٍ وقلب..

يــروحُ بأرواحِ المحامِـــدِ حُسْنُها فيرقى بها في ســاميــاتِ المفاخـرِ
وإن فُضَّ في الأكوانِ مسْكُ ختامِها تَعطَّـــرَ منها كلُّ نجـــدٍ وغــائــرِ

لقد كان رسولُ اللَّه ﷺ سيدَ الأوَّابين العابدين المتبتِّلين، لم تتخلَّف نفْسُه عن أغراضِ حياتِه العظمىٰ قِيْدَ شعْرة، ولم يُخْلِفْ موعدَه مع اللَّه في عبادةٍ ولا في جهاد.

لقد كانت السِّنونَ الأُولىٰ لرسالته سنواتٍ قلَّما نجدُ لها في تاريخ الثباتِ والصدقِ والعظمةِ نظيراً، وتلك سنواتٌ كشفَتْ أكثرَ مِن سواها عن كلِّ مزايا معلِّم البشريةِ وهاديها!! وتلك سنواتٌ كانت فاتحةَ الكتاب الحيِّ؛ كتابِ حياته وبطولاته، بل كانت ـ قبلَ سواها وأكثرَ من سواها ـ مَهْدَ معجزاته.

لقد جهَرَ رسولُ اللَّه ﷺ ـ وهو الوحيد الأعْزَل ـ بدعوة الحق، وقام بدِينِ اللَّه والدعوةِ إليه ما لم يقُمْ به أحد، وأُوذي في اللَّه ما لم يُؤْذَ أحدٌ قبله، مخلِصًا أمينًا، وهذا لا يَقدِر عليه إلاَّ أولو العزْم من الأبرار والمرسلين.

بلَّغ وبَلَّغ في غيرِ مداراة وفي غير هروب. . واجَهَ الشركَ ورؤوسَه من اللحظةِ الأولىٰ بجوْهر الرسالة ولُباب القضية، من اللحظة الأولىٰ واجههم بكلماتِ التوحيد المُبينة المُسْفِرة، وواجَهَ قومَه بدعوةٍ تتصدَّع مِن هَوْلِ وقْعِها الجبال. . وتخرجُ الكلمات من فؤاده وفمه صادعةً رائعة، كأنما احتشدتْ فيها كلُّ قوىٰ المستقبل وتصميمه. . كأنها قَدَرٌ يُذيع بيانَه.

ولقَّن رسول اللَّه ﷺ قُوىٰ الشرك أولَ دروسِه في أستاذيَّةٍ خارقة،

وتفانٍ عجيب، وكانت صورةُ المشهدِ تملأُ الزمان والمكان، بل والتاريخ، وذوو الضمائر الحيَّة في مكةَ يَطْرَبون ويَعْجَبون من علوِّ همَّته.. رأوا رجلاً شاهقًا عليًّا.. لا يدرون: هل استطال رأسُه إلى السماءِ فلامَسَها.. أم اقتربت السماءُ من رأسه فتوَّجته؟!.

رأوا تفانيًا وصمودًا وعظمةً، ويقينًا ناهضًا فوق مِنَصَّةِ الأُستاذيَّة، يُلقِي على البشرية كلِّها أبلغَ الدروس، ويُلقِّنها أمضى مبادئها.

سَلُوا رجالَ مكة.. وسَلُوا الطائفَ عن سيِّد الرجال.. لقد كانت كلماتُه رجالاً.

أي ولاءٍ هذا الذي يحملُه الرسولُ ﷺ لدعوته!!

فردٌ أعزل.. تواجهُه المكائدُ أينما ولَّى وسار!!

ليسَ هناك من أسبابِ الحياة الدنيا ما يشدُّ أزره، ثم هو يَحمِلُ كلَّ هذا الإصرار، وكلَّ هذا الصمود والولاء!!.

بأبي وأمي رسول اللَّه ﷺ.. مَن ينطلقُ مهمومًا من أجل الدعوة بعد عودته من الطائف فلم يَستفقْ إلا وهو بـ«قرْن الثعالب».. بأبي هو وأمي..

وكيفَ يُسامَى خيرُ من وطئَ الثرى وفي كلِّ باعٍ عن علاهُ قُصورُ!

وكلُّ شريفٍ عندهُ متواضعٌ وكلُّ عظيمِ القريتيْنِ حقيرُ!

نعم..

فلقد سَرَتْ مَسرى النجومِ همومُهُ ومضتْ مُضِيَّ الباتراتِ عزائمُه

نعم..

فاقَ أهلَ المعالي وعَلا مَن علاهَا

● قال رسول اللَّه ﷺ: «مَثَلي في النبيين كَمَثَل رجلٍ بنى داراً، فأحسنَها وأكْمَلَها وأجْمَلَها، وترَكَ فيها موضعَ لَبنة لم يَضَعْها، فجعل الناسُ يطوفون بالبنيان ويَعْجَبون منه، ويقولون: لوْ تَمَّ موضِعُ هذه اللبنة!!.. فأنا في النبيين موضعُ تلك اللَّبِنة»[1].

□ «لقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم علْمَ اليقين أنه جاء الحياةَ الإنسانيةَ ليُغيِّرها، وأنه ليس رسولاً إلىٰ قريشٍ وحدها، ولا إلىٰ العربِ وحدهم.. بل رسولَ اللَّه إلىٰ الناس كافَّة.

وقد فَتح اللَّه ـ سبحانه ـ بصيرتَه علىٰ المدىٰ البعيد الذي ستَبْلُغُه دعوتُه، وتَخفِقُ عنده رايتُه.

ورأىٰ رأيَ اليقينِ مستقبلَ الدينِ الذي بشَّر به.. ورغم ذلك كلِّه، لم يَر في نفسه، ولا في دينه، ولا في نجاحه ـ الذي لن تشهدَ الأرض له مثيلاً ـ أكثر من «لبنةٍ» في البناء..!!.

كلُّ هذه الحياة التي عاشها.. كلُّ جهادِه وبطولاته.. كلُّ عظمتِه وطُهْره.. كلُّ هذا الفوز الذي حقَّقه دينُه في حياته، الفوزُ الذي كان يعلم أنه سيبلغه بعد مماته.. كلُّ ذلك ليس إلاَّ «لبنة»!! لبنةً واحدةً في بناءٍ شاهِق عريق..!!.

وهو الذي يُعلن هذا ويقولُه، ويُصرُّ علىٰ توكيده!! ثم هو لا ينتحلُ بهذا القول تواضعًا، يُغذِّي به جُوعًا إلىٰ العظمة في نفسه، بل هو يؤكِّد هذا الموقفَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن أبيٍّ، وأحمد والبخاري ومسلم عن جابر، وأحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة، وأحمد ومسلم عن أبي سعيد.

باعتباره حقيقةً تشكّل مسؤوليةُ تبليغها وإعلانها جُزءً من جوهر رسالته.

ذلك أن التواضعَ ـ على الرغم من أنه خُلُقٌ من أخلاق الرسولِ ﷺ الأصيلة ـ، لم يكن الدليلَ الذي يدلُّ على عظمتِه ويُشير إليها؛ فإن عظمةَ الرسولِ بَلَغتْ من التفوُّق والأصالة ما جعَلها آيةَ نفسِها، وبرهانَ ذاتِها. . ».

فرْدُ التواضعِ فرْدُ الجُـــودِ مكـرمةً ... فرْدُ الوجــودِ عنِ الأشباه والنُّظَرَا

أعلى العلا في العُلا قدْراً وأمنعُهُمْ ... داراً وجاراً واسمًا في السـماءِ ذُرَا

وإذا كان التوحيدُ هو الغايةَ المطلوبة من جميع مقاماتِ الإيمان والأعمالِ والأحوال، وهو أولُ دعوةِ الرسل وآخرُها، وإذا كان أهلُ التوحيد يتفاوتون في توحيدِهم ـ عِلمًا ومعرفةً وحالاً ـ تفاوتًا لا يُحصيه إلا اللّه ـ فأكملُ الناسِ توحيداً الأنبياءُ صلوات اللّه وسلامه عليهم، والمرسَلون منهم أكملُ في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملُ توحيداً، وأكملُهم توحيداً الخليلانِ محمدٌ وإبراهيم صلوات اللّه وسلامه عليهما؛ فإنهما قاما من التوحيد بما لم يَقُمْ به غيرُهما؛ عِلمًا ومعرفةً وحالاً، ودعوةً للخَلق وجهادًا، فلا توحيدَ أكملُ من الذي قامت به الرسلُ، ودعَوا إليه، وجاهدوا الأممَ عليه؛ ولهذا أمَر اللّه سبحانه نبيَّه ﷺ أن يقتديَ بهم فيه.

ولَمّا فاق رسولُ اللّه ﷺ النبيِّين والمرسَلين، وقام بحقيقةِ التوحيد ـ عِلْمًا وعملاً ودعوةً وجهاداً ـ، جَعَله اللّهُ إمامًا للخَلْق ورسولاً للناسِ كافّةً، بل وللثقلَين من الجنِّ والإنس.

وتوحيده جُعل أعلى توحيدٍ، وخاصّةَ الخاصّةِ، مَن رَغِب عنه فهو من أسفهِ السفهاء.

*** رسولُ اللَّهِ ﷺ أعلى الناسِ همَّةً في جميعِ مقاماتِ الدين:**

وقد كان رسولُ اللَّه ﷺ سيدَ المجاهدين والعابدين، والصابرين والصائمين.. كان أعلىٰ الناس توكُّلاً، وأوفرَ الناس نصيبًا منَ الرضا والحمد، والدعاءِ والشكرِ والتبتُّل، وأعلىٰ الناس يقينًا، وكان أشجعَ الناس، وأرحمَ الناس، وأَشدَّ الناس حياءً، وكان أحسنَ الناسِ خُلُقًا ومروءةً وتواضعًا، وأكثرَ الناسِ مراقبةً لربه، وأعلىٰ الناس خشوعًا، وأَشدَّ الناس عبادةً لربِّه، وكان أطولَ الناس صلاةً.

❑ وكُتبُ الشمائل المحمدية للترمذي وغيره؛ مملوءةٌ بالأحاديث التي تكشفُ عن هذا النور الذي أرسله اللَّه ليضيءَ للبشرية طريقًا.. ﷺ..

خُلُقٌ أرقُّ مِنَ النسيمِ ونفحةٌ تُغني العديمَ وتُنجدُ المجهودَا
وسَريرةٌ مَرْضيَّةٌ وعزيمةٌ عُلويَّةٌ سمتَ السماءَ صُعُودَا
ذا البحرُ عِلْمًا ذا النجومُ طلائعًا ذا الصخرُ حِلْمًا ذا الغَمامةُ جُودَا

❑ ولِلَّه درُّ شوقي حين يقول فيه ﷺ:

وإذا رحمْتَ فأنت أمٌّ أو أبٌ هذانِ في الدنيا همَا الرُّحَمَاءُ

*** رسولُ اللَّه ﷺ أحسنُ الناسِ عطفًا ووُدًّا:**

❑ يقول العقاد: «إذا كان الرجلُ مُحبًّا للناس، أهلاً لحبِّهم إياه، فقد تمَّتْ له أداةُ الصداقةِ من طرَفَيْها.. وإنما تتمُّ له أداةُ الصداقة بمقدارِ ما رُزِق من سَعَة العاطفة الإنسانية، ومِن سلامة الذَّوْق، ومتانةِ الخُلُق، وطبيعةِ الوفاء.. وقد كان محمدٌ ﷺ في هذه الخصالِ جميعًا مَثَلاً عاليًا بين صفوةِ خلْقِ اللَّه.

◘ كان عطوفًا يرأمُ مَن حوْله ويُوَدُّهم ويدومُ لهم علىٰ المودَّة طولَ حياته.. وليس في سجلِّ المودةِ الإنسانية أجملُ ولا أكرمُ من حنانه علىٰ مُرضعته «حليمة»، ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين؛ فيلقاها هاتفًا بها: «أُمِّي، أُمِّي»، ويَفرشُ لها رِداءَه، ويُعطيها من الإبل والشاءِ ما يُغنيها في السَّنة الجَدْباء.

◘ ولقد وفدتْ عليه «هوازنُ» وهي مهزومةٌ في وقعة «حُنين»، وفيها عمٌّ له من الرضاعة؛ لأجل هذا العمِّ من الرضاعة تشفَّع النبيُّ إلىٰ المسلمين أن يردُّوا السَّبي من نساءٍ وأبناء، واشترىٰ السَّبي ممَّن أبَوْا ردَّه إلا بمال.

وحضنتْه في طفولته جاريةٌ عَجماء، فلم يَنْسَ لها مودَّتها بقيَّة حياته.

● وشَغَله أن يَنْعَمَ بالحياة الزوجية ما يشغلُ الأبَ من أمر بناته ورَحِمِه، فقال لأصحابه: «مَن سرَّه أن يتزوَّج امرأةً من أهل الجنة فليتزوَّجْ أمَّ أيمن».. وما زال يُناديها: «يا أُمَّهْ، يا أُمَّه»؛ كلما رآها وتحدَّث إليها، وربما رآها في واقعةِ قتالٍ تدعو اللَّهَ وهي لا تدري كيف تدعو بلكنتها الأعجميَّة، فلا تُنسيه الواقعةُ الحازبةُ أن يُصغيَ إليها ويَعطِفَ عليها.

وقد اتسع عطفُه حتىٰ بَسَطه للأحياء كافَّة، فـ«كان يُصغي للهرَّة الإناءَ فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها»[1] .

وكان يواسي في موتِ طائرٍ يلهو به أخو خادمِه[2] ، ويُوصي المسلمين

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، ورواه أبو داود وابن ماجه والطحاوي، والدارقطني في «الأفراد»، والبيهقي في «السنن»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٣٤).

(٢) «يا أبا عُمير، ما فعلَ النُّغير؟».

بالدوابِّ، وكرَّرَ الوِصايةَ بها.

بل شَمِلَ عطفُه الأحياءَ والجمادَ كأنَّه من الأحياء؛ فكانت له قَصْعَةٌ يُقال لها «الغرَّاء»، وكان له سَيْفٌ مُحلًّى يسمىٰ «ذا الفقار»، وكانت له دِرْعٌ موشَّحةٌ بنُحاسٍ تُسمَّىٰ «ذات الفضول»، وكان له سَرْجٌ يسمَّىٰ «الداج»، وبِساطٌ يسمَّىٰ «الكز»، ورَكْوة تسمَّىٰ «الصادر»، ومِرآةٌ تسمَّىٰ «المدلة»، ومقراضٌ يسمَّىٰ «الجامع»، وقضيب يسمَّىٰ «الممشوق».

وفي تسميته تلك الأشياءَ بالأسماء معنَىٰ الألفة، التي تجعلُها أشبَهَ بالأحياءِ المعروفين، مِمَّن لهم السِّماتُ والعناوين، كأنَّ لها «شخصيةً» مقرَّبةً تُميِّزُها بين مثيلاتها، كما يتميَّز الأحبابُ بالوجوه والملامح والكُنَىٰ والألقاب.

◻ وكان له ﷺ مع هذه العاطفة الجيَّاشةِ والرحمةِ الشاملة: ذَوقٌ سليم يُضارعُها رِفعةً ونُبلاً في رعايةِ شعور الناس أتمَّ رعايةٍ وأدلَّها على الكرَمَ والجود؛ «كان إذا لَقِيه أحدٌ من أصحابه فقام معه؛ قام معه، فلم ينصرفْ حتىٰ يكونَ الرجلُ هو الذي ينصرف عنه، وإذا لَقِيَه أحدٌ من أصحابه فتناول يَدَه، ناوَلَه إيَّاها، فلم يَنزِعْ يَدَه منه حتىٰ يكونَ الرجلُ هو الذي يَنزِعُ منه.. وكان إذا وَدَّع رجلاً أخذ بيده، فلا يَدَعُها حتىٰ يكونَ الرجلُ هو الذي يَدَعُ يده».

◻ «وانظرْ إلىٰ زيد بن حارثة ﵁ الذي خُطِف من أهله وهو صغير، ثم اهتدىٰ إليه أبوه واهتدىٰ هو إلىٰ أبيه على لهْفَةِ الشوقِ بعد يأسٍ طويل، فلما وجب أن يختارَ بين الرَّجْعةِ إلىٰ آله وبين البقاءِ مع رسول اللّٰه ﷺ،

اختار البقاءَ مع السيِّد على الرجْعة مع الوالد»[1] .

□ لقد اعتلى رسولُ اللَّه ﷺ الذِّروةَ الساميةَ في السماحة، بسماحةِ الكريم، وما أحدٌ أرحمَ ممَّن يرحمُ المفتَرين على سُمْعةِ أهلِه وهناءةِ بيتِه وأمانِ سِرْبه.

ولقد كان رسولُ اللَّه ﷺ خيرَ الناس لأهله وزوجاتِه أمهاتِ المؤمنين رضي الله عنهن.

بأبي هو وأمِّي رسول اللَّه ﷺ حين تتسعُ نواحي العظمة، وهو الذي يحملُ همَّ دعوةِ الثقلَيْن إلى اللَّه ـ عز وجل ـ . . لا يَشغلُه شأنٌ عن شأنٍ حتى يسابِقَ زوجاته . . واللَّهِ، هذه فُتوة الرُّوح قبل فُتوةِ الأوصال.

*** الرسولُ ﷺ قُدوةٌ للرجل المهذَّب في كلِّ زمانٍ ومكان:**

لقد كان رسولُ اللَّه ﷺ أسلمَ الناسِ طبْعًا، وأحسَنَ الناس ذوْقًا؛ وهُما الخصلتان اللَّتان كان ﷺ قدوةً فيهما لكلِّ رجلٍ مهذَّبٍ في كلِّ أمةٍ وفي كلِّ زمان؛ فلم يكن يهفُو في حقِّ أحدٍ، ولم يكن أحدٌ يشكو من مَحضَرِه بإنصاف . . وذلك هو مِلاكُ التهذيبِ الكاملِ في أصدقِ معانيه.

وخلاصةُ سَمْتِه وآدابِه أنها سماحةٌ في الأنظار، وسَماحةٌ في القلوب؛ فالسماحة هي الكلمةُ الواحدةُ التي تجمعُ هذه الخصالَ من أطرافها، والسماحةُ هي الصفة التي ترقَّتْ في محمد ﷺ إلى ذِروةِ الكمال.

بأبي وأمي رسول اللَّه ﷺ !! .

ليس للنوع البشريِّ أصلٌ من أصول الفضائل يَرمي إلى مقصدٍ أسمَى

---

(١) «عبقرية محمد» للعقّاد (ص ٩٠ ـ ٩٤) بتصرُّف ـ دار الكتب الحديثة.

وأنبلَ من تقديسِ تلك المناقب، التي كان رسولُ اللَّه ﷺ قدوةً فيها للمقتدين.

أما في الزهد وعزيمةِ الإيمان: فقد كان رسول اللَّه ﷺ في المقام الأول بين الرجال؛ في المقام الأول بخِلقته، وفي المقام الأول بنيَّته، وفي المقام الأول بعَمَله؛ وفي المقام الأول بالقياس إلىٰ المُشْبِهين له في دعوته.

لقد زَهِد رسولُ اللَّه ﷺ شحْذًا للعزيمة، وإعذارًا إلىٰ اللَّه فيما تجرَّد له من إصلاحٍ، لقد كانت هدايةُ الناس إلىٰ اللَّه ـ عز وجل ـ هي جُملةَ أمانيه وغايةُ آمالِه في دار الدنيا.. لقد كان رسول اللَّه ﷺ رجلاً لا كمِثْلِه الرجال..

فمبْلَــغُ العلْمِ فيهِ أنَّهُ بشَــرٌ وأنه خيــرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِـمُ

* **رسول اللَّه ﷺ في التاريخ:**

إن التاريخ كلَّه بعد رسول اللَّه ﷺ متصلٌ به مرهونٌ بعمله.. كان التاريخُ شيئًا فأصبح شيئًا آخر.. لقد كان لعلوِّ همَّته أثرٌ في الأحداثِ العِظام في تاريخ بني الإنسان.. بمِقدارِ ما في هذه الأحداث من فُتوحِ الرُّوح، لا بمِقدارِ ما فيها من فتوح البلدان، لقد تفتَّحت للإنسان آفاقٌ جديدةٌ في عالَم الضمير، ارتفع بها فوقَ طِباق الحيوانِ السائم، ودنا به مرتبةً إلىٰ اللَّه.

لقد كانت فتوحُ رسول اللَّه ﷺ فتوحَ إيمان، وكانت قُوَّته قوةَ إيمان، وما من سِمَةٍ لعمله أوضحُ من هذه السِّمَة.

لقد حكَم التاريخُ لرسول اللَّه ﷺ أنه كان في نفسِه قدوةَ المهذَّبين، وكان في عملِه أعظمَ الرجالِ أثرًا في الدنيا، وكان في عقيدته أفضلَ الناس

إيمانًا، وصاحبَ الدين الحقِّ، الذي يبقىٰ ما بَقِيَ في الأرض دِين.

سيطلُع في الأُفقِ هلالٌ ويَغيب هلال، وتُقبِلُ السَّنَةُ القمريةُ بعد السَّنةِ القمرية بمَعْلَمٍ من معالم السماء، يُومئ إلىٰ بقعةٍ من الأرض هي غارُ يوم الهجرة، ويومئُ إلىٰ يومٍ لرسول اللَّه ﷺ هو أجملُ أيامه؛ لأنه أدلُّ الأيامِ علىٰ عُلوِّ همَّتـه، وأخلصُها لعقيدتـه ورجـاءُ سـريرتـه.. يومَ أن تَرك رسولُ اللَّه وراءَه كلَّ شيءٍ من أجل دينه ودعوته.

إنَّ مِن سَعَةِ نفْسه ﷺ، وآفاقِ نفْسِه الواسعة: أنها شَملت كلَّ ناحيةٍ من نواحي العاطفةِ الإنسانية، وهي المقياسُ الذي يُبدي من العظمةِ ما يُبديه الجِدُّ في أعظمِ الأعمال.. لقد نَهَض رسولُنا ﷺ بأعظمِ الأمور؛ وهو إقامةُ دينِ اللَّهِ وإصلاحُ الثقلَيْن، وتحويلُ مجرىٰ التاريخ، ثم يَطيبُ نَفسًا في مُزاحٍ مع إخوانه أو مع أولاده أو مع عَبيده، فكان المثالَ الفذَّ في كلِّ هذا.. وأريحيَّةً لا تُدانيها أريحية، تدلُّ علىٰ منتهىٰ نقاءِ السريرة في بني الإنسان.

* **عظمةُ العظَماتِ عند رسولنا ﷺ:**

لقد تمَّت لرسول اللَّه ﷺ معجزتُه التي لم يصارعْه فيها أحد قبله.. لقد ربَّىٰ رسول اللَّه ﷺ نُخبةً من ذوي الأقدار تجمعُ بين عظمةِ الحَسَبِ، وعظمةِ الثروة، وعَظَمة الرأي، وعَظَمة الهمة، وكلٌّ منهم ذو شأنٍ في عظمته تقومُ عليه دولة وتَنهضُ به أُمَّة؛ كما أثبت التاريخُ من سِيَر أبي بكر وعمرَ وعثمانَ وعلي، وأبي عُبيدة وسعدٍ والزبيرِ وطلحة، وخالدٍ وأسامةَ وابنِ العاص ﷺ.. وسائر الصحابة الأوَّلِين..

أئمَّـــــةٌ شرَّفَ اللَّهُ الوجـــودَ بهمْ سامُوا العلا فسَمَوْا فوقَ العلا رُتَبَا

ربما عَظُم الرجُل في مَزِيَّةٍ من المزايا، فأحاط به الأصدقاءُ والمُريدون من النابغين في تلك المزيَّة، كإحاطةِ الحكماءِ بسقراطَ.. بل ربَّما أحاط الصالحون بالنبيِّ العظيم كما أحاط الحواريُّون بالمسيح عليه السلام، وكلُّهم من معدنٍ واحدٍ وبيئة واحدة.. أمَّا عظمةُ العظَمات، فهي تلك التي تجذبُ إليها الأصحابَ النابغين في كلِّ معدنٍ وكلِّ طراز، بل تُربِّي الأصحابَ، وتستشفُّ قدراتِ كلِّ منهم، وتؤهِّلُه لإبراز هذه المزيَّة.. تربيةً تُخرج رجالاً يتفاوتون في مزاياهم مثلَ التفاوتِ الذي بين أبي بكر وعمر، وبين عثمانَ وعلي، وبين خالدٍ ومعاذ، وأسامةَ وابنِ العاص؛ كلُّهم عظيم، وكلُّهم مع ذلك مُخالِفٌ في وَصْفِ العظمةِ لسواه.

تلك هي العظمةُ التي اتَّسعت آفاقُها وتعدَّدت نواحيها، حتى أصبحت قُطْبًا جاذبًا لكلِّ معدنٍ، وأصبحت تَجمعُ في تربيتها لأصحابها بين البأس والحِلْم، وحِنْكَةِ المُسِنِّ وحَمِيَّةِ الشباب.

◻ ولله درُّ مَن قال:

يبني الرجالَ وغيرُهُ يبني القُرَى   شتَّانَ بين قُرًى وبين رجالِ

◻ لقد كان رسول الله ﷺ أصفى الناسِ بصيرةً، فاستخرج مكنوناتِ وذخائرَ الصحابة - كلٌّ على قَدْرِه -، صِدْقُ الصِّدِّيق، وحياءُ عثمان، وصراحةُ الفاروق وهيبتُه وشِدَّته، وزُهْدُ عليٍّ، وشجاعةُ الزبير، وأمانةُ أبي عبيدة، وسخاءُ طلحة، وتواضُع أبي ذَرٍّ، وحكمةُ أبي الدرداء، وعِلْمُ معاذ، وإيمانُ عمَّار، وعُلُوُّ هِمة سلْمان، وتبتُّل ابنِ مظعون، وصِدْقُ سعدِ ابنِ معاذ، وصلاحُ وجُودُ ابن الزبير.. وكلُّ خصلةٍ من هذه الخصال خيرٌ من الدنيا وما فيها.

ربَّاهم الرسول ﷺ وهو أدرىٰ الناسِ بالرجال، فظهر منهم الجيلُ القرآني الفريد؛ «ما كان حديثًا يُفترىٰ، ولا فُتُونًا يتردَّد، ذلك الحديث الذي رَوىٰ به التاريخُ أنباءَ أعظمِ ثُلَّةٍ ظَهَرتْ في دنيا العقيدة والإيمان!! فالعظمةُ الباهرةُ لأولئك الرجال الشاهقين من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ليستْ أساطير، وإن بدَت من فرْطِ إعجازها كالأساطير!!!.

إنها عظمةُ ما غَرَسه رسولُ اللَّه ﷺ فيهم لتسموَ وتتألَّق، لا بقَدْرِ ما يريدُ لها الكُتَّابُ والواصفون، بل بقَدْرِ ما أراد لها أصحابُها وذَووها، وبقدْر ما بذَلوا في سبيل التفوق والكمال؛ مِن جَهدٍ خارقٍ مبرور.

ولا يزعم أيُّ إنسان لنفسِهِ القُدرةَ علىٰ تقديم هذه العظمةِ كاملةً.. إذ حَسْبُه أن يُومِئَ إلىٰ علوِّ هِمَّتهم وسماتِ عظمتهم، ويتطلَّعَ إلىٰ سمائها.

لم يشهدِ التاريخُ ـ ولنْ يشهد ـ رجالاً مِثلَ صحابة رسول اللَّه ﷺ، رباهم نبيُّهم ومعلِّمُهم ﷺ علىٰ غاياتٍ تنهاتْ في العدالة والسموِّ، وعقدوا علىٰ ذلك عزْمَهم ونواياهم، ونَذَروا لها حياتَهم علىٰ نسَقٍ تناهىٰ في الجَسارة والتضحية، والبذْل ومكارمِ الأخلاق.

لقد جاء رسولُ اللَّه ﷺ الحياةَ وجاؤوا معه في أوانهم المرْتَقَب، ويومِهم الموعود؛ لقد كان أصحابُ محمدٍ ﷺ ذخائرَ اللَّه من خلْقه، وخيرَ قرونِ هذه الأمة.

كيف أنْجزَ رسولُ اللَّه ﷺ بهم ومعهم ما أنجزه في بِضْع سنين؟! كيف دمدموا علىٰ العالَم بإمبراطوريَّاتِه وصَوْلَجَانه، وحَوَّلوه إلىٰ كثيبٍ مهيل؟!.

كيف شادوا بالقرآن ـ كلماتِ اللَّه ـ عالَمًا جديدًا، يهتزُّ نَضْرةً ويتألقُ

عظمةً ويتفوَّقُ اقتداراً؟!.

وقبل هذا كلِّه، وفوق هذا كلِّه: كيف استطاعوا في مِثْلِ سرعةِ الضوءِ أن يُضيؤوا الضميرَ الإنسانيَّ بحقيقةِ التوحيد، ويكنِسوا منه إلى الأبد وثنية القرون؟!.

تلك هي معجزةُ نبيِّهم ﷺ وكراماتهم الحقَّة.

إن معجزةَ المعجزاتِ تتمثَّل في تلك التربيةِ التي ربَّاهم نبيُّهم ﷺ عليها وصاغ بها فضائلَهم، واعتصموا هُمْ بإيمانهم على نحوٍ يَجِلُّ عن النظير!!.

على أن كلَّ معجزاتِهم التي حقَّقوها، لم تكن سِوى انعكاسٍ متواضعٍ للمعجزة الكبرى التي أهلَّتَ على الدنيا يومَ أَذِن اللَّه لقرآنه الكريم أنه يتنزَّل، ولرسوله الأمين ﷺ أن يُبلِّغ؛ ولموْكبِ الإسلام أن يبدأ على طريقِ النور خُطاه!!.

لقد ربَّى الأمينُ - كلُّ الأمين - ﷺ أولئك الرجالَ الأبرار، لنستقبلَ فيهم أروعَ نماذجِ البشريةِ الفاضلةِ وأبهاها.. ولِنرى تحتَ الأسمالِ المتواضعةِ أسمى ما عرفتِ الدنيا من عظمةٍ ورُشد.. فللَّه درُّهم من كتائبِ حقٍّ طوْتِ العالَمَ بإيمانها، زاحمةً جوَّ السماء براياتها تُعلِنُ للكونِ كلِّه: كمْ كانت همَّةَ مَن ربَّاهم ﷺ عاليةً.. وكم كانت شمائلُه غاليةً.. وكمْ كانت حياتُه ساميةً.. وكم كانت أمانته زاهيةً!!.

بأبي هو وأُمي!! كم علَتْ همتَّه في البَذْل الذي بَذَل، والهَولِ الذي احتمل؛ لتحرير البشرية من وثنية الشركِ والضمير، وضياعِ المصير.. فجزاه اللَّه خيرَ ما جزى نبيًّا عن أُمته.. وجَعَله أعلى النبيين درجة، وأَقربَهم منه وسيلةً، وأعظمَهم عنده جاهًا، وتوفَّانا على ملَّته، وعرَّفَنا

وَجْهَه في رِضوانه والجنة، وحشَرَنا معه غيرَ خزايا ولا نادمين، ولا شاكِّين ولا مبدِّلين ولا مرتابين».

* **السلام عليك أيها النبيُّ ورحمةُ اللَّه وبركاته:**

▫ للإمام ابن القيم ذوقٌ عالٍ، وهو يُبيِّنُ الحكمة في السلام على النبي ﷺ في التشهُّد بصيغة الخطاب، فقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وأمَّا السلام عليه، فأتى بلفظِ الحاضرِ المُخَاطَب تنزيلاً له منزلةَ المُواجَه لحكمةٍ بديعةٍ جدًّا؛ وهي أنَّه لما كان أَحبَّ إلى المؤمن من نفسه التي بيْن جنبيْه، وأَوْلَىٰ به منها، وأقربَ، وكانت حقيقتُه الذِّهنيةُ ومثالُه العِلميُّ موجوداً في قلبه بحيث لا يَغيبُ عنه إلاَّ شخصه كما قال القائل:

مِثــالُك في عَيني وذِكــرُك في فَمي ومَثْــوَاك في قلبــي فأين تغيبُ!

ومَن كان بهذه الحال فهو الحاضرُ حقًّا، وغيرُه ـ وإن كان حاضراً للعيان ـ فهو غائبٌ عن الجَنان، فكان خِطابُه خطابَ المواجهةِ والحضورِ بالسلام عليه أَوْلَىٰ من سلامِ الغَيبة، تنزيلاً له منزلةَ المواجَهِ المعايَنِ لقربه من القلب، وحلوله في جميعِ أجزائه بحيث لا يبقىٰ في القلب جزءٌ إلاَّ ومحبَّته وذِكرُه فيه، كما قيل: «لو شُقَّ عن قلبي يُرىٰ وسطَه ذكرُك»، ولا يُستنكر استيلاءُ المحبوبِ علىٰ قلب المحبِّ وغَلَبتُه عليه حتىٰ كأنه يراه، ولهذا تجدُهم في خطابهم لمحبوبهم إنما يعتمدون خطابَ الحضور والمشاهَدة مع غايةِ البُعد العياني لكمالِ القرب الرُّوحي، فلم يَمْنَعْهم بُعْدُ الأشباحِ عن محادثةِ الأرواح ومخاطبتها، ومَن كَثُفت طباعُه فهو عن هذا كلِّه بمعزل، وإنه لَيَبلغُ الحبُّ ببعضِ أهلِه أن يَرىٰ محبوبَه في القرب إليه بمنزلة رُوحه التي لا شيءَ

أدنى إليه منها كما قيل:

يا مقيمًا مـدى الزمـان بقلبي وبعيداً عن ناظـري وعياني
أنت رُوحي إن كنتُ لستُ أراها فهـيَ أدنى إليَّ من كلِّ داني

وقال آخر:

يا ثاويًا بين الجوانـح والحَشَـا مِنِّي وإنْ بَعُدَتْ عَلَيَّ ديـارهُ

وإنه لَيَلْطُفُ شأنُ المحبَّة حتى يرى أنه أدْنَى إليه وأقربُ من رُوحه، ولي من أبياتٍ تلمُّ بذلك:

وأدْنَى إلى الصَّبِّ مِن نفسِـهِ وإنْ كانَ عن عينـه نـائيا
ومَن كان مع حُبِّـهِ هكـذا فـأنَّى يـكون له سـاليا

ثم يلطُفُ شأنُها ويَقهرُ سلطانُها حتى يغيب المحبُّ بمحبوبهِ عن نفسِه، فلا يشعر إلاَّ بمحبوبه ولا يشعر بنفسه»[1].

*** لا تنقطع عن نبيِّك الكريم ﷺ ولو ثانيةً من الزمان.. وعِش فيه أبداً:**

قال الرافعيُّ - رحمه الله -: «عجيبٌ أن يجهلَ المسلمون حِكمةَ ذِكرِ النبي العظيم ﷺ خمسَ مراتٍ في الأذان كلَّ يومٍ، يُنادَىٰ باسمه الشريف ملءَ الجوِّ؛ ثم حكمةَ ذِكرِه في كلِّ صلاةٍ من الفريضة والسُّنَّة والنافلة، يُهمَس باسمِه الكريم ملءَ النَّفْس! وهل الحكمةُ من ذلك إلاَّ الفرضُ عليهم ألاَّ ينقطعوا من نبيِّهم ولا يومًا واحدًا من التاريخ، ولا جُزْءًا وحِدًا من اليوم، فيمتد الزمنُ مهما امتدَّ والإسلامُ كأنه على أَوَّله، وكأَنَّه في يومِه لا في دَهْرٍ بعيد؛ والمسلمُ كأنه مع نبيِّه بين يديْه تبعثُه رُوح الرسالة، ويَسطعُ في نفسِه

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٩١ - ١٩٢) - مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

إشراقُ النُّبوَّة، فيكونُ دائمًا في أمره كالمُسلِمِ الأوَّل الذي غَيَّر وجه الأرض، ويظهرُ هذا المسلمُ الأولُ بأخلاقه وفضائله وحَمِيَّته في كلِّ بقعةٍ من الدنيا مكانَ إنسانِ هذه البقعة، لا كما نرىٰ اليوم؛ فإن كلَّ أرضٍ إسلاميةٍ يكادُ لا يظهر فيها إلاَّ إنسانُها التاريخيُّ بجهله وخرافاتِه وما وَرِثَ مِن القِدَم؛ فهنا المسلمُ الفرعوني، وفي ناحيةٍ المسلمُ الوثني، وفي بلدٍ المسلمُ المجوسي، وفي جهةٍ المسلمُ المعطَّل.. وما يريدُ الإسلامُ إلا نفسَ المسلمِ الإنساني.

✍ أيها المسلم!.

لا تنقطعْ من نبيِّك العظيم، وعِشْ فيه أبدًا، واجعلْه مَثَلَكَ الأعلَىٰ؛ وحين تذكرُه في كل وقت فكُن كأنك بن يديْه؛ كنْ دائمًا كالمسلم الأول؛ كنْ دائمًا ابنَ المُعْجِزَة..

أُحَيْبابَ قلبي هل سواكم لِعِلَّتي ... طبيبٌ بداءِ الهائمين خَبيرُ؟!
جيوشُ هُدَاكمُ كلُّ لَمْحَةَ ناظرٍ ... على حضنِ قلبي بالغرام تُغيرُ
ودَمْعي غزيرُ السَّكْب في عَرَصاتِكُمْ ... فكيفَ أَكُفُّ الدَّمْعَ وهوَ غـزيرُ!
وإن تباريـحي بكـم وصَبَـابتي ... لَهُـنَّ رَوَاحٌ في الحشا وبُكـورُ
أَحِنُّ إذا غَنَّت حمـائمُ رَوْضِكم ... وينـزعُ قلبـي نحوكم ويَطيـرُ
عَدِمنا على الدنيا وجودَ نَظيرِكُم ... لقدْ قلَّ مَوْجـودٌ وعَـزَّ نظيرُ
وكيف يسامَى خيرُ مَن وطئ الثَّرَى ... وفي كل باعٍ عن عُلاكَ قُصورُ
وكلٌّ شريفٍ عندكم متـواضِـعٌ ... وكُلُّ عظيم القَرْيَتَـين حقيـرُ
إذا ذُكر ارتاحتْ قلـوبٌ لذكركم ... وطابتْ نفوسٌ وانشرَحْنَ صدورُ

* * *

* تَضيقُ بنا الدنيا إذا غبتُمُ عنا:

العيشُ مع محمد ﷺ يَسكُبُ في القلوب الطاهرةِ أجملَ ما يُسكَب.. فأيُّ طمأنينةٍ وأيُّ سكينةٍ يُفيضُها على القلب؟! وأيُّ ثقةٍ في الحق والخيرِ والصلاح؟! وأيُّ قوةٍ واستعلاءٍ على الواقع الصغير يسكبُها في الضمير؟!.

العيشُ مع محمدٍ رسول اللَّه ﷺ وسُنَّته نعمةٌ ترفعُ العمرَ وتُباركه وتُزكِّيه، يَعيشُ المسلمُ هادئَ النفس.. مطمئنَّ السريرة، قريرَ الضمير، في ملاذٍ أمين، ونجوةٍ من الهواجس والوساوسِ والشياطين.. فعِشْ معه ﷺ، وفيه، ولا تَغِبْ عنه طرفةَ عين..

تَضيقُ بنا الدُّنْيَا إذا غِبْتُمُو عَنَّا ... وَتَزهَقُ بالأشواقِ أرواحُنا مِنَّا

بعادكمُ مَـوْتٌ وقُـربُكُـمو حَيَـا ... وإنْ غِبْتُمو عَنَّا ولوْ نَفَسًا مِتْنَا

نعيشُ بذكْراكُمْ إذا لَمْ نَرَاكُمُو ... ألاَ إنَّ تذْكَارَ الأحِبَّةِ يُنْعِشُنَا

يُحرِّكُنَا ذِكْرُ الأحاديثِ عَنْكُمُو ... ولولا هَواكُم في الحَشَا ما تَحرَّكْنَا

ولولا مَعَانيكم تَرَاها قلوبُنَـــا ... إذا نحنُ أيقَاظٌ وفِي الليلِ إنْ نمْنَا

نمُـوتُ أسًى من بُعْدكُم وصَبابَةً ... ولَكنَّ في المعنى مَعَانيكمُو مَعْنَا

إذَا لم تَذُقْ ماذاقت النَّاسُ في الهوَى ... فَبِاللَّه يا خاليَ الحَشَا لا تُعَنِّفْنَا

أما تَنْظُرُ الطَّيْرَ المُقَفَّصَ يا فَتَى ... إذَا ذَكَر الأوطانَ حَنَّ إلى المَغْنَى؟!

وَفَرَّجَ بالتَّغرِيدِ مَا في فُؤادِه ... فَيُقْلِقُ أربابَ القُلوبِ إذا غَنَّى

كذلكَ أرواحُ المُحبِّين يا فَتَى ... تُهَزْهِزُها الأشواقُ لنبيِّنا الأسْنَى

«فسبحان مَن جعَل الرسولَ ﷺ لأدواءِ القلوب شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبديَّةِ والنعيمِ المقيمِ داعيًا، وإلى طريق الرشاد

هاديًا. . لقد أسمع منادي الإيمان ﷺ لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظُ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية، ولكن عَصَفَتْ على القلوب أَهوِيةُ الشبهاتِ والشهوات، فأطفأت مصابيحَها، وتمكَّنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبوابَ رُشدِها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبُها فلم ينفعْ فيها الكلام، وسَكِرت بشهوات الغَيِّ وشبهاتِ الباطل، فلم تُصْغِ إلى الملام، ووُعِظت بمواعظَ أنكى فيها من الأسِنَّة والسِّهام، ولكن ماتت في بحرِ الجهل والغفلة، وأَسْرِ الهوى والشهوة، وما لِجُرحٍ بميت إيلام»[1] .

* * *

(١) «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص٦٨ ـ ٧٠).

رائعة أحمد شوقي أمير الشعراء ـ للَّه دَرُّه ـ

﴿ الهمزية النبوية ﴾ (١)

وُلِدَ الهُدَى فَالكائناتُ ضياءُ ... وَفَمُ الزَّمانِ تبَسُّمٌ وَثَناءُ(٢)

الرُّوحُ وَالمَلأُ المَلائكُ حَوْلَهُ ... للدِّينِ وَالدُّنيا بِهِ بُشَراءُ(٣)

وَالعَرْشُ يَزهُو، وَالحَظيرةُ تَزدَهي ... وَالمُنْتهى، وَالسِّدْرَةُ العَصْمَاءُ(٤)

وَحَديقَةُ الفُرْقانِ ضاحِكَةُ الرُّبا ... بِالتَّرْجُمانِ، شَذِيَّةٌ، غَنَّاءُ(٥)

وَالوَحْيُ يَقطُرُ سَلْسَلاً من سَلْسَلٍ ... وَاللَّوحُ وَالقلَمُ البَديعُ رُواءُ(٦)

نُظِمَتْ أسامِي الرُّسْلِ فَهْيَ صَحيفَةٌ ... في اللَّوْحِ، وَاسْمُ مُحمَّدٍ طُغراءُ(٧)

---

(١) من بحر الكامل (متفاعِلن، متفاعلن، متفاعِلن).

(٢) الهدى: يقصد النبي محمداً ﷺ.

(٣) الروح الأمين: لقب جبريل ـ والملأ: الأشراف. والملائك: الملائكة. وبشراء: جمع بشير.

(٤) يزهو: يشرق. وسدرة المنتهى: اسم أطلقه القرآن على مكان علوي، هو الذي انتهت إليه رحلة المعراج، وهو غيب لا يعلمه إلا اللَّه. والسِّدرة واحدة السِّدر. وهو شجر النبق.. جُعلت السدرة مثلاً لذلك المكان كما جُعلت النخلة مثلاً للمؤمن.

(٥) الرّبا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض. والغَنّاء: مؤنث الأغنّ، وهي من الرياض الكثيرة العشب.

(٦) السَّلسل: الماء العذب السهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه. يعني هنا القرآن الكريم. والرواء: ماء الوجه وحسن المنظر.

(٧) الطغراء: ما يسميه العامة «طرة» وأصلها طغرى بالقصر، وهي التي تكتب بالقلم الغليظ في صدر الأوامر.

اسْمُ الجَلالةِ فِي بَديــــعِ حُروفِه ... أَلِفٌ هُنالِكَ، وَاسْمُ «طه» البَاءُ(١)

يا خَيْرَ مَنْ جاءَ الوجــودَ، تَحيَّةً ... من مُرسَلينَ إلى الهُدى بِكَ جاؤُوا

بَيْتُ النَّــبيِّينَ الَّذي لا يَلْتَــقي ... إلا الحَنـائفُ فيــه والحُنَفـاءُ(٢)

خَيْرُ الأبوَّةِ حازَهُــمْ لَكَ «آدمٌ» ... دُونَ الأنامِ، وأَحْرَزَتْ «حَـوَّاءُ»(٣)

هُمْ أدركوا عِزَّ النُّبُــوَّةِ وَانْتَهَتْ ... فيها إِلَيْكَ العِــزَّةُ القَعْسَـاءُ(٤)

خُلِقَتْ لِبَيْتِكَ، وَهْوَ مَخْلوقٌ لَها ... إنَّ العَظائمَ كُفؤُها العُظَمـاءُ(٥)

بِكَ بَشَّرَ اللَّه السَّــماءَ فَزُيِّنَتْ ... وَتَضوَّعَتْ مِسْكًا بِكَ الغَبْــراءُ(٦)

وَبَدَا مُحَيَّــاكَ الذي قَسَــماتُهُ ... حَقٌّ، وغُرَّتُــه هُدًى وَحَيَــاءُ(٧)

وَعَلَيْهِ مِنْ نُــورِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ ... ومِنَ الخَليلِ وَهَـدْيِـه سِـيماءُ(٨)

أَثْنَى «المسيحُ» عَلَيْهِ خَلْفَ سَمائِه ... وَتَهلَّلَتْ وَاهتَـزَّتِ «العَـذْراءُ»(٩)

---

(١) أي أن ذكر محمد ﷺ مقترن بذكر اللَّه دائمًا في الشهادة، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ورَفَعْنا لكَ ذِكْرَكَ﴾.

(٢) الحنفاء: جمع مفرده الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام، والمؤنث حنيفة، وجمعها حنائف.

(٣) أحرزت: تحصّنت وتصوّنت.

(٤) القعساء: مؤنث الأقعس وهو: المنيع الثابت.

(٥) الكُفْء: المِثْل والنظير من كفأ.

(٦) تضوع المسك: نتشرت رائحته. والغبراء: الأرض.

(٧) القسمة ما بين الوجنتين والأنف، وجمعها قَسَمات.

(٨) الخليل: إبراهيم عليه السلام. والسِّيماء: من سَوم علامة الحسن والبهجة.

(٩) العذراء: السيدة مريم.

يَوْمٌ يَتيهُ عَلَى الزَّمانِ صَبَاحُهُ وَمَسَاؤُهُ «بِمُحمَّد» وَضَّاءُ
الحقُّ عالِي الرُّكْنِ فيه، مُظَفَّرٌ في المُلْكِ، لا يَعلُو عَلَيْه لِواءُ
ذُعِرَتْ عُروشُ الظَّالمينَ، فَزُلزِلَتْ وَعَلَتْ عَلى تيجانِهِمْ أَصْداءُ[1]
وَالنَّارُ خاوِيَةُ الجَوانبِ حَوْلَهُمْ خَمَدَت ذَوائِبُها، وَغَاضَ الماءُ[2]
والآيُ تَتْرَى، وَالخَوارِقُ جَمَّةٌ «جبريلُ» رَوَّاحٌ بِهَا غَدَّاءُ[3]
نِعْمَ اليَتيمُ، بَدَتْ مخايِلُ فَضلِهِ وَاليُتْمُ رِزْقٌ بَعْضُهُ وَذَكاءُ[4]
في المَهْدِ يُسْتَسْقَى الحيا بِرَجائِهِ وَبِقَصْدِهِ تُسْتَدفَعُ البَأساءُ[5]
بِسِوى الأمانَةِ في الصِّبا وَالصِّدْقِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالأُمَناءُ
يا مَنْ لَهُ الأَخْلاقُ ما تَهْوَى العُلا مِنْها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ
لَوْ لَمْ تُقِمْ دِينًا؛ لَقامَتْ وَحْدَها دِينًا تُضيءُ بِنورِهِ الآنَاءُ[6]
زانَتْكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ يُغْرَى بِهِنَّ وَيُولَعُ الكُرَماءُ[7]

---

(١) يقصد إيوان كسرىٰ ملك الفرس، الذي سقطت منه أربع عشرة شرفة يوم مولده ﷺ.

(٢) خمدت النار: سكن لهيبها. والذوائب: جمع ذؤابة، وهي أعلىٰ كل شيء، والمراد بالذوائب هنا ألسنة اللهب. والمراد النار التي كان الفرس يعبدونها، ولم تخمد قبل ذلك. وغاض الماء: نضب وذهب في الأرض، والمراد ماء بحيرة ساوة.

(٣) تترىٰ: تتوالىٰ. ورواح غداء، أي: يروح ويغدو.

(٤) المخيلة: المظنة.

(٥) استسقىٰ الرجل: طلب السقي. والحيا: المطر.

(٦) الآناء: جمع أَنْيٍ، ساعات الليل.

(٧) يُغرىٰ بهن: يحبُّهن الكرماء بدافع ذاتي. والولع: شدة الحب والتعلّق.

أما الجَمالُ؛ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمائه ... وَملاحةُ «الصِّدِّيق» منْكَ أياءُ[1]

وَالحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الوجوه، وَخَيْرُهُ ... ما أوتِيَ القُوّادُ وَالزُّعَماءُ

فَإذا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالجودِ المَدى ... وَفَعَلْتَ ما لا تَفْعَلُ الأنواءُ[2]

وَإذا عفَوْتَ فَقادراً وَمُقَدَّراً ... لا يَسْتَهِينُ بعفْواكَ الجُهَلاء

وإذا رَحِمْتَ فأنتَ أمٌّ أوْ أبٌ ... هذانِ في الدُّنْيا هُما الرُّحَماءُ

وَإذا غَضِبْتَ فإنَّما هيَ غَضْبَةٌ ... في الحقِّ لا ضِغْنٌ ولا بَغْضاءُ[3]

وإذا رَضيتَ فَذاكَ في مَرْضاته ... وَرِضَى الكَثيرِ تَحَلُّمٌ ورِياءُ[4]

وإذا خَطَبْتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ ... تَعْرو النَّدِيَّ، وَلِلْقُلوبِ بُكاءُ[5]

وَإذا قَضَيْتَ فَلا ارْتِيابَ، كَأَنَّما ... جاءَ الخُصومَ مِنَ السَّماءِ قَضاءُ

وَإذا حَمَيْتَ المَاءَ لم يُورَدْ، وَلَوْ ... أنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ

وَإذا أجَرْتَ فأنتَ بَيْتُ اللَّه، لَمْ ... يَدْخُلْ عَليهِ المُستجيرَ عداءُ

وإذا مَلَكْتَ النَّفْسَ قُمْتَ بِبِرِّها ... وَلَوَ انَّ ما مَلَكَتْ يَداكَ الشَّاءُ

وَإذا بَنَيْتَ فخيرُ زَوْجٍ عِشْرَةً ... وَإذا ابْتَنَيْتَ فَدونَكَ الآباءُ[6]

(١) أياء الشمس وآياتها: نورها وحسنها. والصّديق: يوسف عليه السلام.

(٢) النوء: المطر.

(٣) الضغن: الحقد.

(٤) التحلم: تكلف الحلم.

(٥) تعرو: تصيب، والنديّ: النادي.

(٦) بنى بأهله: زُفَّ إليهم. وابتنى: صار له بنون.

وَإذا صَحِبْتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا ... في بُرْدِكَ الأصْحابُ وَالخُلَطاءُ
وَإذا أخَذْتَ العَهْدَ، أوْ أعْطَيْتَه ... فَجَميعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ
وَإذا مَشَيْتَ إلى العدا فَغَضَنْفَرٌ ... وَإذا جَرَيْتَ فإنَّكَ النَّكْباءُ[١]
وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلسَّفيهِ مُدارِيًا ... حَتَّى يَضيقَ بِعِرْضِكَ السُّفَهاءُ
في كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سُطاكَ مَهابَةٌ ... وَلِكُلِّ نَفْسٍ في نَداكَ رَجاءُ[٢]
فَالرَّأيُ لم يُنْضَ المُهَنَّدُ دونَهُ ... كالسَّيفِ لَمْ تُضْرَبْ بِهِ الآراءُ[٣]

* * *

يأيُّها الأمِّيُّ، حَسْبُكَ رُتْبَةً ... في العِلْمِ أنْ دانَتْ بِكَ العُلَماءُ[٤]
الذِّكْرُ آيةُ رَبِّكَ الكُبْرى الَّتي ... فيهَا لِباغي المُعجِزاتِ غَناءُ[٥]
صَدْرُ البَيانِ لَهُ إذا الْتَقَتِ اللُّغَى ... وَتَقَدَّمَ البُلَغاءُ وَالفُصَحاءُ[٦]
نُسِخَتْ بِهِ التَّوْراةُ وَهْيَ وَضيئَةٌ ... وَتَخَلَّفَ الإنجيلُ وَهْوَ ذُكاءُ[٧]
لما تَمشَّى في «الحجاز» حَكيمُهُ ... فُضَّتْ «عُكاظُ» بِهِ، وَقامَ حِراءُ[٨]

(١) غضنفر: أسد. والنكباء: ريح بين ريحين.

(٢) سُطًا: جمع سطوة.

(٣) نضا السيف من غمده: سله. والمهند: السيف المطبوع من حديد.

(٤) دان به: اتخذه دينا.

(٥) الباغي: الطالب. والغناء: ما يغني.

(٦) اللغى: جمع لغة.

(٧) ذكاء: من أسماء الشمس.

(٨) عكاظ: سوق كانت تقام في الجاهلية بين نخلة والطائف، هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا أو شهرًا، تجتمع فيها قبائل العرب فيتفاخرون ويتناشدون الشعر ويتبايعون.

أزْرى بِمَنْطِقِ أهْلِهِ وبَيانِهِمْ ... وَحْيٌ يُقَصِّرُ دُونَهُ البُلَغاءُ[1]

حَسَدُوا، فَقالوا: شاعِرٌ أوْ ساحِرٌ ... وَمِنَ الحَسودِ يَكونُ الاسْتِهْزاءُ

قَدْ نالَ «بِالهادي» الكريمِ وَ«بِالهُدى» ... ما لَمْ تَنَلْ مِنْ سُؤْدُدٍ سَيْناءُ[2]

أمْسى كأنَّكَ مِنْ جَلالِكَ أُمَّةٌ ... وكأنَّهُ مِنْ أُنْسِهِ بَيْداءُ

يوحَى إلَيْكَ الفَوْزُ في ظُلُماتِهِ ... مُتَتابِعًا تُجْلى بِهِ الظَّلْماءُ

دِينٌ يُشَيِّدُ آيَةً في آيَةٍ ... لَبِناتُهُ السُّوراتُ وَالأضْواءُ[3]

الحَقُّ فيهِ هُوَ الأساسُ، وَكيفَ لا ... وَاللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ البَنَّاءُ؟

أمَّا حَدِيثُكَ في العُقولِ فَمَشْرَعٌ ... وَالعلمُ والحِكَمُ الغَوالي المَاءُ[4]

هُوَ صِبغَةُ الفُرْقانِ، نَفْحَةُ قُدْسِهِ ... وَالسِّينُ مِنْ سُوراتِهِ وَالرَّاءُ[5]

جَرَتِ الفَصاحَةُ مِنْ يَنابيعِ النُّهَى ... من دَوْحِهِ، وتفجَّرَ الإنشاءُ[6]

في بَحْرِهِ لِلسَّابِحينَ بِهِ عَلى ... أدَبِ الحَياةِ وَعِلْمِها إرْساءُ

= وقد أبطلها الإسلام. وعكاظ تذكر وتؤنث. حراء: الغار الذي كان يتعبد فيه النبي ﷺ ونزل عليه فيه الوحي.

(١) أزرىٰ به: عابه.

(٢) الهادي: النبي ﷺ والهدىٰ: القرآن. والشرف الذي حظيت به سيناء هو أنها كانت موطن تكليم الله موسىٰ عليه السلام.

(٣) السورات: جمع سورة، وهي القطعة المستقلة من القرآن الكريم.

(٤) مشرع: مورد.

(٥) هو حديث الرسول ﷺ، مصبوغ بصبغة القرآن الكريم. فالصبغة هنا بمعنىٰ الصباغ. والسين والراء إشارة إلىٰ ما فيه من كشف لبعض أسرار القرآن.

(٦) النُّهىٰ: جمع نُهْية وهي العقل. الدوح: الشجر العظيم المتسع.

أَتَتِ الدُّهُورُ عَلَى سُلافَتِهِ، وَلَمْ تَفْنَ السُّلافُ، وَلاَ سَلا النُّدَماءُ[(١)]

***

بِكَ يا ابْنَ عَبْدِاللَّه قامَتْ سَمْحَةٌ بالحَقِّ مِنْ مِلَلِ الهُدَى غَرَّاءُ[(٢)]

بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحيدِ وَهْيَ حقيقةٌ نادَى بِهَا سُقْراطُ وَالقُدَماءُ[(٣)]

وجَدَ الزُّعافَ مِنَ السُّمومِ لأجْلِها كالشَّهْدِ، ثُمَّ تتابَعَ الشُّهَداءُ[(٤)]

وَمَشى عَلَى وَجْهِ الزَّمانِ بِنورِها كُهَّانُ وادي النِّيلِ وَالعُرَفاءُ[(٥)]

إيزِيسُ ذاتُ المُلْكِ حينَ تَوَحَّدَتْ أخذَتْ قِوامَ أمورِها الأشْياءُ[(٦)]

لما دَعَوْتَ النَّاسَ لَبَّى عاقِلٌ وأصمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ[(٧)]

أَبَوُا الخُروجَ إليْكَ مِنْ أوْهامِهِمْ وَالنَّاسُ في أوْهامِهِمْ سُجَناء

ومِنَ العُقولِ جَدَاوِلٌ وَجَلامِدٌ ومِنَ النُّفوسِ حَرَائِرٌ وإمــاءُ[(٨)]

داءُ الجَماعةِ مِنْ أرسطاليسَ لَمْ يُوصَفْ لهُ حَتَّى أتَيْتَ دَواءُ

---

(١) السلاف والسلافة: أفضل الخمر.

(٢) السمحة: الملَّة الميسَّرة.

(٣) يشير إلى أن التوحيد فطرة فطر اللَّه الناس عليها، ووصل إليها العقل السليم بدون وحي.

(٤) يشير إلى تجرع سقراط السم في سبيل مبدئه.

(٥) العراف: المنجِّم، والجمع عرفاء.

(٦) إيزيس: من آلهة المصريين القدماء. وقِوام الشيء: نظامه وعماده.

(٧) أي أن نداء التوحيد أصاب الجاهلين بالصمَّم.

(٨) الجدول: النهر الصغير. والجلمود: الصخر.

فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعبادِ حكُومةً لا سُوقةٌ فيها ولا أمَراءُ
اللّه فَوْقَ الخَلْقِ فيهَا وَحْدَهُ والنّاسِ تَحتَ لِوائِها أكْفاءُ
وَالدِّينُ يُسْرٌ، والخلافةُ بيْعَةٌ وَالأمْرُ شُورَى، والحُقوقُ قَضاءُ
داوَيْتَ مُتَّئِدًا، وَدَاوَوْا طَفْرَةً وأخفُّ مِنْ بَعْضِ الدَّواءِ الدّاءُ(١)
الحرْبُ في حَقٍّ لديْكَ شَرِيعَةٌ ومِنَ السُّمُومِ النَّاقِعاتِ دَواءُ(٢)
وَالبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ، وَفَرِيضَةٌ لا مِنَّةٌ مَمْنُونَةٌ وَجَباءُ(٣)
جاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكاةُ سَبيلَهُ حَتَّى الْتَقى الكُرَماءُ وَالبُخلاءُ
أنْصَفْتَ أهْلَ الفَقْرِ مِنْ أهْلِ الغِنَى فالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَوَاءُ
فَلَوَ إنَّ إنْسانًا تَخيَّرَ مِلَّةً ما اخْتارَ إلا دِينَكَ الفُقَراءُ

* * *

يأَيُّها المُسْرَى بِهِ شَرَفًا إلى ما لا تَنالُ الشَّمْسُ والجَوْزاءُ(٤)
يَتَساءَلونَ ـ وَأنْتَ أطْهَرُ هَيْكَلٍ ـ: بالرُّوحِ أمْ بالهَيْكَلِ الإسْراءُ؟(٥)
بِهِما سَمَوْتَ مُطَهَّرَيْنِ، كِلاهُما نُورٌ وَرَيْحانِيَّةٌ، وَبَهَاءُ

---

(١) متئدًا: متأنيا. وطفر: وثب من أسفل إلى أعلى.

(٢) الناقعات: القاتلات.

(٣) البر: الإحسان. وذمة: عهد، والمنة: العطية، والممنونة: المتبوعة بالمن. والجَباء: الجمع.

(٤) الإسراء: السير ليلا. والجوزاء: بُرج في السماء.

(٥) الهيكل: الجسم والصورة والشخص.

فَضْلٌ عليكَ لذي الجَلالِ ومِنَّةٌ ... واللَّهُ يَفعَلُ ما يَرَى ويَشاءُ
تَغْشى الغُيوبَ مِنَ العَوالِمِ، كلَّما ... طُوِيَت سَماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ[1]
في كُلِّ مِنْطَقَةٍ حَواشي نورِها ... نونٌ، وأنتَ النُّقْطَةُ الزَّهْـراءُ
أنْتَ الجمَالُ بِها، وأنْتَ المُجْتَلى ... والكَفُّ، والمِرآةُ، والحَسْنـاءُ
اللَّه هيَّأ مِنْ حَظيرةِ قُدْسِه ... نُزُلاً لذاتِكَ لَمْ يَجُزْهُ عَـلاءُ
العَرْشُ تَحْتَكَ سُدَّةً وقوائمًا ... ومَناكِبُ الرُّوحِ الأمينِ وِطـاءُ
والرُّسْلُ دُونَ العَرْشِ لم يُؤْذَنْ لَهُمْ ... حاشـا لِغَيْرِكَ مَوْعِدٌ ولِقـاءُ

* * *

الخيلُ تأبَى غَيْرَ «أحمدَ» حامِيًا ... وبِها إذا ذُكِرَ اسْمُهُ خُيَـلاءُ
شَيخُ الفَوارسِ يَعْلَمونَ مَكانَهُ ... إنْ هَيَّجَتْ آسادَها الهَيْجـاءُ[2]
وإذَا تَصدَّى لِلظُّبى فَمُهَنَّدٌ ... أوْ لِلرِّماحِ فَصَعْدَةٌ سَمْـراءُ[3]
وَإذَا رَمى عَنْ قَوْسِهِ فَيَمينُهُ ... قَدَرٌ، ومَـا تَرمِي اليَمينُ قَضـاءُ
مِنْ كُلِّ داعي الحَقِّ هِمَّةُ سَيْفِهِ ... فَلِسَيْفِهِ في الرَّاسِياتِ مَضاءُ[4]
ساقِي الجَريحِ ومُطعِمُ الأسْرَى، ومَنْ ... أمِنَت سَنابِكَ خَيْلِهِ الأشْلاءُ[5]

---

(١) غشي المكان يغشاه: أتاه.

(٢) الهَيْجاء: الحرب. وآسادها: فرسانها.

(٣) الظبى: جمع ظُبة، وهي حد السيف. والصَّعدة: القناة المستوية.

(٤) الراسيات: الجبال. ومضى السيف مضاء: قطع.

(٥) الأشلاء: جمع شلو، وهي أعضاء الإنسان بعد التفرق، أي: أنه لا يمثل بالقتلى.

إنَّ الشَّجاعَةَ في الرِّجالِ غلاظـةٌ ... ما لَمْ تَزِنْها رأفَةٌ وسَـخاءُ[1]

والحَرْبُ مِنْ شرَفِ الشُّعوبِ فإن بَغَوْا ... فَالمَجدُ مما يَدَّعـونَ بَـراءُ

وَالحَرْبُ يَبْعَثُها القَوِيُّ تَجَبُّرًا ... وينوءُ تَحتَ بَلائِها الضُّعَفاءُ

كَمْ مِن غَزاةٍ للرَّسولِ كَريمَـةٍ ... فيهَا رِضًى لِلْحَـقِّ أَوْ إعْلاءُ

كانَتْ لجِنْدِ اللَّهِ فيهَا شِـدَّةٌ ... في إثْرِهـا لِلْعالَمينَ رَخاءُ

ضرَبُوا الضَّلالَةَ ضَرْبَةً ذَهبَتْ بِها ... فَعلى الجَهالَةِ وَالضَّلالِ عفَاءُ

دَعَموا عَلى الحَرْبِ السَّلامَ، وَطالما ... حَقَنَتْ دِمـاءً في الزَّمـانِ دِمَاءُ

* * *

الحَقُّ عِرْضُ اللَّهِ، كُلُّ أبيَّةٍ ... بَيْنَ النُّفوسِ حِمًى لَهُ وَوِقاءُ

هَلْ كانَ حَوْلَ محمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ ... إلاَّ صَبِيٌّ واحِدٌ وَنِساءُ؟

فَدَعا فلَبَّى في القَبائِلِ عُصْبَةٌ ... مُسْتَضْعَفون، قَلائِلٌ، أَنْضاءُ[2]

رَدُّوا بِبَأْسِ العَزْمِ عَنْهُ مِنَ الأذى ... ما لا تَرُدُّ الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ

وَالحَقُّ وَالإيمانُ إنْ صُبَّا عَلى ... بَرَدٍ فَفيهِ كَتيبةٌ خَرْساءُ[3]

نَسَفوا بِناءَ الشِّرْكِ، فَهْوَ خَرائِبٌ ... وَاسْتَأْصَلوا الأصنْامَ، فَهْيَ هَباءُ[4]

---

(١) الغلاظة: الفظاظة والقسوة.

(٢) النِّضو: المهزول من الإبل وغيرها.

(٣) البَرَد: ماء الغمام يتجمد في الهواء. والكتيبة الخرساء: التي لا يُسمع فيها صوت.

(٤) الهباء: الغبار.

يَمْشون تُغْضي الأرْضُ مِنْهُمْ هَيْبَةً ... وَبِهِمْ حِيالَ نَعيمِها إغْضاءُ
حَتَّى إذا فُتِحَتْ لَهُمْ أطْرافُها ... لَمْ يُطْغِهِمْ تَرَفٌ وَلا نَعْماءُ

* * *

يا مَنْ لَهُ عِزُّ الشَّفاعَةِ وَحْدَهُ ... وَهُوَ الْمُنَزَّهُ، ما لَهُ شُفَعاءُ
عَرْشُ القِيامَةِ أنْتَ تَحْتَ لِوائِهِ ... وَالحَوْضُ أنْتَ حِيالَهُ السَّقّاءُ
تَرْوي وَتَسْقي الصّالِحينَ ثَوابَهُمْ ... وَالصّالِحاتُ ذَخائِرٌ وَجَزاءُ
ألْمِثْلِ هَذا ذُقْتَ في الدُّنْيا الطَّوى ... وَانْشَقَّ مِن خَلَقٍ عَلَيْكَ رِداءُ؟[1]
لي في مَديحِكَ يا رَسُولُ عَرائِسٌ ... تُيِّمْنَ فيك، وَشاقَهُنَّ جِلاءُ[2]
هُنَّ الحِسانُ، فَإنْ قَبِلْتَ تَكَرُّمًا ... فَمُهورُهُنَّ شَفاعَةٌ حَسْناءُ
أنْتَ الّذي نَظَمَ الْبَرِيَّةَ دينُهُ ... ماذا يَقولُ وَيَنْظِمُ الشُّعَراءُ؟
الْمُصْلِحونَ أصابِعٌ جُمِعَتْ يَدًا ... هِيَ أنْتَ، بَلْ أنْتَ اليَدُ البَيْضاءُ
ما جِئْتُ بابَكَ مادِحًا، بَلْ داعِيًا ... وَمِنَ الْمَديحِ تَضَرُّعٌ وَدُعاءُ
أدْعُوكَ عَنْ قَوْمي الضِّعافِ لأزْمَةٍ ... في مِثْلِها يُلْقَى عَلَيْكَ رَجاءُ
أدْرى رَسُولُ اللَّهِ أنَّ نُفوسَهُمْ ... رَكِبَتْ هَواها، وَالْقُلوبُ هَواءُ؟
مُتَفَكِّكونَ، فَما تَضُمُّ نُفوسَهُمْ ... ثِقَةٌ، ولا جَمَعَ الْقُلوبَ صَفاءُ

(١) الخَلَق: البِلى.
(٢) العرائس: جمع عَروس، يعني القصائد: وتيَّمهن الحب: ذهب بعقلهن. والجلاء: عرض العروس على زوجها مجلوة. وشاقهن: هاجهن.

رَقَدُوا، وَغَرَّهُمُ نَعِيمٌ باطِــــلٌ ... وَنَعِيمُ قَوْمٍ في القُيُـــودِ بَـــلاءُ
ظَلَمُوا شَرِيعَتَكَ الَّتي نِلْنـــا بِهـا ... ما لَمْ يَنَلْ في رومةَ الفُقَهـــاءُ
مَشَتِ الحَضارَةُ في سَناها، وَاهْتَدى ... في الدِّينِ وَالدُّنيا بِها السُّـــعَداءُ

* * *

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّه ما صَحِبَ الدُّجى ... حادٍ، وَحَنَّتْ بِالفَـلا وَجْنَـــاءُ[1]
وَاسْتَقْبَلَ الرِّضْوانَ في غُرُفاتِهِـــمْ ... بِجِنانِ عَدْنٍ آلُكَ السُّـــمَحـــاءُ
خَيْرُ الوَسائِلِ، مَنْ يَقَعْ مِنْهُمْ عَلى ... سَبَبٍ إِلَيْكَ فَحَسْبِيَ «الزَّهْراءُ»[2، 3]

* * *

(١) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٢) السَّبب: كل شيء يتوصَّل به إلىٰ غيره. والزَّهراء لقب السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ.

(٣) انظر ديوان «الشوقيات» لأحمد شوقي (١٩١ ـ ١٩٨).



إنَّ شانِئَك هُوَ الأَبْتَر

﴿إنَّ شانئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾

❑ شانئو محمد ﷺ وجاحدو نبوَّته على مدارِ التاريخ هم حُثالةٌ من الرَّعاع والأقزام، تطاولوا على قَدْرِ عَلَم الأعلام، وسيِّد الأنام ﷺ، وارتكسوا في الحمأةِ الوبيئة.. فأين هم من نداءِ محمدٍ العُلويِّ الجميل الذي يبارِكُ العُمرَ ويرفعُه ويُزكِّيه؟.

❑ شانئو محمد ﷺ يعيشون في المستنقع الآسِن، وفي الدَّرْك الهابط، وفي الظلام البهيم.. فأين هم من المَرتَعِ الزكيِّ، والنورِ الوَضيء، وذلك المرتقى العالي؟.

❑ شانئو محمد رسول اللَّه الكريم ﷺ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦].

❑ شانئو محمد ﷺ كبارُ المُخادعين.. أغفالٌ يَخدعون البشريَّةَ وأنفُسَهم حين يَصُدُّوها عن هاديها إلى طريقِ الحقِّ ﷺ.. هم داءُ البشريَّة ومَرَضُها، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

❑ شانئو محمد ﷺ موتى القلوب، لا وصفَ لقساوةِ قلوبهم وغلظتِها، وموتها وجفافها، وعتَمتها وظلامها.

* قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

مَن شرح اللَّه صَدْرَه للإسلام ولِهَدْي محمد ﷺ فللَّهِ ما أجملَ انشراحَ

صدرِه، وتفتُّحَه ونداوتَه وبشاشتَه!! ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّه فصدرُه مغلقٌ مطموس، ضيِّق، عنده من كُربةِ الصَّدْر، والرَّهَق المُضني ما ينوءُ به، فالكفرُ انكماشٌ وتحجُّرٌ، وضيقٌ، وشرودٌ، وعُسرٌ، وجَهدٌ، ومشقة.

ومن معاني الرِّجس: العذاب، ومن معانيه: الارتكاس، يرتكسُ في العذاب، ويعودُ إليه ولا يفارقه.

▫ **شانئو محمد ﷺ** هم نَبْتةٌ ضالةٌ شيطانيةٌ، لا وشائجَ لها في تربةِ هذا الوجود ولا جذور، انقطعت صِلَتُهم بخالقِ الوجود بعد كُفرهم برسوله ﷺ، فهو منقطعُ الصِّلةِ بالوجود، لا تربطه به إلاَّ روابطُ هزيلةٌ من وجودِه الفرديِّ المحدود، في أضيق الحدود، في الحدود التي تعيش فيها البهيمة، حدودِ الحِسِّ وما يُدركُه الحسُّ من ظاهرِ هذا الوجود.. والمؤمنون بمحمدٍ ﷺ وبرسالته وثيقو الصِّلةِ بالوجود، وبموكبِ الإيمان الضارب في جذورِ الزمان، الموصول على مدارِ الزمان، فهم في ثراءٍ من الوشائج، وفي ثراءٍ من الروابط، وفي ثراءٍ من «الوجود» الزاخر الممتد اللاحب الذي لا يقفُ عند أعمارِهم المحدودة.

شتَّان بين هؤلاء وهؤلاء!!.

▫ **شانئو محمد ﷺ** عَميت قلوبُهم، وعندهم العمى، كلُّ العمى، وعميت بصائرهم، ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]. ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الرعد: ١٩] عَميتْ قلوبُهم، وعَمُوا عن رؤيةِ دلائل الحقِّ، وعَمُوا عن رؤية حقيقةِ الوجود، وحقيقة الارتباطات فيه، وحقيقةِ القِيَم والأشخاصِ والأحداثِ والأشياء.

قلوبٌ خامدةٌ جامدةٌ قاسيةٌ متبلِّدة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، مَن يعيشون بقلوبٍ ميتةٍ فهم كأهل القبور.. وا عجبًا للناس! يبكون على مَن مات جَسَده، ولا يبكون على من مات قلبه ـ وهو أشدُّ ـ!.

وقلوبُ مُحبِّيه أشرقت فيها الأنوارُ وخَشَعت لذكر اللَّه، أحيى اللَّه بمحمدٍ ﷺ أرضَ هذه القلوب بعد موتها، فنبضت بالحياة، وزَخرت بالنبت والزَّهْر، ومَنَحت الأُكُل والثمار.

❑ شائنو محمد ﷺ في الظلمات حياتُهم ومماتُهم، فعندما يَبعدُ الناسُ عن نورِ الإيمان يَقعُون في شتَّى أنواعِ الظلمات وأشكالها.. ظلماتٌ تعِزُّ فيها الرؤيةُ الصحيحة لشيءٍ من الأشياء، ظلمةُ الجهل، وظُلْمة الكفر، وظُلْمة الظُّلْم، وظُلْمةُ اتباعِ الهوى، وظلمةُ الشك والريب، وظلمة الجحود، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث اللَّهُ به رسوله ﷺ، والنور الذي أنزله معه ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النور، وظلمةُ الشبهات والخرافات، والأساطير والتصوُّرات، وظلمةُ الشهوات والنزعات والاندفاعات في التِّيه، وظلمة الحَيرة والقلق والانقطاع عن الهدى، والوحشةِ من الجَنَاب الآمنِ المأنوس، وظلمةُ اضطراب القيم، وتخلخل الأحكام والقيم والموازين.. فهم أعداءُ النور.

لا يُشرِقُ النورُ أمامَ ثُقلة الطين في كيانهم، وظلمةِ التراب، وكثافةِ اللحم والدم، وعرامةِ الشهوةِ والنزوةِ الخبيثة، لَبْسٌ في الرؤية، وتردُّدٌ في الخُطوةَ، وحَيرةٌ وشرودٌ في الاتجاه، وطريقٌ بهيمٌ لا معالِمَ فيه.

❑ وأمَّا المؤمنون بمحمد ﷺ، فقد عرفوا النورَ من طريقه وصراطِه

وكتابِه، فخالطت بشاشةُ الإيمان وأنوارُه قلوبَهم، يعرفونها ولا يَملِكون بالكلماتِ أن يَنقِلوها إلىٰ الآخَرين الذين لم يَعرِفوها؛ لأنها لا تُنقل بالكلمات، إنما تَسري في القلب فيستروحُها، ويَهَشُّ لها، ويندَىٰ بها، ويَستريحُ إليها، ويستشعرُ الطمأنينة والسلام.

◻ شانئو محمد ﷺ حياتهم هجيرٌ قائظ، وشُواظٌ يَلفحُ قلوبَهم قَبلَ الوجوه، هاجرةُ الكفر وحَرورُه.. تلفحُ قلوبَهم فيه لوافحُ الحَيرة والقلق وعدمِ الاستقرار علىٰ هدف، وعدم الاطمئنان إلىٰ نشأةٍ أو مصير، ثم تنتهي إلىٰ حرِّ جهنم ولفحةِ العَذاب هناك.. ليس أشقىٰ علىٰ وجه الأرضِ منهم وقد حُرِموا طمأنينةَ الأُنسِ باللَّه.. ليس أحدٌ أشقىٰ منهم وهم ينطلقون في هذه الأرض مَبتوري الصِّلة بما حولَهم في الكون؛ لأنهم انفصَموا عن العُروة الوثقىٰ التي تربِطُهم باللَّه، ليس أشقىٰ في الحياة ممَّن يَشُقُّ طريقَه وحيداً شريداً في فلاة، عليه أن يكافحَ وحدَه بلا ناصرٍ ولا هادٍ ولا مُعين.

◻ شانئو محمد ﷺ هم داءُ البشرية.. هم الوسوسةُ والقلقُ والحَيرة، والقلقُ مرضٌ، والحَيرة نَصَب، والوسوسةُ داء، فأين هم من محمدٍ ﷺ رحمةِ اللَّه المهداة، الذي يَصِلُ القلوبَ الطاهرةَ باللَّه، فترضىٰ وتستروحُ الرِّضا من اللَّه، والرِّضا عن الحياة؟!.

◻ شانئو محمدٍ ﷺ كلُّهم هَوَىٰ ودَنَسٌ وطَمَعٌ وحَسَد، ونزعاتُ الشياطين في أنفسٍ لئيمة خبيثة.

◻ شانئو محمدٍ ﷺ حياتهم كلُّها ضَنْك.. ضَنْكُ الانقطاعِ عن الاتِّصال باللَّه، والاطمئنانِ إلىٰ حِماه، ضنكُ الحيرةِ والقلقِ والشكِّ، ضنكُ

الحرصِ والحَذَرِ والحسرةِ على كلٍّ ما يفوت.

❑ شانئو محمد ﷺ مَوْتَى الضمير.. انقطعوا بكُفرهم عن مَصدرِ الحياة الأصيل بتكذيبهم لِمَن أرسله، وانفَصَلوا عن الطريق الواصل.

❑ شانئو محمد سيِّد البشر ﷺ هم الظالمون المُظلِمون.. الفاسدون المُفسدون.. المتَبَجِّحون السفهاءُ الأدعياء.. أفسدوا البشريةَ أشنعَ الفساد، واختلَّت بأيديهم كلُّ الموازينِ والقيم.. يأنفون منَ التسليم للرسول ﷺ ورسالته، ولا يَرْضونه لمقاماتهم العِليَّة!! ينظرون إليه بأَنَفَةٍ وهم السفهاءُ، ومتى عَلِم السَّفيهُ أنه سفيه؟! ومتى استشعر المنحرفُ أنه بعيدٌ عن المَسْلَك القويم؟! عندهم كلُّ اللؤمِ والمكرِ السيِّءِ والضَّعفِ والخسَّةِ والخُبثِ والخداعِ.. غمَّازون لَمَّازون.

❑ شانئو محمد ﷺ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].. وما أبأسَ مَن يستهزئُ به جبَّارُ السمواتِ والأرضِ وما أشقاه!! يَخبطون على غير هُدًى في طريقٍ نَكِدٍ مُظلِم، لا يعرفون غايتَه، وتتلقَّفُهم أيدي الملائكة في نهايته يَضربون وجوهَهم وأدبارَهم.. فهم كالفئران الهزيلة تتواثبُ في الفخِّ، غافلةً عن المقبض المكين.. وهذا هو الاستهزاءُ الرعيب، والمصيرُ الذي تقشعرُّ مِن هَولِه القلوب، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

❑ شانئو محمد ﷺ أعرضوا عن كلٍّ هُدىً، وصَمُّوا آذانَهم عن السماعِ، وعيونَهم عن الرؤية، وعطَّلوا ألسنتَهم، فهم بُكْمٌ، لا رَجعةَ لهم إلى الحق، ولا هدايةَ لهم إلى النور، ولا أَوبَةَ لهم إلى الهدى.

□ **شانئو محمد ﷺ** هم أعداءُ الفطرة . . أعداءُ البشريَّة والحياة.

إنَّ هذه البشريةَ ـ وهي مِن صُنْع اللَّه ـ لا تُفتحُ مغاليقُ فطرتِها إلاَّ بمفاتيحَ من صُنعِ اللَّه، ولا تُعالجُ أمراضُها وعِلَلُها إلاَّ بالدواء الذي يَخرجُ من يـده ـ سبحانه ـ، وقد جَعل في منهج الإسلام الذي أرسل به محمداً ﷺ وحدَه مفاتيحَ كلِّ مُغلق، وشفاءَ كلِّ داء، ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩]، ولكنَّ هذه البشريةَ لا تريدُ أن تَرُدَّ القُفلَ إلىٰ صانعه، ولا أن تَذهبَ بالمريض إلىٰ مُبدِعه، ولا تَسلكَ في أمرِ نفسِها، ولا في أمرِ إنسانيَّتها، وفي أمر سعادتها أو شِقْوَتِها ما تعوَّدت أن تسلكَه في أمرِ الأجهزة والآلات الماديَّة الزهيدة التي تستخدمُها في حاجاتها اليوميَّة الصغيرة.

ومن هنا جاءت الشِّقْوةُ للبشرية الضالَّة . . البشريةِ المسكينة الحائرة، البشريةِ التي لن تجد الهدىٰ، ولن تجدَ الراحة، ولن تجدَ السعادة، إلاَّ حين تَرُدُّ الفطرةَ البشريةَ إلىٰ خالقها الكبير . . وتنحيةُ الإسلام ورسولِه ﷺ عن قيادةِ البشرية نكبةٌ قاصمة، نكبة لم تعرفْ لها البشريةُ نظيراً في كل ما ألَمَّ بها من نكبات . . نكبةٌ فسَدَت بها الأرضُ، وأسِنت الحياة، وتعفَّنت القيادات، وذاقت البشريةُ الويلاتِ من القيادات المتعفِّنة، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

□ **شانئو محمد ﷺ** أعداءُ «السلام»: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ**

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المائدة: ١٥-١٦].

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: ما أدقَّ هذا التعبيرَ وأصدقَه! إنه «السلام»، هو ما يسكبُه محمدٌ ﷺ ودينُه في الحياة كلِّها.. سلامُ الفرد، وسلامُ الجماعة، وسلامُ العالَم.. سلامُ الضمير، وسلامُ العقل، وسلامُ الجوارح.. سلامُ البيت والأسرة، وسلامُ المجتمع والأُمَّة، وسلامُ البشرِ والإنسانية.. السلامُ مع الحياة، والسلامُ مع الكون، والسلامُ مع اللَّهِ ربِّ الكونِ والحياة.. السلامُ الذي لا تجدُه البشرية - ولم تجِدْه يومًا - إلاَّ في هذا الدين؛ وإلاَّ في مَنهجه ونِظامه وشريعتِه، ومجتمعِه الذي يقومُ على عقيدته وشريعته.

ولا يُدرِكُ عُمقَ هذه الحقيقة ومذاقَها المُريحَ كما يُدرِكُها مَن ذاق سُبُلَ الحرب في الجاهليَّات قديمًا، أو الجاهليَّة الصليبية أو اليهودية حديثًا.. لا يُدرِكُ عُمقَ هذه الحقيقةِ كما يدركُها مَن ذاق حَربَ القلقِ الناشيءِ عن عقائدِ الجاهلية في أعماقِ الضمير.. وحربِ القلقِ الناشئِ من شرائع الجاهليةِ وتخبُّطِها في أوضاعِ الحياة، والويلاتِ التي تذوقُها البشرية من كلِّ ألوان الحروب في الضمائر والمجتمعات قرونًا بعد قرون.. وفاءَ مَن سَبَقَ له من ربِّه الحُسنى إلى ظلالِ السلام في الإسلام.. سلام يَرِفُّ في حَنايا السريرة، وسلامٌ يُظَلِّلُ الحياة والمجتمعَ، وسلامٌ في الأرض، وسلامٌ في السماء.

أولَ ما يَفيضُ هذا السلامُ على القلب وينشأُ من اعتقادٍ صحيح عن إلهه وربِّه، فلا يخافُ غيرَه، ولا يَخْشى سواه من كلِّ قوةٍ زائفةٍ زائلة.. ويَفيضُ السلامُ على القلب حين يعلمُ العلاقةَ بين العبدِ وربِّه، وبين الخالق والكون.

العقيدةُ التي تقفُ بصاحبها أمامَ النَبْتَةِ الصغيرة، وهي توحي إليه أنَّ له أجرًا حين يَرويها من عطش، وحين يُعينها على النماء، وحين يُزيلُ من طريقها العقبات: هي عقيدةٌ جميلة ـ فوق أنها عقيدةٌ كريمة ـ، عقيدةٌ تسكبُ في رُوحه السلام؛ وتُطلِقُه يُعانقُ الوجودَ كلَّه، ويُشيعُ مِن حوله الأمنَ والرِّفقَ، والحبَّ والسلام.

□ وعقيدة الإسلامِ في اليوم الآخِر، والعدلِ المطلَقِ والجزاءِ الأوفى عند اللَّه، فلا قلق، ولا سُخْط، ولا قنوط إذا لم يُوفَّ حقَّه في هذه العاجلة بمقاييس الناس، هذا بدلاً من الصِّراع المجنون المحموم الذي تُداسُ فيه الحرماتُ بلا تحرُّجٍ ولا حياءٍ من لصوصِ الصليبيِّين واليهود، لصوصِ المغارات أبناء الحيَّات والأفاعي.

□ وغايةُ الوجود في الإسلام عبادةُ اللَّه في كلِّ لحظةٍ من لحظاتِ حياته، وبكلِّ نَبضٍ في جوارحه، فترفعُه العبادةُ إلى أُفقِها الوضيء، ترفعُ شعورَه وضميرَه، وترفعُ نشاطَه وعملَه، فهو يَعبدُ في كلِّ خُطوة، وهو يحقِّقُ غايةَ وجودِه في كلِّ خَطْرة، وهو يرتقي صُعُدًا إلى اللَّه في كلِّ نشاطٍ وفي كل مجال، وهو يَسمعُ قولَ رسوله ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يُحبُّ مَعَاليَ الأمور وأشرافَها، ويَكرهُ سَفْسَافها**»[1].

فأَولَى به ألاَّ يَغْدِرَ ولا يَفْجُر، وأولى به ألاَّ يَغِشَّ ولا يَخدع، وأَوْلى به ألاَّ يطغى وألاَّ يتجَبَّر، وأَوْلَى به ألاَّ يستخدمَ أداةً مُدنَّسَةً ولا وسيلةً

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وابن عدي، وأبو الشيخ، وأبو نعيم في «الحلية» عن سهل بن سعد، وكذا رواه ابن عساكر وابن النجّار عن سهل، وصححه الألباني.

خسيسة. . وأَوْلىٰ به كذلك ألاَّ يستعجلَ المراحلَ، وألاَّ يتعسَّفَ الطريق

☐ وشعورُ المؤمن بالقضاء والقَدَر، وأنه في طاعةِ اللَّه، لتحقيقِ إرادةِ اللَّه. . وما يَسكُبُه هذا الشعورُ في رُوحِه من الطمأنينة والسلام والاستقرار.

☐ والتكاليفُ التي يفرضُها اللَّه علىٰ عبده كلُّها من الفِطرة، ولتصحيح الفطرة، لا تتجاوزُ الطاقةَ، ولا تتجاهلُ طبيعةَ الإنسانِ وتركيبَه، ولا رُوحَه ولا جسده، تلبِّي حاجةَ الرُّوحِ والجسدِ في يُسرٍ وسماحة.

☐ والمجتمعُ المتوادُّ المتحابُّ المترابطُ المتكافل، هذا المجتمع الذي حقَّقه الإسلامُ في أرقىٰ وأصفىٰ صورةٍ تربِطُه آصِرةُ العقيدة، وتذوبُ فيه الأجناسُ والأوطانُ والألوانُ، فالمؤمنون إخوة.

☐ المجتمعُ الذي بناه رسولُ اللَّه ﷺ لا تشيعُ فيه الفاحشة، ولا يتبجَّحُ فيه الإغراء، ولا تَرُوحُ فيه الفتنة، ولا تلتفتُ الأعيُنُ فيه إلىٰ العَوْرات، ولا ترِفُّ فيه الشهواتُ علىٰ الحرمات، ولا ينطلقُ فيه سُعارُ الجنسِ ولا عرامةُ اللحم والدم، فتأمنُ الزوجةُ علىٰ زوجها، ويأمنُ الزوجُ علىٰ زوجته، ويأمنُ الأولياءُ علىٰ حُرماتهم، ويأمنُ الجميعُ علىٰ أعصابهم وقلوبهم، حيث لا تقعُ العيونُ علىٰ المفاتن، ولا تقودُ العيونُ القلوبَ إلىٰ المحارم، لا رغائبَ مكبوتة، ولا قلقَ للأعصاب، ولا أمراضَ للنفوس، وإنما مجتمعٌ نظيفٌ عفيفٌ آمِنٌ ساكن، تَرِفُّ عليه أجنحةُ السِّلم والطُّهْر والأمان.

☐ وهو المجتمعُ الذي يكفلُ لكلِّ قادرٍ عملاً ورزقًا، ولكلِّ عاجزٍ ضمانةً للعيش الكريم، ولكلِّ راغبٍ في العِفَّة زوجةً صالحةً. . والذي يَعتبِرُ أهلَ كلِّ حيٍّ مسؤولين مسؤوليةً جنائيةً لو مات فيهم جائع، حتىٰ لَيرىٰ

بعضُ فقهاءِ الإسلام تغريمَهمُ الديَةَ.

❑ المجتمع المسلم الذي بناه رسولُ اللَّه ﷺ وأرسىٰ قواعدَه في دنيا الإسلام عَبْرَ التاريخ: مجتمعٌ تُكْفَل فيه حُريَّاتُ الناس وكراماتهم وحُرماتهم وأموالُهم بحكم الشرع الحنيف، بعد كفالتها بالتوجيه الرَّباني المُطاع.. فلا يُؤخذُ واحدٌ فيه بالظِّنَّة، ولا يُتَسَوَّرُ علىٰ أحدٍ بيتُه، ولا يَتجسَّسُ علىٰ أحدٍ فيه متجَسِّسٌ، ولا يَذهبُ فيه دمٌ هَدَرًا، والقِصاصُ حاضر، ولا يَضيعُ فيه علىٰ أحدٍ مالُه سرقةً أوْ نَهْبًا، والحدودُ حاضرة، وعَدلُ اللَّهِ قائم.

❑ مجتمعٌ تَشِيعُ فيه الشورىٰ ويتساوىٰ فيه الناسُ حُكَّامًا ومحكومين أمامَ شرعِ اللَّه - عز وجل -.

❑ لقد أقام النبيُّ ﷺ مجتمعًا لأول مرةٍ في التاريخ لا يُعادلُه عَبْرَ التاريخ أيُّ مجتمعٍ آخَرُ.. وأقامَ ﷺ دولةً كأحسنِ ما تُقامُ الدول، حتىٰ استمرَّ امتدادُها لأكثرَ من ألفٍ وثلاثِمئةِ عام وهي مؤهَّلةٌ للعَودة والاستمرار، كمعجزةٍ باقيةٍ لإنسانٍ واحد، هي في الحقيقة من أعظمِ معجزاته التي غَفَل عنها الغافلون.

* قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى..﴾ الآية [الرعد: ٣١].

لقد صَنع رسولُ اللَّه ﷺ بالقرآن الذي عليه وبسُنَّته المباركة في نفوس المؤمنين به - الذين تلقَّوا هذا الوحيَ العظيمَ وتكيَّفُوا به - أكثرَ من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياءِ الموتىٰ.. لقد صَنَع في هذه النفوس وبهذه النفوس

خوارقَ أضخمَ وأبعدَ آثارًا في أقدارِ الحياة، بل أبعدَ أثرًا في شكل الأرض ذاتِه.. فكم غَيَّر الإسلامُ والمسلمون من وجهِ الأرض، إلى جانبِ ما غيَّروا من وجهِ التاريخ؟!.

لقد سَيَّر رسولُ اللَّه ﷺ بالقرآن ما هو أضخمُ من الجبال، وهو تاريخُ الأمم والأجيال، وقَطَع به ما هو أصلبُ من الأرض، وهو جُمودُ الأفكار، وعَفَنُ الشِّرك والكفر، وأحيى به وبسُنَّته ما أُخمد من الموتى، وهي الشعوبُ التي قَتَل رُوحَها الشِّركُ، وظلمُ الطواغيت، وأوهامُ الأوثان.

إنَّ التحوُّل الذي تَمَّ في نفوسِ العرب والمسلمين وبهم، ونَقَلهم تلك النَّقْلةَ الضخمةَ على يدِ رسول اللَّه ﷺ وما جاء به، فأقام بهم أطهرَ وأعفَّ وأجملَ مجتمعٍ ودولةٍ في التاريخ.. أضخمُ بكثير من تحوُّلِ الجبالِ عن رُسوخها، وتحوُّلِ الأرض عن جُمودها، وتحوُّلِ الموتى عن الموات!.

*** شتانَ ما بين مجتمعِ الإسلام ومجتمع الخوفِ والجريمةِ وحضارة الدَّجال الأعور:**

◻ هذا الطُّهرُ والعفافُ والمَثَلُ الأعلى في دنيا الناس، أين منه حضارةُ الجريمة والخوف، فعلى الخوف ينامُ الغرب، وعليه يصحو، وصَدَق فيه قولُ اللَّه تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: ١١٢].

◻ في تصريح لرئيس الندوة الدولية لمكافحة الجريمة والإرهاب الجنرال «أناتولي كوليكوف»: «إن هناك حوالي (٤٠٠) ألف جريمة تُرتَكب يوميًا

في العالم، وإن الجريمة قد نَمَت خلالَ الأعوامِ الثلاثين الأخيرة حوالي ثماني مرات في الولايات المتحدة الأمريكية، وسَبْعِ مراتٍ في بريطانيا والسويد، وأربع مرات في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، ومرَّتين في اليابان».

وطبقًا لإحصائيات الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية فإنَّ معدلَ الجرائم لديها كان: وقوع جريمة سرقة عادية كلَّ (٣) ثوان، جريمة سَطْو كلَّ (١٤) ثانية، سرقة سيارة كلَّ (٢٥) ثانية، سرقة مقترنة بالعنف كلَّ (٦٠) ثانية، جريمة اغتصاب كلَّ (٦) ثوان، قتل كلَّ (٣١) ثانية.

وتُقدَّرُ كُلْفةُ الجريمة في أمريكا (١٠٥) بلايين دولار، تُنفق في علاج الضحايا، و(٣٥٠) بليون دولار للتعويضات والتأمين، و(١٢٠) مليون دولار تُصرَف على الشرطة، و(٣٥) بليون دولار تُصرف على السجون، وهناك (١٤)مليون متعاطٍ للمخدِّرات.

وتشير إحصائيةُ السجون الأمريكية الصادرة عن وزارةِ العدلِ الأمريكية إلى أنه خلال عام ٢٠٠٣م ازداد عددُ النزلاء في سجون أمريكا (٢٠٣٧٠) نزيلاً عن العام الأسبق، ومع نهاية ٣١ ديسمبر ٢٠٠٣ قُدِّرت نسبة الزيادة في الطاقة الاستيعابية للسجون الأمريكية المحلية بـ (+١٦٪) عن طاقتها التصميمية الاستيعابية، في حين كانت نسبةُ الفَرق في السجون الفدرالية (+٣٩٪) عن طاقتها الاستيعابية، ومع نهاية عام ٢٠٠٣ بلغ عددُ النساء المودَعاتِ السجون (١٠١١٧٩)، نزيلة من مجموع (٦ملايين و٩٠٠ ألف) سجين أمريكي (أي نسبة ٦,٩٪ من عموم النزلاء)، بمعنى أن وجود حوالي ٧ ملايين نزيل أمريكي سجين داخل الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣

يدل على أنَّ مِن بينِ كلِّ (٣٢) مواطنًا أمريكيًّا بالغًا هناك سجين واحد»[١] .

□ وانظر إلى حضارة «الدجَّال الأعور» المادية المزيَّفة التي كَفَرت بمحمدٍ ﷺ رسول السلام. . الذي قال عنه ربُّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦] فرفضوا شرعَه، وسَخِروا منه، واستهزؤوا به، وهو الطُّهْرُ كلُّ الطهرِ يَدُبُّ على الأرض. . والأمنُ معه، فماذا حصَّلوا: «جرائم غسل الأموال المتحصِّلة من الجريمة «المخدِّرات والجريمة المنظمة» تُكَلِّف المجتمعَ الدوليَّ سنويًّا (١٥٠٠) مليار دولار.

كثيرٌ من دُول العالم المتقدِّم صارت نسبةُ الشرطة فيها إلى السُّكان تتراوحُ بين (٥٠٠ إلى ١٠٠٠ عنصر أمن) لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة من السكان»[٢] ومع هذا فشِلوا!!.

□ «عددُ الذين يتعاطَون المخدِّرات في أمريكا (٩٦ ـ ٩٧) مليون نَسمة»[٣] .

□ «ونقل العلاَّمة المودودي عن «دائرة المعارف البريطانية» أنه في الأربعينيات كان (٩٠٪) من الشباب الأمريكي مصابًا بالزُّهري، و(٦٠٪) من الشباب الأمريكي مصابًا بالسَّيلان. .»[٤] .

□ نسبةُ المرضى عقليًّا وعصبيًّا ونفسيًّا في السويد ـ أرقى بلدان العالم ماديًّا ـ (٢٥٪) من سكان السويد، وتُنفِقُ الدولةُ (٣٠٪) من ميزانيتها على

(١ , ٢) مجلة البيان ـ العدد ٢٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ـ مارس ٢٠٠٦م (ص٧٠، ٧١، ٧٣) مقالة «الإجرام العالمي وفشل العقوبات الوضعية» للدكتور أكرم عبدالرزاق المشهداني.

(٣) مجلة المجتمع الكويتية (٥٥٧/ ٣٠).

(٤) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبدالله عزام (ص٢٧ـ٢٨).

علاجهم، ونسبةُ الموظَّفين الذين يَخرُجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يُساوي (٥٠٪) من مجموع المخرَجين.

❑ ويقول (سي. وبيرس): «إن شخصًا من كلِّ ٢٢ شخصًا من سكان نيويورك يجبُ إدخالُه أحَدَ مستشفيات الأمراض العقلية بين آنٍ وآخر».

❑ يوجد (٩٥) مليون مُدمن في أمريكا، ونصفُ حوادثِ السيارات التي تؤدِّي إلى الموت والتي بلغ عددُها (٥٥، ٥٠٠) حالة موت كانت ناتجةً عن سُكر السائق، أو المشاة.

❑ ويقول الدكتور «سيدلي كاي» في كتابه «علم السموم»: «إن الخمر هي السببُ المباشرُ وغيرُ المباشر في (٥٠٪) من مجموع حالات الوفاة التي نفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية «فرجينيا» بالولايات المتحدة».

❑ ولعل أصدق كلمة عن مجتمع الغرب ما قاله الكاتب الإنجليزي «أوسبورن»: «نحن موتى، مكدودون، مضيَّعون، نحن سكِّيرون، مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون»[١].

❑ قال وزير العدل الأمريكي: «وارن بيرجر» في فبراير سنة (١٩٨١): «إن هناك حُكمًا من الإرهاب يسودُ المدنَ الأمريكية»، ثم يتساءل: «أَلَسْنا رهائنَ داخل حدود بلادنا المستنيرة المتحضِّرة»؟!.

❑ ويقول مدير شركة «هوستون» الأمريكية بولاية «تكساس»: «الخوف من الجريمة يهدد تدريجيًا بشللِ الحياة في المجتمعِ الأمريكي.. لقد سَمَحنا لأنفسنا بالتحلُّل والتفسُّخ إلى الحدِّ الذي أصبحنا فيه نعيشُ مثلما

(١) «فوضى العالم» (ص٤٩).

تعيشُ الحيوانات.. فنحن نعيشُ وراءَ قضبانٍ حديدية تحمينا مِن وصولِ اللصوص إلينا، ومجموعةٍ من الأقفال المثبَّتةِ في الأبواب وأجهزة الإنذار، ثم نرقدُ على الفراش، وبجوارنا مسدسٌ محشوٌّ بالرصاص، وبعد هذا نحاولُ أن نَحصلَ على شيءٍ من الراحة.. يا للسخرية!!.

* والانتحار:

تحظى الولاياتُ المتحدةُ بنصيبِ الأسد في عدد المُقدِمين على الانتحار، فقد بلغ عددُهم خلالَ عامٍ واحدٍ ما يقاربُ الرُّبعَ مليون شخص، أيْ بمعدَّل ١٢٠ شخصًا يوميًا، وهذا بدون شكٍّ يفوقُ عددَ جرائمِ القتل التي تقعُ في نفسِ الفترة الزمنية.

□ وأعلى نسبةٍ للانتحار هي في أكثر الدول رُقيًا ماديًا كالسويد وسويسرا.. رخاءٌ ماديٌّ عجيب ثم انتحار!!! يا للعجب العُجاب!!.

وشعب الدانمارك - الذي سَخِرت صُحُفُه من رسول اللَّه ﷺ - هو كشعب السويد مُهدَّدٌ بالانقراض، فالنسلُ في تناقصٍ مطَّرد، بسبب فوضى الاختلاطِ والتبرج.. والجيل الجديد يُدمِنُ المُسكِرات والمخدِّرات ليُعوِّضَ خَواءَ الروح من الإيمان وطمأنينةِ القلب بالعقيدة، والأمراضُ النفسيةُ والعصبيةُ والشذوذُ بأنواعه يفترسُ عشراتِ الآلافِ من النفوس والأرواحِ والأعصاب، وظنك بجرائم الاغتصاب والإجهاض والانتحار.

إنها الشِّقوةُ النَّكِدةُ المكتوبةُ على كلِّ قلبٍ يخلو من بشاشةِ الإيمان وطمأنينةِ الإسلام، فلا يذوقُ طعمَ السِّلم الذي يُدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافةً، ولِينعموا بالأمن والظلِّ والراحةِ والقَرار والسلام.

* ونبي الإسلام ﷺ نبي السلام، وأعدؤاه وشانؤوه أعداءُ السلام في كلِّ زمانٍ ومكان، وما نَشَر النبيُّ ﷺ الإسلامَ بحدِّ السيف، بخلاف أعداء السلام من اليهود والنصارى:

هل انتشر الإسلامُ بالسيف، وهل كان رسول اللَّه ﷺ متعطِّشًا للدماءِ، كما يقول شانؤوه من لصوص المغارات أبناءِ الحيَّات والأفاعي وشياطينِ البشرية وثعالبها وذئابها المتعطشون للدماء الذين يَصدُقُ فيهم قول القائل: «رَمَتْني بدائها وانْسَلَّتْ»!.

● قالوا عنه هذا، وهو القائل يومَ الحديبية: «واللَّه لا تَدْعُوني قريشٌ إلى خُطَّةٍ تُوصَلُ فيها الأرحامُ، وتُعظَّمُ فيها الحرماتُ، إلاَّ أعطيتُها إيَّاها».

● بأبي هو وأمي، أليس هو القائلَ ﷺ: «اغزُوا بسم اللَّه، وفي سبيل اللَّه، وقاتلوا مَن كفر باللَّه، اغزُوا، لا تغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تَقتلوا وليدًا..»[1] !!.

☐ انظروا إلى إشراقِ الرسول ﷺ ورحمتِه وسُمُوِّه حتى نِزاله وضَربه وقتاله.

☐ لقد قال ثعالبُ وذئابُ الغرب عن رسول اللَّه ﷺ: «إنه دمويٌّ، وإنه بربريٌّ، وإنه نَشَر الإسلام بِحَدِّ السيف».

والتاريخُ وسيرةُ الرسول ﷺ يَشهدانِ بكذبِهم ودَجَلهم. تَسوقُ رقم

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن بريدة.

قتلىٰ كلِّ الغزوات التي انتصر بها الإسلامُ علىٰ الشرك والوثنية، وغيَّر بها مَجرىٰ التاريخ. . والتي لا يتعدَّىٰ رقمها ٣٨٦ قتيلاً، هم جملةُ قتلىٰ المشركين وشهداء المسلمين. . لنقارنَه برقم المليونَيْن من الضحايا في الحروب الدينية التي أورد أخبارها الكهنةُ في أسفارِ العهد القديم، وزيادةً في التوثيق، نقدِّم هنا جدولاً بالغزوات الإسلامية التي تمت في العصر النبوي. . وآخَرَ بالحروب التي وَرَدت أخبارُها وأرقامُ ضحاياها في العهد القديم. .

أما فتوحاتُ الإسلام خارجَ إطارِ الشرك الوثنيِّ في شِبه الجزيرة العربية، فلقد كانت جميعُها حروبَ تحريرٍ لشعوبِ الشرق من القَهر الدينيِّ والسياسي والحضاري الذي مارسته قُوىٰ وإمبراطورياتُ الاستعمارِ البِيزنطيِّ والفارسيِّ ضدَّ تلك الشعوب. . ولقد دارت جميعُ معاركِ هذه الفتوحات ضدَّ جيوشِ الاحتلال البيزنطيِّ والفارسيِّ. . ولم تَدُرْ معركةٌ واحدةٌ منها ضدَّ شعوبِ تلك البلاد. . بل لقد حاربَت شعوبُ تلك البلاد - وهي علىٰ دياناتها القديمة - مع العرب المسلمين ضدَّ الرومِ والفرس. . لتحريرِ بلادها. . ولتحريرِ ضميرِها من القهر والاضطهاد.

* * *

غزوات الإسلام التي حدث فيها قتال

رقم	الغــزوة	تاريخها	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	ملاحظات
١	غزوة بدر	٢ هـ	٧٠	١٤	
٢	غزوة السويق	٢ هـ	-	٢	
٣	بعث كعب بن الأشرف	٣ هـ	١	-	
٤	غزوة أحد	٣ هـ	٢٢	٧٠	
٥	غزوة حَمْراءِ الأسد	٣ هـ	١	-	
٦	بعث الرجيع	٣ هـ	-	٧	
٧	بعث بئر معونة	٣ هـ	-	٢٧	
٨	غزوة الخندق	٥ هـ	٣	٦	
٩	غزوة بني قريظة	٥ هـ	-	-	الـ ٦٠٠ الذين قتلوا من بني قريظة لم يقتلوا في الحرب.. وإنما قتلوا قضاء بالتحكيم - الذي ارتضوه - جزاء على خيانتهم.. فلا يحسبون في قتلى المعارك.
١٠	بعث عبدالله بن عَتيك	٥ هـ	١	-	
١١	غزوة ذي قَرَد	٦ هـ	١	٢	
١٢	غزوة بني المصطلق	٦ هـ	-	١	
١٣	غزوة خيبر	٧ هـ	٢	٢٠	
١٤	غزوة وادي القرى	٧ هـ	-	١	
١٥	غزوة مؤتة	٨ هـ	-	١١	
١٦	فتح مكة	٨ هـ	١٧	٣	
١٧	غزوة حنين	٨ هـ	٨٤	٤	
١٨	غزوة الطائف	٨ هـ	-	١٣	
	المجمـوع		٢٠٣	١٨٣	المجموع الكلي من الجانبين ٣٨٦[1]

(١) «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبدالبر - تحقيق د. شوقي ضيف. دار المعارف - القاهرة.

ضحايا حروب العهد القديم

مسلسل	عدد ضحايا غير اليهود	المصدر
١	١٢,٠٠٠ ضحايا عاي	يشوع ٨/ ٢٥
٢	١٠,٠٠٠ من الكنعانيين والفرزيين	قضاة ١/ ٤
٣	١٠,٠٠٠ من موآب	قضاة ٣/ ٢٩
٤	١٢٠,٠٠٠ من مديان	قضاة ٨/ ١٠
٥	١٠٠٠ من شكيم	قضاة ٩/ ٤٩
٦	٣٠ من أشقلون	قضاة ١٤/ ١٩
٧	١٠٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٥/ ١٧
٨	٣٠٠ من الفلسطينيين	قضاة ١٦/ ٢٧
٩	٢٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٤/ ١٤
١٠	٢٠٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول ١٨/ ٢٧
١١	٢٢،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ٥
١٢	١٨،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ٨/ ١٣
١٣	٤٠،٠٠٠ من آرام	صموئيل ثان ١٠/ ١٨
١٤	١٠٠،٠٠٠ من آرام	ملوك أول ٢٠/ ٢٩
١٥	١٠،٠٠٠ من أدوم	ملوك ثان ١٤/ ٧
١٦	١٨٥،٠٠٠ من آشور	ملوك ثان ١٩/ ٣٥
١٧	١،٠٠٠،٠٠٠ من الكوشيين	أخبار الأيام الأول ١٤/ ٩، ١٣
١٨	٥٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ٥
١٩	٧٥،٠٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ١٦
٢٠	٣٠٠ من الفرس	إستير ٩/ ١٥

مجموع الضحايا من غير اليهود ٦٥٠، ٦٣٥، ١

مسلسل	عدد ضحايا اليهود في حروبهم الداخلية أو مع الأجانب	المصدر
٢١	٤٢،٠٠٠ من أفرايم	قضاة ١٢/ ٦
٢٢	٢٢،٠٠٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢١
٢٣	١٨،٠٠٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٢٥
٢٤	٢٥،٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٣٢
٢٥	٣٠ من إسرائيل	قضاة ٢٠/ ٣٩
٢٦	١٨،٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٢
٢٧	٢،٠٠٠ من بنيامين	قضاة ٢٠/ ٤٥
٢٨	٤،٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ٢
٢٩	٣٠،٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول ٤/ ١٠
٣٠	٥٠،٠٧٠ من بيتشمن	صموئيل أول ٦/ ١٩
٣١	٨٥ من الكهنة	صموئيل أول ٢٢/ ١٩
٣٢	٢٠ من عبيد داود	صموئيل أول ٢/ ٣٠
٣٣	٣٦٠ من رجال أبنير	صموئيل أول ٢/ ٣٠
٣٤	٢٠،٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل ثان ١٨/ ٧
٣٥	٤٢ من إخوة أخزيا	صموئيل ثانٍ ١٠/ ١٣
٣٦	٥٠ من الجلعاديين	صموئيل ثانٍ ١٥/ ٢٥
٣٧	١٢٠،٠٠٠ من يهوذا	أخبار الأيام الثاني ٢٨/ ٦
٣٨	٧٠ من إخوة أبيمالك	قضاة ٩/ ٥

مجموع الضحايا من اليهود ٣٥٢،٨٢٧..

والمجموع الكلي للضحايا ـ المحصاة ـ من الجانبين ١،٩٨٨،٤٧٧ قتيلاً![1]

---

(١) «فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي» (ص١٨٩ ـ ١٩١) للدكتور محمد جلاء إدريس ـ طبعة القاهرة.

◘ وهذه النصوصُ التي زوَّروا بها أسفارَهم، واختلقوا التاريخَ هي كما يقول «روبرت كارول» في دراسته عن الحرب في العهد القديم: «نصوصٌ بشرية عِبرية تمثِّل إنتاجًا فكريًّا للمجتمعات القديمة.. ونصوصُ الحرب فيها إنما تنتمي إلىٰ إنتاجاتٍ فكريةٍ لكتاب العهد القديم أكثرَ من كونها أوْصَافًا للحرب التي حدثت في الواقع والتاريخ»[1].

بل إنَّ مأساةَ الكذب ومَلْهاته لَتبلغُ الذِّروةَ عندما نقرأ أرقامَ قتلىٰ هذه الحروب الدينية، التي حَلَم بها «واخترع» لها «واقعًا» هؤلاء الذين كتبوا هذه الأسفار.. فلقد بلغوا بضحايا تلك الحروب المشتهاة أرقامًا ربما فاقت أرقامَ تِعدادِ سُكَّانِ مسرحِ أحداثها عدَّةَ مرات - في ذلك التاريخ القديم -، بلغوا فيها نحو مليونين من الضحايا.. ناهيك عن الضحايا الذين لم يتمَّ إحصاءُ أعدادهم - في زمنٍ كان حالُ الإحصاءِ فيه علىٰ نحوِ ما يعرفُ الجميع -![2].

◘ انظر إلىٰ كذبِ اليهود وجُرأتهم علىٰ اللَّه في أسفارهم، ورُوحُ الانتقام من كلِّ الأغيار عندهم: «إن سمعت عن إحدىٰ مُدُنِك، التي يُعطيك الربُّ إلهُك لتسكنَ فيها، قولاً فضربًا تضربُ سُكَّانَ تلك المدينة بحدِّ السَّيف وتحرِّمها [أي: تدمرها وتبيدها] بكل ما فيها من بهائمها بحدِّ السيف، تجمع كلَّ أمتعتها إلىٰ وسط ساحتها، وتَحرقُ بالنار المدينةَ وكلَّ أمتعتها كاملةً للربِّ إلهِك، فتكونُ تلاً إلىٰ الأبدِ لا تُبنىٰ بعدُ - لكي يرجعَ الربُّ عن حُمُوِّ غضبه ويُعطيك رحمة» سفر التثنية إصحاح ١٣: ١٢، ١٥-١٧.

---

(١) المصدر السابق (ص٧٨).

(٢) انظر «الغرب والإسلام» أين الخطأ وأين الصواب (ص١١٣ - ١١٧) - مكتبة الشروق الدولية.

☐ ويقولون كذبًا: «وحين تقتربُ من مدينةٍ لكي تحاربَها استدعِها إلىٰ الصلح، فإن أجابتك إلىٰ الصلح وفتحت لك، فكلُّ الشعبِ الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعْبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصِرْها، وإذا دفعها الربُّ إلهُك إلىٰ يدك، فاضربْ جَميعَ ذُكورها بحدِّ السيف، أما النساءُ والأطفالُ والبهائم وكلُّ ما في المدينة، كلُّ غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك، هكذا تفعل بجميع المدن، فلا تَستبقِ منها نَسَمةً ما، بل تحرمها [أي تبيدها]».. سفر التثنية. إصحاح: ٢٠: ١٠-١٦.

☐ وانظر إلىٰ سفر التثنية.. إصحاح ٧: ١-٣، ٦، ٧، ١٤-١٦:

«سَبعُ شعوب دفعهم الربُّ إلهُك أمامَك وضربتهم، فإنك تحرِّمهم [أي تبيدهم وتدمرهم].. لا تقطع لهم عهدًا، ولا تُشفق عليهم، ولا تصاهرِهم؛ لأنك شعبٌ مقدَّسٌ للربِّ إلهك.. إياك قد اختار الربُّ إلهُك لتكون له شعبًا أخصَّ من جميع الشعوب التي علىٰ وجه الأرض.. مباركًا تكونُ فوقَ جميع الشعوب لا يكونُ عقيمٌ ولا عاقرٌ فيك ولا في بهائمك، ويردُّ الربُّ عنك كلَّ مرضٍ وكلَّ أدواءِ مصرَ الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلُها علىٰ مبغضيك، وتأكلُ كلَّ الشعوب الذين الربُّ إلهُك يدفعُ إليك.. لا تشفِق عيناك عليهم».

☐ وأفتىٰ الحاخام «العقيد.أ. فيدان زيمبل» في سبعينات القرن العشرين فتوىٰ نشرتها قيادةُ المنطقة الوسطىٰ في الجيش الإسرائيلي - التي تقع الضفَّة الغربية الفلسطينية تحت سُلطتها - يحضُّ فيها علىٰ قتل حتىٰ «المدنيين الطيِّبين من الفلسطينيين» باعتبار ذلك تكليفًا دينيًا، والتزامًا

«بالهالاكاه» ـ الشريعة ـ، وفي هذه الفتوىٰ يقول الحاخام: «في حالة احتكاك قوَّاتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خِلال مطاردة، أو غارة، إذا لم يتوافر دليلٌ بعدم إلحاقهم الأذىٰ بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتىٰ ضرورة للقيام بذلك حسب «الهالاكاه». . بل تحضُّ «الهالاكاه» علىٰ قتل حتىٰ المدنيِّين الطيبين»[1].

تلك هي حقيقةُ الانحرافِ اليهوديِّ نحو الحرب الدينية. . والتراثِ اليهوديِّ الحالِم بإبادة الآخرين، والمشتهِي لإبادةِ كل الأغيار. . والصياغاتِ الفكرية. . والخيالات والأمنيات اليهودية في هذا الميدان.

فالربُّ ـ في هذا التراث ـ هو «رب الجنود» «المحارب» و«الساخط علىٰ كل الأمم» ـ غير اليهود. . شعبِه المختار. . والمقدَّس. . دونَ كلِّ الشعوب وفوق جميع الشعوب ـ، وهو الذي يُبيدُ كلَّ الأمم، ويدفعهم للذبح. . «فقتلاهم تطرح، ووجِيَفُهم تَصعدُ نتانتُها، وتَسيلُ الجبالُ بدمائهم، ويُغنِّي كلُّ جُندِ السماوات للرب الذي امتلأ سيفُه دمًا»!. . وهو قد اختار اليهود «ليأكلوا كل الشعوب أكلاً. . دون أن تُشفِقَ عليهم الأعيُنُ أو أن يقطعوا لهذه الشعوب عهدًا»!.

وهو «تراث وتاريخ» نُنزِّه اللَّهَ سبحانه وتعالىٰ، ونُنزِّه رسولَه موسىٰ عليه السلام، وننزِّه شريعةَ موسىٰ الحقَّةَ عن هذا الذي كتبوه؛ وصَدق اللَّه العظيم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

---

(١) «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود» (ص١٣٤، ١٣٥) لإسرائيل شاحاك ـ ترجمة حسن خضر ـ طبعة القاهرة.

* **الحربُ الدينية في تراث النصرانية:**

◻ ثم نأتي إلىٰ الطرفِ الثاني من غير المسلمين الذي تشدَّقوا كثيراً بالسلام والمسالمة إلىٰ حدِّ القول: «سمعتم أنه قيل عَينٌ بعين وسِنٌّ بسن، أمَّا أنا، فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل مَن لَطَمَك علىٰ خَدِّك الأيمنِ، فحَوِّل له الآخَرَ أيضًا.. ومَن أراد أن يخاصمَك ويأخذَ ثوبَك، فاتركْ له الرِّداءَ أيضًا.. ومَن سَخَّرك مِيلاً واحدًا، فاذهب معه اثنين.. سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك.. وأما أنا، فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وبارِكوا لاعنِيكم، أحسِنوا إلىٰ مُبغضِيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يُسيؤون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات».

إنجيل متىٰ. إصحاح ٥: ٣٨-٤١، ٤٣-٤٥

◻ ولكنَّ الواقعَ والتاريخَ خيرُ شاهدٍ بكذِبهم، فهم وحوشٌ ضاريةٌ حتىٰ مع بني ديانتهم:

لقد مارست كنيسةُ النصرانية الغربية، ومعها الدولةُ الرومانية والبيزنطية - بعد تديُّنِ هذه الدولة بالنصرانية -، مارستا حَربًا من الاضطهاد البشع ضدَّ النصرانية الشرقية - والمصرية منها علىٰ وجه الخصوص -، حتىٰ لقد اعتبر النصارىٰ المصريُّون هزيمةَ الدولةِ البيزنطية أمامَ الفتحِ الإسلاميِّ عقابًا إلهيًّا لهذه الدولة وكنيستها علىٰ الاضطهاد الذي مارسوه ضدَّ نصارىٰ مصر، عندما أصبحوا - في هذا الاضطهاد الدينيِّ والحضاريِّ - طعامًا للنار والأُسود وأسماك البحار!.. وصُبَّتْ عليهم كلُّ ألوانِ التعذيب!.. فكتب «ميخائيل السرياني» يقول: «لم يسمح الإمبراطورُ لكنيستنا «المونوفيزتية» - [أي القائلة بالطبيعة لواحدة للمسيح] - بالظهور، ولم يُصْغِ إلىٰ شكاوىٰ

الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نُهبت، ولهذا فقد انتقم الربُّ منه.. لقد نَهب الرومانُ الأشرارُ كنائسَنا وأَدْيِرَتَنا بقسوةٍ بالغة، واتهمونا دونَ شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناءُ إسماعيل ـ [أي العرب المسلمون] ـ لينقذونا من أيدي الرومان، وتَركَنا العربُ نمارسُ عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»(١).

فبسبب اختلاف المذهب، وقفت الكنيسةُ الرومانية مع دولتها الاستعمارية، ومارست القَهْرَ الديني والحضاري للنصارىٰ الشرقيين.

▫ كذلك شَنَّت الكنيسةُ الغربيةُ ضدَّ الشرق الإسلامي حربًا صليبية «مقدسة» استمرت حملاتُها قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م]، وأشركت فيها الملوكَ وأمراءَ الإقطاع والرَّعاعَ من سائر أنحاء أوروبا ـ حتىٰ كأنها أولىٰ الحروب العالمية التي مارسها الغرب ضد الشرق! ـ، وفي هذه الحرب الصليبية استَخدمت الكنيسةُ الدينَ لتحقيق المقاصدِ الاستعمارية، ولإعادةِ اختطافِ الشرقِ من التحرير الإسلامي الذي أنقذ الشرقَ ونصرانيتَه من إبادةِ الاضطهاد «الإغريقي ـ الروماني» الذي دام عشَرةَ قرون ـ من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق.م] في القرن الرابع قبل الميلاد، إلىٰ الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد ـ.

▫ إنها حربٌ قادتها الكنيسةُ، وأعلنها البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] عندما خاطب فِرسانَ الإقطاع الأوروبيين سنة ١٠٩٥م في «كلير مونت» بجنوبي فرنسا ـ قائلاً: «يا مَن كنتم لصوصًا، كونوا اليوم

---

(١) «تاريخ مصر في العصر البيزنطي» (ص٦٢) للدكتور صبري أبو الخير سليم.

جنودًا! لقد آن الزمانُ الذي فيه تُحوِّلون ضدَّ الإسلام تلك الإسلحةَ التي أنتم لِحَدِّ الآنَ تستخدمونها بعضُكم ضدَّ بعض.. فالحربُ المقدَّسةُ المعتمَدةُ الآن هي في حقِّ اللَّه عينه.. وليست هي لاكتسابِ مدينةٍ واحدة.. بل هي أقاليمُ آسيا بجُملتها، مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء.

فاتخذوا مَحَجَّةَ القبر المقدس، وخلِّصوا الأراضي المقدسةَ من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض ـ حسب ألفاظ التوراة ـ تَفيضُ لبنًا وعسلاً.. ومدينة «أورشليم» هي قطبُ الأرض المذكورة، والأمكنةِ المخصبةِ المشابهةِ فردوسًا سماويًّا.

اذهبوا وحارِبوا البربر ـ يقصد المسلمين! ـ لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم.. امضُوا مُتَسَلِّحِين بسيفِ مفاتحي البطرسية ـ أي: مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا! ـ، واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية، فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالمُلكُ الشرقيُّ يكون لكم قَسْمًا وميراثًا.

وهذا هو الحينُ الذي فيه أنتم تَفْدُون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا.. ومن حيث إنكم صبغتم أيديَكم بالدم ظلمًا، فاغسلوها بدمِ غير المؤمنين»[1].

فهي حرب «دينية ـ استعمارية»، يذهبُ إليها فِرسانُ الإقطاع الأوروبيون، اللصوص المصطبغةُ أيديهم بدماءِ المظلومين، ليغسلوا أيديَهم

---

(١) «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب» لمكسيموس مونروند (١/ ٤١٣) ترجمة مكسيموس مظلوم.

بدماء المسلمين!!.. وهم في حَملاتهم الصليبية المقدسة هذه، يحملون مفاتيحَ الجنة ـ المفاتيح البطرسية التي صنعها لهم البابا الذهبي «أوربان الثاني» ـ ليفتدوا أنفسهم من كثرةِ الاغتصابات التي مارسوها عدوانًا.. وأيضًا ليتملَّكوا ويرِثوا ـ بهذه الحرب «المقدسة» ـ التي هي «في حق اللَّه عينه» ـ أي في سبيل الذات الإلهية!!! حسب تعبير الباب ـ كلَّ أقاليم آسيا ذات الخزائن الغنية التي تفوق الإحصاء، والتي تَفيضُ لبنًا وعسلاً!!.. والتي تُشابهُ في الخصوبة فردوسًا سماويًّا!!.

هكذا تحولت المقاصدُ الدينيةُ المقدسةُ إلى سُبُلٍ وآلياتٍ وطاقاتِ شَحنٍ لتحقيق الاستعمار والنهب والاستغلال.. وأصبحت الآخرةُ في خدمة لصوص الدنيا.. وحملت الأيدي المخضَّبةُ بدماء المظلومين مفاتيحَ الفردوس الإلهي الأعلى!.

وفي موقعة احتلال الصليبيين لمدينة القدس وحدَها سنة ١٠٩٩م تمت مَجزرةُ الإبادة الكاملة لسكَّانها المسلمين ـ ومعهم اليهود ـ بالقتل والذبح والإحراق.. ونحن ننقلُ عن شهودِ العِيان النصارى، الذين حَفِظت لنا مشاهداتِهم المصادرُ النصرانية، لمحةً من لمحات هذه الحرب الدينية النصرانية على الإسلام والمسلمين.

☐ تقول هذه الشهادات ـ في كتاب «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق، المدعوة حرب الصليب»: «إن ديوانَ المشورة العسكرية الْتَيَم ـ أي: اجتمع ـ وقَطَع حُكمًا مرهبًا، هو: أن يُمات كلُّ مسلمٍ باقٍ داخلَ المدينة المقدسة.. وهذا الحُكم المَهيل قد تَباشَرَ بالعمل.. ودامت هذه الملحمة مدةَ سبَّب ـ أي: سبعة أيام ـ كاملة»!!.

وحتى الذين هَربوا واحتمَوا بالمسجد ـ مسجد عمر بن الخطاب ـ «قبة الصخرة» ـ ذبحهم الصليبيون في المسجد.. وبعبارة شهود العيان: «.. على أنه باطلاً ـ أي: عبثًا ـ كان الإسلامُ ـ أي: المسلمون ـ في «أورشليم» يجدُّون مفتِّشين عن مَهْرَبٍ يحمُون به حياتَهم.. فعددٌ كليٌّ منهم قد هربوا إلى جامع عمر ظانين أنهم هناك يحمُون ذواتَهم من الموت، ولكنَّ ظنَّهم خاب، إذ إن الصليبيين ـ خيَّالةً ومُشاةً ـ قد دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحدِّ السيف كلَّ الموجودين هناك.. حتى استوعب الجامعُ من الدم بحراً متموِّجًا، علا إلى حدِّ الرُّكَب، بل إلى لُجُم الخيل.. وذلك مما فَتكت به سيوفُ الجيوش الصليبية أرقابَ ـ أي: رقاب ـ الإسلام ـ أي: المسلمين ـ..»[1].

❏ وبعد أن «كَلَّت أيدي الصليبيين من سفك الدماء»!! ـ كما يقول مؤلف هذا الكتاب رجل الدين النصراني «مكسيموس مونروند» ـ: «ذهبوا إلى كنيسة القيامة ـ التي حرَّرها عمر بن الخطاب، وتحرَّج أن يُصلِّيَ فيها، كي تظلَّ خالصةً للنصرانية والنصارى ـ ذهب الصليبيون إلى كنيسةِ القيامة، وهم سُكارى، يرددون الصلوات، وأيديهم غارقةٌ في دماء المسلمين الذين ذبحوهم في مسجد عمر بن الخطاب»!!.. وبعبارة شهود العيان النصارى: «.. ولما حَلَّ المساء، اندفع الصليبيون يبكون من فَرْطِ الضحك ـ!! ـ بعد أن أتوا على نبيذ المَعَاصر ـ!! ـ إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفَّهم الغارقة في الدماء على جُدرانها، ورددوا الصلوات..»!!.

ثم كتبوا إلى البابا الذهبي «أوربان الثاني»، الذي صَنع لهم مفاتيح

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٢، ١٧٣).

الجنة لقاءَ هذا الذي صنعوا بالإسلام والمسلمين. . فقالوا: «يا ليتك كنتَ معنا لتشهدَ خيولَنا وهي تَسبحُ في دماء الكفار ـ أي: المسلمين ـ. »!!.

وإذا كانت هذه شهادةً نصرانيةً قديمة، توكِّدُ على توسُّلِ الكنيسةِ الغربية بالدين لإعادة اختطافِ الشرق من الإسلام، لِنَهْبِ ثرواته. . فإن شهادةً نصرانيةً معاصرةً تؤكِّدُ ـ هي الأخرىٰ ـ علىٰ الطابعِ الديني لهذه الحرب الصليبية ـ التي دامت قرنين ضدَّ الإسلام ـ وفي هذه الشهادة المعاصرة يقول الدكتور «جاك تاجر»: «إن ضخامةَ الوسائل التي أعدها الصليبيون، وتعدُّدَ هجماتهم، تدل بلا شك علىٰ أن الحروبَ الصليبيةَ كانت محاولةً لمحو نفوذِ الإسلام في الشرق، فقد شُنَّت هذه الحرب أولَ ما شُنَّت لانتزاعِ حمايةِ القبرِ المقدَّس من الخلفاء، ولكنها ما لَبِثَتْ أن تحوَّلت إلىٰ قتالٍ عامٍّ بين جيوش الإسلام وجيوشِ المسيحية، أي: بين الشرق المسلم والغرب المسيحي»[1].

* وصفحةٌ أخرىٰ ـ دامية ـ من صفحات الحروب الدينية للكنيسة الغربية، تلك التي تمثَّلت في نَشْرِ النصرانية بحدِّ السيف، وإبادةِ كلِّ مَن لم يتدينْ بدينِ المَلِكِ أو الأمير الذي اعتنق النصرانية!. .

□ فالملك «شارلمان» [٧٤٢ ـ ٨١٤م] فَرَضَ النصرانيةَ علىٰ السكسونيين بحد السيف!. .

□ وفي الدنمارك، استأصل الملك «كنوت ـ Cnut» [٩٩٥ ـ ١٠٣٥م] الدياناتِ غيرَ المسيحيةِ من بلادِه بالقوة والإرهاب!.

---

(١) «أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلىٰ سنة ١٩٢٢» للدكتور جاك تاجر ـ أصدرها أقباط المهجر ـ مدينة جرسي بأمريكا سنة ١٩٨٤.

◘ وفي روسيا، فَرَض الأمير «فلاديمير ـ Vladimir» [٩٨٠ ـ ١٠١٥م] المسيحية الأرثوذكسية على كلِّ الروس غداةَ اعتناقه لها سنة ٩٨٨م!.

◘ وفي الجبل الأسود، ذبح «دانيال بيتروفيتش ـ D.Petrovich» غيرَ المسيحيين ـ بمن فيهم المسلمون ـ ليلةَ عيدِ الميلاد سنة ١٧٠٣م!.

◘ وفي المجر أرغم الملك «شارل روبرت» [١٣١٦ ـ ١٣٧٨م] غيرَ المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد سنة ١٣٤٠م!.

◘ وفي إسبانيا ـ قبل الفتح الإسلامي لها ـ أقسم الملوكُ على التنفيذ بالقوة لقرار «المجمع الكنسي السادس» ـ في «طُلَيطلة» ـ تحريم كل المذاهب المخالفة للمذهب الكاثوليكي!..

* أما الحروبُ الدينية التي قادتها وخاضتها الكنائسُ الغربية بعضُها ضدَّ البعض الآخر ـ أي في داخل النصرانية، وبين أتباعِ مذاهبها، التي أصبح لكلِّ مذهبٍ فيها «قانونٌ للإيمان» يحتكرُ الخَلاصَ لأبناء المذهب دون سواهم ـ هذه الحروب التي اشتَعلت لإبادة المخالِفين في المذهب، أو إكراهِهم على تغييرِ عقيدتهم.. فإنها شهيرة، حتى لقد مَثَّلت «عصراً» من عصور الحضارة الغربية!.. وهي قد امتدَّت أكثرَ من قرنين، بين الكاثوليك وبين البروتستانت.. واشتُهر منها إحدى عشرة حربًا ـ [١٥٦٢ ـ ١٥٦٣م] و[١٥٦٧ ـ ١٥٦٨م] و[١٥٦٩ ـ ١٥٧٠م] و[١٥٧٢ ـ ١٥٧٣م] و[١٥٧٤ ـ ١٥٧٦م] و[١٥٧٦ ـ ١٥٧٧م] و[١٥٨٠م] و[١٥٨٥ ـ ١٥٩٤م] و[١٥٨٦م] و[١٦٢١م] و[١٦٢٥ ـ ١٦٢٩م]..

ولقد ذهب ضحيةً لهذه الحروب ٤٠٪ من سكان وسط أوروبا..

ووفق إحصاء «ڤولتيرا» [١٦٩٤-١٧٧٨م] عشرة ملايين إنسان!..

وذلك غيرُ حربِ الكنيسة اللاتينية الغربية ضدَّ كنيسةِ «أياصوفيا» اليونانية ـ بالقسطنطينية ـ [١٢٠٢ ـ ١٢٠٤م]، والتي تم فيها التدميرُ والاحتلالُ والسَّلبُ والنهب للملكة القسطنطينية بأسرها![1] .

◻ أما صفحةُ الحربِ الدينية التي أعلنتها وخاضتها الكنائسُ الغربية، باسم «محاكم التفتيش» عندما أعلنت أن «خلاص» المخالفين إنما يتحقق «بتخليصهم من الحياة»!، بعد صَبِّ صنوف العذاب عليهم!!.. فلقد دامت هذه الحربُ البشعةُ من عهد البابا «إنوسنت الثالث» [١١٩٨ ـ ١٢١٦م] ـ في القرن الثالث عشر الميلادي ـ حتى القرن السابع عشر!!.. وغَطَّت جميعَ ممالكِ وإماراتِ النصرانية الغربية.. وذهب ضحيَّتها ملايينُ الضحايا، الذين حكمت عليهم الكنيسةُ «بالخلاص: الذي يخلِّصُهم من الحياة» بالإغراق ـ أو الإحراق.. أو الإعدام على الخازوق ـ الذي استمر عقوبةً للمخالفين ثلاثة قرون!!..[2] .

◻ أما أحدثُ صفحاتِ وموجاتِ هذه الحروب الدينية الغربية ضد الإسلام وأُمَّته وعالَمِه، فهي تلك التي أعلنها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي، في

(١) «قصة الحضارة» لول ديورانت المجلد السادس (ج٣، ٤) ترجمة د. عبدالحميد يونس ـ القاهرة، المجلد الرابع (ج٤ص٤٦ ـ ٥٣)، و«الدعوة إلى الإسلام» لسيرتوماس أرنولد (ص٣٠ـ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ـ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ـ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦) ترجمةد. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي.

(٢) «قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام» للدكتور توفيق الطويل (ص٧٠ ـ ١١٢).

الإدارة الأمريكية، بقيادة «چورچ بوش ـ الصغير»، بعدَ أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـ في أمريكا ـ.

وهي حربٌ تستهدفُ بترول الشرق الإسلامي ـ من منطقة البحيرات الإفريقية إلى بحر «قزوين»، مروراً بالعراق والخليج العربي ـ لتحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم، وانفرادِ الإمبريالية الأمريكية بالزعامة ـ دون شَريك ـ في القرن الواحد والعشرين.. ويقودُها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي، برؤية تَوْرَاتية، تُوحِّدُ بين هذا اليمين البروتستانتي وبين اليمين اليهودي والصهيوني.

وإذا كان الجميعُ مُجمِعين على استهدافِ هذه الحربِ الاستيلاءَ على مصادر الطاقة للانفراد بالهيمنة على العالَم.. فإن الطابعَ الدينيَّ لهذه الحربِ تقومُ عليه شواهدُ وأدلةٌ وحقائقُ عديدةٌ لا ينكرُها إلاَّ مُكابر.

لقد وصف «چورچ بوش ـ الصغير» هذه الحرب في ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـ بأنها «حملة صليبية» ـ وهي عبارةٌ لمعناها في العقل المسلم تاريخ ـ ثم جَرَت محاولات ـ غربية ومتغرِّبة! ـ للتخفيف من وقع هذه العبارة على العالم الإسلامي، بالقول: إنها «زَلَّةُ لسان»!..

◻ لكنَّ تداعياتِ الوقائع والأحداث، في هذه الحرب الممتدة، قد جَعلت حتى الڤاتيكان ـ وهو أكبر كنائس النصرانية ـ يُعلِن ـ من خلال إذاعته الرسمية، التي تُذاعُ بتسعٍ وثلاثين لغةً، وعلى لسان مديرِ هذه الإذاعة الرسمية الأب «باسكوالي بور جوميو» ـ يعلن أن الإدارةَ الأمريكية في حَمْلتِها على العراق، تتصرف «بلهجة ومواقف صليبية»، فيقول: «في الوقت الذي

يدعو الڤاتيكان إلىٰ التعقُّل، ويشجِّعُ العملَ الدبلوماسي، ويدافعُ عن الحق الدولي، نرىٰ في الجانب الآخر قوةً عظمىٰ تقودُها إدارةٌ حَوَّلَت إلىٰ نفسها مهمةً إنقاذيةً ـ [مقدسة] ـ واتخذت لهجةً ومواقفَ صليبية»![1] .

◻ أما الأنبا «يوحنا قلته» ـ نائب البطريك الكاثوليكي في مصر ـ فلقد أعلن: «أن بوش يستخدمُ المسيحَ دِرعًا والصليبيةَ ثوبًا للدفاع عن مصالحِ أمريكا المادية. . وأنه كان يقصدُ تمامًا معنىٰ عبارة «الحملة الصليبية». . ولم تكن أبدًا زَلَّةَ لسان»[2] .

فهي «حربٌ صليبية» أعلنها ويقودُها اليمينُ الدينيُّ الأمريكي. . بشهادة الڤاتيكان ـ أكبرِ كنائس النصرانية، في الشرق والغرب ـ.

أما السيناتور «إدوارد كنيدي» والسيناتور «بابريك ليهي»، فلقد أعلنا: أن الإدارة الأمريكية مدفوعةٌ إلىٰ هذه الحربِ «بحماسةٍ مسيحية»[3] .

◻ ولقد كَتبت «النيوزويك» ـ الأمريكية ـ عن «بوش ـ الصغير» (حامل البشارة)، فقالت: «إنه يؤمن أن حربَه علىٰ العراق ستكونُ حربًا عادلةً وِفقَ المفهومِ المسيحي كما شرحها القديس أغسطين ـ في القرن الرابع ـ وفصَّلها كلٌّ من «توما الأكويني» [١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م] ومارتن لوثر [١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م] وآخرون، وأنه عندما استَخْدم مصطلح «الأشرار» في وصف خُصومه، قد نَبَش هذه الكلمةَ مباشرةً من المزامير» و«أنه يُفَكِّرُ في سياسةٍ خارجيةٍ تستندُ

---

(١) صحيفة الحياة ـ لندن ـ في ٢٩ ـ ٢/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٢) صحيفة [العربي] ـ القاهرة في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٣) صحيفة الحياة ـ لندن ـ في ١٥/ ٣/ ٢٠٠٣م.

إلى الإيمان.. ويفكِّرُ في حربٍ باسم «الحريَّة المدنية» ـ بما في ذلك الحريَّة الدينية ـ في القلب القديم للإسلام العربي.. ويحظى بدعمٍ قويٍّ من قاعدته في الجَناح السياسيِّ للمؤتمر المَعْمداني الجنوبي، من أمثال «ريتشارد لاند» و«فرانكلين جراهام» الأب الروحي لبوش ـ والذي سَبَّ رسولَ الإسلام، ويُندِّد بالإسلام باعتباره إيمانًا عنيفًا وفاسدًا ـ، ولا يَخفى ـ مع المبشرين الإنجيليين ـ رغبتُهم تحويلَ المسلمين إلى المسيحية، لا سيَّما في بغداد»[١].

هذا ما كتبته «النيوزويك» الأمريكية ـ قبل شنِّ الحرب على العراق.

□ أما الـ «نيويورك تايمز» فإنها كتبت مقالَين في ٥,٦/ ٤/ سنة ٢٠٠٣م ـ أي في ذُروة الحرب على العراق ـ عن انخراطِ المبشِّرين الإنجيليِّين، تحت قيادة الآباء الرُّوحيين «لبوش» في الحملة الأمريكية على العراق، بصُحبة القواتِ الأمريكية الغازية.. الأمر الذي «صَبَغ الحرب على العراق بصبِغة الحروب الصليبيَّة.. وأنَّ مِن بين تلك الجماعات التبشيرية المُصاحِبة للجيش الأمريكي مبشِّرين تابعين للكنيسة المعمدانية والكنيسة المنهجية، وكِلْتا الكنيستين كانت ضمنَ أهمِّ الجماعات التي دَعَّمت الرئيسَ بوش.. وهناك ٨٠٠ مبشِّر تطوَّعوا لمصاحبة الجيش الأمريكي الزاحف على العراق، لتقديم الدعم الرُّوحي والمادي للشعب العراقي.. ومِن بيْن هؤلاء المبشرين «فرانكلين جراهام» الذي دشَّن حفل تنصيب جورج بوش رئيسًا.. ووالده «بيل جراهام»، الذي أثار عاصفةً داخل المجتمعات الإسلامية عندما وَصف النبيَّ محمدًا بأنه «إرهابي» و«وثني».. ولقد أعلن المبشِّرُ «فرانكلين

(١) مجلة «النيوزويك» الأمريكية ـ عدد ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.

جراهام» ـ في القاعدة الأمريكية في الكويت ـ: «لقد جئتُ إلىٰ هنا تمهيداً لدخول العراق.. فرغم أن نسبةَ المسلمين في العراق تُشكِّلُ ٩٧٪ من إجمالي تعدادِ السكَّان، إلاَّ أننا يجبُ ألاَّ ننسىٰ أن المسيحية سَبقت الإسلامَ في دخول العراق.. إنني هنا لدعمِ مَسِيحِيِّي العراق، لكننا في الوقت ذاته نُخطِّط لتقديمِ الدعمِ للمسلمين، ليس باسمنا، ولكن باسمِ الرب».

▫ أمَّا والد هذا المبشر ـ القَس «بيل جراهام» ـ، فهو الأبُ الرُّوحي لجورج بوش، الذي قال عنه بوش: «إنه الرجلُ الذي قادني إلىٰ الربِّ.. وهو الذي جَعل بوش يواظب يوميًّا علىٰ القراءة في كتاب القَس «أوزوالد شامبرز» الذي مات سنة ١٩١٧م وهو يَعظُ الجنود البريطانيين والأستراليين بالزحف إلىٰ القدس وانتزاعها من المسلمين»[1].

▫ ويكتبُ المُفكِّرُ الاستراتيجي الأمريكي «فرانسيس فوكوياما» بعد أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م فيقول: «إنَّ الصراع الحالي ليس ببساطةٍ ضدَّ الإرهاب.. ولكنه صراعٌ ضدَّ العقيدة الإسلامية الأصولية.. التي تقفُ ضدَّ الحداثة الغربية ـ وضدَّ الدولةِ العِلمانية ـ وهذه الأيديولوچية الأصولية تُمثِّل خطراً أكثر حساسيَّةً ـ في بعض جوانبه ـ من الخطر الذي شكَّلته الشيوعية.. والمطلوبُ هو حربٌ داخلَ الإسلام حتىٰ يَقبلَ الحداثة الغربية والعلمانية الغربية.. والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر.. وما للَّه للَّه».

فماذا فعلوا في حروبهم الدينية في أفغانستان والعراق؟. لقد أهلكوا الأخضرَ واليابس، وعاثوا في الأرض فساداً، واغتصبوا النساء، وذبحوا

---

(١) ترجمة مقالي «نيويورك تايمز» عن صحيفة «الأسبوع» ـ القاهرة في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٣م.

الأطفال، ونسفوا القرىٰ والمدن، وبالوا علىٰ المصاحف، وسلسلوا الأسرىٰ عُراةً، وأجبروهم علىٰ الأفعال الشاذة، وأطلقوا عليهم الكلاب، وما أحداث سجن «أبو غريب» ببعيد!!.

- فأيُّ الفريقين خيرٌ مَقامًا وأحسنُ نديًا.. رسولُ الإسلام والسلام والمؤمنون.. أمِ الثعالبُ والذئاب.. من الصليبيين واليهود؟!..

سيأتي اليوم الذي يُكشَفُ فيه التاريخُ الأسوء لما فُعِل بالمسلمين علىٰ أيدي هؤلاء.

*** أكبر شانئي محمد ﷺ المغضوبُ عليهم وهو اليهود، والضالُّون وهم النصارى:**

* قال تعالىٰ: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء: ٨٩].

قلوبٌ كافرةٌ سوداءُ مظلمةٌ، ظُلُماتُها بعضُها فوقَ بعضٍ لا انكشافَ لها، مخيفةٌ لا أَمْنَ فيها، مَضْيَعَةٌ لا خيرَ فيها، ضالةٌ ضلالُها لا رجوعَ منه، أعمالُهم سَرابٌ ضائع يلتمعُ التماعًا كاذبًا، فيتبعُه صاحبُه الظاميء، وهو يتوقَّعُ الرِّيَّ غافلاً عما ينتظره هناك، يَصِلُ فلا يَجدُ ماءً يَرويه، إنما يجدُ ما يُرعبه ويُقطِّعُ أوصالَه، ويُورِّثه الخَبال، ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ**

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وجد اللَّه عنده.. اللَّه الذي كَفَر به، وجَحَده، وخاصَمَه، وعادىٰ رسولَه، وآذاه، واستهزأ به.

هذه القلوبُ الكالحة، والأنفسُ الصَّلْدةُ اليابسة بِسُمِّها الزُّعاف لا تحملُ للإسلام ونبيِّه ﷺ إلاَّ التحقيرَ والاستهزاءَ والسُّخريةَ وخَلْقَ أجواءِ الرِّيبة والاتهاماتِ والحقدِ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، منهم رُوَّاد حركة التغريب، وكبارُ مخططيها، وأبرز دعاتها، الذين حَملوا لواءَ العمل في ميادين التبشير «التنصير والاستشراق»، والكتابات السوداء عن الإسلام ونبيِّه العظيم ﷺ.

إنَّ النور الذي أتىٰ به السراجُ المنيرُ ﷺ لا يقفُ له إلاَّ قلبٌ غيرُ مطموس، ولا تصمُدُ لهُ إلاَّ روحٌ غيرُ معاندة ولا مستكبرة ولا مشدودة بالهوىٰ الجامح اللئيم.

◘ حَمَلَةُ السُّمومِ والحقدِ الواضحِ ـ لا الدفين ـ الذي تطفحُ به مواقفُهم وكتاباتُهم: مكرُ أولئك هو يَبور.. ويبقىٰ رسولُ اللَّه ﷺ بنوره وبهائِه وأصالته وجذورِه القوية وكلماتِه الطيِّبة وعقيدتِه الصافية النقيَّة، تزولُ الدنيا بأسرها، ولا يزولُ الإسلام وتعاليمُ نبيِّه ﷺ من صدورِ مُتَّبعيه ما بَقِيَت الدنيا.

◘ **شانئو محمد** ﷺ مِن العبيد والأقزام وأذنابِ الغرب من الدَّجاجلة الذين يطعنون في شريعته ﷺ وصلاحيتها لكل زمانٍ ومكان، ويمكرون أقبحَ المكر بسُنَّته ورجالها، ويطعنون في أكبرِ دواوينِ السُّنة وحَمَلَةِ الحديث

مِمَّن لا تساوي دنياهم قُلامةَ ظفرهم.

نابتةٌ من الزنادقة الملحِدين في آياتِ اللَّه، أو الصادِّين عن دين اللَّه، قد سَلَكوا في الدعوة إلىٰ الكفر والإلحاد شِعَابًا جُدُدًا، وللتشكيك في الدين طرائِقَ قِدَدًا؛ يزعمون للعِلم معنًىٰ، إنْ لم يكن بعضُه في العلم، فأكثره في الجهل.

جاؤونا في أسماء العلماء، ولكن بأفعالِ أهل الجهل، وكانوا في العلم كالنبات الذي خَبُث، وإنَّك لن تجدَ سيماهم إلاَّ في أخلاقهم، فتعرَّفْهم بهذه الأخلاق، فستُنكِرهم جميعًا، ولتعلَمَنَّ عليهم كلَّ سُوءٍ، ولترينَّهم حَشَوا أجسامهم طينًا وحماةً، في زَعْمٍ كَذِبٍ يُسمِّي لك الطينَ «طِيبًا»، والحَمأة «مِسْكًا»!، ولَتَجِدَنَّ أحدهم وما في السِّفْلَةِ أسفلُ منه شهواتٍ ونزعات، وإنه مع ذلك لَيُزَوِّرُ لك ويُلَبِّسُ عليك، فما فيه من لونٍ عندك يَعيبه إلاَّ هو عندَه تحتَ لونٍ يَزينه، ولا رزيلة تُقَبِّحه إلاَّ هي في معنىٰ فضيلةٍ تُجمِّله، فخذْ منه الكَذِبَ في فلسفةِ المنفَعة، والتسفُّلَ في شعاعة الغريزة، والوقاحةَ في زَعْم الحُرِيَّة، والخطأَ في عِلَّة الرأي، والإلحادَ في حُجَّة العلم، وفسادَ الطبيعة في دعوىٰ الرجوع إلىٰ الطبيعة.. وبالجملة: خذْ فِعالَهم فسَمِّهَا غيرَ أسمائها، وانحَلْها غيرَ صفاتِها، واكذبْ بالألفاظ علىٰ المعاني، وقُلْ: علماءُ ومُصلِحون، وأنت تعني ما شئت إلاَّ حقيقةَ العلم والإصلاح!!.

▫ أيتها الحصاة، ما يَسخرُ منكِ الساخرُ بأكثر من أن يَجلُوَكِ علىٰ الناس في عُلبةِ جوهرة.

يذهبُ أين ذهب، وشُعلةُ الجحيم العلميَّة تدورُ في رأسه تهفو من هنا وهناك، لا يَصلحُ إلاَّ علىٰ إفسادِ الحياة، ولا يقوىٰ إلاَّ علىٰ إضعافِ القوي،

ولا يَعيشُ إلاَّ على غِذاءٍ من الموت، كأنَّه كان مِن قبلُ دودةً في قبر، ثم نَفَخه اللَّه إنسانًا، يجعله فيما يبلو به من الخلْق، ويضربُ الحياةَ به ضَرْبَ انحلالٍ وبِلًى وتَعَفُّن.

ومَن تراهُ قد سَخِر به القَدَرُ أشدَّ سخرية قط، فضَغْطةٌ في قالبٍ من قوالبِ الحياة المصنوعة، فإذا هو في تصاريفِ الدنيا كاتب مُرشد متنصِّح، يَنفُث دُخانَ قلبه الأسود، ويعملُ كما تعملُ الأعاصيرُ على إهداء الوجوه والأعين والأنفاس صُحُفًا مُنَشَّرَةً مِن غُبار الأرض، إنْ لم تكنْ مَرَضًا فأذًى، وإن لم تكن أذًى فضيق، وإن لم تكن ضِيقًا فلن تكون شيئًا مما يُساغ أَوْ يُقبَل أَوْ يُحَبُّ، على أنك ترى أصحابَنا لا يتحاملون على شيءٍ ما يتحاملون على القرآن الكريم، فهم يخصُّونه بمكاره العلم كُلِّها ويَجفَون عنه أشدَّ جفاء»[1] .

◻ **شانئو محمد** ﷺ هم شانئو القرآن الكريم الذي نزل على قلبه، فأراد المُجرمون أن يَحصُروه في المساجد تلاوةً، وهجروه تحاكمًا، وأنِفوا من تشريعه، وأرادوا فَصْلَ الدين عن دنيا الناس وسياستهم.. وهم واللَّهِ الجهالُ الذين لا يعلمون قَدْرَ كلامِ اللَّه الذي سمَّاه اللَّه «نورًا»، وسمَّاه «رُوحًا»، وسمَّاه «شفاء»، و«فضلاً»، و«رحمة».. كلامُ اللَّه الذي «يجري في الخواطر كما تصعدُ في الشجرِ قَطَراتُ الماء، ويتَّصلُ بالرُّوح، فإنما يَمُدُّ لها بسببٍ إلى السماء، وإنه لسِحْرٌ؛ إذْ هو الحافظُ لم تَعْهَدْ كلْمٌ أحداقَها، وثمراتٌ لم تَنبُتْ في قلمٍ أوْراقُها، ونورٌ عليه رَوْنقُ الماء، فكأنما اشتعلت به الغيومُ، وماءٌ يتلألأ كالنور، فكأنما عُصِر من النُّجوم.

(١) «إعجاز القرآن» للرافعي (٩ ـ ١٢) ـ دار الكتاب العربي.

هَلْ رَأوا إلاَّ كلامًا تضيءُ ألفاظُه كالمصابيح، فعَصَفوا عليه بأفواههم كما تَعَصِفُ الريح، يُريدون أن يُطفؤوا نورَ اللَّه، وأين سراجُ النَّجم من نفخةٍ ترتفعُ إليه؛ كأنما تذهبُ تُطفيه؟! ونورُ القمر من كفٍّ يَحسَبُ صاحبُها أنها في حجْمِه، فيرفعُها كأنما يُخفيه؟! وهيهات هيهات؛ دون ذلك دَرْجُ الشمس - وهي أمُّ الحياة - في كفَنٍ، وإنزالُها بالأيدي - وهي رُوح النار - في قبرٍ من كهوفِ الزمن.. لا جَرَمَ أن القرآنَ سِرُّ السماء؛ فهو نورُ اللَّه في أُفق الدنيا حتىٰ تزول، ومعنىٰ الخلود في دولة الأرض إلىٰ أن تدول، وكذلك تمادىٰ العربُ في طغيانهم يَعمهون، وظَلَّت آياتُه تلْقَفُ ما يأفِكون، فوقع الحقُّ وبطل ما كانوا يعملون»[1].

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥]:

ما أفظعَ عملَ وأقبحَ موقفَ المجرمين الأقزام الذين يَتحدَّوْن اللَّهَ ورسوله.. ويقفون عند الحدِّ المواجِهِ لحدِّهما!! وما أقبحَ مصيرَ أولئك المتبجِّحين!! فلهم القهرُ والذُّلُّ في الداريْن، والتاريخ خيرُ شاهد.. وكلام الملوك ملوك الكلام.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١]:

هذا وعدُ اللَّهِ الصادقُ الذي كان ولابُدَّ أن يكونَ، علىٰ الرَّغم مما قد يبدو أحيانًا من الظاهر الذي يُخالِفُ هذا الوعدَ الصادق.

---

(١) «إعجاز القرآن» للرافعي (ص٣١).

وبعد صراعٍ طويلٍ مع الكفر والشِّرك والإلحاد استقرَّ الإيمانُ باللَّه في هذه الأرض، ودانت له البشريةُ بعد كلِّ ما وقف في طريقه من عَقَبات الشِّرك والوثنيَّة.

وإذا كانت هناك فتراتٌ عاد فيها الإلحادُ أو الشركُ إلىٰ الظهور في بعضِ بقاعِ الأرض، فإن الإيمانَ باللَّه ظلَّ هو المسيطرَ بصفةٍ عامة، فضلاً علىٰ أن فتراتِ الإلحادِ والوثنيةِ والكفر بمحمدٍ رسول اللَّه خاتمِ النبيين ﷺ إلىٰ زوالٍ مؤكَّد؛ لأنها غيرُ صالحةٍ للبقاء، والبشريةُ تهتدي في كلِّ يومٍ إلىٰ أدلةٍ جديدة إلىٰ صِدقِ رسالة محمدٍ ﷺ الخاتمة، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].. ويَهرعُ الناسُ في كلِّ مكان من أرجاء البسيطة.. إلىٰ الدخول في الإسلام.. ولا يمرُّ يومٌ إلاَّ ويُسلِمُ العشراتُ بل والمئات.. فقد كَتب اللَّهُ علىٰ أعدائه وأعداءِ رسوله ﷺ الذِّلَّةَ والهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغَلَبَةَ والتمكين.. والمؤمنُ يتعاملُ مع وعد اللَّه علىٰ أنه الحقيقةُ الواقعة، فإذا كان الواقعُ الصغيرُ في جِيلٍ محدود، أو في رُقعةٍ محدودة يخالفُ تلك الحقيقةَ، فهذا الواقعُ هو الباطلُ الزائل، الذي يُوجَد في الأرض لحكمةٍ خاصة، لعلَّها استِجاشةُ الإيمانِ وإهاجتُه لتحقيق وعدِ اللَّه في وقته المرسوم.

وعَبْرَ التاريخ.. وعَبْرَ تاريخ الإسلام هل استطاعت الحروبُ التي شنَّها أعداؤه هل استطاع القتلُ والتشريدُ والتنكيلُ وأنواعُ النِّكايات، واغتصابُ النساء، وبَقْرُ بطونِ المسلمات، وذَبحُ الأجنَّة.. هل استطاع أن يقتلعَ جذورَ الإيمان باللَّه ورسوله من قلوب المسلمين؟! حين ينظرُ الإنسانُ

إلىٰ هذا الواقعِ في المدىٰ المتطاولِ يجدُ مِصداقَ قولِ اللَّه، يجدُه في الواقعِ ذاتِه بدون حاجةٍ إلىٰ الانتظارِ الطويل!!.

لا يخالجُ المؤمنَ شكٌّ في أن وَعْدَ اللَّه هو الحقيقة الكائنة التي لا بدَّ أن تظهرَ في الوجود، وأنَّ الذين يُحادُّون اللَّهَ ورسولَه هم الأذلون، وأنَّ اللَّهَ ورسولَه هم الغالبون، وأن هذا هو الكائنُ والذي لا بُدَّ أن يكون، ولْتَكُنِ الظواهرُ غيرَ هذا ما تكون.

* **قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٢-٣٣].

* وقال تعالىٰ: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [الصف: ٨].

قال الإمام ابن جرير الطبري: «يريد هؤلاء القائلون لمحمدٍ ﷺ: «هذا ساحرٌ مبين»، يريدون ليُبطِلوا الحقَّ الذي بَعث اللَّهُ به محمداً ﷺ بأفواههم، يعني: بقولهم: «إنه ساحر، وما جاء به سحر»، **﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾**، واللَّهُ مُعلِنٌ الحقَّ، ومُظهِرٌ دينَه، وناصرٌ محمداً ﷺ علىٰ مَن عاداه، فذلك إتمام نوره، وعُنِي بالنور في هذا الموضع «الإسلام»، وكان ابن زيد يقول: عُنِي به القرآن»[1].

وقال العلاَّمة ابن كثير: «يريد هؤلاء الكفارُ من المشركين، وأهل الكتاب **﴿أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾** أي: الذي بُعث به رسولُ اللَّه ﷺ من الهدىٰ

(١) «جامع البيان» لابن جرير (١١/ ٨٨) طبع مصطفىٰ الحلبي.

ودينِ الحق بمجرد افترائهم، فمثَلهم كمَن يريد أن يُطفئ نورَ الشمس أو القمر بنفخة، وهذا لا سبيلَ إليه؛ فكذلك ما أُرسِل به رسولُ اللَّه ﷺ لابد أن يتمَّ ويظهر، ولهذا قال تعالىٰ مقابلاً لهم فيما أرادوه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي: علىٰ سائر الأديان»[1].

◻ قال ابن كثير: «يحاولون أن يردُّوا الحقَّ بالباطل، ومَثَلُهم في ذلك كمَثَلِ مَن يُريد أن يُطفئ شعاعَ الشمس بفِيه، وكما أن هذا مستحيلٌ، فذلك مستحيل»[2].

كم صدُّوا عن سبيله صداًّ، ومَن ذا يُدافعُ السيل إذا هَدَر؟ واعترضوه بالألسِنة رداًّ، ولَعَمْرِي مَن يَردُّ علىٰ اللَّه القَدَر؟ وتخاطروا له بسُفهائهم كما تخاطرت الفحولُ بأذنابِ[3] البقر، وفتحوا عليه من الحوادث كلَّ شِدْقٍ فيه مِن كُلِّ داهيةٍ ناب، فما كان إلاَّ نورُ الشمسِ لا يزالُ الجاهلُ يَطمعُ في سَرابه، ثم لا يضعُ منه قَطرةً في سِقائه، ويُلقي الصبيُّ غِطَاءَه ليخفيه بحجابه، ثم لا يزالُ النورُ ينبسِطُ علىٰ غِطائه.

◻ كم أبرقوا وأرعَدوا حتىٰ سال بهم وبصاحبهم السَّيل، وأثاروا من الباطل في بيضاءَ ليلُها كنهارها[4] ليجعلوا نهارَها كالليل، فما كان لهم إلاَّ كما قال اللَّه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ..﴾ الآية [الأنبياء: ١٨].

(١، ٢) «تفسير ابن كثير».

(٣) إذا تصاولت الفحول من الإبل تخاطرت بأذنابها كأنها يهدد بعضها بعضًا.

(٤) أي: هذه الملّة السمحة.

*** المصباح الذي أناره محمدٌ ﷺ تألَّب عليه مليون «أبي جهل» و«أبي لهب» ليطفؤوه:**

إن هذا المصباحَ السماويَّ تألَّب عليه مليونُ «أبي جهل» و«أبي لهب»، مليونُ «حُيَيِّ بن أخطب»، مليونُ «كعب بن الأشرف»، مليون «فرناندوا» و«إيزابيلا»، مليون «أتاتورك»، ولكن هيهات هيهات..

كذلك الحقُّ يعلو في مَصَاعِده ... حتى ينالَ الذُّرَى أو يَبْلُغَ الشَّعَفَا[1]

شتَّانَ ما بين صَرْحٍ ثابتٍ رُفِعتْ ... منه القِبابُ وصَرْحٍ واهنٍ خُسِفَا

لتُنصِتِ الأرضُ، ولتَسْمَعْ ممالكُها ... ماذا يقول لها الرعْدُ الذي قَصَفَا

شرائعُ الخيرِ يُلقيها مُحبَّبةً ... شيخُ النبيِّين يَبغي البرَّ واللُّطفَا

* ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر: ٩٥]:

◘ قال العلامة ابن كثير: «قوله: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٥]، أيْ: بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك، ولا تلتفتْ إلى المشركين الذين يريدون أن يصدُّوك عن آياتِ اللَّهِ، ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ [القلم: ٩]، ولا تَخَفْهم، فإن اللَّهَ كافيك إياهم، وحافظُك منهم، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن يزيدَ بنِ درهم قال: «سمعتُ أنسًا يقول في هذه الآية: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾ [الحجر: ٩٥ - ٩٦] قال: مَرَّ رسولُ اللَّه ﷺ، فغَمَزه بعضُهم، فجاء

---

(١) الشعف: رؤوس الجبال، جمع شعفة.

جبريل عليه السلام، فغمزهم، فوقع في أجسادهم كهيئة الطعْنة فماتوا».

وقال محمدُ بن إسحاق: «كان عظماءُ المستهزئين ـ كما رُوي عن عروةَ ابنِ الزبير ـ خمسةَ نَفَر، وكانوا ذَوِي أسنانٍ وشَرَف في قومهم مِن بني أسد ابنِ عبدِالعزَّىٰ بنِ قُصَيٍّ، الأسود بن أبي زمعةَ: كان رسول اللَّه ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لِمَا كان يبلغُه من أذاه واستهزائِه، فقال: «**اللَّهم أعْمِ بَصَره، وأثكِلْه ولدَه**»، ومِن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوثَ بنِ وهبِ بنِ عبدِمنافِ بن زهرة، ومِن بني مخزوم: الوليدُ بنُ المغيرة بن عبداللَّه بن عمرو ابن مخزوم، ومِن بني سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد، ومن خزاعة الحارث بن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عمر بن مَلْكان.. فلما تمادَوا في الشر، وأكثروا برسول اللَّه ﷺ الاستهزاءَ أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿.. **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦]».

□ قال ابنُ إسحاق: «وعن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريلَ عليه السلام أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهو يطوفُ بالبيت، فقام، وقام رسول اللَّه ﷺ إلىٰ جَنبه، فمرَّ به الأسودُ بنُ عبدِ يغوث، فأشار إلىٰ بطنه، فاستسقىٰ بطنه، فمات منه، ومَرَّ به الوليد بن المغيرة، فأشار إلىٰ أثرِ جِراحٍ بأسفلِ كعبِ رِجله ـ وكان أصابَه قبل ذلك بسنتين وهو يجرُّ إزاره ـ، وذلك أنه مرَّ برجلٍ من خزاعة يَريشُ نَبْلاً له، فتعلَّق سهمٌ مِن نَبْله بإزاره، فخَدَش رجلَه ذلك الخدشُ وليس بشيءٍ، فانتقض به فقتله، ومَرَّ به العاصُ بنُ وائل فأشار

إلىٰ أخمُصِ قدمه، فخرج علىٰ حمارٍ له يريدُ الطائف، فرَبَض علىٰ شبرقة، فدخلت في أخمُصِ قدمه فقتلته، ومَرَّ به الحارثُ بن الطُّلاطِلة، فأشار إلىٰ رأسه فامتخطَ قيحًا فقتله».

◻ ورَوىٰ محمدُ بنُ إسحاق عن ابن عباس قال: «كان رأسَهم الوليدُ ابنُ المغيرة وهو الذي جَمَعهم».

وهكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله، إلاَّ أن سعيدًا يقول: الحارث بن غَيْطلة، وعكرمة يقول الحارث بن قيس.. قال الزهري: وصَدَقا، هو الحارث بن قيس، وأمه غيطلة، وكذا رُوي عن مجاهد ومِقسم وقتادة وغير واحد: أنهم كانوا خمسة، وقال الشعبيُّ: كانوا سبعة، والمشهور الأول»[1].

◻ وقال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وقد فعل، فما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلاَّ أهلكه اللَّهُ وقتَلَه شرَّ قِتْلة»[2].

◻ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان المسلمون إذا حاصَروا أهلَ حصنٍ واستعصىٰ عليهم، ثم سَمِعوهم يقعون في النبي ﷺ ويسبُّونه، يستبشرون بقرب الفتح، ثم ما هو إلاَّ وقتٌ يسير، ويأتي اللَّهُ بالفتحِ من عندِه انتقامًا لرسوله ﷺ»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ السعدي.

(٣) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص١١٦ـ١١٧).

* **أعداء رسول الله ﷺ شياطينُ مجرمون:**

* قال تعالى ـ ومَن أصدقُ من اللَّه قِيلاً ـ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣]، والشيطنةُ هي التمرُّد والغِواية والتمحُّص للشر، تلحقُ الإنسَ كما تلحقُ الجنَّ، وكما أن الذي يتمرَّد من الجنِّ ويتمحَّضُ للشرِّ والغواية يُسمَّىٰ «شيطانًا»؛ فكذلك الذي يتمرَّد من الإنس ويتمحَّضُ للشر والغواية.

❑ قال ابن كثير: «يقول تعالىٰ: وكما جَعَلْنا لك يا محمدُ أعداءَ يخالفونَك ويُعادونك ويُعاندونك جَعَلْنا لكلِّ نبيٍّ من قَبْلِك أيضًا أعداءَ، فلا يَحزُنْك ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**﴾ [الأنعام: ٣٤].. وقال وَرَقةُ بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ: «إنه لم يأتِ أحدٌ بِمثلِ ما جئتَ به إلاَّ عُودِيَ..».. وقوله: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾، أي: لهم أعداءٌ من شياطين الإنس والجن، و«الشيطانُ» كُلُّ مَن خَرَج عن نظيره بالشرِّ، ولا يعادِي الرسلَ إلاَّ الشياطينُ مِن هؤلاء وهـؤلاء ـ قَبَّحهم اللَّه ولعنهم ـ.

* وقال تعالىٰ: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾، أي: يُلقي بعضُهم إلىٰ بعضٍ القولَ المُزَيَّنَ المزخرف، وهو المُزَوَّقُ الذي يَغْترُّ سامعُه من الجَهَلة بأمره.

﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾، أي: وذلك كلُّه بقَدَر اللَّه وقضائه وإرادته

ومشيئته أن يكونَ لكلِّ نبيٍّ عدوٌّ من هؤلاء.. ﴿فَذَرْهُمْ﴾، أي: فدَعْهم.. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، أي: يكذبون.. أي: دَعْ أذاهم، وتوكَّلْ على اللَّه في عداوتِهِم، فإنَّ اللَّهَ كافيك وناصرُك عليهم.

* وقال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾، أي: ولتميلَ إليه.. قاله ابن عباس: ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾، أي: قلوبُهم وعقولُهم وأسماعُهم.. وقال السُّدِّيُّ: قلوبُ الكافرين. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾، أي: يحبوه ويريدوه، وإنما يستجيبُ لذلك مَن لا يؤمنُ بالآخرة.

وقوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾، قال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: وليكتسِبوا ما هم مكتسبون»[1].

□ وقال ابن القيم: «ذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمرِ الأنبياء بما يُزخرفُه بعضُهم لبعضٍ من القول، فيغترُّ به الأغمارُ وضُعفاءُ العقول، فذكر السببَ الفاعلَ والقابلَ، ثم ذَكر سبحانه انفعالَ هذه النفوسِ الجاهلةِ به، بصَغْوها ومَيلِها إليه، ورضاها به لِمَا كُسِي من الزخرفِ الذي يَغُرُّ السامعَ، فلما أصْغَتْ إليه ورَضِيَتْه اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولاً وعملاً، فتأمل هذه الآياتِ وما تحتها من هذا المعنى العظيمِ القَدْرِ، الذي فيه بيانُ أصولِ الباطل، والتنبيهُ على مواقعِ الحذرِ منها، وعدمِ الاغترار بها، وإذا تأمَّلت مقالاتِ أهلِ الباطل، رأيتَهم قد كَسَوها من العبارات وتخيَّروا لها من الألفاظ الرائقة، ما يُسرِعُ إلى قبوله كلُّ مَن ليس له بصيرةٌ نافذة.. وأكثرُ الخلق كذلك، حتى إنَّ الفجار ليُسمُّون أعظمَ أنواعِ الفجورِ بأسماءَ لا

(١) «تفسير ابن كثير».

ينبو عنها السمعُ»[1] .

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «سَمَّاه «زخرفًا»، وهو باطل؛ لأن صاحبَه يُزخرفُه ويُزيِّنُه ما استطاع، ويُلقيه إلىٰ سَمْعِ المغرور، فيغترُّ به»[2] .

□ وقال ـ رحمهم اللَّه ـ: «قد أخبر سبحانه بمقصودهم من الإيحاء المذكور، وهو أربعةُ أمور:

غرورُ مَن يوحون إليه، وإصغاءُ أفئدتهم إليه، ومحبَّتُهم لذلك، وانفعالُهم عنده بالاقتراف، وإن كان ذلك تعليلاً لجعله سبحانه لكلِّ نبيٍّ عدوًّا، فيكون هذا الحُكم من جُملة الغايات، والحِكَم المطلوبة بهذا الجعل، وهي غايةٌ وحكمةٌ مقصودة لغيرها؛ لأنها مُفضيةٌ إلىٰ أمور هي محبوبة مطلوبةٌ للرب سبحانه، وفواتُها يستلزمُ فواتَ ما هو أحبُّ إليه من حُصولها، فاللام لامُ التعليل والحكمة»[3] .

□ وقال: «الزُّخْرُف: هو الكلامُ المُزيَّن، كما يزيَّنُ الشيءُ بالزخرف ـ وهو الذهب ـ، وهو الغرور؛ لأنه يَغُرُّ المستمعَ، والشبهاتُ العارضةُ للوحي هي كلامُ زخرفٍ، يَغُرُّ المستمع، فانظر إلىٰ إصغاءِ المستجيبين لهؤلاء ورضاهم بذلك واقترافِهم المترتِّب عليه، فتأمَّلْ»[4] .

□ وما أكثَرَ شياطينَ الإنس. . الذين يَصُدُّون عن دعوة الرسول ﷺ!! يَصدُقُ فيهم قولُ القائل:

وإذا رأى إبليسُ طَلْعَـــةَ وجهِه ... حَـيَّا وقال: فَديْتُ مَن لا يُفلِـحُ

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢/ ٤٣٨).

(٢) «الداء والدواء» لابن قيم الجوزية (ص١٤٤).

(٣) «شفاء العليل» لابن القيم (١٩٣).

(٤) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ١٠٤١، ١٠٤٢).

◘ أو قول القائل:

وكنت امرأً من جُندِ إبليس فارتقى بي الدَّهْرُ حتى صار إبليسُ من جندي

فلو مات قبلي كنتُ أُحسِنُ بَعْـدهُ طرائقَ فِسْقٍ ليس يُحْسِنُها بـعـدي

وهؤلاء الشياطينُ في قبضةِ اللَّه عز وجل، لا يفعلون شيئًا من هذا كلِّه، ولا يَقدرون على شيءٍ من عداوةِ الأنبياء بقُدرةٍ ذاتيَّةٍ فيهم.. لا يَقدِرون على شيءٍ من ذلك إلاَّ بالقَدْرِ الذي يشاؤه اللَّه، فإرادتُهم مقيَّدة بمشيئة اللَّه، وقدرتُهم محدودةٌ بقَدَر اللَّه، ومَردُّ الأمرِ كلِّه إلى اللَّه، فانظر إلى هوانِ الشياطين من الإنس والجن، وهوانِ كيدِهم وأذاهم، هذا الكيدُ على ضخامته وتجمُّعِ قوى الشرِّ العالمية كلِّها عليه هو مقيَّدٌ مغلول، والمؤمنُ الذي يعلمُ أن ربَّه هو الذي يُقدِّر، وهو الذي يأذَن، خليقٌ أن يستهينَ بأعدائه من الشياطين؛ مهما تبلغ قوَّتهم الظاهرة وسلطانُهم المُدَّعى.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، فاللَّه من ورائهم، قادر على أخذهم، مُدَّخَرٌ لهم جزاؤهم.

* وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

◘ قال ابن كثير: «وكفى بربك هاديًا ونصيراً: أي لمن اتبع رسولَه وآمنَ بكتابه وصدَّقه واتَّبَعه، فإن اللَّه هاديه وناصرُه في الدنيا والآخرة، وإنما قال: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾؛ لأن المشركين كانوا يصدُّون الناسَ عن اتِّباع القرآن لئلاَّ يهتديَ أحدٌ به ولِتغلبَ طريقتُهم طريقةَ القرآن».

ويكفي أن القرآنَ نَعَتهم بهذا النعتِ القبيح «المجرمين» وهم فاسدون

مفسِدون لا يعيشون إلاَّ على الإفساد، كالخنافس تختنقُ برائحةِ الأزهار العَبِقة، ولا تحيا إلاَّ على الرَّوَث، ولا تستطيعُ الحياةَ إلاَّ في المقاذر، وبعضُ الديدانِ يموتُ في الماءِ الطاهرِ الجاري، ولا يستطيعُ الحياةَ إلاَّ في المستنقع الآسن، وكذلك المجرمون.

ومَن كان اللَّهُ هاديَه وناصرَه فمَنْ عليه؟! لا يَضيرُه تكالبُ كلِّ المجرمين والشياطين، فمكر أولئك هو يبور.. مَن وَجَد اللَّهَ فماذا فقد؟!.

*** وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [التوبة: ٦١]:

□ قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «يقول تعالى: «ومِن المنافقين قومٌ يؤذُون رسولَ اللَّه ﷺ بالكلام فيه، ويقولون: «هو أُذُن»، أي: مَن قال له شيئًا صَدَّقه فينا، ومَن حدَّثه صَدَّقه، فإذا جئناه وحَلَفنا له صدَّقنا.

رُوي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.. قال اللَّه تعالى: **﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾**، أي: هو أُذُنُ خيرٍ يَعرِفُ الصادقَ من الكاذب، **﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**، أي: ويُصدِّق المؤمنين، **﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾**، أي: وهو حجَّة على الكافرين؛ ولهذا قال: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**»[1].

*** من يُحادَّ اللَّهَ ورسولَه له الخزيُ العظيم:**

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا

---

(١) «تفسير ابن كثير».

فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣]:

◻ قال ابن كثير: «أي: ألم يتحققوا ويعلموا أنه مَن حادَّ اللَّهَ عزَّ وجل ـ أي شاقَّه وحاربَه وخالفه، وكان في حدٍّ واللَّه ورسوله في حدٍّ ـ ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾، أيْ: مهانًا مُعذَّبًا!! و﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾، أي: وهذا هو الذلُّ العظيمُ والشقاءُ الكبير»(١).

◻ وقال ابن القيم: «جَعَلَهم بهذا محادِّين، ومعلومٌ قطعًا أنَّ مَن أظهر مَسَبَّةَ اللَّهِ ورسوله، والطعنَ في دينه أعظمُ محادةً له ولرسوله، وإذا ثبت أنه محادٌّ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠]، و«الأذلُّ» أبلغُ من «الذليل»، ولا يكونُ أذلَّ حتى يخافَ على نفسه ومالِه؛ لأن مَن كان دمُه ومالُه معصومًا لا يُستباحُ فليس بأذلَّ؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، فبيَّن سبحانه أنهم أينما ثُقِفوا فعليهم الذِّلَّةُ إلاَّ مع العهد، فعُلِم أنَّ مَن له عهدٌ وحَبلٌ يأمنُ به على نفسه وماله لا ذِلَّةَ عليه، وإنْ كانت عليه المسكنةُ؛ فإنَّ المسكنة قد تكون مع عدم الذلَّة، كما دلَّت عليه الآية، وهذا ظاهرٌ، فإن الأذلَّ ليس له قوةٌ يمتنعُ بها ممَّن أراده بسُوء، فإذا كان من المسلمين عَهدٌ يجبُ عليهم به نَصرُه ومَنعُه فليس بأذَلَّ، فثَبَت أن المحادَّ للَّه ورسوله لا يكونُ له عهدٌ يعصمه»(٢).

* ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ :

* قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

---

(١) «تفسير ابن كثير». (٢) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢/ ٨٢٥ـ٨٢٦).

وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

● عن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجلٌ في غزوة «تبوك» في مجلس يومًا: ما رأيتُ مثلَ قُرَّائنا هؤلاء لا أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسنةً ولا أجبنَ عند اللقاء، فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ، ولكنك مُنافق، لأُخبِرَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، فبَلَغ ذلك النبيَّ ﷺ ونزل القرآن، قال عبدُاللَّه، فأنا رأيتُه متعلِّقًا بحَقَب[1] ناقةِ رسول اللَّه تَنكُبُهُ الحجارةُ وهو يقول: يا رسول اللَّه، إنما كنا نخوضُ ونلعب، ورسول اللَّه ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»[2].

مقالةٌ فاجرةٌ كافرةٌ خاطئةٌ منحرفةٌ ضالةٌ يَكفُرُ صاحبُها.

* **الذين يؤذون رسول اللَّه ملعونون في الدنيا والآخرة:**

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

في ظل التمجيد الإلهي لنبيِّه وصلاتِه عليه هو وملائكته ومَن في الأرض، يبدو إيذاءُ الناسِ للَّه وللنبي ﷺ بشعًا شنيعًا ملعونًا قبيحًا.

---

(١) الحَقَب: الحزام الذي يكون في مؤخِّرة الحيوان.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ٦٣)، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في «الميزان»، وأخرجه الطبري من طريقه (١٠/ ١٧٢) وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٤/ ٦٤) من حديث كعب ابن مالك.

ويَزيدُه بشاعةً وشناعةً أنه إيذاءٌ من عبيده ومخاليقه، وهم لا يبلغُون أن يؤذوا اللَّه، إنما هذا التعبيرُ يُصوِّرُ الحساسيةَ بإيذاءِ رسوله، وكأنما هو إيذاءٌ لذاته جل وعلا، فما أفظعَ! وما أبشعَ! وما أشنع!.

قال ابن القيم: «وليس أذاه سبحانه من جنسِ الأذىٰ الحاصل للمخلوقين، كما أن سُخطَه وغَضبَه وكراهتَه ليست من جنس ما للمخلوقين»[(١)].

﴿لَعَنَهُمُ﴾: «واللعن هو الطردُ من رحمةِ اللَّه سبحانه، والعربُ يقولون: «لَعنتُ الكلبَ»، أي: طردته. وكذلك: «لعنتُ الذئب»، ويُقال للذئب: «اللَّعين».

والذين يؤذون رسول اللَّه ﷺ ملعونون في الدنيا والآخرة، أي: مطرودون من رحمة اللَّه فيهما، أمَّا الطردُ من رحمة اللَّه في الدنيا، فإنه طردٌ من دائرة الإيمان الذي هو قرارٌ وأمنٌ في القلوب، وراحةٌ من عذابِ الشكِّ واليأس والحَيرة، والطردُ في الدنيا حرمانُ النفس من المعرفة الذكيةِ في القلوب، وهي معرفةُ اللَّه، ومعرفةُ النفس مَبْدَءً ومعادًا، ثم إنهم في الآخرة لا يُعاقَبون بالطرد من الرحمة فحسب، وإنما يَجدون عذابًا يُهينهم ويَستذلُّهم، قد أعدَّه اللَّهُ بجلالِه لهم، غضبًا عليهم، واستنكارًا لموقفهم، ونَلحظُ هنا أنهم في الدنيا يُعاقَبون عقوبةً سلبيةً، وهي الطردُ من الرحمةِ فحسب، وفي الآخرة يُعاقَبون عقوبتَيْن، عقوبةً سلبية، وهي الطردُ من الرحمة، وهذه عقوبةٌ قاسيةٌ حين ينظرون إلىٰ الذين فُتحتِ لهم أبوابُ الرحمة وهَنِئوا برضوانه سبحانه، ثم هناك عقوبةٌ أُخرىٰ، وهي العذابُ

---

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤/ ١٤٥٠ـ١٤٥١).

المُذِلُّ الذي أعدَّه اللَّهُ لهم»[1] .

*** الجـزاء من جنس العمـل: جَحَدوا رحمة اللَّه للعالمين، وآذوه ﷺ، فطردهم اللَّه من رحمته:**

* قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أرسله اللَّهُ رحمةً للعالمين، مَن آمن به، ومَن لم يؤمنْ به، والبشريةُ كلُّها قد تأثَّرت بالمنهج الذي جاء به ـ سابقًا لها ـ طائعةً أو كارهةً، شاعرةً أو غيرَ شاعرة؛ وما تزالُ ظِلالُ هذه الرحمةِ وارفةً، لمن يريدُ أن يستظلَّ بها، ويستروحَ فيها نسائمَ السماء الرخيَّة، في هجير الأرض المُحرِق.. إن البشرية اليومَ لفي أشدِّ الحاجة إلىٰ حسِّ هذه الرحمةِ ونداها، وهي قلقةٌ حائرة، شاردةٌ في متاهات المادية، وجحيمِ الحروب، وجفافِ الأرواحِ والقلوبِ.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»[1] .

أيةُ نَفسٍ حانيةٍ نفسُ رسول اللَّه ﷺ ! ، كانت الرحمةُ مُهجتَه.. تنتشرُ الرحمةُ لديه ﷺ حتىٰ يُغطِّي دِفؤها كلَّ مقرورٍ، وحتىٰ تشملَ الأحياءَ جميعًا من إنسانٍ وحيوان.. ويدورُ قلبُه الكبيرُ مع دواعي الرحمة حيث تدور، والرحمةُ عنده ليست نافلةً من نوافل البِر، بل واجبًا من واجبات الرشد،

---

(١) «من أسرار التعبير القرآني» دراسة تحليلية لسورة الأحزاب (ص٣٩٠ـ ٣٩١) للدكتور محمد محمد أبو موسىٰ ـ مكتبة وهبة ـ مصر.

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد، والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٤٩٠)، و«صحيح الجامع» برقم (٢٣٤١)، وكذا أخرجه الدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

وتَبِعةً من تَبِعات الحياة. . فالكلمةُ الطيبةُ رحمة، والنظرةُ العاطفةُ رحمة، والصَّفحُ الجميلُ رحمة، وعيادةُ المريض رحمة، بل وتشميتُ العاطسِ رحمة. . وسنفرد لرحمته الحانية فصلاً خاصًا في كتابنا المقبل. . ونكتفي هنا بأروعِ نماذجِ الرحمة تُجاهَ حِفْنةٍ من النمل:

● عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قَرَصتْ نملةٌ نبيًا من الأنبياء، فأَمَرَ بقريةِ النَّمل فأُحرقتْ، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه: أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أَحْرَقت أُمَّةً من الأمم تُسبِّح؟!»**[1].

انظروا كيف تتألَّقُ إنسانيةُ محمدٍ ﷺ ورحمتُه، وكيف تسمو وتُشرق!! انظروا، إن الذي يؤاخذُه اللَّه في هذه القصَّة ويعاتبُه على تخلِّيه عن الرحمة تُجاهَ حفنةٍ من النمل، ليس فردًا عاديًا. . بل هو نبيٌّ من الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

إن الصورة على بساطتها تتضمَّنُ أروعَ نماذجِ الرحمةِ على الإطلاق، وتكشفُ عن رحمةِ محمدٍ ﷺ العَذْبة. . كما لا يُكشف شيءٌ مثلها.

حفنةٌ من النمل، لا يدرك الناسُ لها - ولا لآلافٍ مثلِها قَدرًا - أيَّ قَدْرَ، ترتفعُ في عين «محمد» ﷺ إلى الحدِّ الذي يُتصوَّرُ لها عنده قداسةٌ وحُرمة!.

وتُقَدَّس حقوقُها إلى الحدِّ الذي يواخَذُ عنده نبيٌّ من الأنبياء؛ لأنه اعتدى عليها. . !! بل إنه حينَ يأمرُ بقتلِ حشرةٍ سامَّةٍ تفترسُ الناس بلَدْغِها. . يجعلُ المَهارةَ في قتلِها مرادفةً للرحمة بها. . انظروا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ قَتَل وزَغَةً في أوَّلِ ضربَة، كُتِب له مئةُ**

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

حَسَنَة، ومَن قَتَلها في الضَّرْبَة الثَّانية، فلهُ كذا وكذا حسنَة، وإنْ قتلها في الضَّرْبة الثالثة، فله كذا وكذا حَسَنة»[١] .

إن الوَزَغة حشرةٌ سامةٌ كالأفعىٰ، والخلاصُ من شرِّها ضروري. . ولكن حتىٰ هنا لا يَنسَىٰ «محمد» ﷺ فينشيءُ مِن مثوبةِ اللَّه سبحانه جائزةً لمن يُجهِزُ علىٰ تلك الحشراتِ القاتلة، دونَ أن يُسبِّب لها ألَمًا ـ أيَّ ألم ـ!! أجلْ، جائزةٌ لمن يُصيبُ الهدفَ دون أن يُبعثَ منه أنين. . !! . . ذلك أنَّ الرفقَ والرحمةَ عند محمد ﷺ هو جوهرُ الحياة وزينتُها.

● قال ﷺ: «ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلاَّ زانَه، ولا نُزع من شيءٍ إلاَّ شانه»[٢] .

هذه وَمْضةٌ من وَمَضاتِ رحمةِ محمدٍ رسول اللَّه ﷺ . . رحمتُه بالناس. . ورحمتُه بالأحياء جميعًا. . رحمةُ الرحمةِ المهداة الذي أرسله اللَّه رحمةً للعالمينْ.

● قال ﷺ: «الراحمون يرحَمُهم الرحمنُ تبارك وتعالى.. ارحَموا مَنْ في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السماء»[٣] .

● وقال ﷺ: «بينما كلبٌ يُطيف بركيَّة[٤] كادَ يقتله العطشُ، إذْ رأته

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، ومسلم عن عائشة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وزاد أحمد والترمذي والحاكم: «والرَّحم شُجْنةٌ من الرحمن، فمَنْ وصلَها وصلَهُ اللَّه، ومَن قطعها قطعه اللَّه..» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥)، و«صحيح الجامع» (٣٥٢٢).

(٤) الركيَّة: البئر.

بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنَزَعت مُوقها[١] ، فاستقتْ لهُ به، فغُفر لها»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «دخلت امرأةٌ النَّارَ في هِرةٍ ربَطتها؛ فلمْ تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكلُ مِنْ خَشاشِ الأرض؛ حتى ماتت»[٣] .

فمن وَسِعت رحمتُه الأحياءَ وجَحده أبعدُ الناس عن الرحمة، حُقَّ لهم أن يُطردوا مِن رحمةِ اللَّه في الدنيا والآخرة جزاءً وفاقًا.

* ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

◻ قال ابن جرير الطبري: «إن مُبغِضَك ـ يا محمد ـ وعدوَّك هو الأبتر. . يعني بالأبتر: الأقلَّ الأذلَّ المنقطعَ دابرُه الذي لا عَقِبَ له».

◻ عن ابن عباس ﷺ قال: «قَدِم كعبُ بنُ الأشرف مكةَ، فقالت له قريشٌ: أنت سيِّدُهم، ألا ترىٰ هذا الصنبور المُنبترَ من قومه يزعمُ أنه خيرٌ منَّا، ونحن أهلُ الحَجيج وأهلُ السِّدانة وأهلُ السِّقاية!! فقال: أنتم خيرٌ منه. . قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾»[٤] .

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: يَردُّ اللَّهُ الكيدَ علىٰ كائديه، ويؤكِّدُ اللَّهُ سبحانه أن الأبترَ ليس هو محمداً ﷺ، إنما هم شانؤوه وكارهوه.

ولقد صدَق فيهم وعيدُ اللَّه، فقد انقطع ذِكرُهم وانطوىٰ، بينما امتد

(١) المُوق: الخُفُّ.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة، والبخاري عن ابن عمر.

(٤) إسناده صحيح: رواه البزار، وأخرجه ابن جرير (٣/ ٣٣٠) وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

ذِكرُ محمد وعلا، ونحن نشهدُ اليومَ مِصداقَ هذا القولِ الكريم، في صورةٍ باهرة، واسعةِ المدىٰ كما لم يَشهَدْه سامِعوه الأوَّلون.

إنَّ الإيمانَ والحقَّ والخيرَ الذي جاء به محمدٌ ﷺ من عند ربِّه لا يمكن أن يكونَ أبتر، فهو ممتدُّ الفروع عميقُ الجذور، وإنما الكفرُ والباطلُ والشرُّ هو الأبتر مهما ترعرع وزَهَا وتَجبَّر.

إنَّ مقاييسَ اللَّهِ غيرُ مقاييس البشر، ولكنَّ البشرَ ينخدعون ويغترُّون فيَحْسَبون مقاييَسهم هي التي تقرِّرُ حقائقَ الأمور! وأمامَنا هذا المَثَلُ الناطق الخالد.

فأين الذين كانوا يقولون عن محمدٍ ﷺ قولتهم اللئيمة، وينالون بها من قلوبِ الرَّعاع أتباعِ كلِّ ناعق، ويَحسبون أنهم قد قضَوا علىٰ محمد ﷺ وقطعوا عليه الطريق، أين هم؟ وأين ذِكراهم؟ وأين آثارُهم؟ إلىٰ جوارِ الكوثر من كلِّ شيء، ذلك الذي أوتيه مَن كانوا يقولون عنه: الأبتر؟!.

إنَّ الدعوةَ إلىٰ اللَّه والحقِّ والخيرِ لا يمكنُ أن تكونَ بتراءَ، ولا يمكن أن يكونَ صاحبُها أبتر، وكيف وهي موصولةٌ باللَّه الحيِّ الباقي الأزَليِّ الخالد؟ إنما يُبترُ الكفرُ والباطلُ والشرُّ ويُبتَرُ أهلُه، مهما بدا في لحظةٍ من اللحظات أنه طويلُ الأجل ممتدُّ الجذور.

وصدق اللَّه العظيم.. وكَذَب الكائدون الماكرون.

* **لطيفة وإعجاز:**

سبحانَ مَلِكِ الملوك!! سبحان مَن كلامُه القرآنُ ـ وكلامُ المُلوك ملوكُ الكلام ـ!.

انظر إلىٰ بعضِ أسرار البيان وإعجازِ القرآن في سورة «الكوثر»، كلُّها تدورُ علىٰ أن شانِئَ النبيِّ هو الأبترُ تصدِّق ذلك سيرته:

◻ «إنَّ هذه السورةَ عَشْرُ كلماتٍ في الكتابة، إشارةً إلىٰ أن تمامَ بَتْرِ شانئه يكونُ مع تمامِ السَّنةِ العاشرةِ من الهجرة، وكذا كان، لم تَمْضِ السَّنةُ الحاديةَ عشْرةَ من الهجرة وفي جزيرةِ العرب إلاَّ مَن يَرىٰ أشرفَ أحواله بَذْلَ نفسِه ومالِه في حُبِّه، وإذا أضفنا إليها الضميرين المستترْينِ كانت اثنَتَي عشْرة، وفي السَّنة الثانيةَ عشْرةَ من النبوَّة بايعه ﷺ الأنصارُ علىٰ مُنابذةِ الكفار، وإذا أُضيف إلىٰ العشرةِ الضمائرِ البارزةِ الخمسةُ كانت خَمْسَ عشرة، فتكون إشارةً إلىٰ أنه ﷺ عند تمام السَّنةِ الخامسةَ عشْرةَ من نبوَّته يَبسُطُ يَدَه العاليةَ لبترِ أعدائِه، وكذا كان في وقعة «بدر» الرفيعة القَدْر، ففي ضمائرِ الاستتارِ كانت «البيعةُ» وهي مستترة، وفي الضمائرِ البارزة كانت «بدر» وهي مشتهرة، وإذا أضيف إلىٰ ذلك الضميرانِ المستترانِ كانت سَبْعَ عشرة، وفي السَّنة السابعةَ عشْرةَ، من نبوَّته كانت غزوةُ «بدر الموعد»، وفَّىٰ فيها النبي ﷺ بالوعد في الإتيان إلىٰ بدرٍ للقاءِ قريش للقتال ومقارعةِ الأبطال، فآذَنَهم اللَّهُ فلم يأتوا، وإنما اعتُبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة عندما عُدَّت الكلمات الخطيَّة العشر لكونها أقوىٰ أحوالِ النبوة ـ كما أن الكلماتِ الخطيةَ أقوىٰ من الضمائر وإنِ اشترك الكلُّ في اسم الكلمات ـ، فلذلك أُخذ تمام البتر للشانئ، وهو ما كان في السنة الحاديةَ عشْرةَ من هلاك أهلِ الرِّدة وثباتِ العرب في صفة الإسلام.. ولما ضُمَّت الضمائرُ البارزة الخمسة ـ التي هي أقربُ من المستترة إلىٰ الكلماتِ الخطية وأضعفُ من الكلمات الخطية ـ اعتُبر من أولِ السورةِ لمناسبةِ ما كان من ضعف الحال فيما

كان قبل الهجرة، فوازئ ذلك السنةَ الثانيةَ من الهجرة التي كانت فيها غزوةُ «بدرٍ الكبرىٰ»، وهي وإن كانت من العِظَمِ علىٰ أمر بالغٍ جداً، لكنها كانت علىٰ وجهٍ مخالف للقياس، فإنَّ حالَ الصحابة ﷺ كان فيها في غايةِ الضَّعف، ولكونها أولَ ما وقع فيه النصرُ من الغزوات لم تكن نفوسُ المخالفين مُذعِنةً؛ لأن ما بعدها يكون مِثْلَها، فإذا ضُمَّ إلىٰ ذلك الضميران المستتران ـ وهما أضعفُ من البارز ـ انطبق العددُ علىٰ سَنَةِ غزوةِ «بدر الموعد» في سنهِ أربع، وهي ـ وإن كانت قويةً لكونِ قريش ضَعُفوا عن اللقاء ـ لكنْ كان حالُها أضعفَ من «بدر» التي وقع فيها القتالُ وأستر، وكونُ كلماتِها الخطيةِ والاصطلاحيةِ التي هي أبعاضُ الكلماتِ الخطية سبْعَ عشْرةَ مؤذِنٌ بأن الأمرَ في ﴿فَصَلِّ﴾ مُصوَّبٌ بالذات وبالقصدِ الأول إلىٰ الصلواتِ الخمس التي هي سَبْعَ عشْرةَ ركعة، وأن مَن ثابر عليها كان مُصلِّيًا خارجًا من عُهدةِ الأمر، فإذا قُصِدَتْ في السَّفَرَ بما اقتضته صِفةُ التربية بالإحسان نَقَصت بقَدْرِ عِدَّةِ الضمائرِ سوىٰ الذي وفىٰ الأمر بها؛ لأن الأمرَ الناشئَ عن مَظهرِ العَظَمة لا يليقُ فيه التخفيفُ بنفس كلمةِ الأمر، وإذا أضفنا إليها كلماتِ البسملة الأربعَ كان لها أسرارٌ كبرىٰ من جهةٍ أخرىٰ، وذلك أن الكلماتِ الخطِّيَّةَ تكونُ أربعَ عشْرةَ إشارةً إلىٰ أن ابتداءَ البَتْرِ للأضداد يكونُ بالقوَّةِ القريبة من الفِعل بالتهيئ له في السَّنَةِ الرابعةَ عشْرةَ من النبوة، وذلك عامَ الهجرة، فإذا أضفنا إليها الضمائرَ البارزة التي هي أقربُ إلىٰ الكلمات الخطية ـ وهي خَمْسة ـ كانت تِسْعَ عشرة، وفي السنةِ التاسعةَ عشْرةَ من النبوة ـ وهي السادسة من الهجرة ـ كان الفتحُ المُبين علىٰ الشانِئين الذي أنزل اللّه فيه سورة «الفتح»، فإذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت إحدىٰ وعشرين

وهي سَنَةُ ثمانٍ من الهجرة سَنَةَ الفتحِ الأكبر الذي عمَّ العِلمُ فيه بأن الشانئَ هو الأبتر، وإذا اعتَبَرْتَ حُروفَها المتلفَّظَ بها كانت أربعةً وأربعينَ حَرْفًا، فإذا ناظَرْتها بالسِّنين مِن أولِ حينِ النبوة كان آخِرُها سنةَ إحدىٰ وثلاثين من الهجرة، وهي سنةُ البتر الأعظم لشانئِه الأكبر الذي مَزَّق كتابه، وكان مالِكًا لبلاد اليمن، وهو قَدْرٌ كبيرٌ من بلاد العرب، وكذا لغيرهم مما قارَبَ بلاده، وكانت قريشٌ تجعلُه مِن عدادهم، وهو كسرىٰ ملك الفرس، ففيها كان انقراضُ مُلكِهم بقتلِ آخِرِ ملوكِهم «يزدَجِرْد»، كما أنك إذا اعتبرت كلماتِها الخطيةَ مع الضمائر البارزة التي هي كلماتٌ اصطلاحية ـ دون ما استُتر ـ فإنَّ وجوبَ استتارِه مَنع من عَدِّه كانت تسْعَ عشْرَةَ كلمة، فإذا اعْتَبرت بها ما بعد الهجرة وازَتْ وقتَ موتِ «قيصَر» طاغية الروم في سنةِ تِسْعَ عشْرَةَ من الهجرة أهلكه اللَّه، وقد تجهَّز إلىٰ قتال العرب بالإسكندرية بنفسه، وأمر ألاَّ يتخلَّف عنه أحدٌ من الروم فكَسَر اللَّه بموته شوكةَ الروم، واستأسدت العربُ عند ذلك، فكانت الأحرُفُ مشيرةً إلىٰ بتر الشانئ من الفرس، والكلماتُ مشيرةً إلىٰ بتر الشانئ من الروم، والفرس أولىٰ بإشارةِ الأحرف لأنهم ليسوا بذَوِي عِلم، والروم بالكلمات لأنهم أهلُ علم، والكلماتُ أقربُ إلىٰ العلم، وإذا اعتَبَرْت أحرفَ البسملة اللفظيةَ كانت ثمانيةَ عَشَر حرفًا، فإذا جعلتها سنِين من أول النبوة كان آخرُها سنةَ خمسٍ من الهجرة، وفيها كانت غزوةُ «الأحزاب»، قال النبيُّ ﷺ ـ بعد انصرافهم منها ـ: **«الآن نغزوهم، لا يغزونا»**، فهو أولُ أخذِ الشانئِ في الانبتار، وإذا اعتبرتَ الأحرفَ بحسبِ الرسم كانت تسعةَ عشَرَ آخرُها سنةَ ستٍّ، هي عُمرةُ الحديبية سنةَ الفتح السَّبَبي، وهو الصُّلحُ الذي نزلت فيه سورةُ «الفتح» وسماه اللَّه فتحًا، وقال

النبي ﷺ : «إنه أعظمُ الفتح»، فكان سببُ الفتح الأعظم بخُلطةِ الكفارِ لأهلِ الإسلام بالصُّلح، فأسرعوا إلى الإسلام بالدخول فيه لِمَا رأَوا من محاسنِ الدين وإعجازِ القرآن، فكانوا يومَ الفتح عَشَرةَ الآفٍ ـ بعد أن كانوا قبلَ ذلك بسنتين يومَ الحديبية ألفًا وأربَعمئة ـ، واللَّه الموفق.

هذا يسيرٌ من أسرارِ هذه السورة، وقد عُلم منه من إعجازِها ما يشرحُ الخواطر ويُبهج النواظر؛ لأنه يفوقُ حُسنًا على الرياض النواضر، وعُلم أيضًا جنونُ الخبيثِ المَسخرةِ مُسيلِمةَ الكذاب ـ عليه اللعنةُ والتباب، وله سوءُ المنقلب والمآب ـ، حيث قال في معارضتها: «إنا أعطيناك الجماهر، فَصلِّ لربك وهاجر، إنا كفينـاك المُكابـر أو المُجاهر»؛ لأنه كلامٌ ـ مع أنه قصيرُ المدىٰ ـ، ركيكُ اللُّحمة والسدىٰ، غريقُ الساحة والفنا في الهلك والفنا، ليس فيه غَنىٰ، بل كلُّه نَصَبٌ وعنا، هَلْهَل النسـج، رثُّ القوىٰ، مُنفصمُ العُـرىٰ، مخلخَـلُ الأرجـا، فاسـدُ المعنـىٰ والبنا، سافلُ الألفـاظ، مر الجنا»[1] اهـ. فسبحان من علا كلامه علىٰ كل كلام.

* **معجزة متجدِّدة:**

◻ مهما غاصَ العلماءُ في بحارِ النورِ الزواخر، واستخرَجوا منها روائعَ اللآلئِ وبدائعَ الجواهر، ونثروها أو نَظَموها عقودًا في جِيد الزمان، أو جَعلوها تِيجانًا في مَفرِقَ الأيام للإحاطة بقَدْرِ هذه المعجزة المتجدِّدة لنبيِّنا، فلن يبلغوا من ذلك المنتهىٰ: «إن هذه الأرض، بأركانها الأربعة، وقارَّاتها الخمس، ومليارات‍ِها السِّتة، وفي دَوْرات أَيَّامها السَّبعة، لَتَشْهَدُ بأن

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢٢/ ٢٩٤ـ٢٩٨).

اسمِ النبي محمد ﷺ يتردَّدُ على مدارِ ساعاتِ اليوم، بل دقائقِ الساعة، بل ثواني الدقيقة، بل أجزاءِ أجزاءِ الثانية.. يتردَّدُ اسمُ محمد ﷺ كلَّ لحظةٍ تحتَ كلِّ سماء، فما مِن نَسَمةٍ مسلمةٍ في أرجاء العالم المملوءِ بالمسلمين، إلاَّ وهي تنطقُ اسمَ النبي ﷺ مقرونًا باسم اللَّه الأعلى، في كلِّ صلاةٍ مفروضة أو مسنونة، وتُردِّدُها في كلِّ أذانٍ وإقامةٍ، وفي الثناءِ والدعاء، والذِّكر والشكر.. فتبقى الأرضُ كلُّها تَلْهَجُ باسم النبي ﷺ، من كلِّ أصحابِ اللغات واللهجات، ومن كلِّ ذَوِي الجِنسيَّات والعِرْقيَّات، ومِن كلِّ الأعمارِ في كلِّ الأقطار، مَقرونًا باسم اللَّه، ليصدُقَ قولُ اللَّه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]..

فهو الذي تمَّ معنـــاه وصورتُـــه ثم اصطفـــاه خليـــلاً باريُّ النَّسَمِ

*** أَعْلى وأغلى مَثَلٍ للحقِّ رسولُ اللَّه ﷺ باقٍ ما بَقِيَتْ دُنيا الرحمن:**

* قال اللَّه تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾ [الرعد: ١٧].

مثلٌ للحقِّ والباطل يضربُه اللَّهُ: إن الماء لَينزلُ من السماء فتَسيلُ به الأودية، وهو يَلُمُّ في طريقه غثاءً، فيطفو على وجهه في صورةِ الزَّبد حتى لَيحجُبَ الزَّبدُ الماءَ في بعض الأحيان.. هذا الزَّبد نافشٌ رابٍ منتفخ - ولكنه بَعدُ غثاءٌ -، والماء من تحته ساربٌ ساكنٌ هادئ.. ولكنه هو الماءُ الذي يحملُ الخير والحياة.. كذلك يقعُ في المعادن التي تُذابُ لتصاغَ منها حِليةٌ كالذهب

والفضَّة، أو آنيةٌ، أو آلةٌ نافعةٌ للحياة، فإنَّ الخَبَثَ يطفو وقد يَحجُبَ المعدِنَ الأصيل، ولكنه بَعْدُ خَبَثٌ يَذهبُ ويبقىٰ المعدنُ في نقاء.

ذلك مَثَلُ الحقِّ والباطلِ في هذه الحياة، فالباطلُ يطفو ويعلُو ويَنتفخُ ويبدو رابيًا طافيًا، ولكنه بَعْدُ زبدٌ أوْ خَبَث، ما يَلبثُ أن يذهبَ جُفاءً مطروحًا لا حقيقةَ له ولا تماسُك فيه.. والحَقُّ يظلُّ هادئًا ساكنًا، وربما يَحسَبُه بعضُهم قد انزوىٰ، أو غار، أو ضاع، أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماءِ المحيي والمعدِنِ الصريح.

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

إنَّ الكلمةَ الطيِّبة - كلمةَ الحق - كالشجرة الطيبة.. ثابتةٌ سامقةٌ مثمرة.. ثابتةٌ لا تزعزعُها الأعاصير، ولا تعصِفُ بها رياحُ الباطل، ولا تقوىٰ عليها مَعاولُ الطغيان، سامقةٌ متعالية، تُطِلُّ علىٰ الشرِّ والظُّلم والطغيانِ من علٍ وإنْ خُيِّل إلىٰ البعض أحيانًا أن الشرَّ يَزْحَمُها في الفضاء، مثمرةٌ لا ينقطعُ ثمرُها؛ لأن بُذورَها تَنبُتُ في النفوس المتكاثرة آنًا بعد آن.

وإنَّ الكلمةَ الخبيثةَ - كلمةَ الباطل - كالشجرة الخبيثة، قد تَهيجُ وتتعالىٰ وتتشابك، ويُخيَّلُ إلىٰ بعضِ الناس أنها أضخمُ من الشجرة الطيبة وأقوىٰ، ولكنها تظلُّ نافشةً هشَّةً، وتظلُّ جذورُها في التربة قريبةً حتىٰ لكأنها علىٰ وجهِ الأرض.. وما هي إلاَّ فترةٌ ثم تُجتَثُّ من فوقِ الأرض، فلا قرار لها

ولا بقاء.

والخيرُ الأصيل لا يموتُ ولا يَذوِي، مهما زَحَمه الشرُّ وأَخَذ عليه الطريق.. والشرُّ كذلك لا يعيشُ، بل يتهالكُ ويتهشَّم، مهما تضخَّم واستطال.

إنَّ الخيرَ بخير! وإنَّ الشرَّ بِشَر.

* ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾:

كلامُ الملوك ملوكُ الكلام، فقد تكفَّل اللَّهُ بنصرِ نبيِّه.. فقد نصَرَه اللَّه.. هكذا أتت بصيغة الماضي.. قبل هذا الوجود.. وقبل خَلقِ السماوات والأرض بخمسين ألفَ سَنَةٍ حين قدَّر اللَّهُ مقاديرَ الخلائق.. بل قبل ذلك.. فالقرآنُ من كلامِ اللَّه، وكلامُ اللَّه صفةٌ للَّه.. انتهت القصة والأيامُ كفيلةٌ بإبرازِ ذلك.. يَبقى ذِكرُه، ويتولَّى اللَّهُ نُصرتَه، ويذهبُ شانؤوه إلى مزابلِ التاريخ.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، يكفيك من كلِّ ما أهمَّك، يَحفظُك في الأزمات، ويَرعاك في المُلِمَّات، ويَحميك في المُدْلَهِمَّات.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، فهو ناصرُك على كلِّ عدو، ومُظهِرُك على كلِّ خَصم، ومؤيِّدُك في كلِّ أمر، يُعطيك إذا سألت، ويغفرُ لك إذا استغفرت، ويَزيدُك إذا شكرت، ويَذكُرُك إذا ذَكرت، وينصرُك إذا حاربت، ويوفِّقك إذا حكمت.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، يَمنحُك العزَّ بلا عشيرة، والغِنَى بلا مال، والحفظَ بلا حَرَس، فأنت المُظَفَّر؛ لأنَّ اللَّه حَسْبُك! وأنت المُوفَّق لأنَّ اللَّه حَسْبُك،

فلا تَخَفْ من عينِ حاسد، ولا مِن كيدِ كائد، ولا مِن مكْرِ ماكر، ولا مِن خُبثِ كافر، ولا من حِيلةِ فاجر؛ لأن اللَّهَ حسبُك.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، مِن صولةِ الباطل، ودعايةِ الشِّرك، وجَلَبَةِ الخصوم، ووعيدِ اليهود، وخُبْثِ النصارىٰ وكفرِهم، وتَربُّص المنافقين، وشماتةِ الحاسدين.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.. إذا أعرَضَ القريب، وشَمِت العدو.. إذا أتت المصائبُ، وتوالَت الخطوب، وحفَّتِ النكبات.

﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.. إذا أبطأ النصرُ، وتأخرَّ الفتح، واشتدَّ الكرب، وادْلَهمَّ الخَطْب.. أنت مَحفوظٌ لأنك بعينِ اللَّه، وأنت محروسٌ لأنك خليلُه، وأنت في رعياته لأنك رسولُه، وأنت في حِمايته لأنك عبدُه المُجتبَىٰ، ونبيُّه المصطفىٰ ﷺ، ولأنك الجوهرةُ اليتميةُ التي ما جاد بِمثلها الزمان ـ مِن قَبلك ولا من بعدِك ـ إلىٰ أن يَرِثَ اللَّهُ الأرضَ ومن عليها.

❑ قال ابن عباس رضي الله عنهما ـ وللَّه درُّه ـ: «واللَّهِ ما خَلَق اللَّه وما ذَرأ وما برأ نَفْسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ.. وما أقسَمَ اللَّهُ بحياةِ أحدٍ غيره».

* قال تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]..

فهو الذي تَمَّ معناهُ وصـــورتُهُ ... ثُم اصطفاه خليلاً بارئُ النَّسَمِ

* * *

عُذْرًا رسول اللَّه[١]

«فِي الذَّب عَنْ رسُول اللَّه ﷺ وردْعِ البقَرِ الدنمَارِكيِّ الحلُوب»:

إِلَىٰ فَيْءِ الحَضَارَةِ، بَلْ سَقْطِ السَّفَالَةِ، وَأَدْعِيَاءِ التَّقَدُّمِ، ولُصُوصِ التَّمَدُّنِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ سَفِهُوا، وَأَوْحَلُوا، فَعَابُوا أَطْهَرَ الخَلْقِ، وأَشْرَفَ الرُّسُلِ، فَعَلا وسَفِلُوا، وطَهُرَ ودَنِسُوا، وخَلُدَ وذَهَبُوا إِلَىٰ مَزَابِلِ التَّارِيخ.

إِلَيْهِمْ وإِلَىٰ أَذْنَابِهِمْ، أُولئِكَ الذين أَعْمَاهُمْ بَرِيقُ الغَرْبِ الخَادِعُ، فَرَاحُوا يَتَهَافَتُونَ عَلَيْه تَهافُتَ الفَرَاشِ عَلَىٰ النَّارِ، بَلْ رَاحُوا يَتدافَعُونَ عليْهِ تَدَافُعَ الحُمُرِ عَلَىٰ المُسْتَنْقَعِ الآسِنِ، إليهمْ-ولَيْتهُمْ يعقلُون..

حِمَمٌ تَثُــورُ وأَنْفُسٌ تَتَفَطَّــرُ ... وأَزِيــزُ أَفْئِـدَةٍ تَـكَادُ تَبَخَّــرُ

ومَدَامِعٌ بِدُمُوعِهَا ثَمِــلَ[٢] الثَّرَى ... وتَدَفَّـقَـتْ بِدِمَائِـهِـنَّ الأَبْحُــرُ

تَرْنُو إِلَيْكَ شَوَاخِصًا مَشْــدُوهَةً[٣] ... قَرْحَى فمَا تَغْفُــو ولاَ هِيَ تُبْصِـرُ

وجَوَانِحٌ كَالنَّارِ تَحْطِــمُ نَفْسَــهَا ... وتَـكَادُ مِنْ غَيْـظٍ بِهَــا تَتَنَاثَرُ

وجِبَــالُ غَيْــمٍ تَسْتَحِيلُ مجامِرًا ... وتَكَادُ تَقْذِفُ بِالجِمَارِ وتَهْمُــرُ[٤]

واليَمُّ مَــوَّارُ الجَوَانِــحِ هَائِــجٌ ... يَنْهَى جُمُــوعَ العَالَمِــينَ ويُنْــذِرُ

يَسْتَأْذِنُ الجَبَّــارَ يُغْرِقُ جَمْعَهُمْ ... فَلَطَالَمَا نَقَضُوا العُهُودَ وأَخْفَـرُوا

وإِخَالُ هَــذِي الشَّمْسَ تَسأَلُ رَبَّهَا ... أَنْ تَحْرِقَ الكَوْنَ الأَثِيـمَ وتَصْهَرَ!

---

(١) قصيدة: «أين الأزهرُ؟!!» لشقيقي الشاعر عبداللَّه حسين عبداللَّه العفاني.

(٢) ثمل: سكِر.

(٣) مشدوهة: متحيِّرة. شَده: شُغِل وتحيَّر.

(٤) تهمُر: همر: صبَّ.

وتَخِرُّ تحتَ العَرْشِ تَرْجُو رحمةً: إنْ أَمْهَلَ البَاغِينَ ألاَّ تُسْفِرُ
والأرْضُ مِنْ حَنَقٍ تَمُورُ زَلازلاً وتَوَدُّ لَوْ تَئِدُ العُصَاةَ وتَقْبُرُ
حَتَّى النَّسِيمُ العَذْبُ يُعْلِنُ ثَــوْرَةً ويَثُورُ إعْصَــاراً يُبِيدُ.. يُدَمِّرُ
ضَجَّ الوُجُودُ بِنَا وثَــارَ جَمَادُهُ أنْ يُسْتَضَامَ بِهِ النَّبِيُّ الأنْـــوَرُ

* * *

أعصَابَةَ «البَقَرِ الحَلُوبِ» رُوَيْدَكُمْ فَسَوَائِمُ[1] الأبْقَارِ مِنْكُمْ أحْضر[2]!
مَا كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَسُومَ قَطِيعَكُمْ بِنِصَالِ قَافِيَـةٍ تَفُلُّ[3] و«تَنْحَـــرُ»
مَا كُنْتُ أَهْوَى لاَ لِرِفعَةِ قَدْرِكُمْ فَلأَنْتُــمُ أَدْنَى لَدَيَّ وأحْقَـــرُ
لكنْ لأَسْمُوَ فَوْقَ وَهْدَةِ وَحلِكُمْ حَيْثُ الجَنَانُ ومِسْكُهُنَّ الأذْفَرُ
لكِنَّكُمْ تَأْبَوْنَ غَيْــرَ قَصِــيدَةٍ تُبْدِي سُــعَارَ «جُنُونِكُمْ» وتُحذِّرُ
وكذلكَ الأبْقَارُ يُعْضِلُها[4] الحِجا[5] ويسُوسُهَا السَّوْطُ الرفيعُ ويزْجرُ!
فَلْتُفْسِحُوا لِي ضَيِّقَاتِ صُدُورِكُمْ أَجْلُوا غِشَــاوَةَ قَلْبِهَـا وأُطَهِّــرُ

* * *

أَيْنَ الحَضَارَةُ يَا رَجِيعُ[6] حَضَـارَةٍ رَعْنَــاءَ مِنْ وَحْلِ البَذَاءَةِ تَسْكَرُ!

---

(١) سوائم: جمع سائمة: الإبل التي تُترك ترعى حيث شاءت.
(٢) أحضر: أكثر تحضراً.
(٣) تَفُلُّ: فَلَّ السيف: ثَلَمَه وكسر حدّه.
(٤) يُعضِلُها: أعضَلَه الأمر: غلَبه، والمقصود: أنها لا تعقل.
(٥) الحِجا: العقل.
(٦) رجيع: عَذِرة: غائط.

أَمِنَ الحَضَارَةِ أَنْ أَسُبَّ جَهَالَةً ... مَنْ لَسْتُ أَدْرِي سَمْتَهُ بَلْ أَسْبُرُ[1]

أَتَرَوْنَ خَيْرَ الخَلْقِ صَبًّا وَالِهًا ... فَمُنَاهُ مِنْ خَلْفِ النِّسَاءِ تَقَصُّرُ؟!

أَوَمَا خَبَرْتُمْ كَمْ تَزَوَّجَ ثَيِّبًا[2] ؟! ... وَالزَّهْرُ بَعْدَ قِطَافِهِ مَا يَسْحَرُ!

ما رَامَ أَبْكَارًا هُنَالِكَ خُرَّدًا[3] ... يَنْدَى لَهُنَّ الحُسْنُ بَلْ يَتَخَدَّرُ

بَلْ لِلأَرَامِلِ كَيْ يَصُونَ عَفَافَهَا ... فَتَقَرَّ حَاضِنَةٌ وَيَحْلُمَ قُصَّرُ

وَيَلُمُّ شَعْثَ قَبَائِلٍ حَوْلَ الهُدَى ... فَيَضُمُّ أَقْطَارًا[4] لها ويُصَاهِرُ

وَلِحِكْمَةٍ لَسْنَا نَرَاحُ[5] طَيُّوبَهُ ... وَلَئِنْ تَفَانَى فِي سَنَاهَا النَّاظِرُ

هُوَ إِنَّمَا بِالوَحْيِ عَاشَ حَيَاتَهُ ... بِالوَحْيِ مَا يُبْدِي وَيُخْفِي الخَاطِرُ

مَا إِنْ يُجَاوِزُ أَمْرَهُ وَسَبِيلَهُ ... لِلَّهِ إِذْ يَرْسُو وَإِذْ هُوَ يُبْحِرُ

أَحُثَالَةَ الشُّذَّاذِ أَنْتُمْ مَنْ هَجَى ... مِنَّا الرَّسُولَ وَرَاحَ فِيهِ يُغَامِرُ؟!

أَتَرَوْنَ تَعْدَادَ الحَلَائِلِ[6] سُبَّةً ... وَجَرِيمَةً نَكْرَاءَ مَا إِنْ تُغْفَرُ؟!

فَقَطِيعُكُمْ أَبَدًا يُدَنْدِنُ حَوْلَهَا ... وَيَحُومُ حَوْلَ رَبِيعِهَا وَيُخَوِّرُ[7]

لَكِنَّ تَعْدَادَ الحَلَائِلِ رِفْعَةٌ ... عَلْيَاءَ مَا يَرْقَى لَهَا مُتَأَخِّرُ!!

---

(١) أسبر: سبر الشيء: خَبَرَه.

(٢) ثَيِّبًا: الثَّيِّب: المرأة التي سبق لها الزواج.

(٣) خُرَّدًا: جمع خريدة: وهي البكر التي لم تُمَسّ قط، الحَيِيَّة، الطويلة السكوت من حياء لا من ذُلٍّ، الخافضة الصوت، الخفرة المُستترة.

(٤) أقطارًا: جوانبًا.

(٥) نراحُ: راح الشيء يريحه: وجد رائحته.

(٦) الحلائل: جمع الحليلة: الزوجة.

(٧) الخُوار: صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعِجْل.

أَمَّا مُضَاجَعَةُ الرِّجَال فَمُتْعَةٌ وحضارةٌ تَسْبِي القُلُوبَ وتَأسرُ!!

بَلْ إِنَّ تَعْدَادَ المَحَارِمِ فِيكُمُ شَرَفٌ ومَجْدُ حَضارة تَتَفَاخَرُ!!

فَلِمَجْدِكُمْ مَجْدُ «الحَمير» بِحيِّنَا تَلْهُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وتَفْجُرُ

وإذا الحَيَاءُ تَجَاهلَتْكَ طُيُوبُه فعجائبُ الأقذارِ فيكَ تَكَاثَرُ!!

ولَكُمْ يَسُودُ المُتْرَفِين زَنِيمُهُم[1] ويُطاوِلُ الأشرافَ قَزْمٌ عاهرُ!!

«أَبْقَار» أُوربَّا أَمَا بِرُؤُوسكُمْ مِثْقَالُ ذَرٍّ مِنْ نُهًى تَتَفَكَّرُ؟!

فَزَعَمْتُمُ المَعْصُومَ أَسَّسَ أُمَّةً بِبَوَاتِرٍ تُحْنِي الرُّؤُوس وتَقْهَرُ!!

أَوَمَا دَرَيْتُمْ كَيْفَ رَدَّ جِبَالَهَا؟! فَعَسَى يَفِي وَلَدٌ ويُسْلِمُ كَافِرُ

أَتَرَوْنَ لَوْ قَهَرَ الجُسُومَ بِسَيْفِه كَانَتْ تَهِيمُ بِهِ القُلُوبُ وتَنْصُرُ

أَفَهَلْ دَرَيْتُمْ أُمَّةً بِسُيُوفِهَا تَزْكُو وتَرْشُفُ مِنْ جناهَا الأَعْصُرُ؟!

فَلْتَسْأَلُوا عَنْهَا بُغَاةَ «رُعَاتِكُمْ» هَلْ قَرَّ فِي أَرْضِ الفرات مُجَامِرُ؟!

بَلْ كَيْفَ تَكْثُرُ والمَعَامِعُ جَمَّةٌ وقَد ارْتَخَتْ يَدُهَا وفُلَّ البَاتِرُ؟!

أَمْ هَلْ خَبَرْتُمْ أُمَّةً بِحِرَابِهَا لَمَّا تَزَلْ فِي كُلِّ صِقْعٍ تُزْهِرُ؟!

ولْتَنْظُرُوا لَمَّا يَزَلْ بِبِلاَدِكُمْ يَنْمُو لَنَا الدَّوْحُ الوَرِيفُ ويُثْمِرُ!

ولْتَسْأَلُوا عَنَّا «الهُنُودَ» وسِلْمهِمْ لِمَلاَئِك يِهُدَى الشَّرِيعَةِ تَاجَرُوا!

لَمَّا تَزَلْ أُمَمُ العدَا إِذْ أَسْلَمَتْ تَزْدَانُ - من نَسَب إِلَيه - وتَفْخَرُ

وإِذَا الجَوَارِحُ[2] لَمْ تُرَوِّضْهَا النُّهى بَالَتْ مَدَامِعُهَا وغَاطَ[3] المِشْفَرُ!

---

(١) زنيمهم: الزنيم: ولد الزِّنى الملصق بالقوم وليس منهم.

(٢) الجَوَارِحُ: أعضاءُ الإنسانِ.

(٣) غاط: قضى حاجتهُ.

عُذْرًا رَسُولَ اللَّهِ دُونَ خِطَابِكُمْ تَعْنُوا فَلاسِفَةُ البَيَانِ وتَعْقُرُ[1]
مَا زِلْتُ دُونَ حَدِيثِكُمْ مُتَحَيِّرًا لَهْفَانَ أُقْدِمُ تَــارةً وأُؤَخِّرُ!!
مَا زِلْتُ خَلْفَ اللَّفْظِ أَلْهَثُ جَاهِدًا ومَشَاعِرِي بِمَشَاعِرِي تَتَعَثَّرُ!!
كَيْفَ الحَدِيثُ وذِي شَمَائِلُ ثَــرَّةٌ وعَبِيرُ جَنَّاتٍ يَفُوحُ وعَنْبَرُ؟!
ونَدًى لِطِيبِ رُضَابِهِ ثَمِلَ النَّدَى واشْتَاقَ وَرْدٌ واسْتَهَامَ صُنُوبَرُ!
وإخَالُ أشجارَ الوُجُودِ وقَدْ ذَوَتْ[2] فَإِذَا ذُكِرْتَ خَيَالُها تَخْضَوْضَرُ
بَلْ سَبَّحَ الصَّخْرُ الجَمَادُ بِكَفِّكُمْ بَكَتِ الجِمالُ.. هَفَا إِلَيكَ المِنْبَرُ
مَاذَا أَقُولُ أَنا وتِلْكَ سَمَاتُكُم بَيْضَاءَ تَعْشَى من سَنَاها الأَسْطُرُ؟!
فَلْيَكْفِنِي شَــرَفًا أُنَافِـحُ[3] عَنكُمُ فَلِذَاكَ عِزُّ الدَّهْرِ بَلْ هُوَ أَكْبَرُ

* * *

أَيْ أُمَّةَ الإِسلامِ أَخْيَرَ أُمَّةٍ ثُورُوا لِعِرْضِ نَبِيِّكُمْ ولْتَثْأَرُوا
ثُورُوا ولَكِنْ ثَوْرَةً فَوْقَ النُّهَى تُوْدِي فَما يُجْدِي الهُتَافُ الثَّائِرُ؟
فَلْتَطْرُدُوهُمْ واقْطَعُوا أَذْنَابَهُم قَطْعًا تَذِلُّ له الرُّؤُوسُ وتَصْغُرُ
بل قاطِعُوهم هم عَبِيدُ دَرَاهِمٍ وجِراحُ عَبْدِ المالِ ما تَتَخَثَّرُ[4]
وأَرُوا العَوالِمَ مِن مَحَاسِنِ دِينِكُمْ ما لَيْسَ يُنْكِرُهُ الكَفُــورُ الأَكْفَرُ
ولْتَقْتَفُوا أَثَرَ النَّبِيِّ فطَالَما سَكَنَ الشَّرِيدُ لَهُ وحَنَّ النَّافِرُ

---

(١) تعقرُ: تعقم: لا تلدُ.

(٢) ذَوَت: يبست.

(٣) أنافحُ: أدُافعُ.

(٤) تتخثَّرُ: تلتئم.

ما زالَ سُؤَالٌ في الجَوَانِحِ ثَارٌ يَذْوِي به القَلْبُ الكَلِيمُ ويَزْفُرُ
أيثُورُ كَلْبٌ(١) إِذْ يُسَبُّ رَسُولُنَا «والرُّكْنُ» مَنْزُوعُ اللِّسَانِ وخَائرٌ؟!
أَنَّى لَهُ ثَأْرُ المُحِبِّ وقَلْبُهُ يَعْمَى لآثارِ الرَّسُولِ ويَهْجُرُ
ما زلتُ أَسأَلُ والعيونُ سَوَاجِمٌ(٢) دارَ المآذِنِ: أينَ مِصْرُ.. الأَزْهَرُ؟(٣)

* * *

✍ نبدأُ في ذِكرِ أعداءِ رسول اللَّه ﷺ وشانئيه عبرَ التاريخ. . وفي ذِكرِ مصيرِهم ومآلِهم أعظمُ العِبَر لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد. . نَرىٰ كيف ذهبوا إلىٰ مزابلِ التاريخ تُشيِّعُهم لَعَناتُ اللاعنين جزاءَ تبجُّحِهم وتطاوُلِهم علىٰ سيِّد السادات، أزكىٰ وأغلىٰ وأعلىٰ وأحلىٰ البشر رسولِ اللَّه ﷺ . . وإنْ نعلمُ لبعضهم خاتمةً تُذكر فيها العِبرة فموعدنا يومَ القيامة. . اللَّهُ الموعد. . وهو الذابُّ عن نبيِّه، ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٤٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [فرقان: ٢٧ - ٢٩].

---

(١) ذكر ابن حجر في «الدرر الكامنة» أن نصرانيًا سب رسول اللَّه ﷺ وأقذع في السَّب فقطع الكلب رباطه ووثب علىٰ عنق الصليبي وقلع زوره في الحال، فأسلم نحو أربعين ألفًا من المغول.

(٢) سواجم: سجمت العين الدمع: صبّته.

(٣) كُتبت السابعة مساء الأربعاء ٩ من المحرم ١٤٢٧هـ، ٨ من فبراير ٢٠٠٦م.

* وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

*** أبو جهل ـ لعنه اللَّه ـ، فرعونُ هذه الأُمَّة وأكبرُ أعداءِ النبي ﷺ:**

عدوُّ اللَّه أبو جهل، أكبرُ مُجرمي قريشٍ، وأكبرُ أعداءِ النبي ﷺ، ناصبَه العِداءَ حتى آخرِ رمَقٍ من حياته، ملأ الأرضَ كُفرًا، وعاث في الأرض فسادًا، هو فرعونُ هذه الأُمَّة.. ومِن أكابرِ شياطينِ الإنس ـ لعنه اللَّه ـ.

مِن أجلِ الرئاسة وحسدًا للنبي ﷺ، جَحَد نبوَّة خليلِ الرحمن محمدٍ ﷺ، وهو العليمُ بصِدقِ رسولِ اللَّه ﷺ.

● عن المغيرةِ بنِ شُعبة ﷺ قال: «إنَّ أولَ يومٍ عَرفتُ فيه رسولَ اللَّه ﷺ كنتُ أنا وأبو جهلِ بنُ هشام في بعضِ أزِقَّةِ مكة، إذْ لَقِينَا رسولُ اللَّه ﷺ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ لأبي جهل: «**يا أبا الحكم! هَلُمَّ إلى اللَّه وإلى رسوله، إني أدعوك إلى اللَّه**»، فقال أبو جهل: يا محمدُ، هل أنت مُنتهٍ عن سَبِّ آلهتنا؟ هل تريدُ إلاَّ أنْ تشهدَ أنْ قد بلَّغتَ؟ فواللَّهِ لو أني أعلمُ أنَّ ما تقولُ حقًّا ما تَبِعتُك!. فانصرف رسولُ اللَّه ﷺ، وأقبل عَلَيَّ، فقال: واللَّهِ إني لأعلمُ ما يقول حقٌّ، ولكن بَنِي قُصَيٍّ قالوا: فينا الحِجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا النَّدْوة، قلنا: نعم، قالوا: فينا اللواءُ، قلنا: نعم، قالوا: فينا السِّقاية، قلنا: نعم. ثم أطعَموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكَّتِ الرُّكَبُ قالوا: مِنَّا نَبِيٌّ! فلا واللَّهِ لا أفعل»[1].

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب اللَّه تعالى من الإعجاز (٢٠٧/٢).

□ قال المِسْوَرُ بنُ مَخْرمة ـ وهو ابنُ أختِ أبي جهل ـ لأبي جهل: «يا خالي، هل كنتم تتَّهِمون مُحَمَّدًا بالكذِب قبلَ أن يقولَ ما قال؟ فقال: يا ابنَ أختي، واللَّهِ لقد كان محمدٌ فينا وهو شابٌّ يُدعَىٰ «الأمين»، فما جرَّبنا عليه كَذِبًا قطُّ. قال: يا خال، فما لكم لا تتَّبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازَعْنا نحن وبنو هاشم الشرفَ، فأطعَموا وأطعَمْنا، وسَقَوا وسَقَيْنا، وأجارُوا وأَجَرْنا، حتىٰ إذا تجاثَيْنا على الرُّكَب ـ وكنَّا كفَرَسَيْ رهانٍ ـ قالوا: «مِنَّا نبيٌّ»، فمتىٰ نُدرِك مثلَ هذه؟».

□ وقال الأخنسُ بنُ شَرِيق يومَ بدرٍ لأبي جهل: «يا أبا الحكم، أخبِرْني عن محمدٍ، أصادِقٌ هو أمْ كاذبٌ، فإنه ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيري وغيرُك يسمعُ كلامنا؟ فقال أبو جهل: وَيحك! واللَّهِ إن محمَّدًا لصادق، وما كَذَب محمدٌ قط، ولكنْ إذا ذهبتْ بنو قُصَيٍّ باللواءِ والحِجابةِ والسِّقايةِ والنُّبوَّة، فماذا يكون لسائرِ قريش؟»[1].

□ وروىٰ البيهقي بسنده عن ابن إسحاقَ: حَدَّثَني الزُّهريُّ قال: حُدِّثتُ أنَّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنسَ بنَ شَرِيق خَرَجوا ليلةً ليسمعوا من رسول اللَّه ﷺ وهو يُصلِّي بالليل في بيته، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلسًا ليستمع منه، وكلٌّ لا يعلمُ بمكانِ صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا أصبحوا وطَلَعَ الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريقُ فتلاوَموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعضُ سفهائِكم لأوقعتم في نفسِه شيئًا. ثم انصرفوا.. حتىٰ إذا كانت الليلةُ الثانيةُ عاد كلُّ رجلٍ منهم إلىٰ مجلسِه،

(١) «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ» لابن قيم الجوزية (ص٥٠ ـ ٥١). دار الريَّان للتراث ـ القاهرة.

فباتوا يستمعون له، حتى إذا طَلَع الفجر تفرَّقوا، فجَمَعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أولَ مرة، ثم انصرفوا.. فلما كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلسَه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طَلَع الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعهم الطريقُ، فقالوا: لا نَبْرَحُ حتى نتعاهَدَ ألاَّ نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرَّقوا. فلما أصبح الأخنسُ بنُ شَريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني - يا أبا حنظلة - عن رأيك فيما سمعتَ من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، واللَّهِ لقد سمعتُ أشياءَ أعرفُها وأعرفُ ما يُرادُ بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حَلفتَ به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيتَه، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمدٍ؟ فقال: ماذا سمعتُ؟! تنازَعْنا نحن وبنو عبد منافٍ الشرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعطَوْا فأعطَيْنا، حتى إذا تجاثَيْنا على الرُّكَب - وكُنَّا كفرسَيْ رِهان - قالوا: مِنَّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء.. متى نُدرِكُ هذه؟ واللَّهِ لا نسمعُ به أبدًا ولا نصدِّقه.. فقام عنه الأخنس بن شَريق»[1].

فيا له من قزمٍ أحمقَ، مكَّن الهوى والعنادَ من قلبه، والجحودَ والكفرَ والحسدَ والبَغْيَ مِن صَدره، والمخالفةَ من جوارحه، فصار يتقلَّبُ في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعض، فمُدْخلُه ظُلمة، ومُخْرَجُه ظُلمة، وقولُه ظُلْمة، وعملُه ظلمة، وقَصْدُه ظلمة، وهو متخبِّطٌ في ظلماتِ طبعِه وشِرْكه وهواه، وقلبُه مُظلم، ووجهُه مُظلم.. أشرَقَ له نورُ النبوة، فكان بمنزلة إشراقِ الشمس على بصائرِ الخُفَّاش..

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٢).

بصائرُ أعشاها النهارُ بضَوئِـه ولاءمَها قِطعٌ من الليل مظلمُ

أصَمَّه اللَّهُ وأبْكَمَه وأعماه، فهو ميِّت الدارَين، فاقدُ السَّعَادتَيْن، قد رضِي بخِزي الدنيا وعذابِ الآخرة، باع التجارةَ الرابحة بالصفقةِ الخاسرة، قلبُه عن نبي اللَّه ﷺ مصدود، وسبيلُ الوصول إلى جنةِ ربِّه وقُربُه منه مسدود، هو وليُّ الشيطان، وعدوُّ الرحمن، وأبو الكفرِ والفسوقِ والعِصيان.

* ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾:

☐ عن سعيدِ بن جُبير قال: «قلت لابن عباس: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥] قال: قاله رسول اللَّه ﷺ لأبي جهل، ثم أنزله اللَّه -عز وجل-»(١).

* قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣١-٣٥].

☐ قال الطبري: «يقول تعالى ذِكرُه: لَم يُصدِّقْ بكتابِ اللَّه، ولم يُصَلِّ له صلاةً، ولكنه كَذَّب بكتابِ اللَّه، وتولَّى فأدبَرَ عن طاعةِ اللَّه».

☐ قال قتادة: «قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: لا صَدَّقَ بكتابِ اللَّه، ولا صلَّى للَّه، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ كذَّب بكتابِ اللَّه، وتولَّى عن طاعة اللَّه».

---

(١) رواه النسائي، وأبو داود. والحديث رجاله رجال الصحيح كما في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٦٩) لمقبل الوادعي.

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ .

◘ قال قتادة: «أي: يتبختر.. وهو أبو جهل ابن هشام، كانت مشيته».

◘ وقال مجاهد: «كان يتبختر».

◘ وقال أيضًا: «﴿ يَتَمَطَّىٰ ﴾ أبو جهل».

◘ وقال ابن زيد: «هذا في أبي جهل متبخترًا»[(١)] .

● وقد نهى النبي ﷺ عن هذه المِشية، فقال: «إذا مَشَتْ أمَّتي المُطَيْطاء، وخَدمها أبناءُ الملوكِ ـ أبناءُ فارسَ والرومِ ـ، سُلِّط شِرارُها على خيارِها»[(٢)] .

كان أبو جهلٍ عمرُو بنُ هشامٍ يجيءُ أحيانًا إلى رسول اللَّه ﷺ يَسمعُ منه القرآنَ، ثم يذهبُ عنه، فلا يؤمنُ ولا يُطيع، ولا يتأدبُ ولا يخشى؛ ويؤذِي رسولَ اللَّه بالقول، ويَصُدُّ عن سبيل اللَّه.. ثم يذهبُ مُختالاً بما يفعل، فخوراً بما ارتكب من الشر، كأنما فَعَل شيئًا يُذْكَر.. والتعبيرُ القرآني يتهكَّمُ به، ويَسخرُ منه، ويُثير السُّخرية كذلك، وهو يُصوِّرُ حركةَ اختياله بأنه ﴿ يَتَمَطَّىٰ ﴾، يَمُطُّ في ظهره، ويتعاجَبُ تعاجُبًا ثقيلاً كريهًا!.

وكم من أبي جهلٍ في تاريخ الدعوة إلى اللَّه، يَسمعُ ويُعرض، ويتفنَّنُ في الصَّدِّ عن سبيل اللَّه والأذى للدعاة، ويمكرُ مَكْرَ السَّيِّء، ويتولَّى وهو

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٦١)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨٧) زيادات نعيم بن حماد من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠١)، والصحيحة» (٩٥٦).

والمطيطاء: بالمدّ والقصر، مشية فيها تبختر ومدّ اليدين، ويُقال: مطوت ومططت بمعنى مددت وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر. انظر «النهاية» (٤/ ٣٤٠).
والمطا: هو الظهر.

فخورٌ بما أوقع من الشرِّ والسوء، وبما أفسد في الأرض، وبما صَدَّ عن سبيل اللَّه، وبما مكَر لدين اللَّه وعقيدته وكاد!!.

والقرآنُ يواجهُ هذه الخُيلاءَ الشريرةَ بالتهديد والوعيد:

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

◻ قال الطبري: «هذا وعيدٌ من اللَّه ـ عز وجلَّ ـ على وعيدٍ لأبي جهل».

◻ وقال قتادة: «وعيدٌ على وعيد كما تسمعون.. زعم أن هذا أُنزل في عدو اللَّه أبي جهل: ذُكر لنا أن نبي اللَّه أَخَذ بمجامعِ ثوبه، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾، فقال عدُّو اللَّه أبو جهل: أيوعِدُني محمد، واللَّهِ ما تَستطيعُ لي أنت ولا ربُّك شيئًا، واللَّهِ لأنا أعزُّ مَن مَشَىٰ بين جَبَلَيْها»[1].

● وعن مَعْمَرٍ، عن قتادةَ قال: «أخذ النبيُّ ﷺ بيده ـ يعني بيَدِ أبي جهل ـ، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾. فقال: يا محمدُ، ما تستطيعُ أنت وربُّك فيَّ شيئًا، إني لأعَزُّ مَن بيْن جَبَلَيْها، فلمَّا كان يومُ بدرٍ أشرف عليهم، فقال: لا يُعبَدُ اللَّهُ بعدَ هذا اليوم أبدًا، فضرَب اللَّهُ عُنُقَه، وقَتَله شرَّ قِتْلَةٍ»[2].

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٢٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم»، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٨).

(٢) «أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٥)، وأخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

□ وقال ابن زيد: «قال أبو جهل: إن محمدًا ليُوعِدُني، وأنا أعزُّ أهلِ مكة والبَطحاء».

وكم من أبي جهل في تاريخ الدعوات يعتزُّ بعشيرته وبقوَّته وبسُلطانه، ويَحسبُها شيئًا؛ وينْسَى اللَّهَ وأَخْذَه، حتى يأخذَه أهونَ من بعوضةٍ، وأحقرَ من ذُبابة.. إنما هو الأجلُ الموعود، لا يَستقدمُ لحظةً ولا يَستأخِر.

□ يا عدوُّ اللَّه، تتمطَّى ومِلءَ بطنِك الخُرء!!، أوَّلُك نُطفةٌ مَذِرة، وآخِرُك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت بين هذا وذاك تحملُ العَذِرة.. جَدُّك البعيد ترابٌ ذليل، وأبوك القريب ماءٌ مَهين، وأنت خَرجْتَ من مجرى البول مرتين..

أنفٌ يسيلُ وأُذْنٌ كلُّها سَهَكٌ والعينُ مُرمصةٌ والثَّغْرُ ملعوبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غدًا قصِّرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

بئس أبي جهلٍ طغى وعتا، ونَسِيَ الجبَّارَ الأعلى.. نَسِيَ المبدأ والمنتهى.. نسي المقابر والبِلى.

* ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق: ٦ - ٧]:

تَبرُزُ صورةُ عدوِّ اللَّه أبي جهل الطاغي الذي طغى وفَجَر، وبَغى وتكبَّر، وأبطره الغنى، وهي صورةُ اللئيمِ الصغيرِ النفسِ الحقير، الهابط الذي يُؤتَى المالَ فتسيطر نفسُه به، حتى ما يُطيق نفسَه! ويروحُ يَشعرُ أن المالَ هو القيمةُ العليا في الحياة.. القيمةُ التي تَهُونُ أمامَها جميعُ القيم وجميعُ الأقدار: أقدارُ الناس، وأقدارُ المعاني، وأقدارُ الحقائق.. وتنطلقُ في كِيانه نفخةٌ فاجرة.

● عن أبي هريرة ﵁ قال: قال أبو جهل: «هل يُعَفِّر محمدٌ وجهه بين أظهُركم؟! فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزّىٰ لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ علىٰ رَقبتِه، ولأعُفِّرَنَّ وجهَه في التراب، قال: فأتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهو يُصلِّيَ ـ زعم ليطأَ علىٰ رقبته ـ، قال: فما فجأهم منه إلاَّ وهو يَنْكُصُ علىٰ عَقْبيه ويتّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحةً. فقال رسول اللَّه ﷺ: «لو دنَا لاخْتطَفَتْه الملائكةُ عُضْواً عضْواً». قال: فأنزل اللَّه ـ لا ندري[1] في حديث أبي هريرة أو شيء بلَغه ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ[2] ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ٦ ـ ١٩]»[3].

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، يعني: أبا جهل.

---

(١) قال الشيخ مقبل بن هادي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٧٥): هذا التردّد يعتبرُ فادحًا في صحة سبب النزول لكن كتبته لكثرة شواهده.

(٢) يعني: أبا جهل.

(٣) رواه أحمد (١٤/ ٤٢٥) (٨٨٣١)، ومسلم (٢٧٩٧/٢٨)، والنسائي (١١٦٨٣)، وابن أبي حاتم، وابن حبان (٦٥٧١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٧٩)، وذكره ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٦١).

▫ زاد عُبيدُاللَّه في حديثه قال: «وأَمَرَه بما أمره به».

▫ وزاد عبدالأعلىٰ: «﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، يعني: قومه».

● وعن داودَ بنِ أبي هندٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عباس ﵄ قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِّي، فجاءه أبو جهل فنهاه أن يُصلِّي، فأنزل اللَّهُ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فقال: لقد عَلِم أني أكثرُ هذا الوادي ناديًا. فغضب النبيُّ ﷺ فتكلَّمَ بشيءٍ ـ قال داود: ولم أحفَظْه ـ فأنزل اللَّهُ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، فقال ابن عباس: فواللَّهِ لو فعل لأخذته الملائكةُ من مكانه»[1].

● وعن داودَ بنِ أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يُصلِّي عند المَقام، فمرَّ به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمدُ، ألم أنْهَكَ عن هذا؟ ـ وتوعَّده ـ، فأغلَظ له رسولُ اللَّه ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأيِّ شيءٍ تُهدِّدُني؟ أما واللَّهِ إني لأكثرُ هذا الوادي ناديًا، فأنزل اللَّه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، أخذته زبانية العذاب من ساعته»[2].

---

(١) سنده صحيح: أخرجه ابن جرير واللفظ له (٢٤/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨)، وأحمد (٥/ ١٦٧) (٣٠٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٨٧، ٤٨٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٢)، وأخرجه الطبراني (١١٩٥٠).

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٨)، وأحمد (٤/ ١٦٤) (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٨٤) من طريق أبي خالد به، وابن جرير (٢٤/ ٥٣٧) وأخرجه ابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ٢٤٨) من طريق علي بن مُسهِر به، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٩): رجاله رجال الصحيح.

◘ ولفظ الترمذي: «كان النبي ﷺ يُصلِّي، فجاء أبو جهل، فقال: أَلمْ أَنهَكَ عن هذا؟! ألم أَنهَك عن هذا؟! فانصرف النبي ﷺ فزَبَره[1]، فقال أبو جهل: إنك لَتعلمُ ما بها نادٍ أكثرُ منِّي!! فأنزل اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديَه لأخذته زبانيةُ اللَّه».

◘ قال ابن جرير الطبري: «يُعَجِّبُ جَلَّ ثناؤه نبيَّه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجَرَاءَتِهِ على ربِّه، في نهيه محمَّدًا عن الصلاة لربِّه، وهو مَعَ أياديه عندَه مكذِّبٌ به».

◘ قال قتادة: «وكان يُقال: لِكُلِّ أمةٍ فرعون، وفرعونُ هذه الأمَّة أبو جهل»[2].

صورةٌ مستنكَرة لطاغٍ لئيم، أرأيتَ هذا الأمرَ الشنيعَ العجيبَ؟! ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾؟! أرأيت حين تُضَمُّ شناعةٌ إلىٰ شناعة؟ وتُضَاف بشاعةٌ إلىٰ بشاعة؟ أرأيتَ إن كان هذا الذي يُصلِّي ويتعرَّضُ له مَن ينهاه عن صلاته.. إنْ كان على الهُدىٰ أوْ أمر بالتقوىٰ؟ ثم ينهاه مَن ينهاه، مع أنه على الهدىٰ، آمِرٌ بالتقوىٰ؟.

◘ قال الطبري: «أرأيت ﴿إِن كَانَ﴾ محمدٌ ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾، يعني: علىٰ استقامةٍ وسَدادٍ في صلاته لربه!! ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾: أوْ أَمر محمدٌ هذا الذي ينهىٰ عن الصلاة باتقاء اللَّه وخوف عقابه.

---

(١) زبره: أي نَهَر النبيُّ ﷺ أبا جهل.

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٣٣، ٥٣٤).

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أرأيت إن كَذَّب أبو جهل بالحق الذي بَعَث به محمداً ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾، وأدبر عنه فلم يصدق به»[1] !!.

وهكذا يُضيفُ اللئيمُ أبو جهل إلى الفِعلةَ المستنكَرة فِعْلَةَ أخرىٰ أشدَّ نُكراً.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: ألم يعلم أبو جهل إذْ ينْهَى محمداً عن عبادة ربه والصلاة له، بأن اللَّه يراه، فيخافَ سطوتَه وعقابَه؟!!.

﴿كَلَّا﴾: ليس كما يقول: «إنه يَطأُ عُنُقَ محمد»، لا يَقدرُ على ذلك، ولا يَصلُ إليه.. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: لئن لم ينته أبو جهل عن محمدٍ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه، فلَنُضيمنَّه، ولَنُذِلَّنَه.. يُقال منه: سَفَعتُ بيده، إذا أخذتُ بيده، وقيل: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، المعنى: لَنُسوِّدَنَّ وجهَه، فاكتُفِيَ بذِكرِ الناصية من الوجه كلِّه، إذْ كانت الناصيةُ في مُقدَّم الوجه.

وقيل: معنى ذلك: لنأخُذَنَّ بناصيتِه إلى النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

والسَّفْعُ: القبضُ الشديد بجَذْبٍ، والناصية: مقدَّم شعرِ الرأس، وفيه إذلالٌ؛ لأنهم كانوا لا يَقبِضون على شعرِ رأسِ أحدٍ إلاَّ لِضَرْبِه أوْ جَرِّه، وأكَّد ذلك السَّفْعَ بالباء المزيدة الداخلة على المفعول لتأكيد اللصوق.

يا سبحان اللَّه، أعلى مكانٍ يرفعُه الطاغيةُ المتكبِّر مُقدَّمُ الرأس المتشامخ، إنها ناصيةٌ تستحقُّ السَّفعَ والصَّرْعَ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، لكأنَّ الكذبَ والخِطءَ باديانِ من ناصيتِه، فكانت الناصيةُ جديرةً بالسَّفْع. والمعنى لصاحبها.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٣٤، ٥٣٥).

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾: فلْيَدْعُ أبو جهل أهل مَجلسه وأنصارَهِ من عشيرته وقومه.

والنادي[1]: هو المجلس.. قال ابن عباس: «فليدع ناصِرَه».

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[2]: قال قتادة ومجاهد: «الملائكة»، والمراد ملائكة العذاب.

◻ «وهذه الآية معجزةٌ خاصةٌ من معجزات القرآن، فإنه تحدَّىٰ أبا جهل بهذا، وقد سمع أبو جهل القرآنَ وسَمِعه أنصارُه، فلم يُقدِمْ أحدٌ منهم على السَّطْوِ على الرسول ﷺ، مع أن الكلامَ يُلهِبُ حَمِيَّته»[3].

﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾:

يقول تعالىٰ ذِكرُه: «ليس الأمرُ كما يقول أبو جهل، إذ يَنهىٰ محمداً

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٤٥١): «النادي: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، يُقال: نَدَا القومُ نَدْواً، إذا اجتمعوا. والنَّدْوة: الجماعة. ويقال: نادٍ ونَدِيّ، ولا يُطلق هذا الاسمُ على المكان إلاَّ إذا كان القوم مجتمعين فيه، فإذا تفرَّقوا عنه فليس بنادٍ، ويُقال: «النادي» لمجلس القوم نهاراً، فأما مجلسهم في الليل فيسمى: «المسامر»، قال تعالىٰ: ﴿سامراً تهجرون﴾. ويطلق النادي على الذين ينتدون فيه. يقال: إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً: أي ناساً يجلسون إليّ، يريد أنه رئيس يصمد إليه».

(٢) الزَّبانية: بفتح الزاي جمع زَبّاني: بفتح الزاي وبتحتية مشدَّدة، أو جمع زِبْنِية بكسر الزاي فسكون، أو جَمع زِبْنِيّ، وقيل: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل أبابيل وعَبَاديد. وهذا الاسم مشتق من الزَّبن: وهو الدفع بشدة، يُقال: ناقة زَبُون: إذا كانت تركُل من يحلِبُها، وحرب زبون يدفع بعضها بعضاً بتكرر القتال.

(٣) «تفسير التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٤٥٢).

ﷺ عن عبادة ربِّه والصلاةِ له . . ﴿ لا تُطعهُ ﴾ ، يقول جل ثناؤه لنبيِّه محمد ﷺ : لا تُطعْ أبا جهل فيما أَمَرك به من ترك الصلاة لربِّك ، واسجد لربِّك واقترب منه بالتحبُّب إليه بطاعته ، فإنَّ أبا جهلٍ لن يَقْدِرَ على ضَرِّكَ ، ونحن نمنعُك منه»[1] .

◻ وكان أبو جهل يقولُ ساخراً : «اللَّهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك ، فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم»!! فنزلت الآية : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . ﴾ [الأنفال : ٣٣ - ٣٤][2] .

◻ وقال أبو جهل ـ لعنه اللَّه ـ كما قال تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤١ - ٤٢] .

◻ قال السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ١٧٠) : «أخرج ابنُ مَرْدُويه عن ابن عباس : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان : ٣١] ، قال : كان عدوَّ النبي ﷺ أبو جهل ، وعدوَّ موسى قارون ، وكان قارونُ ابن عم موسى» .

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٤٠ ، ٥٤١) .

(٢) رواه البخاري (٥/ ١٩٩) ـ كتاب التفسير باب قوله : ﴿وإذ قالوا اللَّهم..﴾ ، وباب قوله : ﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم ﴾ ، ورواه مسلم (٤/ ٢١٥) .

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٣) .

* **أبو جهل الصادُّ عن سبيل اللَّه، المُحرِّضُ على قتال النبي ﷺ ببدر:**

* قال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال: ٤٧].

قَبْلَ بدرٍ، لَمَّا نجا أبو سفيان بِعِيرِ قريش، ولما ترك بدراً بيسار، نزلت قريشٌ بالجُحْفة.

❑ يقول ابن إسحاق: «ولما رأىٰ أبو سفيان أنْ قد أحرز عِيرَه، أرسل إلىٰ قريش: إنكم إنما خرجتُم لتمنعوا عِيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها اللَّه، فارجِعوا، فقال أبو جهل بنُ هشام: واللَّهِ لا نرجعُ حتىٰ نَرِدَ بدراً ـ وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سُوقٌ كل عام ـ، فنُقيمَ عليه ثَلاثًا، فننحرَ الجَزور، ونُطعِمَ الطعام، ونَسقيَ الخمرَ، وتَعزِفَ علينا القِيان، وتَسمعَ بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يَهابوننا أبداً، فامضوا».

❑ وروىٰ الإمامُ أحمد عن عبداللَّه بن ثَعلبة: «أن أبا جهل قال حين التقىٰ القوم: اللَّهم، أقطعُنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحِنْه[1] الغداة.. فكان هو المستفتح»[2].

* قال تعالىٰ: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ**

---

(١) أي: اجعل هلاكه غداً.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) وابن إسحاق، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.. انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٢)، وكذا رواه ابن جرير (٩/ ٢٠٨) وفيه أنزل اللَّه: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

لَكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

□ قال الآمديُّ عن مُطرِّفٍ في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾، قال: قال أبو جهل: «اللَّهم أعِنْ أعزَّ الفِئتين، وأكرمَ القبيلتين، وأكثرَ الفريقين، فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ الآية».

□ وقال الطبراني: عن رفاعة بن رافع قال: «لما رأىٰ إبليسُ ما فَعَل الملائكةُ بالمشركين يومَ بدر، أشْفَقَ أن يُخْلَص إليه، فَتَشبَّثَ به الحارثُ بنُ هشام وهو يظنُّ أنه سُراقةُ بنُ مالك، فوكز في صَدرِ الحارث، ثم خرج هارباً حتىٰ ألقىٰ نفسه في البحر، ورفع يديه فقال: اللَّهم إني أسألك نَظِرَتَك إياي.. وخاف أن يَخْلُصَ القَتلُ إليه، وأقبل أبو جهل، فقال: يا معشرَ الناس، لا يَهولَنَّكم خِذلانُ سراقةَ بنِ مالك، فإنه كان علىٰ ميعادٍ من محمد، ولا يُهُولَنَّكم قَتلُ شَيبة وعُتبةَ والوليد، فإن عَجِلوا فواللاتِ والعزىٰ، لا نرجعُ حتىٰ نُفرِّقَهم في الجبال، فلا أَلْفِيَنَّ رجلاً منكم رجِلاً، ولكن خذوهم أخذاً، حتىٰ تُعَرِّفوهم سُوءَ صنيعِهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللات والعزىٰ، ثم قال أبو جهل متمثلاً:

ما تَنقِمُ الحَربُ الشَّموسُ مِنِّي
بازلَ عامَينِ حديثَ سِنٍّ
لِمثلِ هذا ولدَتْني أُمِّي»

*** مقتل فرعون هذه الأمة أبي جهل ـ لعنه اللَّه ـ:**

□ عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: «إني لفي الصفِّ يومَ بدر إذِ

التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيانِ حديثا السِّنِّ، فكأني لم آمَنْ بمكانِهما، إذ قال لي أحدُهما ـ سرًا من صاحبه ـ: يا عمِّ، أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، وما تصنعُ به؟ قال: عاهَدتُ اللَّه ـ إن رأيتُه ـ أن أقتلَه، أو أموتَ دونه.. وقال لي الآخرُ ـ سرًا من صاحبه ـ مثله. قال: فما سرَّني أني بين رُجلين مكانهما، فأشرتُ لهما إليه، فشدَّا عليه مثل الصَّقْرين، حتىٰ ضرباه، وهما ابنا عفراء»[1].

◻ وعن عبدالرحمن بن عوف ﵁ قال: «بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يومَ بدرٍ، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامَيْن من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما، تمنيْتُ أن أكون بين أضلعَ منهما، فغَمَزني أحدُهما، فقال: يا عمِّ، هل تعرفُ أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتُك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ اللَّه ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارقُ سَوادي سَوادَه حتىٰ يموتَ الأعجَلُ منَّا.. فتعجَّبت لذلك، فغَمَزني الآخر فقال لي مِثلَها، فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلىٰ أبي جهل يَجُولُ في الناس، فقلت: ألاَ إن هذا صاحبُكما الذي سألْتُماني، فابتدراه بسيفَيهما، فضرباه حتىٰ قتلاه، ثم انصرفا إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فأخبراه. قال: **«أيُّكما قَتَله؟»** قال كلٌّ واحد منهما: أنا قتلته. فقال: **«هل مَسَحْتما سَيْفَيْكما؟»**. قالا: لا. فنظر في السَّيفينْ، فقال: **«كلاهما قتله، سَلَبُه لمعاذ بن عمرِو بن الجموح»**.. وكانا معاذ بن عفراء ومعاذَ بن عمرو بن الجموح»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢، ١٩٣)، وأبو يعلىٰ (٢/ ١٧٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٤١) كتاب فرض الخمس ـ باب من لم يخمِّس =

وقضى النبي ﷺ بالسَّلَب للسابق إلى إثخانه منهما، وهو معاذُ بن عمرو، وإن كانا اشتركا جميعًا في قتله.

◻ وعن معاذِ بن عمرو ﷺ قال: «جعلتُ أبا جهل يومَ بدرٍ من شأني، فلما أمكنني حَمَلتُ عليه، فضربتُه، فقطعتُ قَدَمه بنِصف ساقه، وضربني ابنُه عكرمةُ بن أبي جهل على عاتِقي، فَطَرح يدي، وبقَيتْ مُعلَّقَةً بجِلدةٍ بجنبي، وأجهَضَني عنها القتالُ، فقاتلت عامةَ يومي وإني لأسحَبُها خَلفي، فلما آذَتْني، وضعتُ قدمي عليها، ثم تمطَّأْتُ عليها حتى طرحتُها»[٢].

◻ قال الذهبي في «السير» (١/ ٢٥١): «هذه واللّهِ الشجاعة، لا كآخَرَ مِن خدْشٍ بسهمٍ ينقطعُ قلبه، وتخورُ قواه».

◻ قال: «ومرَّ بأبي جهل مُعوِّذُ بنُ عفراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رَمَق. ثم قاتل معوِّذ حتى قُتِل وقُتل أخوه عوف من قبله، وهما ابنا الحارث بن رفاعة الزُّرَقي.

ثم مرَّ ابنُ مسعود ﷺ بأبي جهل، فوبَّخه، وبه رَمَقٌ، ثم احتزَّ رأسه»[٢].

● وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ يوم بدر: «مَن ينظرُ ما صنع أبو جهل؟»، فانطلق ابن مسعود ﷺ، فوجده قد ضَرَبه ابنا عفراء،

= الأسلاب.

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٣٤، ٦٣٥)، ورجاله ثقات.

(٢) «السير» (١/ ٢٥١).

حتىٰ بَرَد، فقال: أأنت أبا جهل؟ ـ قال ابن عُليَّة: قال سليمان: هكذا قالها أنس. قال: أأنت أبا جهل[1]؟ ـ قال: وهل فوق رجلٍ قتلتموه ـ أو قال: قتله قومه ـ! قال: وقال أبو مِجْلَز[2]: قال أبو جهل: فلو غَيْرَ أكَّارٍ قتلني»[3].

☐ وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ أنه أتىٰ أبا جهل وبه رَمَقٌ يوم بدر، فقال أبو جهل: «هل أعمَدَ من رجلٍ قتلتموه»[4].

وعَمَد بمعنىٰ: هلك.

● وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَن ينظرُ ما صنع أبو جهل؟!»، فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضَرَبه ابنا عفراءَ حتىٰ بَرَد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجلٍ قتلتموه؟ أوْ رجلٍ قَتَله قومُه؟»[5].

● وفي حديث ابن عباس ﷺ عند ابن إسحاق والحاكم: «قال ابنُ مسعود: فوجدتُه بآخرِ رمق، فوضعت رِجلي علىٰ عُنقه، فقلتُ: أخزاك

---

(١) لأن الجادة: «أأنت أبو جهل».. ولكنَّ المُثبَت لُغةٌ صحيحة.

(٢) أبو مجلز تابعي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠)، وأحمد (٣/ ١١٥)، وأبو يعلىٰ (٧/ ١٢٠، ١٢١)، قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٩٥): «الأكَّار ـ بتشديد الكاف ـ: الزُّرَّاع وعنىٰ بذلك أن الأنصار أصحاب زرع؛ فأشار إلىٰ تنقيص من قَتَلَهُ منهم بذلك».

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٦١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٦٢).

وعند مسلم «برك» بدلاً من «برد»؛ قال عياض: وهذه الرواية أولىٰ؛ لأنه قد كَلَّم ابنَ مسعود، فلو كان مات كيف كان يكلمه؟ انتهىٰ. ويحتمل أن يكون «برد» هنا؛ أي: صار في حالة من مات، ولم يَبْقَ فيه سوىٰ حركة المذبوح.

اللَّهُ يا عدوَّ اللَّه، قال: وبِمَ أخزاني؟ هل أعمدَ من رجلٍ قتلتموه؟». قال: «وزعم رجالٌ من بني مخزوم أنه قال له: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَّ الغنم مرتقًى صعبًا».

قال: «ثم احتززتُ رأسه، فجئتُ به رسول اللَّه ﷺ فقلتُ: هذا رأسُ عدوِّ اللَّه أبي جهل، فقال: «واللَّه الذي لا إله إلا هو؟».. فحلف له.

◻ وفي زيادة المغازي: «فحلف له، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيده ثم انطلق حتى أتاه، فقام عنده، فقال: «**الحمد للَّه الذي أعزَّ الإسلام وأهله**» (ثلاث مرات)».

◻ قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٤٥) للجمع بين الروايات التي ظاهرها الاختلاف: «حاصله أن كلاً من ابنَيْ عفراءَ سأل عبدَالرحمن ابنَ عوفٍ، فدلَّهما عليه، فشدَّا عليه فضرباه حتى قتلاه».

وفي آخرِ حديث مُسدَّد: «وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء، وأن النبي ﷺ نظر في سيفيهما، وقال: «**كلاكما قتله**»، وأنه قضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح». انتهى.

و«عفراء» والدةُ معاذٍ، واسم أبيه «الحارث»، وأما ابنُ عمرو بن الجموح فليس اسم أمه «عفراء»، وإنما أُطلق عليه تغليبًا.

ويُحتمل أن تكونَ أمُّ معوِّذ ـ أيضًا ـ تسمَّى «عفراء»، أو أنه كان لمعوِّذٍ أخٌ يسمَّى «معاذًا» باسم الذي شَرَكه في قتلِ أبي جهل، ظنه الراوي أخاه.

◻ قال معاذُ بن عمرو بن الجموح: «سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحَرْجة: «أبو جهل الحَكَمُ لا يُخلَصُ إليه»، فجعلتُه مِن شأني،

فعَمَدتُ نحوه، فلما أمكنني حَمَلتُ عليه، فضربتُه ضَربةً أطنَّت قدمَه، وضربني ابنُه عكرمةُ على عاتقي فطَرَح يدي ـ قال: ثم عاش معاذٌ إلى زمنِ عثمان ـ. قال: ومرَّ بأبي جهل معوِّذُ بنُ عفراءَ، فضَرَبه حتى أثبَتَه وبه رَمَقٌ، ثم قاتل معوِّذٌ حتى قُتِل، فمر عبدُاللَّه بن مسعود بأبي جهل فوجده بآخر رمق».

فهذا الذي رواه ابنُ إسحاق يَجمعُ بين الأحاديث، لكنه يخالفُ ما في «الصحيح» من حديثِ عبدالرحمنِ بنِ عوفٍ أنه رأى معاذًا ومعوِّذًا شَدَّا عليه جميعًا حتى طرحاه.

◻ وابن إسحاق يقول: إن ابنَ عفراءَ هو معوِّذ ـ والذي في «الصحيح»: «معاذ» ـ وهما أخوان، فيحتمل أن يكون معاذُ بنُ عفراء شدَّ عليه مع معاذِ بنِ عمرو، كما في «الصحيح»، وضربه بعد ذلك مُعَوِّذٌ حتى أثبتَه ثم حَزَّ رأسَه ابنُ مسعود، فتُجمع الأقوال كلُّها، وإطلاقُ كونِهما قتلاه يخالفُ في الظاهرِ حديثَ ابنِ مسعود أنه وَجَده وبه رَمَق، وهو محمولٌ على أنهما بلغا به بضربهما إياه بسَيفيهما منزلةَ المقتول حتى لم يَبْقَ به إلاَّ مثلُ حركةِ المذبوح، وفي تلك الحالة لَقِيه ابنُ مسعود فضرب عنقه.. واللَّه أعلم».

◻ وللَّه درُّ حسان بن ثابت ﷺ، وهو يقول:

فغادَرْنا أبــا جهــلٍ صــريعًــا وعُتْبَــةُ قد تَرَكْنـا بالجَيــوبِ[1]

(١) الجيوب: اسم للأرض؛ لأنها تُجب، أي: تُحفر.

☐ وما أجملَ ما قال الشاعر:

وهَوى أبو جهلٍ ونوفلُ وارعَوَى — بعدَ اللَّجاجِ الفاحشُ المتوقِّحُ[1]
لما رأى الغازي المظفَّرُ رأسَهُ — أهوى يُكبِّر ساجدًا ويُسبِّحُ
في جلده من رِجْز ربِّك آيــةٌ — عَجَبٌ تُفَسِّرُ للَّبيب وتَشرَحُ[2]
تلك السُّطورُ السُّودُ ضمَّ كتابُها — أبهى وأجملَ ما يَرَى المُتَصفِّحُ
إن لم يُغَيَّبْ في جهنمَ بعدها — فلمَن سواه في جهنم يُضْرَحُ؟![3]

☐ ولِلّهِ درُّ القائلِ في مصرع أبي جهل ـ فرعونِ هذه الأمة ـ:

بسيفك فيما اخترتَ من عاجلِ القتلِ — سُقيتَ زُعاف الموتِ فاشربْ أبا جهلِ
هو السيفُ لولا الجُبنُ لم يَمْضِ حدُّه — ولم يَرْضَ في جِدِّ الكريهةِ بالهزلِ
شَهِدتَ الوغى تَبغي على الضعفِ راحةً — لنفسك من حقدٍ مذيبٍ ومن غِلِّ
أفرعونُ إنْ تجهلْ فلن تجهلِ الوغى — فراعينها من ذي شبابٍ ومن كَهْلِ
أصابك فيها ما أصابَك من أذى — وفاتكَ ما نال الرُّوَيْعِيُّ[4] من فضلِ
رمــاكَ معـــاذٌ قبــلَه ومُعــوِّذٌ — وجاءك مَشبوبًا حَميَّتُهُ تغلي
سقى السيفَ عفواً من دمٍ لك طيِّعٌ — فَمن مرتقًى صعب إلى مُستَقًى سهلِ
دَعِ الهزلَ يا ابنَ الحَنْظَلِيَّة إنه — هو الجِدُّ كلُّ الجِدِّ لو كنتَ ذا عقلِ

---

(١) نوفل: هو نوفل بن خويلد، كان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب. والفاحش المتوقح: هو أبو جهل. وارعوىٰ: كفَّ.

(٢) رجز: عذاب، وقد وُجِدَ في جسد أبي جهل آثار سود كآثار ضرب السياط.

(٣) يضرح: يدفع ويُقبر.

(٤) الرويعي: تصغير الراعي؛ وهو: عبدالله بن مسعود.

هي اللاتُ والعُزَّى أضلَّتْكَ هذه — وزادتك هذي من ضلال ومن خَبَلِ
مضى جارُكَ المأفون[1] خَزيانَ وانقَضَتْ — حبالُك فانظر هل ترى الآنَ من حَبْلِ؟
لقد كنتَ ترجو أن ترى الهَبَلَ الذي — رَضِيتَ به ربًّا يفـوزُ ويَستعلي
أصبتَ ابنَ مسعودٍ سناءً ورفعةً — وباء عدوُّ اللَّه بالخـزي والذلِّ
فخُذْ سيفَه ثم ارفعِ الصوتَ شاكرًا — فما بعدَ ما أعطاك ربُّك من سُؤْلِ

* أبو جهل الأثيم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾:

* قال اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤].

◻ قال ابن زيد في هذه الآية: «الأثيم هو أبو جهل»[2].

● وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لو أنَّ قطرةً من الزَّقُّوم قَطَرت في دارِ الدنيا، لأفسَدَت على أهلِ الدنيا معايشَهم، فكيف بمن تكونُ طعامَه؟»[3].

* قال تعالىٰ: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ

(١) هو: إبليس ـ لَعَنَهُ اللَّهُ ـ.
وكان أبو جهل اللعين يقول: لا، يا قوم، لا يهولنكم قَتْلُ مَن قُتِلَ؛ فواللات والعزىٰ لا نرجع حتىٰ نقرن محمداً وأصحابه بالحبال، لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد.

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والضياء، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٨٣)، و«صحيح الجامع» (٥٢٥٠).

﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٥-٤٩].

□ قال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذِكرُه: يُقال لهذا الأثيم الشقيِّ: ذُقْ هذا العذابَ الذي تُعَذَّبُ به اليوم، ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾ عليهم.

وذُكر أن هذه الآياتِ نَزَلت في أبي جهل بن هشام.

□ عن قتادة: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: «نزلت في عدوِّ اللَّه أبي جهل، لَقِيَ النبيَّ ﷺ، فأخذه، فهزَّه، ثم قال: «أَوْلَى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم». وذلك أنه قال: «أَيُوعِدُني محمدٌ؟! واللَّهِ لأنا أعزُّ من مَشَى بين جَبَلَيْها».. وفيه نزلت: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، وفيه نزلت: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]».

□ وقال قتادة: «نَزَلت في أبي جهلٍ وأصحابه الذين قَتَل اللَّهُ تبارك وتعالى يومَ بدر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]».

□ وعن قتادة قال: «نزلت في أبي جهل: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾».

□ قال قتادة: «قال أبو جهل: ما بين جَبَلَيْها رجلٌ أعزُّ ولا أكرمُ منِّي.. فقال اللَّه -عز وجل-: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾».

□ وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: «هذا لأبي جهل».

فإن قال قائلٌ: وكيف قيل: وهو يُهان بالعذاب الذي ذكرَه اللَّه، ويُذَلُّ

بالعَتْل إلىٰ سواء الجحيم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾؟ لو أمكن قيل: إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ غيرُ وصفٍ مِن قائلِ ذلك له بالعزَّةِ والكرم، ولكنه تقريعٌ منه له بما كان يَصِفُ به نفسَه في الدنيا، وتوبيخٌ له بذلك علىٰ وجهِ الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: أنا العزيز الكريم. فقيل له في الآخرة، إذ عُذِّب بما عُذِّب به في النار: ذُق هذا الهوانَ اليومَ، فإنك كنتَ تزعمُ أنك أنت العزيزُ الكريم، وإنك أنت الذليلُ المَهين، فأينَ الذي كنتَ تقولُ وتدَّعِي مِن العزِّ والكرم؟!، هَلاَّ تمتنع من العذاب بعزَّتك؟!»[1].

وذهب أبو جهل إلىٰ أُمِّه الهاوية جزاءَ ما عَتَىٰ واستكبر واستهزء بسيِّد البشرية.. ذهب إلىٰ سَقَر جزاءَ ما مكر.. تُشيِّعه لعناتُ اللاعنين إلىٰ يوم الدين جزاءَ ما فعل بسيِّد المرسلين ﷺ.

* * *

* الوليد بن المغيرة المخزومي شيخ أهل الكفر:

◻ عن ابن عباس ﵄: «أن الوليد بن المغيرة جاء رسول اللَّه ﷺ، فقرأ عليه القرآنَ، فكأنما رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمِّ، إن قومَك يريدون أن يَجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَه، فإنك أتيتَ محمداً لتعرضَ ما قِبلَه.. قال: قد علِمَتْ قريشٌ أني من أكثرِها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغُ قومَك أنك مُنكِرٌ له. قال: وماذا أقولُ؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلم برَجَزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعارِ الجن، واللَّهِ ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، وواللَّهِ إن لقوله الذي يقوله

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٦٠، ٦١، ٦٢) بتصرف يسير.

لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنه لَمُثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيعلو ولا يُعلَى، وإنه ليحطِمُ ما تحتَه. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قِفْ عني حتى أُفكِّر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤثر يأثِرُه عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ الآيات [المدثر: ١١-١٣]»[1] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «دخل الوليدُ بْن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش، فقال: يا عَجَبًا لما يقول ابن أبي كَبْشة[2] ، فواللَّه ما هو بشِعرٍ، ولا بسِحرٍ، ولا بهَذْيٍ من الجنون، وإنَّ قولَه لَمِن كلام اللَّه، فلما سمع بذلك النَّفرُ من قريشٍ ائتمروا، وقالوا: واللَّهِ لئِنْ صبأ الوليد، لتَصبأَنَّ قريش. فلما سَمع بذلك أبو جهل قال: أنا واللَّه أكْفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تَرَ قومَك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: ألستُ أكثرَهم مالاً وولدًا؟ فقال له أبو جهل: يتحدَّثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتُصيب من طعامه. . قال الوليد: قد تَحَدَّث بهذا عشيرتي؟! فلاَ يَمُ جابر بن قَصيٍّ، لا أقربُ أبا بكر، ولا عُمرَ ولا ابن أبي كبشة، وما قولُه إلاَّ سِحرٌ يؤثَر. فأنزل اللَّه على نبيه ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾».

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٥٠٧)، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرّجاه وأقرّه الذهبي، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٥٥٦)، وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٦٠) عن عكرمة مرسلاً.

(٢) يقصد النبيَّ ﷺ.

◻ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل اللَّه ـ عز وجلَّ ـ في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ قولَه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾» إلى آخرها [الحجر: ٩٢].

◻ وعن مجاهد قال: «نزلت في الوليد بن المغيرة ـ وكذلك الخَلْقِ كلِّهم ـ، خلقتُه وحدَه، ليس معه مالٌ ولا ولَد».

وهو قول قتادة، وابن زيد، والضحاك.

◻ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: قال مجاهد وسعيد بن جبير: «كان مالُه ألفَ دينار».

◻ وقال سفيان: «بلغني أنه أربعةُ آلاف دينار».

◻ وعن عمر رضي الله عنه في قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: «غَلَّةُ شهرٍ بشهر».

◻ قال ابن جرير الطبري: «هو الكثير، الممدودُ عددُه أو مساحته».

◻ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾، قال مجاهد: «كان بنوه عشرةً».

◻ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾، قال ابن جرير: «وبَسَطتُ له في العيش بَسْطًا».

◻ قال سفيان: «بُسِط له».

◻ وعن مجاهد: قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ قال: «من المال والولد».

---

(١) قال الرازي في «مفاتيح الغيب»: نزلت في الوليد بن المغيرة وكان له عشرة من البنين، وكان يقول لهم وما قاربهم: لئن تَبعَ دينَ محمدٍ منكم أحدٌ لا أنفعُه بشيءٍ أبدًا، فمنَعهم الإسلام.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾، يقول تعالى ذكره: ثم يأملُ ويرجو أن أزيده من المال والولد، على ما أعطيته.. ﴿كَلاَّ﴾: يقول: ليس ذلك كما يأمَلُ ويرجو، مِن أن أزيدَه مالاً وولدًا وتمهيدًا في الدنيا.

﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: إن هذا الذي خلقتُه وحيدًا كان لآياتنا؛ ـ وهي حُجَجُ اللَّهِ على خلقه من الكتب والرسل ـ معاندًا.

◘ قال ابن عباس ﷺ: «لآيتنا جحودًا».

◘ وقال مجاهد: «معاندًا للحق مجانبًا».

◘ وقال قتادة: «كفورًا بآيات اللَّه، جَحُودًا بها».

◘ وقال سفيان: «مُشَاقًّا».

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ يقول تعالى ذكره: سأُكلِّفه مشقةً من العذاب لا راحةَ له فيها.

◘ قال مجاهد: «مشقةً من العذاب».

◘ وعن قتادة: «عذابًا لا راحةَ فيه».

◘ قال الطبري: «إن هذا الذي خلقتُه وحيدًا، فكَّر فيما أنزله اللَّهُ على عبده محمد ﷺ من القرآن، وقدَّر ما يقول فيه، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: فلُعِن كيف قدَّر، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ يقول: ثم لُعِن كيف قدَّر القولَ فيه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ يقول: ثم تَرَوَّىٰ في ذلك، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: ثم قَبَض ما بين عينيه، ﴿وبَسَرَ﴾، يقول: كَلَح وكَرُه وجهه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾: ثم ولَّى عن الإيمان بما أنزل اللَّه من كتابه والتصديق به، والاستكبار عن الإقرار بالحق، ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ

يُؤْثَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: فقال: إن هذا الذي يتلوه محمدٌ، إلا سحرٌ يأثِره عن غيره.

▫ قال أبو رَزين: «يأخذُه عن غيره».

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأورده بابًا من أبواب جهنم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تُبقِي مَن فيها حيًّا، ولا تَذَرُ مَن فيها ميّتًا، ولكنها تحرقُهم كلَّما جُدِّد خَلْقُهم.

▫ قال مجاهد: «لا تُميت ولا تُحْيي».

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: يعني جلَّ ثناؤه: مُغَيِّرَةٌ لبَشْرَة أهلها.

▫ قال ابن عباس: «تَحْرِق بَشْرة الإنسان»[1].

▫ قال قتادة: «حَرَّاقةٌ للجلد».

كان الوليدُ شيخَ أهلِ الكفر وأشدَّ الناسِ عداوةً لرسول اللَّه ﷺ، وقد رُويت عنه مواقفُ كثيرةٌ في الكيد لرسول اللَّه ﷺ وإنذارِ أصحابه، والوقوفِ في وجهِ الدعوة، والصدِّ عن سبيل اللَّه.

▫ قال القاسمي: «اتفق المفسِّرون أن هذه الآيات نزلت في الوليدِ بن المغيرةِ المخزومي، أحدِ رؤساء قريش ـ لعنه اللَّه ـ»[2].

▫ قال محمد الطاهر بن عاشور: «كان الوليدُ بنُ المغيرة، يُلقَّبُ في قريش بـ «الوحيد»، لِتوحُّدِه وتفرُّده باجتماعِ مزايا له، لم تجتمعْ لغيره من طَبَقته؛ وهي كثرةُ الولد، وسَعَةُ المال، ومَجدِه، ومجدِ أبيه مِن قبلِه، وكان

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢١ـ٤٣٥) باختصار.

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٥/ ٥٩٧٨).

مرجعَ قريشٍ في أمورهم؛ لأنه كان أسنَّ من أبي جَميل وأبي سفيان، فلما اشتُهر بلقب «الوحيد»، كان هذا الكلام إيماءً إلى الوليد بن المغيرة المشتهر به، وجاء هذا الوصفُ بعد فعل: «خَلقتُ»، ليُصرف هذا الوصفُ عما كان مراداً به؛ أي أوجدتُه وحيداً عن المال والبنين والبَسْطة، فيُغيَّر عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصُّونه به إلى غرضِ الافتقار إلى اللَّه؛ الذي هو حالُ كلِّ مخلوق.

□ عن ابن عباس: «كان مالُ الوليد بين مكةَ والطائفِ من الإبل، والغنم، والعبيد، والجواري، والجِنان، وكانت غَلَّةُ مالِه ألفَ دينارٍ في السَّنة».

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾؛ تيسيرَ أموره، ونفاذَ كلمته في قومه؛ بحيث لا يَعسر عليه مَطْلَبٌ، ولا يَستعصي عليه أمرٌ».

□ ثم قال الشيخ الطاهر بن عاشور: «الصَّعود: العقبةُ الشديدةُ التصعُّد الشاقةُ على الماشي؛ وهي «فَعول»، مبالغةً من «صَعِد»، فإن العقبة صَعْدة، فإذا كانت عقبـةٌ أشدُّ تصعُّداً من العقبات المعتادة قيل لها: صَعُود.

وقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾، تمثيلٌ لضدِّ الحالة المُجمَّلة في قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾، أي: سينقلبُ حالُه من حال راحةٍ وتنعُّم إلى حالةِ سُوأىٰ في الدنيا، ثم إلى العذاب الأليم في الآخرة، وكلُّ ذلك إرهاقٌ له»[1].

□ قال البِقاعي في «نظم الدرر»: «أكملتُ له من سعادة الدنيا ما أوجب التفردَ في زمانه من أهل بيته وفخِذه؛ بحيث كان يسمَّىٰ: «الوحيد،

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٣٠٧).

وريحانة قريش»، فلم يَرْعَ هذه النعمة العظيمة، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ﴾، لم يُزَدْ بعد ذلك شيئًا؛ بل لم يزل في نقصان حتى هلك، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ليرتدعَ عن هذا الطمع، وليزدجرَ وليرتجع، فإنه حُمقٌ محض، وزخرفٌ بحت، وغُرورٌ صِرف.

﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾، أي: بالغَ العنادِ على وجهٍ لا يُعَدُّ عنادُه لغيرها؛ بسبب مزيد قبحِه عنادًا.

والعناد، كما قال المَلَوي: مِن كِبْرٍ في النفس، أو يُبْسٍ في الطبع، أو شراسةٍ في الخُلق، أو خَبَلٍ في العقل، وقد جُمع ذلك كلُّه لإبليس.

لما كان العناد غِلظةً في الطبع، أو شكاسةً في الخُلق، يُوجِبُ النكدَ والمشقَّةَ، جُعل جزاؤه من جنسه، فقال: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾، أي: أُلحِقُه بعُنفٍ وغِلظةٍ وقهرٍ، إلحاقًا يَغشاه ويُحيطُ به، وعيدًا لا خُلْفَ فيه.

﴿صَعُودًا﴾، أي: شيئًا من الدواهي والأنكار؛ كأنه عَقَبة.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، حادَ عن وجه الأفكار إلى أقفائها، سكت ألفًا، ونطق خلفًا، فكان شبيهًا من بعض الوجوه بما قاله بعضهم:

لَوْ قِيلَ كَمْ خَمْسٌ وَخَمْسٌ لاغْتَدَى ... يَوْمًا ولَيْلَتَـهُ يَعُـدُّ وَيَحْسِبُ
وَيَقُولُ مُعْضِـلَةٌ عَجِيبٌ أمرُهَـا ... ولَئِنْ عَجِبْتُ لَها لأَمْرِي أَعْجَبُ
حَتَّى إِذَا خَدِرَتْ يَـدَاهُ وغُوِّرتْ ... عَينـاهُ ممَّا قَـدْ يَخُـطُّ ويَكْتُبُ
أَوْفَى عَلَى شَـرَفٍ وَقَالَ أَلا انْظُرُوا ... ويَكَادُ مِنْ فَرَحٍ يُـجَنُّ ويُسْـلَبُ
خَمْسٌ وَخَمْسٌ سِـتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ... قَوْلاَنِ قَالَهُمَا الخَلِيـلُ وثَعْلَبُ

* قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾، أي: الدَّرَكَة النارية؛ التي تَفعلُ في الأدمغةِ من شدَّةِ حُموِّها ما يَجِلُّ عن الوصف، فأُدخله إياها، وأُلْوِحُه في شدائد حرِّها، وأُذيب دماغَه بها، وأُسيلُ ذِهنَه وكلَّ عصارته بشديدِ حرِّها.. جزاءً علىٰ تفكيره هذا، الذي قدَّره، وتخيَّله وصَوَّره بإرادته في طبقاتِ دماغه؛ ليحرقَ أكبادَ أولياءِ اللَّه وأصفيائه»[1] .

❑ «﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: التصعيدُ في الطريق: هو أشقُّ السَّير وأشدُّه، فإذا كان دَفعًا من غير إرادةٍ من المُصعَد كان أكثَرَ مشقةً وأعظمَ إرهاقًا، وهو في الوقت ذاتِه تعبيرٌ عن الحقيقة؛ فالذي ينحرفُ عن طريقِ الإيمان السهلِ الميسَّرِ الوُرودِ، يَندبُّ في طريقٍ وعرٍ شاقٍّ مبتوت، ويقطعُ الحياةَ في قلقٍ وشدةٍ وكُربةٍ وضِيق، كأنما يصَّعَّد في السماء، أو يصَّعَّد في وعْرٍ صلد، لا رِيَّ فيه ولا زاد، ولا راحةَ ولا أملَ في نهاية الطريق!.

ثم يرسَمُ تلك الصورةَ المُبدعةَ المثيرةَ للسخرية، والرجلُ يُكدُّ ذِهنَه، ويَعصِرُ أعصابَه، ويَقبضُ جَبينه، وتَكْلَحُ ملامحُه وقَسَماتُه، كلُّ ذلك لِيجدَ عيبًا يَعيبُ به هذا القرآن، وليجدَ قولاً يقولُه فيه؛ جِدَّ مُصطَنَع، متكلِّف يُوحي بالسخرية منه والاستهزاء، وبعد هذا المَخاض كلِّه؛ وهذا الحزَق كلِّه، لا يُفتحُ عليه بشيء، إنما يُدبِرُ عن النور، ويستكبرُ عن الحق.

إنها لَمَحاتٌ تدعُ صاحبَها سخريةَ الساخرين أبدَ الدهر، وتُثبِتُ صورتَه الرزيَّةَ في صُلْب الوجود، تتملاَّها الأجيالُ بعد الأجيال.

فإذا انتهىٰ عَرضُ هذه اللمحات، عَقَّب عليها بالوعيد المفزع:

---

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢١/ ٥١_٥٩).

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ . . وزاد هذا الوعيدَ تهويلاً بتجهيل سقر، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾، إنها شيءٌ أعظمُ وأهولُ من الإدراك، ثم عَقَّب على التجهيل بشيءٍ من صفاتها أشدَّ هولاً: ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾، فهي تَكنسُ كنسًا، وتَبلعُ بلعًا، وتمحو محوًا، فلا يقفُ لها شيء، ولا يقفُ وراءَها شيء، ولا يبقَى وراءَها شيء، ولا يفضلُ منها شيء»[1] .

هذا دينٌ رفيع، لا يُعرِضُ عنه إلاَّ مطموس، ولا يَعيبُه إلاَّ منكوس.

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

◻ قال ابن عباس: «يعني بالعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب ابن عمرو بن عمير الثقفي . . وبالقريتَين: مكة والطائف».

◻ وقال قتادة: «الرجل: الوليد بن المغيرة قال: لو كان ما يقول محمدٌ حقًّا، أُنزل عليَّ هذا أو على ابن مسعود الثقفي»[2] .

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

◻ يقول ـ جلَّ وعزَّ ـ: أهؤلاء القائلون يا محمدُ، يَقسِمون رحمةَ ربِّك بين خَلْقه، فيجعلون كرامتَه لمن شاؤوا، وفَضْلَه عند مَن أرادوا، أمِ اللَّهُ الذي يَقسِمُ ذلك، فيُعطِيه مَن أحبَّ، ويَحرمُه من شاء؟.

قال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول ـ عز وجل ـ: بل نحن نقسمُ رَحمتَنا وكرامتَنا بين مَن شئنا من خَلْقِنا، فنجعلُ مَن

---

(١) «الظلال» (٦/ ٣٧٥٦).

(٢) هو عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف.

شِئنا رسولاً، ومَنْ أردْنا صِدِّيقًا، ونتَّخذُ من أردنا خليلاً، كما قَسَمْنا بينهم معيشتَهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضَهم فيها أرفعَ من بعض درجةً بأنْ جعَلنا هذا غنيًا وهذا فقيرًا، وهذا مَلِكًا وهذا مملوكًا؛ ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، يعني بذلك العبيدَ والخَدَمَ سَخَّرهم لهم.

قال قتادة: «﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، يعني: الجنة»[1].

* قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وقد جَعَلها حيث عَلِم، واختار لها أكرمَ خَلقِه وأخلَصَهم، وجعل الرسلَ هم ذلك الرَّهْطَ الكريمَ، حتىٰ انتهت إلىٰ محمدٍ خيرِ خلقِ اللَّه وخاتمِ النبيين..

تتباهى بك العصـــورُ وتسمـو ... بك عَليـــاءُ دونـها عليـــاءُ
أنت مصبـــاحُ كلِّ فضـــلٍ فما ... يَصدُرُ إلاَّ عن ضوئك الأضــواءُ

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، والصَّغار هو: أشدُّ الذُّلِّ، يُقابِلُ الاستعلاءَ عند الأتباع، والاستكبارَ عن الحق، والتطاولَ إلىٰ مقامِ رُسل اللَّه! والعذابُ الشديد يُقابل المكرَ الشديد، فالعِداءُ للرسل، والأذىٰ للمؤمنين، وصَدَق اللَّه إذ يقول:

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٨٠ـ٥٨٦) مختصرًا.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والرِّجس هو: النَّجَس الذي لا خيرَ فيه، وهو الشيطانُ، كما قال ابن عباس:

لــواءُ ضــلالٍ قاد إبليسُ أهلَـه   فخاسَ بهم إنَّ الخبيث إلى غَــدْرِ

ومن معاني الرجس: العذاب، ومن معانيه كذلك: الارتكاس، وكلاهما يُلَوِّن هذا العذابَ بمشهدِ الذي يرتكسُ في العذاب ويعودُ إليه ولا يفارقه.

* **أبو لهب، وامرأته حمَّالة الحطب، وابنه:**

أفمَن رَغِب عن اللَّه كمن رَغِب إلى اللَّه؟! لا يستويانِ ولا يلتقيان..

هل يستوي من رســولُ اللَّه قائدُهُ   دوْمًا وآخَــرُ هاديــه أبو لَهَبِ؟!

وأينْ مَن كانتِ الزهــراءُ أُسْوَتَها   ممَّنْ تَقَفَّتْ خُطَا حَمَّالة الحَطَبِ؟!

وأبو لهب هذا الذي أفرد اللَّهُ ذِكرَه من كفارِ قريش، هو أحدُ أعمامِ رسول اللَّه ﷺ، واسمُه «عبدالعزىٰ بن عبدالمطلب»، وكنيته «أبو عتبة»، وإنما سُمِّي أبا لهب؛ لإشراق وجهه، ولتلهُّب وَجنتيه، وكأنَّ كنيَته من جنسِ عمله ومآلِه إلى ذاتِ اللَّهب، فوافقت حالُه كنيتَه، فحَسُن ذِكرُه بها، وامرأتُه «أم جميل»، واسمها «أروىٰ بنت حرب بن أميَّة»، وهي أختُ أبي سفيان.

ولقد كان أبو لهب كثيرَ الأذية لرسول اللَّه ﷺ والبغضِ له، والازدراءِ به، والتنقُّصِ له ولدينه.

وانظر إلى نموذجٍ من نماذجِ كيدِ أبي لهبٍ لدعوةِ الرسول ﷺ، التي

عاداها من اليوم الأول للدعوة.

● روىٰ الإمام أحمد، عن ربيعةَ بن عبَّادٍ من بني الدِّيل ـ وكان جاهليًّا، فأسلم ـ قال: «رأيتُ النبي ﷺ في الجاهلية، في سُوقِ ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا اللَّه تفلحوا»، والناس مجتمِعون عليه، ووراءَه رجلٌ وضيءُ الوجهِ أحولُ ذو غَدِيرتَين، يقول: إنه صابئٌ كاذب، يتبعُه حيث ذهب، فسألتُ عنه، فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب»[1].

● وروىٰ محمد بن إسحاق عن ربيعةَ بن عباد الدِّيلي قال: «إني لَمَع أبي غلامٌ شاب، أنظرُ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يتبعُ القبائل، ووراءَه رجلٌ أحولُ وَضِيءٌ ذو جُمَّةٍ، يقفُ رسولُ اللَّه ﷺ علىٰ القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسولُ اللَّه إليكم، آمركم أن تَعبُدوا اللَّهَ، لا تُشركوا به شيئًا، وأن تُصدِّقوني وتمنعوني، حتى أُنفذَ عن اللَّه ما بعثني به»، وإذا فرغ من مقالته قال الآخَرُ مِنْ خلفه: يا بَنِي فلان، هذا يريدُ منكم أن تَسلُخوا اللاتَ والعزَّىٰ، وحُلفاءَكم من الجنِّ من بني مالك بن أقيس، إلىٰ ما جاء به من البدعةِ والضلالة، فلا تسمعوا له وتتبعوه.

فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب»[2].

* قال تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٤١)، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد، والطبراني، وقال الشيخ شعيب: «إسناده ضعيف».

● روىٰ البخاري عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ خرج إلىٰ البطحاء، فصعد الجبل، فنادىٰ: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتمُ إن حدَّثتُكم أن العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسيكم، أكنتم تصدقوني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتَنا؟ تبًّا لك، فأنزل اللَّه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»[1] .

● وفي رواية: «فقام ينفضُ يديه، وهو يقول: تبًّا لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتَنا؟ فأنزل اللَّه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»[2] .

● وعن سعيدِ بنِ جُبير، عن ابن عباسٍ ﷺ قال: لَمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ علىٰ الصَّفا، فجعل يُنادِي: «يا بني عَدِيٍّ» ـ لبطون قريش ـ، حتىٰ اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يَخرجَ أرسل رسولاً لينظرَ ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريشٌ، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أَنْ تُغيرَ عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعم، ما جَرَّبنا عليك إلاَّ صِدْقًا. قال: «إني نذيرٌ لكم بين يديْ عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [اللهب: ١ ـ ٢]»[3] .

---

(١) رواه البخاري، تفسير سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ .

(٢) البخاري كتاب الجنائز؛ باب ذكر شرار الموتىٰ؛ وتفسير سورتي «الشعراء وسبأ».

(٣) رواه البخاري (١٠/ ١١٨)، وأعاده في تفسير سورة «تبت» (١٠/ ٣٦٨، ٣٦٩)، وآخر كتاب الجنائز (٣/ ٥٤)، وأخرجه مسلم (٣/ ٨٣)، والترمذي (٤/ ٢٢٠)، وأحمد (١/ ٢٨١)، وابن جرير في «التاريخ» (٢/ ٢١٦)، وفي «التفسير» (١٩/ ١٢١)، =

من أول يومٍ ينفردُ هذا الكافرُ بالكيدِ للرسول ﷺ وتتبُّعِ خَطْوِه، والردِّ على مقالته، فأفرد اللَّهُ ذِكرَه، وشَهَره بكنيته دون بقيةِ صناديد الكفر من قريش.

ولما قال للرسول ﷺ: «تبًّا لك»، وقام ينفض يديه، فتنزل السورة تردُّ على هذه الحربِ المعلَنةِ من أبي لهب وامرأته، وتَولَّى اللَّهُ سبحانه عن رسولِ اللَّه ﷺ أمرَ المعركة.

قال: «تبًّا لك»، فكان الجزاء: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، دعاءٌ بدعاء، ولفظٌ بلفظ.

نَفَض يديه، فجاء ذِكرُ اليدين: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾، واحدةً بواحدة، يداك أَوْكَتَا، وفُوك نَفَخ - أبا لهب -.

سائرَ اليوم، سائرَ الدهر، وأنت بعدُ في دار الدنيا ﴿وَتَبَّ﴾.

◻ «ولم يُقيِّضِ اللَّهُ له ولا لامرأته أن يُؤمِنا، ولا لواحدٍ منهما، لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا مُعلَنًا؛ فكان هذا مِن أقوى الأدلةِ الباهرةِ على النبوَّة الظاهرة»[1].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، تبابٌ وهلاكٌ وبَوارٌ وقَطع، في آيةٍ

= (٣/ ٣٣٧)، والنسائي في «التفسير» كما في عمدة القارئ (١٦/ ٩٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٤٣١). وهذا الحديث مرسل؛ لأن ابن عباس كان حينئذ إمّا لم يولد أو كان طِفلاً، وبه جزم الإسماعيلي. انظر «عمدة القارئ» (١٩/ ١٠٢) ثم قال: أقول هو مرسل صحابي، ومرسل الصحابي لا ضير عليه ولا مطعن فيه. انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي» (ص١٧٧).

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٧).

قصيرةٍ واحـدة، تَصدُرُ الدعوةُ وتتحقق، وتنتهي المعركةُ، ويُسدل الستّار!.

ولما أجمع بنو هاشم بقيادةِ أبي طالبٍ على حماية النبي ﷺ ولو لم يكونوا على دينه؛ لدافعِ العصبيةِ القَبَلية، خَرَجَ أبو لهبٍ على إخوته، وحالَفَ عليهم قريشًا، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعةِ بني هاشم وتجويعهم؛ كي يُسلِموا لهم محمداً ﷺ، وكان قد خَطَب بنتي الرسول ﷺ «رقية وأمَّ كلثوم»، لولديه قبل بعثة النبي ﷺ، فلما كانت البعثةُ أمرهما بتطليقهما؛ حتى يُثقِلَ كاهلَ محمدٍ ﷺ بهما.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾.

□ قال ابن عباس ﷺ: ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾، «يعني: ولدَه».. وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله.

لما دعا رسولُ اللَّه ﷺ قومَه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إنْ كان ما يقول ابن أخي حقًّا، فإني أفتدي نفسي يومَ القيامة من العذاب بمالي وولدي، قال اللَّه ـ عز وجل ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣].

□ قال القاسمي: «قال الشهاب: والذي صحّحه أهـلُ الأثر أن أولادَه ـ لعنه اللَّه ـ ثلاثة: مُعتِّب، وعُتبة، وهما أسلما، وعُتيبة ـ مصغَّرًا ـ وهذا هو الذي دعا عليه النبي ﷺ لما جاهر بإيذائه وعداوته، وردَّ ابنته وطلَّقها، وقال صلوات اللَّه عليه وسلامه: «اللَّهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك»، وفيه يقول حسان ﷺ:

مَنْ يرجِـعُ العَـامَ إِلَى أَهْلِهِ   فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجعِ»[1]

---

(١) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٧/ ٦٢٩٢).

قال ابن كثير: «روىٰ ابن عساكر في ترجمة «عُتيبة بن أبي لهب» من طريق محمد بن إسحاق عن هبَّار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنُه عُتيبة قد تجهَّزا إلىٰ الشام، فتجهزتُ معهما، فقال ابنُه عُتيبة: واللَّهِ لأنطلقُ إلىٰ محمدٍ ولأوذينَّه في ربِّه ـ سبحانه ـ فانطلق حتىٰ أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفرُ بالذي دنا فتدلَّىٰ، فكان قابَ قوسين أو أدنىٰ. فقال النبي ﷺ: «**اللَّهم، ابعث إليه كلبًا من كلابك**»، ثم انصرف عنه فرجع إلىٰ أبيه، فقال: يا بُني، ما قلتَ له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: «**اللَّهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك**». قال: يا بني، واللَّهِ ما آمَنُ عليك دعاءه»[1].

وفي رواية عروة بن الزبير: «أن عُتيبة بنَ أبي لهب، وكان تحته بنتُ رسول اللَّه ﷺ أراد الخروجَ إلىٰ الشام، فقال: لآتِينَّ محمداً فلأوذينَّه، فأتاه فقال: يا محمدُ، هو كافر بالنجم إذا هوىٰ، وبالذي دنا فتدلَّىٰ، ثم تَفَل في وجهِ رسول اللَّه ﷺ وردَّ عليه ابنتَه وطلَّقها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّهم سلِّطْ عليه كلبًا من كلابك**»، وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عُتيبةُ إلىٰ أبيه فأخبره»[2].

فسرنا حتي نزلنا الشَّراة[3]، وهي مأسدة[4]، فنزلنا إلىٰ صومعةِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢١) سورة النجم.

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٦٢٥٣).

(٣) الشراة: صِقْع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ، وفي اللسان: موضع تنسب إليه الأسد، يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرىٰ، والشرىٰ: طريق في سلمىٰ كثير الأسد.

(٤) الأرض كثيرة الأسود.

راهب، فقال: يا معشرَ العرب، ما أنزلكم هذه البلادَ، فإنها تسرحُ الأُسْدُ فيها كما تسرحُ الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كِبَرَ سنِّي وحَقِّي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، واللّهِ ما آمَنُها عليه، فأجمِعوا متاعَكم إلى هذه الصومعة، وافرِشوا لابني عليها، ثم افرِشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهَنا، فلما لم يَجِدْ ما يريدُ، تَقَبَّضَ فوثب، فإذا هو فوق المتاع، فشمَّ وجهه، ثم هَزَمه هَزْمةً[1] ، ففضخ[2] رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفتُ أنه لا ينفلتُ عن دعوة محمد».

فانظر أخي يرحمك اللّه، لما تَفَل في وجه رسول اللّه ﷺ أتى الأسدُ، فشمَّ وجهَه، وفضخ رأسه، لم يأكلْه من يديه أو رجليه، وإنما وجهٌ بوجهٍ.

بَصْقٌ في وجهِ نبيٍّ، وفَضْخٌ في رأسِ شقيٍّ، ومعذرةٌ لرسول اللّه ﷺ.

أَلَمْ تَرَ أنَّ السَّـيفَ يَنقُصُ قَـدْرُه إذا قيل: إنَّ السَّيفَ أمضى من العصا؟!

فابن أبي لهب لا يناسبه إلاَّ كلب[3] .

◻ قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصة الأسد مع أبي واسع عُتَيبَة بن أبي لهب:

سائِلْ بني الأَشْعَرِ إنْ جئتَهُم ما كان أنبـاءُ أبي واسِـعِ[4]

---

(١) أي: ضربه ضربة.

(٢) أي: شدخه.

(٣) قال القاسمي في «محاسن التأويل» (١٧/ ٦٢٩٢): ومنه يُعلَم أن الأسد يُطلقَ عليه كلب، ولما أُضيف إلى اللّه؛ كأنه أعظم أفراده.

(٤) بني الأشعر: يعني الأشعريين، وقال بعض الناس: خرج عتبة إلى ناحية اليمن إلى سوق حباشة، ومن قال سائل بن الأصفر قال خرج عُتيبة إلى حوران.

لاَ وَسَّعَ اللَّهُ له قَبْرَهُ ... بَلْ ضَيَّقَ اللَّهُ على القَاطِعِ
رِحْمَ نَبِيٍّ جَدُّهُ جَدُّهُ ... يَدْعو إلى نُورِ هُدًى سَاطِعِ
أَسْبَلَ بالحِجْرِ لتَكْذيبه ... دُونَ قُرَيْشٍ نَهْزَةُ القَاذِعِ
فاستَوْجَبَ الدَّعْوَةَ منْهُ فَقَدْ ... بَيَّنَ للناظِرِ والسَّامِعِ
إِن سَلَّطَ اللَّهُ به كَلْبَهُ ... يمشي الهُوينى مشيةَ الخادِعِ
فالتهمَ الرأسَ بِيَافُوخِه ... والحَلْقَ منه فَغْرَةَ الجَائِعِ
أَسْلَمْتُمُوه وهو يَدْعُوكُمُ ... بالنَّسَبِ الأَدْنَى وبالجَامِعِ
واللَّيْثُ يَعْلُوهُ بأنْيَابه ... مُنْعَفِرًا وَسْطَ الدَّمِ النَّاقِعِ
لا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَصْرُوعَكُم ... ولا يُوهِنُ قُوَّةَ الصَّارِعِ
مَنْ يَرجعُ العامَ إلى أهلِه ... فما أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ
قد كانَ فيه لَكُمْ عِبْرَةٌ ... للسيِّد المَتْبُوعِ والتَّابِعِ
من عادَ فاللَّيْثُ لَهُ عَائِدٌ ... أَعْظِمْ بِه من خَبَرٍ شَائِعِ[1]

* ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ :

□ قال أبو رافع مولى رسول اللَّه ﷺ: «رَمَاه اللَّه بالعَدَسة فَقَتلته، فلقد تركه ابناه بعدَ موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتَنَ، وكانت قريشٌ تتَّقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون، حتى قال لهم رجلٌ من قريش: ويحكما، ألاَ تستحيانِ! إن أباكما قد أنتَنَ في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عَدْوَةَ هذه القَرْحة، فقال: انطلِقا فأنا أعينُكما عليه، فواللَّهِ ما غَسلوه إلاَّ قَذْفًا بالماء

(١) «ديوان حسان بن ثابت» ـ تحقيق د. سيد حنفي (ص١٦٢ ـ ١٦٣) ـ دار المعارف.

عليه من بعيدٍ ما يَدْنُون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رجموا عليه بالحجارة».

◻ عن أمِّ المؤمنين عائشة ﵂ أنها كانت لا تمرُّ على مكانِ أبي لهب هذا، إلاَّ تستَّرت بثوبها حتى تجوز.

* ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾:

* مَن للأحولِ غيرُ أمِّ قبيح، أمِّ جميل العوراء:

◻ قال ابنُ العربي: «العوراءُ أم قبيح، وكانت عوراءَ، مَن لها غيرُ أبي النار، أبي لهب؟! حَقَّق اللَّه نَسَبه، لقد صرَفهم اللَّهُ على أن يقولوا: «أبو النور، وأبو الضياء» - الذي هو المشترِك بين المحبوب والمكروه -، وأجرى على ألسنتهم أن يُضيفوه إلى لهب، الذي هو مخصوصٌ بالمكروه والمذموم - وهو النار -، ثم حَقَّق ذلك بأن يجعلها مَقَرَّه».

◻ قال ابنُ كثير عن أمِّ جميل: «كانت عَونًا لزوجها على كُفرِه وجُحودِه وعناده، فلهذا تكونُ يومَ القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، يعني: تحملُ الحطبَ فتُلقي على زوجِها، ليزدادَ على ما هو فيه، وهي مهيأةٌ لذلك، مستعدَّةٌ له»[1] .. والجزاء من جنس العمل.

﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: عن مجاهد وعكرمة، والحسن، والقتادة، والثوري، والسُّدِّي: «كانت تمشي بالنميمة».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٥).

◘ وعن ابن عباس، وعطية الجَدَلي، والضحاك، وابن زيد: «كانت تضعُ الشوكَ في طريق رسول اللَّه ﷺ».. واختاره ابن جرير.

◘ قال الإمام ابن جرير: «وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب عندي هو قول من قال: كانت تحملُ الشوك، فتطرحُه في طريقِ رسول اللَّه ﷺ، لأن ذلك أظهرُ».

◘ قال الربيع: «فكان النبيُّ ﷺ يطؤُه كما يطأُ الحرير».

ومِثلما حَمَلت الشوكَ والعِضاةَ تطرحُه في طريقِ رسول اللَّه ﷺ، فكذا تحملُ الحطبَ علىٰ زوجِها في النارِ جزاءً وفاقًا.

◘ قال قتادة وغيره: «كانت تُعيِّرُ رسولَ اللَّه ﷺ بالفقر، ثم كانت مع كثرةِ مالها تحملُ الحطبَ لشدةِ بُخلها، فُعيِّرت بالبُخل»[1].

◘ قال مُرَّة الهَمْداني: «كانت أم جميل تأتي كلَّ يوم بإبَّالةٍ[2]، من الحَسَكِ[3]، فتطرحُها في طريقِ المسلمين، فبينما هي حاملةٌ ذاتَ يوم حُزْمةً أعيَت، فقَعَدت علىٰ حَجَرٍ لتستريح، فجَذَبها المَلَكُ من خلفها فأهلكها»[4].

خَنَقها اللَّهُ بحَبلها.

◘ قال سعيد بن جبير: «حمالةَ الخطايا والذنوب، من قولهم: «فلان يحتطبُ علىٰ ظهره»، دليلُه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، ولا يظلمُ ربك أحدًا».

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٣٣٠).

(٢) الإبالة: الحزمة الكبير.

(٣) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك، تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٤) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٣٣٠).

* ﴿فِي جِيدِهَا[1] حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

◻ قال سعيد بن المسيِّب: «كانت لها قِلادةٌ فاخرة، فقالت: لأُنفِقَنَّها في عداوةِ محمدٍ، فأعقَبَها اللَّهُ بها حَبْلاً في جِيدِها من مَسدِ النار».

◻ وعن الثوري: «هي قلادةٌ من نارٍ طولُها سبعون ذراعًا»[2].

أبو لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ستَصلاها، وفي عُنقها حَبلٌ من مَسَد، تناسُقٌ في اللفظ، وتناسقٌ في الصورة، فجهنم هي نارٌ ذاتُ لهب، يَصلاها أبو لهب، وامرأتُه تحملُ الحطب، وتُلقيه في طريقِ محمدٍ لإيذائه والحطبُ مما يوقَدُ به اللَّهب، وهي تَحزِمُ الحطبَ بحبل، فعذابها في النار ذاتِ اللَّهب، أن تُغَلَّ بحبلٍ من مَسد، ليتم الجزاءُ من جنس العمل»[3].

وانظر يا أخي، مثلما أرادا أن يُنغِّصَا عيشَ رسولِ اللَّه ﷺ، بتطليق ابنتَيه، وتتبُّعِه في المجالس بتكذيبه، مثلما أثارا حَربًا شعواءَ علىٰ النبيِّ ﷺ، وعلىٰ الدَّعوة، لا هوادةَ فيها، ولا هُدنة، انظر إلىٰ وقعِ السورة في نفسِ أمِّ جميل، التي ذُعرت لها، وجُنَّ جنونُها، وحَسِبت أن رسول اللَّه ﷺ قد هجاها بشِعرٍ، وبخاصةٍ حين انتشرت هذه السورة، وما تحمله من تهديدٍ ومَذِمَّة، وتصويرٍ زَرِيٍّ لأم جميلٍ خاصةً، وتصويرٍ يُثير السخرية، من امرأةٍ مُعجَبَةٍ بنفسها، مُدِلَّةٍ بحَسَبها ونَسَبها، ثم ترتسِمُ لها هذه الصورة ﴿نَارًا

---

(١) الجيد: العنق.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٦).

(٣) «الظلال» (٦/ ٤٠٠٠).

ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في هذا الأسلوب القويِّ الذي يَشيعُ عند العرب.

● عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراءُ أمُّ جَميلٍ بنتُ حرب، ولها وَلولةٌ وفي يدها فِهْر[1]، وهي تقول:

مُذَمَّمًا أَبَينَا وَدِينَهُ قَلَينَا

وَأَمْرَهُ عَصَينَا[2]

ورسولُ اللَّه ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول اللَّه، قد أقبلَتْ، وأنا أخافُ عليك أن تراك، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قُرآنًا اعتصَم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فأقبلَت حتى وقفَتْ على أبي بكر، ولم تَرَ رسولَ اللَّه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، إني أُخبرتُ أن صاحبَك هجاني؟، قال: لا، وربِّ هذا البيت ما هجاكِ، فولَّت، وهي تقول: قد عَلِمَتْ قريشٌ إني ابنةُ سيِّدها».

قال: وقال الوليدُ في حديثه، أو غيره: «فعثَرت أمُّ جميل مِرْطَها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تَعِس مُذَمَّم، فقالت أمُّ حكيم بنتُ عبدالمطلب:

(١) أي بمقدار ملء الكف من الحجارة.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٧٣، ٤١٧)، والبخاري في «المناقب في أسماء رسول اللَّه ﷺ» (٧/ ٣٦٩) من «فتح الباري» عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف اللَّه عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مُذَمَّمًا ويلعنون مُذَمَّمًا وأنا محمد».

إني لَحَصانٌ، فما أكلَّم، وثَقَافٌ[١] فما أُعلَّم، وكلُّنا من بني العمِّ، وقريشٌ بعد أعلم»[٢] .

◘ وروىٰ الحافظُ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وجاءت امرأةُ أبي لهب، ورسولُ اللَّه ﷺ جالس، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيتَ لا تؤذيكَ بشيء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنه سيُحال بيني وبينها**»، فأقبلَتْ حتىٰ وقفتْ علىٰ أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبُك، فقال أبو بكر: لا وربِّ هذه البِنْية، ما نَطق بالشِّعر ولا يتفوَّهُ به. فقالت: إنك لَمُصدَّق. فلمَّا ولَّت قال أبو بكر ﷺ: ما رأتك؟ قال: «**لا، ما زال مَلَكٌ يسترُني حتى ولَّت**»[٣] .

◘ «فهكذا بَلَغ منها الغيظُ والحَنَقُ من سَيرورةِ هذا القول الذي حَسِبَتْه شِعرًا، وكان الهجاءُ لا يكونُ إلاَّ شعرًا مما نفاه أبو بكر، وهو صادقٌ، ولكنَّ الصورةَ المُزرِيةَ المثيرةَ للسخرية، التي شاعت في آياتها قد سُجِّلت في الكتاب الخالد، وسجَّلَتْها صفحاتُ الوجود أيضًا، تنطقُ بغضبِ اللَّهِ وحَرْبه علىٰ أبي لهب وامرأته، جزاءَ الكيد لدعوةِ اللَّه ورسولِه، والتبابُ والهلاكُ والسخريةُ والزِّراية جزاءُ الكائدين لدعوة اللَّه في الدنيا، والنارُ في الآخرة جزاءً وفاقًا، والذلُّ الذي يُشير إليه الحَبلُ، في الدنيا والآخرة جميعًا»[٤] .

(١) أي: ذات فطنة ومعرفة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٣) حسن الإسناد: رواه أبو يعلىٰ والبزار بنحوه، وقال: إنه حسن الإسناد، وفيه عطاء بن السائب كان قد تغيّر كذا في «المجمع» (٧/ ٤٤)، وله شاهد عن أسماء بنت أبي بكر بنحوه رواه أبو يعلىٰ.

(٤) «الظلال» (٦/ ٤٠٠١).

* **أُبَيُّ بن خَلَفٍ قَتيلُ رسول اللَّه ﷺ:**

● عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اشتدَّ غَضَبُ اللَّه على قومٍ فعلوا بنبيِّه - يشير إلىٰ رَباعِيَتِه -، اشتدَّ غضبُ اللَّهِ على رجلٍ يقتلُهُ رسولُ اللَّه ﷺ في سبيل اللَّه**»[1].

◘ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ مَن قَتَله النبيُّ في سبيل اللَّه، اشتدَّ غضبُ اللَّه علىٰ قومٍ دمَّوْا وجهَ نبيِّ اللَّه ﷺ»[2].

◘ قال ابنُ إسحاق: كان أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ يَلقَىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بمكة، فيقول: يا محمدُ، إن عندي العَوذَ، فرسًا أعلفُه في كلِّ يومٍ فَرْقًا[3] من ذُرةٍ، أقتلُك عليه، فيقول رسول اللَّه ﷺ: «**بل أنا أقتلُك إن شاء اللَّه**»[4].

◘ قال ابن كثير: «عن عروةَ بنِ الزبير قال: كان أُبَيُّ بنُ خَلَف أخو بني جُمَح، قد حَلَف - وهو بمكة - لَيقتُلَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، فلما بَلَغَتْ رسولَ اللَّه ﷺ حَلْفَتُه قال: «**بل أنا أقتلُه إن شاء اللَّه**»، فلما كان يومُ أحد أقبل أُبَيٌّ في الحديد مُقَنَّعًا، وهو يقول: لا نَجوتُ إن نجا محمدٌ، فحَمَل على رسول اللَّه ﷺ يريدُ قَتلَه، فاستقبله مُصعبُ بنُ عُمير أخو بني عبدالدار يَقِي رسولَ اللَّه ﷺ بنفسه، فقُتِل مصعبُ بنُ عمير، وأبصر رسول اللَّه ﷺ تَرقوةَ أُبيٍّ بن خَلَفٍ من فُرجةٍ بين سابغةِ الدِّرع والبَيضة، فطَعَنه فيها بالحَرْبة، فوقع إلىٰ الأرض عن فرسه، ولم يخرجْ من طَعنته دمٌ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو

---

(١) رواه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٤).

(٣) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسعة عشر مَنًّا؛ وقيل: اثني عشر مَنًّا.

(٤) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - غزوة أحد» لمحمد أحمد بشاميل (ص١٦٢).

يَخورُ خُوارَ الثَّوْرِ، فقالوا له: ما أجزَعَك، إنما هو خدْش؟ فذكر لهم قولَ رسولِ اللَّه ﷺ: «أنا أقتل أُبيًا»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون.. فمات إلى النار، ﴿فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾»[1].

● وقد رواه موسى بنُ عقبةَ في «مغازيه» عن الزهريِّ عن سعيد بن المسيَّب نحوه، وقال ابن إسحاق: «لما أُسند رسولُ اللَّه ﷺ في الشِّعب أدركه أُبيُّ بن خلَف، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القومُ: يا رسولَ اللَّه، يَعطِفُ عليه رجلٌ منَّا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «دَعُوه»، فلما دنا منه، تناول رسولُ اللَّه ﷺ الحربةَ من الحارثِ بنِ الصِّمَّة، فقال بعضُ القوم ـ كما ذُكر لي ـ، فلما أخذَها رسولُ اللَّه ﷺ انتَفَض انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرُ الشُّعْر[2] عن ظَهر البعير إذا انتفضه، ثم استقبله رسولُ اللَّه ﷺ، فطَعَنه في عُنقه طَعنةً تدأدأ منها[3] مراراً»[4].

◻ «لما رجع إلى قومه، وقد خَدَشه الرسولُ ﷺ بالحَربة خَدْشًا غيرَ كبير، قال: قتلني واللَّهِ محمد، قالوا له: ذهب واللَّهِ فؤادك، واللَّهِ ما بك من بأسٍ قال: إنه قد كان قال بمكة: «أنا أقتُلك»، فواللَّهِ، لو بَصَق عليَّ لَقَتلني.

فكان هذا الشقيُّ هو الوحيدَ الذي قتله رسولُ اللَّه ﷺ بيده

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٤٠٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٢) الشُّعْر: بضم الشين وسكون العين: جَمْع شعراء، وهي ذِبَّانٌ حُمْر. انظر «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٨٠).

(٣) قال ابن هشام: تدأدأ: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

(٤) «البداية والنهاية» (٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

الكريمة»[١]. فكان جزاؤه من جنسِ قوله للرسول ﷺ بمكة.

◻ قال حسان:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلاَلَةَ عَنْ أَبِيهِ ... أُبَيٌّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ ... وتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ

◻ وقال أيضًا:

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٍ عَنِّي أُبَيًّا ... فَقَدْ أُلْقِيتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلاَلَةِ مِنْ بَعِيدٍ ... وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تَمَنِّيكَ الأَمَانِيَ مِنْ بَعِيدٍ ... وَقَوْلُ الكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَد لاَقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ[٢] ... كَرِيمِ البَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الأَحْيَاءِ طُرًّا ... إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الأُمُورِ

◻ ولله درُّ أحمد محرم إذ يقول عن أُبيٍّ ومَقتله:

دَلَفـوا إليه، وظنَّ أكذبُهم مُنًى ... أنْ قدْ سَقَتْهُ يـداه كأسَ حِمَامِـهِ
أَكَذاك ينخَـدِعُ الغَبِـيُّ وهكذا ... يتخبَّـطُ المَفتـونُ في أوهـامـه؟
مهـلاً أُبَيُّ لقد رَكِبْتَ عَظيمـةً ... وأردتَ صَرْحًا لستَ من هُـدَّامِـهِ
صَـرحٌ بنـاهُ اللَّهُ أوَّلَ ما بَنَـى ... وأطـالَ من عِرْنِينِـهِ وسَنامِـهِ
لا يَبْـلغُ البَـاني ذُراهُ، ولا يُرَى ... في الداعمين بنـاؤه كدعـامِـهِ
أقـدِمْ فخُذْها طعنـةً من باسلٍ ... يغتالُ عَـزْمَ الليثِ في إقدامِـهِ

---

(١) «سلسلة معارك الإسلام ـ أُحُد» (ص١٦٣).

(٢) الحفاظ: الغضب في الحرب.

تلك المنيَّـــةُ يا أُبَيُّ سُـقيتَها فانظر إلى السَّاقي وروعة جامـه[1]
خَدْشٌ كوَقْعِ الظُّفْرِ، أوْ هو دونَـه لِمَ تشتكي وتَضِـجُّ من آلامـه؟
أُأُبَيُّ أين العُـودُ والعَلَفُ الذي أعْدَدْتَـه، وجعلتَـهُ لطعامِـه؟
اذهبْ لك الويلاتُ من مُتَمَـرِّدٍ عادى الإلهَ ولـجَّ في آثـامِـه[2]

* * *

* **عبدالله بن قَمِئَة - لعنه الله - رامِي وَجْنَتَيْ رسولِ الله ﷺ. . أقمأهُ الله ولعنه:**

◻ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اشتدَّ غضبُ الله على مَن دَمَّى وجـهَ رسول الله ﷺ»[3].

◻ قال ابنُ حجر: «ومجموعُ ما ذُكر في الأخبار أنه شُجَّ وجهُه ﷺ، وكُسرت رَبَاعِيتُه، وجُرِحت وَجْنَتُه، وشَفَتُه السُّفلى من باطنِها، ووَهَى مَنكِبه من ضربةِ ابنِ قمئة، وجَحِشت ركبته»[4].

◻ وعند ابن هشام[5] حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن عبدالله بن قَمِئة جرَحه - أي الرسولَ ﷺ - في وَجنَتِه، فدخلت حَلْقتانِ من حِلَقِ المِغْفَرِ[6]

(١) جامه: كأسه.

(٢) «ديوان مجد الإسلام»، لأحمد محرم (ص١٥٢ - ١٥٣) - مكتبة الفلاح.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٤٣١).

(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٠).

(٦) المغفر: شبيه بحَلَق الدرع، يجعل في الرأس يُتَّقى به في الحرب.

في وَجنته ﷺ».

◻ قال الواقدي[١] : «والثابتُ عندنا أن الذي رَمَىٰ في وَجْنَتَيْ رسول اللَّه ﷺ ابنُ قمئة، والذي رمىٰ في شَفته وأصاب رَباعِيَتَه عتبةُ بنُ أبي وقاص»[٢].

◻ وروىٰ ابنُ جرير في «تاريخه»[٣] عن السُّدِّيِّ قال: «أتىٰ ابنُ قمئة الحارثيُّ، فرمىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بحَجَرٍ، فكَسَر أنفَه ورَبَاعِيَتَه، وشجَّه في وجهه فأثقله».

* **فَمَاذَا كَانَ جزَاءُ هَذَا الشَّقي؟!:**

● قال عبدُالرحمن بنُ زيدِ بن جابر: «إن الذي رَمىٰ رسولَ اللَّه ﷺ بأُحد، فجَرَحه في وجهه، قال: خُذْها مني وأنا ابنُ قمئة، فقال: «**أقمأك اللَّه**»، فانصرف إلىٰ أهله، فخرج إلىٰ غَنَمه، فوافاها علىٰ ذُروةِ جبل، فدخل فيها، فشدَّ عليه تَيسُها، فنَطحه نطحةً أرداه من شاهقِ الجبل فتقطع».

● وفي الطبراني، من حديث أبي أمامة قال: «رمىٰ عبدُاللَّه بنُ قمئةَ رسولَ اللَّه ﷺ يوم أحد، فشَجَّ وجهَه، وكَسَر رَباعيَتَه، فقال: خُذْها وأنا ابنُ قمئة، فقال رسولُ اللَّه ﷺ، وهو يمسحُ الدمَ عن وجهه: «**ما لك، أقمأك اللَّه**». فسلَّط اللَّه عليه تَيْسَ جبلٍ، فلم يزل ينطحُه حتىٰ قَطَّعه قِطعةً قطعةً».

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ، لم يُرسِلِ اللَّه ـ عز وجل ـ إلىٰ ابن قمئة مَلَكًا؛

---

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ٢٤٤).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٣١).

(٣) «تاريخ الطبري» (٢/ ٥١٩ـ ٥٢١)، حوادث السنة الثالثة.

لينتقمَ لنبيِّه ﷺ، وإنما سلَّط عليه تيسًا قطَّعه، وألقاه من فوقِ الجبل، لهوانه على الله!!.

يا لَذُلِّ قَزَمٍ تَطاول على النبيِّ ﷺ، وشَجَّ وجهَه، فأخزاه الله، وقَطَّعه تَيسٌ، وتردَّىٰ من فوق الجبل إلى الهاوية، ليُخزَىٰ في الدنيا والآخرة.

*** عُتبةُ بنُ أبي وقاص ـ لعنه الله ـ، رامي شَفَةِ النبي ﷺ وكاسرُ رَباعيته:**

▫ قال ابنُ إسحاق: «انكشف المسلمون ـ يومَ أُحُد ـ، وأصاب منهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيص، أكرَمَ اللَّهُ فيه مَن أكرَمَ بالشهادة، حتى خَلَص العدوُّ إلى رسول الله ﷺ، فدُثَّ[1] بالحجارة حتى وقع لِشِقِّه، فأُصيبت رَباعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمَت شَفَتُه، وكان الذي أصابه عُتبةُ ابن أبي وقاص»[2].

● عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ كُسِرت رَباعِيَتُه يومَ أُحُد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يَسْلُتُ الدمَ عنه ويقول: «**كيف يُفلِحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم وكَسَروا رَباعيتَه وهو يدعوهم إلى الله؟!**»، فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨][3].

▫ وعند ابن هشام[4] من حديث أبي سعيد، أن عتبة بن أبي وقاص رَمَىٰ

(١) دُثَّ: رُمِي حتى التوىٰ بعض جسده.

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٩، ٨٠).

(٣) رواه مسلم، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٩٩، ١٧٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨)، والترمذي (٤/ ٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن سعد (٢/ ٣١)، وابن جرير (٤/ ٨٦، ٨٧).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٠).

رسولَ اللَّه ﷺ فكَسَر رَباعيته اليُمنى السُّفْلى، وجرَح شَفَته السُّفْلى، وأن عبداللَّه ابن شهابٍ الزُّهريَّ شجَّه في جبهته، وأنَّ عبداللَّه بن قمئة جَرَح وَجْنَتَه.

□ وتقدم قولُ الواقدي: «إن الذي رمى شَفَة رسول اللَّه ﷺ وأصاب رباعِيَتَه هو عُتبةُ بنُ أبي وقاص».

□ وروى ابن إسحاق[١] بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما حَرَصْتُ على قتْل أحدٍ قطُّ ما حَرَصْتُ على قتْل عُتبةَ بن أبي وقاص، وإنْ كان ما علِمْتُ لَسَيِّءَ الخُلُق، مُبَغَّضًا في قومه، ولقد كفاني فيه قولُ رسول اللَّه ﷺ: «**اشتدَّ غضبُ اللَّه على مَن دَمَّى وجهَ رسوله**».

□ وروى عبدالرزاق[٢] بسنده عن مِقسَمٍ أن رسول اللَّه ﷺ دعَا على عُتبةَ بنِ أبي وقاص يومَ أُحُد حين كَسَر رَباعِيَته ودَمَّى وجهَه، فقال: «**اللَّهمَّ لا تُحِلْ عليه الحولَ حتى يموتَ كافرًا**».. فما حال عليه الحولُ حتى مات كافرًا إلى النار[٣].

*** عدوُّ اللَّه ورسولِه عُقْبة بن أبي مُعَيْط ـ لعنه اللَّه ـ:**

□ قال السيوطي في «الدر المنثور»: «أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل»، بسند صحيح، من طريق سعيد بنِ جبير، عن ابن عباس أن أبا مُعَيط[٤] كان يَجلِسُ مع النبي ﷺ بمكةَ لا يُؤذيه[٥]، وكان رجلاً حليمًا،

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٦).

(٢) «تفسير عبدالرزاق» (١/ ١٣)، و«المصنف» لعبدالرزاق (٥/ ٢٩٠، ٢٩١)، وأخرجه البهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٦٥).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٩٨ـ٣٩٩).

(٤) هو عقبة بن أبي معيط.

(٥) هذا في بداية أمره.

وكان بقيَّةُ قريشٍ إذا جَلَسوا آذَوْه، وكان لأبي مُعيطٍ خليلٌ غائبٌ عنه بالشام، فقالت قريشٌ: صَبَأَ أبو مُعَيط. وقدِم خليلُه من الشام ليلاً، فقال لامرأتِه: ما فَعَل محمدٌ مما كان عليه؟ فقالت: أشدُّ مما كان أمرًا. فقال: ما فَعَل خليلي أبو مُعَيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلةِ سَوءٍ، فلما أصبَح أتاه أبو مُعَيط فحيَّاه، فلم يردَّ عليه التحيةَ، فقال: ما لكَ لا تَرُدُّ عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أَرُدُّ عليك تحيتَك وقد صَبَوتَ؟ قال: أَوَ قَدْ فَعَلَتْها قريش؟ قال: نعم. قال: فما يُبرِئُ صُدورَهم إنْ أنا فعلتُ؟ قال: تأتيه في مَجلسِه فتبزُقُ في وجهه، وتشتُمُه بأخبثِ ما تعلمُ من الشَّتْم. ففعل، فلم يَزد النبيُّ ﷺ على أن مَسَح وجهه من البُزاق، ثم التفت إليه فقال: **«إنْ وَجَدْتُك خارجًا من جبال مكة أضرب عُنُقَك صبْرًا»**. فلمَّا كان يومُ بدرٍ وخَرَج أصحابُه، أبى أن يخرجَ، فقال له أصحابه: اخرجْ معنا. قال: قد وَعَدَني هذا الرجل إن وَجَدَني خارجًا من جبال مكةَ أن يضربَ عُنُقي صبرًا[1]. فقالوا: لك جَمَلٌ أحمرُ لا يُدرِك، فلو كانتِ الهزيمةُ طِرْتَ عليه، فخرج معهم، فلما هَزَم اللَّهُ المشركين، وَحَلَ[2] به جَمَلُه في جَدَدٍ[3] من الأرض، فأخذه رسولُ اللَّه ﷺ أسيرًا في سبعينَ مِن قُرَيْش، وقدِم إليه أبو مُعَيط، فقال: أتقتلُني مِن بين هؤلاء؟ قال: **«نعم، بما بزَقْتَ في وَجْهي»**، فأنزل اللَّه في أبي مُعَيْط: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾**، إلى قوله: **﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ**

---

(١) كُلُّ مَن قُتِل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه مقتول صبرًا. «النهاية» (٣/ ٨).

(٢) الوحل: الطين الرقيق، ووحل الرجل: أي وقع في الوحل.

(٣) الجَدد: ما استوىٰ من الأرض. «النهاية» (٥/ ١٦٢).

خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]»[١] .

◻ انظر إلىٰ هذا الشقيِّ الذي آذىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وانفردَ بما لم يفعلْه أحدٌ، ووضع رِجلَه علىٰ عُنق أطهرِ الخلقِ رسول اللَّه ﷺ، فقُطعت عنقُه جزاءً وفاقًا:

● عن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: «بينا النبي ﷺ ساجدٌ وحولَه ناسٌ من قريشٍ جاء عقبةُ بنُ أبي مُعَيْط بِسَلَىٰ جزورٍ، فقَذَفه علىٰ ظَهرِ النبي ﷺ، فلم يَرَفعْ رأسَه، فجاءت فاطمةُ عليها السلام، فأخذَتْه عن ظهره، ودَعَتْ علىٰ من صَنَع، فقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ عليك الملأَ من قريش: أبا جهل بن هشام، وعُتبةَ بنِ ربيعة، وشَيبةَ بن ربيعة، وأميَّةَ بنِ خَلَف - أوْ أبيَّ بن خلف - » - شعبةُ الشاكُّ - ، فرأيتُهم قُتِلوا يوم بدر، فأُلقوا في بئرٍ، غيرَ أميَّةَ بنِ خَلَف أو أبيٍّ، تَقطَّعت أوصالُه فلم يُلقَ في البئر»[٢] .

● وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: «بينما رسولُ اللَّه ﷺ قائمٌ يصلِّي عند الكعبة، وجَمْعٌ من قريشٍ في مجالسهم إذْ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلىٰ هذا المرائي؟ أيُّكُم يقومُ إلىٰ جَزور آلِ فلان، فيَعْمِدَ إلىٰ فَرْثها ودَمِها وسلاها، فيجيءَ به، ثم يُمهِلَه حتىٰ إذا سَجد وضعه بين كتفَيه؟! فانبعث أشقاهم[٣] ، فلما سجد رسولُ اللَّه ﷺ وَضَعه بين كتفيه، وثَبَت النبيُّ ﷺ ساجدًا، فضَحِكوا حتىٰ مال بعضُهم إلىٰ بعضٍ من الضحك.

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (١١/ ١٦٣ - ١٦٤) - دار هجر.
(٢) رواه البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابُه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٤).
(٣) هو عقبة لعنه اللَّه.

فانطلق منطلقٌ إلىٰ فاطمة عليها السلام ـ وهي جُوَيْرية ـ فأقبلت تسعىٰ، وثَبَت النبي ﷺ حتىٰ ألقتـه عنه، وأقبلَتْ عليهم تَسُبُّهم. فلما قَضَىٰ رسولُ اللَّه ﷺ الصلاة قال: «**اللَّهم عليك بقريش، اللَّهم عليك بقريش، اللَّهم عليك بقريش**». ثم سمَّىٰ: «**اللَّهم عليك بعمرِو بن هشام وعتبةَ بنِ ربيعة وشيبةَ ابنِ ربيعة والوليد بنِ عتبة وأميةَ بنِ خَلَف وعَقبةَ بنِ أبي مُعيط وعُمارةَ بنِ الوليد**»، قال عبداللَّه بن مسعود ﷺ: فواللَّهِ لقد رأيتُهم صَرعَىٰ يومَ بدر، ثم سُحبوا إلىٰ القليب[1] ـ قليب بدرٍ ـ ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**وأُتبِع أصحابُ القليب لعنة**»[2] .

وقد بيَّنَتِ الرواياتُ الصحيحةُ الأخرىٰ أن الذي رَمىٰ الفَرْثَ عليه هو عقبةُ بنُ أبي مُعَيط، وأن الذي حَرَّضه هو أبو جهل[3] .

● وعن عروةَ بن الزبير قال: «سألتُ ابنَ عمرِو بنِ العاص[4] : «أخبرْني بأشدِّ شيءٍ صنَعه المشركون بالنبي ﷺ. قال: بينا النبيُّ ﷺ يُصلِّي في حِجْر الكَعبة، إذْ أقبل عُقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ، فوَضَع ثوبه في عُنقِه، فخنقَه خنْقًا شديداً، فأقبل أبو بكر حتىٰ أخذ بِمَنكِبِه ودَفَعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ الآية [غافر: ٢٨]»[5] .

---

(١) القليب: البئر المفتوحة.

(٢) رواه البخاري «فتح الباري» (١/ ٥٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٣/ ١٤١٨ـ ١٤٢٠).

(٣) صحيح البخاري «فتح الباري» (٦/ ٢٨٣، ٧/ ١٦٥)، و«صحيح مسلم» (٣/ ١٤٢٠).

(٤) أي: عبداللَّه بن عمرو.

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٥٦)، وأحمد، والبزار، والبخاري في «خلق أفعال العباد»، وأبو يعلىٰ وابن حبان.

● ولفظُ ابن حِبَّان: عن محمد بن عمرو عن أبي سَلمة: حَدَّثَني عمرُو ابنُ العاص: «ما رأيتُ قريشًا أرادوا قتلَ رسول اللَّه ﷺ إلاَّ يومًا أغرَوْا به ـ وَهم في ظِلِّ الكعبة جلوسٌ، وهو يُصلِّي عند المقام ـ، فقام إليه عقبةُ، فجعل رِداءَه في عُنقه، ثم جَذَبه حتىٰ وَجَبَ[1] لركبتَيْهِ، وتصايَحَ الناسُ، وظنُّوا أنه مقتول، وأقبل أبو بكرٍ يشتدُّ حتىٰ أخذ بضَبعِ[2] رسولِ اللَّه ﷺ منَ ورائه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾؟ ثم انصرفوا عنه، فلما قضىٰ صلاته مرَّ بهم فقال: «والذي نفسي بيده ما أُرسِلْتُ إليكم إلاَّ بالذَّبح»، فقال له أبو جهل: يا محمدُ، ما كنتَ جهولاً، فقال: «أنتَ منهم»[3].

□ قال ابنُ إسحاق[4] في أسرىٰ بدر، وعن عقبةَ بن أبي معيط، وكيف قُتل صبراً: «قال عقبةُ ـ حين أمر رسول اللَّه ﷺ بقتله ـ: فمَن للصِّبيةِ يا محمد؟ قال: «النار»، وكان الذي قَتَله عاصمُ بنُ ثابت بن أبي الأقلح»، وكذا قال موسىٰ بنُ عقبة في «مغازيه»[5].

□ ولما أَقبل إليه عاصمُ بنُ ثابت، قال: «يا معشرَ قريش، علامَ أُقتل مِنْ بين مَنْ هنا؟ قالوا: علىٰ عداوتِك للَّهِ ورسوله».

---

(١) وَجَب: سقط.

(٢) الضَّبع: وسط العَضُد.. ما بين المِرفق والكفِّ.

(٣) حسن: رواه ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان ٨/ ١٨٨) (٦٥٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٣١) حديث رقم (٣٦٥٦١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩): «رواه أبو يعلىٰ والطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح». ورواه النسائي في «تفسيره» (٤٧٧).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤)، و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

(٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ١١٧)، و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

● وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمة[١] ، عن عطاءِ بنِ السائب، عن الشعبيِّ قال: «لما أَمَرَ النبيُّ ﷺ بقتل عُقبةَ قال: أتقتلُني يا محمد، من بين قريشٍ؟ قال: «نعم، أتدرون ما صَنَع هذا بي، جاء وأنا ساجدٌ خَلْفَ المقام، فوضع رِجلَه على عُنقي وغَمَزها، فما رفعها حتى ظننتُ أن عينيَّ ستندران، وجاء مرةً أخرى بسَلا شاة، فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمةُ فغسلته عن رأسي».

▣ قال ابنُ هشام[٢] : «ويُقالُ: بل قَتل عقبةَ عليُّ بنُ أبي طالب، فيما ذكره الزهريُّ وغيرُه من أهل العلم»[٣] .

وكان قَتلُ هذا الشقيِّ اللعين بعِرْقِ الظُّبية[٤] .

وذهب عقبةُ إلى مَزبلةِ التاريخ، وأُطيح بعُنقه جزاءَ كفرِه وعنادِه وحَسَدِه للإسلام ورسوله ﷺ.

*** النَّضْر بن الحارث ـ لعنه اللّه ـ:**

▣ قال ابنُ إسحاق بعد موقعة بدر: «حتى إذا كان رسولُ اللّه ﷺ بالصَّفْراء قُتِل النَّضْرُ بنُ الحارث، قتله عليُّ بنُ أبي طالب، كما أخبرني بعضُ أهلِ العلم من أهلِ مكة، ثم خَرَج حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبية قُتل عقبة ابن أبي معيط»[٥] .

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٤٨)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي جزء المغازي (ص٦٥) و«البداية والنهاية» (٥/ ١٨٨).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٩).

(٤) موضع بين مكة والمدينة.

(٥) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٤٤).

□ قال الحافظ ابن كثير: «قلت: كان هـذان الرجلان(١) من شر عباد اللَّه، وأكثرِهم كفراً وعناداً، وبغْيًا وحسدًا، وهجاءً للإسلام، وأهله لعنهما اللَّه، وقد فعل»(٢).

* عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ـ لعنهم اللَّه ـ:

□ عن أبي ذرٍّ ﵁ قال: «نَزَلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، في ستةٍ من قريش: عليٌّ وحمزةَ وعُبيدةَ بن الحارث، وشَيبةَ بنِ ربيعة وعتبة بنِ ربيعة والوليد بن عتبة»(٣).

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

□ قال مجاهد: «عتبةُ بنُ ربيعة من مكة، وابن عَبد ياليلَ الثقفي من

---

(١) هما عقبة والنضر.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٢٩٨)، وفي «التفسير» (١٠/ ٥٩)، ومسلم (١٨/ ١٦٦)، وابن ماجه رقم (٢٨٣٥)، والطيالسي (٢/ ٢١)، وابن سعد (٢/ ١٠)، وابن جرير (١٧/ ١٣١). وليس في الحديث اضطراب انظر مقدمة «الفتح» (٢/ ١٣٢)، و«فتح الباري» (١٠/ ٥٩، ٦٠) وهذا الحديث مما انتقده الدارقطني على البخاري وذهب إلى اضطراب الحديث؛ لأن أبا مجلز تارة يُحدِّث به عن أبي ذر، وتارة يحدِّث به من قوله. قال النووي (١٨/ ١٦٦): «لا يلزم من هذا ضعف الحديث واضطرابه؛ لأن قيسًا سمعه من أبي ذر كما رواه مسلم هنا فرواه عنه وسمع من عليٍّ بعضه وأضاف إليه قيس ما سمعه من أبي ذر، وأفتى به أبو مجلز تارة، ولم يقل: إنه من كلام نفسه ورأيه، وقد عملت الصحابة رضوان اللَّه عليهم ومَن بعدهم بمثل هذا فيفتي الإنسان منهم بمعنى الحديث عند الحاجة إلى الفتوى دون الرواية ولا يرفعه، فإذا كان وقت آخر وقصد الرواية رفعه، وذكر لفظه، وليس في هذا اضطراب. واللَّه أعلم اهـ.

الطائف»(١) .

☐ وروى الإمام عبدُ بن حُميد في «مسنده» عن جابر بن عبدالله قال: «اجتمعت قريشٌ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسِّحر والكهانة والشِّعر، فليأتِ هذا الرجلَ الذي فرَّق جماعتَنا، وشتَّت أمرَنا، وعاب دينَنا، فليُكَلِّمْه، ولْينظرْ ماذا يردُّ عليه؟ فقالوا: ما نعلمُ أحدًا غيرَ عتبةَ بنِ ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبةُ فقال: يا محمدُ، أنت خيرٌ أم عبدالله؟ فسكت رسولُ الله ﷺ. قال: فإنْ كنتَ تزعمُ أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عَبَدوا الآلهةَ التي عِبتَ، وإنْ كنتَ تزعمُ أنك خيرٌ منهم فتكلَّم حتى يُسمعَ قولك، إنا واللهِ ما رأينا سَخلةً قطُّ أشأمَ على قومه منك، فرَّقت جماعتَنا، وشتَّت أمرَنا، وعبتَ دينَنا، وفضحتَنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، واللهِ ما ننتظرُ إلاَّ مثلَ صيحةِ الحُبلى أن يقومَ بعضُنا إلى بعضٍ بالسيوف حتى نتفانَى. أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجةُ جَمَعْنا لك حتى تكونَ أغنى قريشٍ رجلاً، وإن كان إنما بك الباهُ(٢) فاختر أيَّ نساءِ قريشٍ شئتَ فلْنُزَوِّجَك عشْرًا، فقال رسول الله ﷺ: «فرغتَ؟». قال: نعم! فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣]. فقال عُتبة: حسبُك، ما عندك غيرُ هذا؟ قال: «لا». فرجع إلى قريشٍ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركتُ شيئًا أرى أنكم

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٨١)، و«تفسير مجاهد» (٥٩٣).

(٢) الباه: الرغبة في الزواج.

تكلِّمونه إلاَّ كلَّمتُه. قالوا: فهلْ أجابك؟ فقال: نعم!. ثم قال: لا والذي نَصَبَها بِنْيةً ما فهمتُ شيئًا ممَّا قال غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود. قالوا: ويلك! يكلِّمك الرجلُ بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا واللَّهِ ما فهمتُ شيئًا مما قال غير ذِكر الصاعقة».

◻ وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم، وزاد: «وإن كنت إنما بك الرياسةُ عَقَدْنا ألويتَنا لك، فكنت رأسًا ما بقيت».

◻ وعنده أنه لما قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أمسَك عقبةُ على فِيه وناشده الرحم أَنْ يكفَّ عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: «واللَّهِ يا معشرَ قريش ما نرى عتبةَ إلاَّ صبأ إلى محمدٍ وأعجبه طعامُه، وما ذاك إلاَّ من حاجةٍ أصابَتْه، انطلِقوا بنا فأتُوه.. فقال أبو جهل: واللَّهِ يا عتبة ما جِئنا إلاَّ أنك صَبَوْت إلى محمدٍ وأعجبك أمرُه، فإنْ كان بك حاجةٌ جَمَعنا لك مِن أموالنا ما يُغنيك عن طعامِ محمد؛ فغَضِبَ وأقسم باللَّهِ لا يُكلِّمُ محمدًا أبدًا. وقال: لقد عَلِمتم أني من أكثرِ قريشٍ مالاً، ولكني أتيته - وقصَّ عليهم القصة -، فأجابني بشيءٍ واللَّهِ ما هو بسِحرٍ ولا بشِعرٍ ولا كِهانة، قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١ - ١٣]. فأمسكتُ بفِيه، وناشدتُه الرحم أن يَكُفَّ، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذِب، فخِفتُ أن ينزل بكم العذاب».

(١) سخلة: الولد المُحبَّبُ إلى والدَيْه.

◻ وكان عتبةُ وولدُه الوليد، وشيبةُ أخوه ألدَّ أعداءِ النبي ﷺ، وقد دعا عليهم النبيُّ ﷺ بأسمائهم لما آذَوْه، فكان لهم خِزيُ الدنيا والآخرة، وكان ثَلاثتُهم أولَ مَن قُتِل مبارزةً في غزوة «بدر»، وسُحبوا إلىٰ قليب بدرٍ وأُمّهمُ الهاوية.

◻ وفي أولِ الموقعة أراد عُتبةُ بنُ ربيعة أن يُظهرَ شجاعتَه، فبَرَز بين أخيه شَيبةَ وابنِه الوليد، فلمَّا توسَّطوا بين الطرفيْن، دَعَوْا إلىٰ البِراز، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثة، وهم عَوْف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ، والثالث عبداللَّه بن رواحة، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية: فقالوا: أَكْفَاءٌ كرام، ولكن أخرِجوا إلينا بني عَمِّنا، ونادىٰ مناديهم: يا محمد، أخرجْ إلينا أكْفاءنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: «قم يا عُبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، وقم يا عليٌّ». فبارز عُبيدةُ ـ وكان أسنَّ القوم ـ عتبةَ، وبارز حمزةُ شيبةَ، وبارز عليٌّ الوليدَ ابن عتبة. فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أنْ قَتَله، وأمَّا علي، فلم يُمهِل الوليد أن قتله، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتَيْن، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأَسيافهما علىٰ عتبة، فذفَّفا[2] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلىٰ أصحابه ﷺ[3].

فكُبَّ أبو جهلٍ صريعًا لوجهـــه ... وعتبـــةُ قد غادرْته وهو عاثـرُ
وشيبة والتيْميَّ غادرت في الوَغى ... وما منهما إلا بذي العرش كافـرُ
فأمسَوا وقودَ النـار في مستـقرِّها ... وكلٌّ كفـورٍ في جهنـمَ صائـرُ

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٠ ـ ٦١).
(٢) ذَفَّف علىٰ الجريح: أجهز عليه.
(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٩٥، ٩٦).

◘ ولِلَّه درُّ حسَّان وهو يقول:

قتلْنا أبا جهل وعتبـــةَ قبلــه وشــــيبةُ يكبو لليدْين وللنَّــحْرِ

◘ وقال حسّان أيضًا:

قتَلْنا ابنيْ ربيعــةَ يوم ســـاراَ إلينــا في مضاعَــفةِ الحديـــدِ

◘ ولِلَّه در القائل:

ستبلغُ عنَّا أهل مكة وقعــــةٌ يَهُبُّ لها من كان عن ذاك نائـيــا

بعتبـــةَ إذْ ولَّى وشـــيبة بَعدَه وما كان فيها بِكرٌ[1] عتبة راضـيا

لقيناهم كالأُسْد تخطـرُ بالقنــا نُقاتل في الرحمن مَن كان عاصيا

فما بَرِحتْ أقدامُنــا من مَقَامِنا ثَلاثتنا حتى أُزِيــروا[2] المنائيـــا

* أُمَيَّة بن خلف لعنه اللَّه:

نَقَل السُّهيلي في «الروض الأُنُف» أن عدوَّ اللَّه أُميةَ بنَ خَلَف بَصَق في وجهِ النبي ﷺ[3]، وكان هذا اللعينُ الذي سَبَقت له الشِّقوةُ من ربِّه أحدَ النَّفر الذين دعا عليهم النبي ﷺ لما وضعوا فَرْثَ الجزورِ ودَمَها وسَلاها بين كتفَيِ النبيِّ ﷺ وهو ساجد، وضحِكوا حتى مال بعضُهم على بعضٍ من الضَحِك.

● عن عبداللَّه بن مسعود ﷺ حَدَّث عن سعدِ بنِ معاذٍ أنه كان صَدِيقًا لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ، وكان أُمَيَّةُ إذا مَرَّ بالمدينة نزل على سعدِ بنِ معاذٍ،

---

(١) هو الوليد بن عتبة.

(٢) أي: جعلوهم يزورون المنايا، أيْ يذوقونها.

(٣) «الروض الأنف» (٢/ ٤٨).

وكان سعدٌ إذا مَرَّ بمكة نزل على أُميَّة، فلما قَدم رسولُ اللَّه ﷺ المدينة، انطلق سعدُ بنُ معاذٍ معتمِراً، فنزل على أُمَيَّة بمكةَ، فقال لأُميَّة: انظرْ لي ساعةَ خَلْوةٍ؛ لعَلِّي أطوفُ بالبيت، فخرج به قريبًا من نصفِ النهار، فلَقِيَهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، مَن هذا معك؟ قال: هذا سعدٌ. قال له أبو جهل: ألاَ أَراك تطوفُ بمكةَ آمِنًا، وقد آويتم الصُّباةَ[1]، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتُعينُونهم! أمَا واللَّهِ، لولا أنك مع أبي صفوانَ ما رَجَعتَ إلى أهلك سالمًا. فقال له سعدٌ ـ ورفع صوتَه عليه ـ: أمَا واللَّه، لئن مَنَعْتني هذا، لأمنعنَّك ما هو أشَدُّ عليك منه؛ طريقَك على المدينة. فقال له أُمَيَّةُ: لا ترفعْ صوتَكَ يا سعدُ ـ على أبي الحكم، فإنه سيِّدُ أهلِ الوادي، قال سعدٌ: دَعْنا عنك يا أمية، فواللَّهِ لقد سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك». قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أُمَيَّةُ فزعًا شديداً، فلما رجع إلى أهله قال: يا أُمَّ صفوان، أَلَمْ تَرَيْ ما قال سعدٌ؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زَعَم أن محمداً أخبَرَهم أَنَّهم قاتِليَّ، فقالتُ له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أُمَيَّةُ: واللَّه لا أخرجُ من مكة، فلما كان يومُ بدرٍ، استَنْفَرَ أبو جهل الناس، فقال: أدْرِكوا عِيرَكم. فكَرِه أميةُ أن يخرجَ، فأتاه أبو جهلٍ، فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناسُ قد تخلَّفتَ وأنت سيِّدُ أهلِ الوادي، تخلَّفوا معك. فلم يَزَلْ به أبو جهل حتى قال: أَمَّا إذْ غَلَبتَني، فواللَّهِ لأشترينَّ أجْوَدَ بعيرٍ بمكة، ثم قال أميةُ: يا أمَّ صفوان، جَهِّزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نَسِيتَ ما قال لك أخوك اليثربيُّ؟ قال: لا، وما أُريدُ أن أجوزَ معهم إلاَّ

(١) الصُّباة: بضم المهملة وتخفيف الموحدة، جمع صابئ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين.

قريبًا، فلمَّا خرج أميةُ، أخذ لا ينزلُ منزلاً إلاَّ عَقَل بعيرَهُ، فلم يزل كذلك حتىٰ قَتَله اللَّهُ ببدر»[١].

◻ وعند أحمد: «قالت له امرأته: واللَّهِ إن محمداً لا يكذِب».

● وعن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: «كاتَبْتُ أُميَّةَ بنَ خلفٍ كتابًا بأن يَحْفَظَني في صاغيتي[٢] بمكة، وأحفَظَه في صاغِيَتِه بالمدينة، فلمَّا ذكرتُ «الرحمن» قال: لا أعرفُ «الرحمن»، كاتِبْني باسمك الذي كان في الجاهلية. فكاتبته «عبدَ عمرٍو»، فلمَّا كان يومُ بدرٍ، خرجتُ إلىٰ جبلٍ لأُحرِزَه حين نام الناس، فأبصرَه بلالٌ، فخرج حتىٰ وقف علىٰ مجلسٍ من الأنصار فقال: أُمَيَّةُ بن خلف؟! لا نجوتُ إنْ نجا أمية، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا، فلمَّا خَشِيتُ أن يلْحَقُونا، خَلَّفتُ لهم ابنَه لأشغَلَهم، فقتلوه، ثم أَتَوْا حتىٰ تَبِعُونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلمَّا أدركونا قلتُ له: ابْرُك. فبَرَك، فألقيتُ عليه نَفْسي لأَمنَعَه، فتخلَّلوه بالسيوف من تحتي حتىٰ قتلوه، وأصاب أحدُهم رِجلي بسيفه. فكان عبدالرحمن بن عوف يُرِينا ذلك الأثَرَ في ظَهرِ قدمه»[٣].

*** العاصُ بن وائل ـ لعنه اللَّه ـ:**

وهذا رأسٌ من رؤوس الكفر، المستهزئين برسول اللَّه ﷺ والقرآن:

◻ عن خَبَّابٍ ﷺ قال: «كنتُ قَيْنًا في الجاهلية، وكان لي علىٰ

(١) رواه البخاري (٣٩٥٠)، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٠).

(٢) الصاغية: خاصة الرجل، مأخوذٌ من صَغىٰ إليه إذا مال. قال الأصمعي: صاغية الرَّجُل: كل من يميل إليه، ويُطلق علىٰ الأهل والمال.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

العاصِ بنِ وائل دَيْنٌ، فأتيتُه أتقاضاه، فقال: لا أُعطيك حتىٰ تكفرَ بمحمد، فقلت: لا أكفرُ حتىٰ يُميتَك اللَّهُ، ثم تُبعث. قال: دَعني حتىٰ أموتَ وأُبعثَ، فسأُوتىٰ مالاً وولدًا فأقضيَك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]»[(١)] .

◻ وعن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﷺ قال: «إن العاص بن وائل أخذ عَظْمًا من البطحاء ففتَّه بيدِه، ثم قال لرسول اللَّه ﷺ: أَيُحيي اللَّهُ هذا بعد ما رُمَّ؟!، فقال رسول اللَّه ﷺ: «نعم يُميتُك اللَّهُ، ثم يُحييك، ثم يُدخِلُك جهنَم». قال: ونزلت الآيات من آخر «يس»..»[(٢)] .

مرج هذا اللعينُ العاص علىٰ حمار له يريدُ الطائف، فربض به علىٰ شِبرقة، فدخلت في أخمصِ رِجله شوكةٌ فقتلته.

* **عمارة بن الوليد بن المغيرة:**

◻ قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «عمارةُ بنُ الوليد بن المغيرة هو أحدُ السَّبعةِ الذين دعا عليهم رسولُ اللَّه ﷺ حين تضاحكوا يوم وَضْع سَلا الجزورِ علىٰ ظَهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، والمقصودُ أنهما

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١، ٣٥٩، ١٠/ ٤٤، ٤٥، ٤٦)، ومسلم (١٧/ ١٣٨)، والترمذي (٤/ ١٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١١١)، والطيالسي (٢/ ٢١)، وابن سعد (٣/ ١١٦)، وابن جرير (١٦/ ١٢١).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٢٩).

حين خرجا(١) من مكةَ كانت زوجةُ عمرو معه، وعمارةُ كان شابًّا حَسَنًا، فاصطحبا في السَّفينة، وكان عمارةُ طَمعَ في امرأةِ عمرِو بنِ العاص، فألقىٰ عَمْرًا في البحر ليُهلِكَه، فسَبَح حتىٰ رَجَع إليها. فقال له عمارةُ: لو أعلمُ أنك تُحسِنُ السباحةَ لَمَا ألقيتُك، فحَقَد عمرٌو عليه، فلمَّا لم يُقضَ لهما حاجةٌ في المهاجرين من النجاشي، وكان عمارةُ قد توصَّل إلىٰ بعضِ أهلِ النجاشي فوَشَىٰ به عمرو، فأمر به النجاشيُّ، فسُحر حتىٰ ذهب عقلُه وساح في البرِّيَّة مع الوحوش.

وقد ذكر الأُمويُّ قصةً مطوَّلةً جدًّا، وأنه عاش إلىٰ زمنِ إمارةِ عمرَ بنِ الخطاب، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة وأمسكه، فجعل يقول: أرسِلْني وإلاَّ مت. فلمَّا لم يُرسِلْه مات من ساعته؛ فاللَّه أعلم»(٢).

◻ وقبلها ذَكَر ابنُ كثير أن عمرًا قال للنجاشي: «إنك إذا خرجتَ خَلَفَك عمارةُ في أهلك، فدعا النجاشيُّ بعمارة، فنَفَخ في إحليلِه فطار مع الوحش»(٣).

* **الأَخنسُ بنُ شَريق:**

مَرَّ بنا قصتُه هو وأبي جهلٍ وأبي سفيانَ واستماعهم لقراءةِ النبي ﷺ ليلاً ثلاثة أيامٍ، وعِلمُه بصِدقِ النبيِّ ﷺ، ثم بعد هذا إصرارُه علىٰ الكفر

---

(١) أي: عمارة وعمرو بن العاص إلىٰ الحبشة لردّ الصحابة الذين هاجروا إلىٰ الحبشة إلىٰ مكة ليفتنوهم عن دينهم.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٧٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٨)، وذكرها أبو نعيم في «الدلائل»، والحافظ البيهقي في «الدلائل».

حتى أنزل الله فيه قرآنًا يتلى، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٠-١٦].

▫ قال ابنُ جرير الطبري: «﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: ولا تُطع يا محمدُ كلَّ ذِي إكثارٍ للحَلِفِ بالباطل، ﴿مَّهِينٍ﴾، وهو الضعيف.

▫ قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمهين: الكذَّاب.

إذا وُصِف بالمهانة، فإنه إنما وُصِف بها لمهانةِ نفسه عليه، وكذلك صفةُ الكذوب، إنما يكذبُ لمهانةِ نفسه.

﴿هَمَّازٍ﴾: مغتابٍ للناس يأكلُ لحومهم.

﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: مشَّاءٍ بحديثِ الناسِ بعضِهم في بعضٍ، ينقلُ حديثَ بعضِهم إلى بعضٍ، كما قال قتادة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يَمشي بالكذب.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بَخيلٍ بالمال، ضَنِينٍ به عن الحقوق.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُعْتدٍ على الناس، ﴿أَثِيمٍ﴾ أثيم بربِّه. كما قال قتادة.

﴿عُتُلٍّ﴾: العُتُلُّ: الجافي الشديد في كفره.

▫ قال ابن عباس: «العاتل: الشديدُ المنافق».

▫ وقال مجاهد: «شديد الأَشَر»[1].

---

(١) الأشر: المرح والبطر.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.

❑ قال الحسن وقتادة: «هو الفاحشُ اللئيم الضريبة».

❑ وقال عكرمة: «الكافر اللئيم».

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: معنى «بَعْدَ»: مع.

﴿زَنِيمٍ﴾: والزنيم في كلام العرب: المُلْصَق بالقوم وليس منهم..

زنيم ليس يُعرف من أبوهُ بَغِيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لئيم

❑ قال ابن عباس: «الزنيم: الدَّعِيُّ»، وهو قول عكرمة.

❑ يُقال: «هو الأخنسُ بن شَرِيق الثقفي حليف بني زُهرة».

❑ وقال سعيد بن المسيَّب: «المُلْصَق بالقوم ليس منهم».

❑ وقال سعيدُ بن جبير: «الزنيم: الذي يُعرَف بالشَّرِّ، كما تُعرَف الشاةُ بزَنَمَتِها، المُلْصَق».

❑ وقال ابن عباس: «المُريب الذي يُعرَفُ بالشر».

❑ وقال أيضًا: «كانت له زَنَمةٌ في عُنُقِه يُعرَف بها».

❑ وقال شهرُ بن حَوشب: «هو الجِلْفُ الجافي، الأكولُ الشَّرُوب من الحرام».

❑ وقال عكرمة: «الذي يُعرَف باللؤم، كما تُعرَف الشاة بزَنَمَتِها».

وهذه خاتمةُ الصفات الذَّميمة الكريهة المتجمِّعة في عدوٍّ من أعداء الإسلام شديد الكيد لرسول اللَّه ﷺ، كثيرِ الصَّدِّ عن سبيل اللَّه، والوقوفِ في وجه الدعوة.

وما يُعادِي الإسلامَ، ويُصِرُّ على عدواته إلاَّ أُناسٌ من هذا الطراز اللئيم الذميم. وإطلاقُ هذه الصفاتِ تَدَعُ هذا الكافرَ مهينًا في قومِه وهو المختالُ الفخور.

﴿أن كَانَ ذَا مَالٍ وبَنِينَ﴾ قرأ ابنُ عامر ويعقوب وأبو بكر وأبو جعفر المَدَني وحمزةُ: ﴿أَأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ بالاستفهام بهمزتين.. وفيها تقريعٌ لهذا الحَلاَّف المَهين.. أَلَئِنْ كان هذا الحلاَّفُ المهينُ ذا مالٍ وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؟!.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والكسائي وخَلَف بهمزة واحدة ـ على وجه الخَبَر بغير استفهام ـ، ومعناه: ولا تُطع كلَّ حلاَّفٍ مَهين، أن كان ذا مالٍ وبنين، كأنه نهاه أن يُطيعَه مِن أجل أنه ذو مال وبنين.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: إذا تُقرأ عليه آياتُ كتابنا قال: هذا مِمَّا كَتَبه الأوَّلون، استهزاءً به، وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند اللَّه.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾:

◻ قال بعضُهم: «سنَخْطِمُه بالسيف، فنجعلُ ذلك علامةً باقيةً وسِمةً ثابتةً فيه ما عاش».

◻ قال ابن عباس ﷺ: «قاتَل يوم بدر، فخُطِم بالسيف في القتال».

◻ وقال آخرون: «سنُشينه شيْنًا باقيًا».

◻ قال قتادة: «شينٌ لا يُفارقه آخرَ ما عليه».

◻ وقال أيضًا: «سنُسِيم على أنفه».

◘ قال ابن جرير: «وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي: قولُ مَن قال: معنى ذلك: سَنُبَيِّنُ أمره بيانًا واضحًا، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السِّمَةُ على الخرطوم، وقد يَحتَمِل أيضًا أن يكون خُطِم بالسيف، فجُمع له مع بيانِ عيوبه للناس الخَطْمُ بالسيف»[1].

◘ وقال الفرَّاء: «سَنَسمُه سمةَ أهلِ النار. أي: سنُسَوِّدُ وجهَه»[2].

◘ «يجيءُ التهديدُ من الجبَّار القهَّار، يلمسُ في نفسه موضعَ الاختيال والفخرِ بالمال والبنين؛ كما لمس وَصْفُه من قبل موضعَ الاختيال بمكانته ونَسَبِه، ويسمعُ وَعْدَ اللَّه القاطعَ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

والتهديدُ بوَسْمِهِ على الخرطوم يَحوِي نوعَين من الإذلال والتحقير.

الأوَّلُ: الوسم، كما يوسَمُ العبد.

والثاني: جَعْلُ أنفِه خُرطومًا، كخرطوم الخنزير.

إنها القاصمةُ التي يستأهلُها عدوُّ الإسلام، وعدوُّ الرسول الكريم صاحبِ الخُلقِ العظيم».

◘ قال الفخر الرازي: «﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ إن في الآية احتمالاً آخَرَ عندي، وهو أن ذلك الكافرَ إنما بالغ في عداوة الرسول، وفي الطعن في الدين الحقِّ بسبب الأنَفَةِ والحَمِيَّة، فلما كان مَنشأُ هذا الإنكارِ هو الأنَفَةُ والحميَّةُ، كان مَنْشأُ عذابِ الآخرة هو هذه الأَنَفَةُ والحميَّة، فعبَّر عن هذا الاختصاص بقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾»[3].

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٧ـ ١٧١) مختصراً.

(٢) «معاني القرآن» للفرَّاء (٣/ ١٧٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٥/ ٦٥٤).

قال البِقاعي: «لما كان هذا المذكورُ قد أغرقَ في الشر، فتوقَّع السامعُ جزاءَه، قال مُعلِمًا أنه يجعلُ له من الخزْيَ والفضائح، ما يَصيرُ به شُهرةً بين الخلائق في الدنيا والآخرة: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾، أي: نجعلُ ما يَلحقُ به من العار في الدارين، كالوَسْمِ الذي لا يَنمحي أثرُه؛ تقول العرب: «وَسَمَه مَيْسَمَ سُوء»، ولما كان الوَسْمُ مُنكِيًا، وكان جَعْلُه في مُوجِعٍ لا يُستر أنكأَ، وكان الوجُه أشرفَ ما في الإنسان، وكان أظهرَ ما فيه، وأكرمَهُ الأنف، ولذلك جعلوه مكانَ العزِّ والحميَّة، واشتقُّوا منه الأَنَفَة.

﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾، أي: الأنف الطويل جميعِه، وما قاربه من الحَنَكين، وَسْمًا مستعليًا عليه بوضوحٍ جدًّا؛ ليكونَ هَتْكُه بين الناس، وفضيحةً لقومه، وذلاً وعارًا، وكذا كان لَعَمْري له بهذا الذِّكر الشنيع، والذنبِ القبيح من الكفر، وما معه، وسيكونُ له يومَ الجمع الأعظم ما هو أشنعُ من هذا، على أنه حَقَّق في الدنيا هذا الخَطْمَ حِسًّا، بأنه ضُرب يومَ بدر ضربةً خَطمت أنفه»(١).

وهكذا جَمَع اللَّهُ له ذُلَّ الدنيا ومهانتَها وذُلَّ الآخرة.. ولَعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقىٰ.

*** الأسودُ بن المطلب بن أسد أبو زَمْعة، والأسودُ بن عبد يغوث، والحارثُ ابن الطُّلاطِلَة ـ لعنهم الله ـ:**

* قال تعالىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥].

(١) «نظم الدرر» للبقاعي (٢٠/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

قال القرطبي: «اصدَعْ بما تُؤمر ولا تَخَفْ غيرَ اللَّه؛ فإن اللَّهَ كافيك مَن آذاك كما كفاك المستهزئين؛ وكانوا خمسةً من رؤساءِ أهل مكة، وهم الوليدُ بنُ المغيرة ـ وهو رأسهم ـ، والعاصُ بن وائل، والأسودُ بن المطلب بن أسد ـ أبو زمعة ـ، والأسودُ بن عبد يغوث، والحارثُ بن الطُّلاطِلة، أهلَكَهم اللَّهُ جميعًا قبلَ يومِ بدرٍ في يومٍ واحد، لاستهزائهم برسولِ اللَّه ﷺ وسببُ هلاكهم ـ فيما ذَكَر ابن إسحاق ـ: أن جبريلَ أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ وهم يَطوفون بالبيت، فقام وقام رسول اللَّه ﷺ، فمرَّ به الأسودُ بن المطلب فرمىٰ في وجهِه بورقةٍ خضراء، فعَمِيَ ووجعت عينه، فجعل يضربُ برأسه الجدار.

ومَرَّ به الأسودُ بن عبد يَغُوث فأشار إلىٰ بطنه فاستقىٰ بطنه فمات حَبَنًا[1].

ومرَّ به الحارثُ بن الطُّلاطِلة، فأشار إلىٰ رأسه فامتَخَطَ[2] قيحًا فقتله.

وقد ذُكِر في سبب موتهم اختلافٌ قريبٌ من هذا.

وقيل: إنهم المرادُ بقوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، شَبَّه ما أصابَهم في موتهم بالسَّقفِ الواقعِ عليهم»[3].

*** القُرَطاءُ البَكْرِيُّون:**

بعث رسول اللَّه ﷺ إلىٰ القُرَطاءِ البكريِّين، بناحيةِ «ضرية» في نجد شرقيَّ المدينة، بكتابٍ يدعوهم فيه إلىٰ الإسلام، فاستهزؤوا به وبكتابه،

(١) «يُقال: حَبِن ـ بالكسر ـ حَبَنًا وحُبِن للمفعول، عظم بطنه بالماء الأصفر، فهو أحبن، والمرأة حبناء» قاله في الصحاح.

(٢) المخط: السيلان والخروج.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٦٧٨ـ٣٦٧٩) ـ دار الشعب.

فأخذوا الصَّحيفةَ التي تحملُ دعوتَهم إلى التوحيد، فغَسَلوها من الحِبر، ثم رَقَّعوا بها استْ دلوٍ لَهُم، وأَبَوا أن يجيبوا الرسول ﷺ إلى ما دعاهم إليه، فأنكرت امرأةٌ عاقلةٌ منهم ما فعلوا بكتاب الرسول ﷺ - وهي أمُّ حبيبٍ بنتُ عامرِ بنِ خالدِ بنِ عمرٍو ابنةُ ابنِ أخي سيِّد القوم حارثةَ بنِ عمرو -، واستهجنت ما صنعوا، فقالت - وقولُها يدلُّ على أنها مسلمة -:

إِذَا مَا أَتَتْهُمْ آيَـــةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ... مَحَوْهَا بِمَاءِ الْبِئْرِ فَهْيَ عَصِيرُ

فَانظُرْ كَيفَ كَانَ جَزَاؤُهُمْ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهم.

يذكرُ أصحابُ السِّيَر أن القُرَطاء لما فعلوا بكتابِ رسول اللَّه ﷺ ما فعلوا؛ صاروا دائمًا أهلَ رِعْدةٍ وعَجَلةٍ وكلامٍ مختلطٍ وأهلَ سَفَهٍ، وكان الذي جاءهم بالكتاب رجلٌ من عُرَينة، يقال له: عبداللَّه بن عَوْسَجة.

◘ قال الواقدي: «رأيتُ بعضَهم عييًّا لا يُبِينُ الكلامَ»(١).

جَرَّد رسولُ اللَّه ﷺ حملةً عسكريةً بقيادة الضحاك بن سفيان الكِلابي، في شهر ربيع الأول، سنةَ تسعٍ هجرية، فهزمهم في مكانٍ بنجد، يقال له: «زَجُّ لاوة».

* مَن خَادَع النبي ﷺ:

◘ عن أنسٍ ﷺ قال: «كان رجلٌ نصرانيٌّ، فأسلم وقرأ البقرةَ وآل عمران، فكان يكتبُ للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يَدرِي محمدٌ إلاَّ ما كتبتُ له، فأماتهُ اللَّه، فدفنوه، فأصبح ولقد لَفَظَته الأرضُ، فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابِه، لَمَّا هرب منهم نَبَشوا عن صاحبنا

(١) «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٥٤، ٣/ ٩٨٢)، و«غزوة تبوك» لبشاميل (ص١٦، ١٧).

فألقَوه.. فحَفَروا له فأعمَقوا، فأصبح وقد لَفَظَتْه الأرضُ، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه، نَبَشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألْقَوْه خارجَ القبر.. فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقَوه»[1]..

ماذا لَقِيتَ ببطنِ القبرِ نبيِّنا؟ إن الحياةَ بظهرِ الأرض تُلهِينَا
تلقاكَ في عَمَهِ الأجداثِ ماثلةً أعمالُك السُّودُ قد صارت ثعابينَا
سَجِّلْ بكفِّك في القرطاسِ ما كتبتْ كلْتا يديْك به أمسيتَ مرهونَا

لَفَظَتْه الأرضُ لِنَتْنِهِ وخُبْثِه وخِداعه وكُفْره، وليبقى آيةً لمن بعدَه.

* **عامر بن الطفيل مُعاند رسول الله ﷺ:**

□ عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ بَعَث خالَه - أخٌ لأم سليم - في سبعين راكبًا، وكان رئيسُ المشركين عامرُ بن الطفيل خَيَّر بين ثلاث خصال فقال: «يكون لك أهلُ السَّهل ولي أهلُ المَدَر، أو أكونُ خليفتَك، أو أغزوك بأهلِ غَطَفان بألفٍ وألف».

فطُعِن عامرٌ في بيتِ أمِّ فلان: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَكْرِ في بيتِ امرأةٍ من آل بني فلان فقال: ائتوني بفَرَسِي.. فمات على ظَهرِ فرسه.. فانطلق حرامٌ - أخو أم سليم، وهو رجلٌ أعرج - ورجلٌ من بني فلان قال: كونَا قريبًا حتى آتيَهم، فإن آمَنوني كنتم، وإن قتلوني أتيتم صاحبَكم، فقال: أتؤمِّنوني أُبلِّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ؟ فجعل يُحدِّثُهم، وأومؤوا إلى رجلٍ، فأتاه من خَلْفه فطَعَنه - قال همام أحسبُه حتى أنفَذَه بالرمح - قال: الله أكبر، فزتُ وربِّ

(١) رواه البخاري (٦/ ٦٢٤)، ومسلم.

الكعبة، فلَحِقَ الرجلُ، فقُتلوا كلُّهم غيرُ الأعرج كان في رأسِ جبلٍ، فأنزل اللَّه علينا، ثم كان من المنسوخ: «إنا قد لَقِينا ربَّنا فرَضي عنَّا وأرضانا»، فدعا عليهم النبي ﷺ ثلاثين صباحًا على رِعْلٍ وذَكْوانَ وبني لحيان وعُصَيَّة الذين عَصَوُا اللَّهَ ورسولَه ﷺ(١).

* مَن عاندَ رسول اللَّه ﷺ وسَخِر باللَّه:

● عن أنسٍ ﷺ قال: «بَعَث رسولُ اللَّه ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجلٍ من عظماء الجاهلية يدعوه إلى اللَّه تبارك وتعالى، فقال: أيشٌ ربُّك الذي تدعوني إليه: مِن حديد هو؟ من نُحاسٍ هو؟ مِن فضةٍ هو؟ من ذهبٍ هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبرَه، فأعاد النبيُّ ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله الثالثة، فقال مثلَ ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل اللَّهُ تبارك وتعالى عليه صاعقةً فأحرقته، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقةً فأحرقته**»، فنزلت هذه الآية ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد: ١٣]»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٨٥).

(٢) صحيح: رواه البزار وقال: ديلم بصري صالح. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة». والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١/ ٢٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٨٣)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٢٧٨)، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (ص١٩٨-١٩٩).

* رأسُ المنافقين عبدُالله بن أُبَيّ بنِ سَلُول ـ لعنه الله ـ:

☐ قال البخاري في باب قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

● عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: كنَّا في غزاة، فكَسَعَ[١] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المُهاجري: يا لَلمهاجرين. فسَمَّعَها اللَّهُ رسولَه ﷺ قال: «ما هذا؟»، فقالوا: كَسَع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال ﷺ: «دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ».

قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قَدِم النبيُّ ﷺ أكثرَ، ثم كَثُر المهاجرون بعدُ، فقال عبدُاللَّه بنُ أُبَي: أوَ قَدْ فعلوا؟! واللَّهِ لئن رَجَعْنا إلىٰ المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ»[٢].

☐ وفي البخاري من حديث زيدِ بن أرقمَ قال: «كنتُ في غَزاةٍ، فسمعت عبدَاللَّه بن أُبي يقول: لا تُنفقوا علىٰ من عندَ رسولِ اللَّه حتىٰ ينفضُّوا مِن حوله، ولئن رجعلنا ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. . » الحديث.

كان ذلك في غزوة «بني المصطلِق» من خزاعة، وهي غزوة «المُريسيع»، وهو ماءٌ من مياهِهم.

☐ قال ابنُ إسحاق: «فبينا الناسُ علىٰ ذلك الماء، وَرَدَتْ واردةُ

(١) المشهور فيه ضرب الدبر باليد، أو بالرِّجل، وذلك عند أهل اليمن شديد.

(٢) رواه البخاري.

الناس، ومع عمرَ بنِ الخطاب أجيرٌ له من بني غِفار، يقال له: «جهجاه بن مسعود» يقودُ فَرَسَه، فازدحَمَ جهجاه وسِنانُ بن دبر الجُهَنيُّ ـ حليفُ بني عوفٍ من الخزرج ـ على الماء، فاقتتلا، فَصَرخ الجهني: يا معشرَ الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشرَ المهاجرين، فغضب عبدُاللّه بن أبي بن سلول، وعنده رَهطٌ من قومه، فيهم زيدُ بنُ أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال: أوَ قَدْ فعلوها؟! قد نافَرونا وكاثَرونا في بلادنا، واللّهِ ما أُعِدُّنا وجلابيبَ قريش[1] هذه إلا كما قال الأول: «سمِّنْ كَلْبَك يأكلْك»، أَمَا واللّهِ لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.. ثم أقبل على مَن حَضَره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسَمتموهم أموالكم، أَما واللّهِ لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لَتحوَّلوا إلى غيرِ دارِكم، فسمع ذلك زيدُ بنُ أرقم، فمشى به إلى رسول اللّه ﷺ فأخبره الخبَرَ وعنده عمرُ بن اخطاب، فقال عمرُ: مُر به عبَّادَ بنَ بِشْرٍ فلْيقتله، فقال رسولُ اللّه ﷺ: **«فكيف يا عمرُ إذا تَحدَّثَ الناسُ أن محمدًا يقتلُ أصحابه؟ لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل»**، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ اللّه ﷺ يرتحلُ فيها، فارتحل الناسُ، وقد مَشى عبدُاللّه بن أبي بن سَلول إلى رسول اللّه ﷺ، حين بلغه أن زيدَ بنَ أرقم بَلَّغه ما سمع منه، فحَلَف باللّه: «ما قلتُ ما قال، ولا تكلمتُ به»، وكان في قومه شريفًا عظيمًا، فقال مَن حضر رسولَ اللّه ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول اللّه، عسى أن يكون الغلامُ أَوْهَمَ في حديثه، ولم يَحْفظ ما قال الرجلُ ـ حَدَبًا على ابنِ أُبيٍّ ودفعًا عنه ـ، فلما

---

(١) اسم كان يُلَقَّب به المنافقون أصحابَ رسول اللّه ﷺ من المهاجرين.

استقلَّ رسولُ اللَّه ﷺ وسار، لَقِيَه أُسيد بن حُضير، فحيَّاه بتحيةِ النبوة، وسَلَّم عليه، وقال: يا رسول اللَّه، واللَّهِ لقد رُحتَ في ساعةٍ منكرة، ما كنتَ تروحُ في مِثلها!!.

فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «أوَ ما بلغك ما قال صاحبُك؟»، فقال: أيُّ صاحب يا رسول اللَّه؟ قال: «عبداللَّه بن أُبي»، قال: وما قال؟، قال: «زعم أنه إنْ رَجَع إلى المدينة أَخْرَجَ الأعزُّ منها الأذلَّ»، قال: فأنتَ واللَّهِ يا رسول اللَّه، تُخرِجُه إن شئتَ، هو واللَّهِ الذليل، وأنت العزيز، قال: يا رسول اللَّه، ارفُقْ به، فواللَّهِ لقد جاءنا اللَّهُ بك، وإنا لَننظِمُ له الخَرْزَ لِنُتَوِّجَه، فإنه يرىٰ أنْ قد سَلَبْتَه مُلكًا.

ثم مشىٰ رسولُ اللَّه ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتىٰ أَمسىٰ، وليلتَهم حتىٰ أصبح، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتىٰ آذَتْهمُ الشمسُ، ثم نزل بالناس، فلم يَلبثُوا أنْ وَجَدوا مسَّ الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك؛ لِيُشغِلَ الناسَ عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبداللَّه بن أبي».

*** فكيف كان جزاؤه؟**

◻ قال ابن إسحاق: «حدثني عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادة: أن عبداللَّه بن عبداللَّه بن أبي بن سلول أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إنه بلغني أنك تريدُ قَتْلَ عبدِاللَّه بن أُبي فيما بلغك عنه، فإنْ كنتَ فاعلاً، فمُرْني به، فأنا أحملُ إليك رأسَه، فواللَّهِ، لقد عَلِمَتِ الخزرجُ ما كان بها من رجلٍ أبرَّ بوالدِه مني، وإني أخشىٰ أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تَدَعَني نفسي أن أنظرَ إلىٰ قاتِلِ عبداللَّه بنِ أُبيٍّ يمشي في الناس، فأقتلَه، فأقتل مؤمنًا بكافر،

فأدخلَ النارَ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «بل نترفَّقُ به، ونُحسنُ صُحبتَه ما بقي معنا»، وجعل بعد ذلك إذا أحدثَ الحَدَث كان قومُه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه، ويُعنِّفونه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ لعمرَ بن الخطاب حين بَلَغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أمَا واللَّه، لو قتلتُه يومَ قلتَ لي، لأرْعَدَتْ له أنوفٌ، لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلتـه»، فقال عمر: قد واللَّهِ علمتُ لأَمرُ رسولِ اللَّه ﷺ أعظمُ بركةً من أمري».

◻ وقد ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما، أن ابنَه عبدَاللَّه ﷺ وقف لأبيه عبدِاللَّه بن أبي بن سلول عند مَضيقِ المدينة، فقال: «قِفْ، فواللَّهِ لا تدخُلُها حتى يأذنَ رسولُ اللَّه ﷺ في ذلك»، فلما جاء رسولُ اللَّه ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له، فأرسله حتى دخل المدينة[1].

◻ وفي «التفسير» عند ابن كثير: «ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما: أن الناس لما قَفَلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبدُاللَّه بنُ عبدِاللَّه هذا على باب المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناسُ يمرُّون عليه، فلما جاء أبوه عبدُاللَّه بن أبيٍّ، قال له ابنُه: وراءَك، فقال: ما لك ويْلَك؟ فقال: واللَّهِ لا تجوزُ من هنا حتى يأذنَ لك رسولُ اللَّه ﷺ، فإنه العزيـزُ وأنت الذليل، فلمـا جـاء رسولُ اللَّه ﷺ، وكان يسيرُ سـاقةً[2]، فشكا إليه عبدُاللَّه بنُ أبيٍّ ابنـه، فقال ابنُه عبدُاللَّه: واللَّهِ يا رسولَ اللَّه، لا يدخُلُها حتى تأذنَ له، فأذِن له رسولُ اللَّه ﷺ فقال: أمَّا إذْ أَذِنَ لك رسولُ اللَّه ﷺ فجُزِ الآن.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٠).

(٢) في مؤخرة الجيش.

▫ وقال أبو بكر بن عبد بن الزبير الحميدي في «مسنده»: قال هارون المَدَني: قال عبداللَّه بنُ عبدِاللَّه بنِ أُبَي بنِ سلول لأبيه: واللَّهِ لا تدخلُ المدينةَ أبدًا حتىٰ تقول: رسولُ اللَّه الأعز، وأنا الأذل، قال: وجاء النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّه، إنه بلغني أنك تريدُ أن تقتلَ أَبِي، فو الذي بعثك بالحقِّ ما تأملتُ وجهَه قطُّ هيبةً له، ولئن شئتَ أن آتيَك برأسه لآتينَّك، فإني أكرهُ أن أرىٰ قاتلَ أبي».

فانظر إلىٰ رأس النفاق، الذي لم يَهْدِ اللَّهُ قلبَه للإيمان، ولم يكتبْ له هذه الرحمةَ، وهذه النعمة، وتقفُ دونَ هذا الفيضِ المتدفِّقِ من النور والتأثير إحْنةٌ في صدره، أن لم يكن مَلِكًا علىٰ الأوس والخزرج، بسبب مَقْدِمِ رسولِ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينة، فتكُفُّه هذه وحدَها عن الهدىٰ، ويقول ما قال، قولةً يتجلَّىٰ فيها خُبثُ الطبع، ولؤمُ النحيزة، فيكونُ جزاؤه من جنس عمله وقوله، علىٰ يدِ ابنه، ليتقرَّر بالتجربةِ الواقعة مَن هو الأعزُّ، ومَن هو الأذلُّ، في نفسِ الواقعة، وفي ذاتِ الأوان، ولم يَدخُلْها الأذلُّ إلاَّ بإذن الأعز.

ويضمُّ اللَّهُ ـ سبحانه ـ رسولَه والمؤمنين إلىٰ جانبه، ويُضفِي عليهم من عِزَّته، وهو تكريمٌ هائلٌ لا يُكرِمُه إلاَّ اللَّه، وأيُّ تكريمٍ بعدَ أن يوقِفَ اللَّهُ ـ سبحانه ـ رسولَه والمؤمنين معه إلىٰ جواره، ويقول: «ها نحن أولاء، هذا لواءُ الأعزاء، وهذا هو الصفُّ العزيز».

عِزةٌ مستمَدَّةٌ من عِزَّته، لا تهونُ ولا تُهان، ولا تنحني ولا تلين، ولا تُزايلُ القلبَ المؤمنَ في أَوْجِ اللحظات، إلا أن يتضعضعَ فيه الإيمان، فإذا

استقرَّ الإيمانُ ورَسَخ، فالعزَّةُ معه مستقِرَّةٌ راسخة.

❑ انظر إلى هذا الذي كان وجيهًا عند قومه، جاء إليه رسولُ اللَّه ﷺ وهو على حِمارةٍ، مرَّ بها على طريقٍ سَبِخةٍ، وجعل يدعوه إلى الإيمان، وهو يقول له: «ابعُدْ عني يا محمد، فإن رائحةَ حمارِك تؤذيني، فيقول له ابنُ عمٍّ له: واللَّهِ لرَيحُ حمارِ رسولِ اللَّه أطيبُ من رِيحك».

أيَّ هوانٍ كان هذا!! وصدَق اللَّه العظيم إذ يقول عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ [المنافقون: ٤] أشباحٌ وقوالب، ليس وراءَهم ألبابٌ وحقائقُ، كالجَوز الفارغ، مُزيَّنٌ ظاهره، ولكنه لِلَعِبِ الصِّبيان.

هذا الذي تولَّى كِبْرَه، وخاض في عِرضِ أمِّ المؤمنين عائشة في قصةِ الإفك، فقال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٤]، جزاءً وفاقًا، كما استطالت.

وظلَّ رأسُ المنافقين على نِفـاقِـه إلى أن مات، وأُخذ به إلى أُمِّه الهاوية إلى الدَّرْكِ الأسفلِ من النـار، تُشيِّعُه لَعنةُ اللَّه والملائكةِ والناسِ أجمعين.

* * *

* **كَسرى[1] مَلِكُ الفرس، يمزِّق كتابَ النبي ﷺ إليه، فيمزِّق اللَّهُ مُلْكَه:**

◻ عن أنسٍ ﵁: «أن النبي ﷺ كتب إلىٰ كِسرىٰ وإلىٰ قيصرَ وإلىٰ النجاشيِّ وإلىٰ كلِّ جبَّارٍ عنيدٍ يدعوهم إلىٰ اللَّه تعالىٰ»[2].

وكسرىٰ هو ابنُ برويز بن هُرْمز بن أنوشِرْوان، وهو كسرىٰ الكبير المشهور.

◻ وعن عُبيدِاللَّه بن عبدِاللَّه أنَّ ابنَ عباس أخبره «أن رسول اللَّه ﷺ بَعث بكتابه إلىٰ كسرىٰ مع عبداللَّه بن حُذافةَ السَّهْمِيِّ»[3].

وجَزَم ابنُ سعدٍ أنَّ بَعْثَ عبدِاللَّه بن حذافة إلىٰ كسرىٰ كان في سنةِ سبع، وصنيعُ البخاري يقتضي أنه كان في سنة تسعٍ، ورَوىٰ محمدُ بنُ إسحاق بسنده عن أبي سلمة أن رسول اللَّه ﷺ بَعَث عبدَاللَّه بنَ حذافة السَّهْمِيَّ بكتابه إلىٰ كسرىٰ، فلما قرأه مَزَّقه، فلمَّا بَلَغ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**مَزَّق اللَّهُ مُلكَه**»، وقع في جميع الطرق مرسلاً، ويُحتمل أن يكون ابنُ المسيَّب سَمِعه من عبداللَّه بن حذافةَ صاحبِ القصة، فإنَّ ابنَ سعدٍ ذَكر من حديثه أنه قال: «فقرأ عليه كتابَ رسول اللَّه ﷺ، فأخذه فمزَّقه»[4].

---

(١) كَسرىٰ ـ بفتح الكاف وبكسرها ـ: لقب كلِّ مَن تملَّك الفرس، ومعناه بالعربية: المُظفَّري.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١١٢) ـ باب كتب النبي ﷺ إلىٰ ملوك الكُفَّار يدعوهم إلىٰ الإسلام. وعند مسلم (١٢/ ١١٢) ولفظه: «وليس بالنجاشي الذي صلّىٰ عليه النبي ﷺ».

(٣) أخرجه البخاري في باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر ـ (٨/ ١٢٦) فتح الباري حديث (٤٤٢٤).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (١/ ٢٦٠)، وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٦٨، ٢٦٩)، و«الدلائل» للبيهقي (٤/ ٣٩١، ٣٩٢).

● وعند ابن جريرٍ: عن أَيِّد بنِ أبي حبيبٍ قال: «وبَعَث عبدَاللَّه بنَ حذافةَ بن قيس إلىٰ كسرىٰ بن هرمز مَلِكِ فارس، وكتب معه: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ.. من محمد رسول اللَّه، إلى كسرى عظيم فارس.. سلامٌ على مَنِ اتَّبع الهدى، وآمَنَ باللَّهِ ورسوله، وشَهد أَنْ لا إله إلاَّ اللَّه، وحدَه لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أدعوك بدُعاء اللَّه، فإني أنا رسولُ اللَّه إلى الناس كافَّةً؛ لأُنذرَ مَن كان حيًّا، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين، فإن تُسلِمْ تَسْلَمْ، وإن أَبَيْتَ، فإنَّ إثمَ المجوسِ عليك».**

قال: فلما قرأه شَقَّه، وقال: يَكتبُ إليَّ بهذا وهو عبدي!! قال: ثم كَتَب كِسرىٰ إلىٰ باذان - وهو نائبه علىٰ اليمن - أنِ ابعَثْ إلىٰ هذا الرجلِ بالحجاز رجُلَينِ من عندك، جَلْدَينِ، فلْيـأتيـاني به.. فبعث باذانُ قَهرمـانَه - وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس -، وبَعَث معه رجلاً من الفرس يقال له: «خُرخُرة»، وكَتب معهما إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يأمرُه أن ينصرفَ معهما إلىٰ كسرىٰ، وقال لباذَوَيه: ائتِ بلادَ هذا الرجل، وكَلِّمْه وائتني بخبره.. فخرجا حتىٰ قَدِما الطائفَ، فوجدَا رجلاً من قريشٍ في أرضِ الطائف، فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشَرَ أهلُ الطائف - يعني وقريش - بهما وفرِحوا، وقال بعضُهم لبعض: أبشِروا، فقد نَصَبَ له كسرىٰ مَلِكُ الملوك، وكُفيتمُ الرجل، فخرجا حتىٰ قَدِما علىٰ رسول اللَّه ﷺ فكَلَّمه باذَويه، فقال: شاهنشاه - مَلِكُ الملوك - كسرىٰ قد كتب إلىٰ المَلِكِ باذانَ؛ يأمرُه أن يَبعثَ إليك مَن يأتيه بك، وقد بَعَثني إليك؛ لتنطلقَ معي، فإن فعلتَ كَتَب لك إلىٰ مَلِكِ الملوك يَكُفُّه عنك، وإنْ أبيتَ، فهو مَن قد علمتَ، فهو مُهلِكُك ومُهلِكٌ قومَك، ومُخرِّبٌ بلادَك.. ودخلاَ علىٰ رسول اللَّه ﷺ

وقد حَلَقا لِحاهما، وأعفَيا شواربَهما، فكره النظرَ إليهما، وقال: «ويلكما، مَن أمركما بهذا؟» قالا: أَمَرنا ربُّنا - يعنيانِ كسرىٰ -. فقال رسول اللَّه ﷺ: «ولكنَّ ربي أمرني بإعفاءِ لِحيتي وقصِّ شاربي»، ثم قال: «ارجعا حتى تأتياني غدًا»، قال: وأتىٰ رسولَ اللَّه الخبرُ من السماء، بأنَّ اللَّهَ قد سلَّط علىٰ كسرىٰ ابنَه «شِيرويه»، فقتَله في شهرِ كذا وكذا، في ليلةِ كذا وكذا من الليالي، سلَّط عليه ابنَه شيرويه فقتله.

قال: فدعاهما، فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نَقَمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا، فنكتبُ عنك بهذا، ونُخبِرُ الملك باذان؟ قال: «نعم، أخبِراه ذلك عنِّي، وقُولاَ له: إنَّ دِيني وسُلطاني سيبلغُ ما بَلَغ كسرى، وينتهي إلى الخُفِّ والحافر، وقولاَ له: إن أسلمْتَ أعطيتُك ما تحتَ يديك، وملَّكتُك على قومِك من الأبناء»، ثم أعطىٰ «خُرخرةَ» مِنطقةً فيها ذهبٌ وفضة كان أهداها له بعضُ الملوك، فخرجا من عنده حتىٰ قدما علىٰ باذان، فأخبراه الخبر، فقال: واللَّهِ، ما هذا بكلامِ مَلِكٍ، وإني لأرىٰ الرجلَ نبيًّا كما يقول، ولَيكونَنَّ ما قد قال، فلَئنْ كان هذا حقًّا فهو نبيٌّ مرسل، وإنْ لم يكن فسنرىٰ فيه رأيًا، فلم يَنْشَبْ باذانُ أن قَدِمَ عليه كتابُ شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلتُ كسرىٰ، ولم أقتلْه إلاَّ غضبًا لفارس، لِمَا كان استَحَلَّ مِن قتلِ أشرافهم، ونَحْرِهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخُذْ لي الطاعةَ ممن قِبَلك، وانطلِقْ إلىٰ الرجل الذي كان كسرىٰ قد كَتَب فيه، فلا تَهْجِهِ حتىٰ يأتيَك أمري فيه، فلما انتهىٰ كتاب شِيرويه إلىٰ باذان، قال: إن هذا الرجلَ لرسول.. فأسلم، وأَسلمتِ الأبناءُ من فارس، مَن كان منهم باليمن.

قال: وقد قال باذويه لباذان: ما كَلَّمتُ أحدًا أهيبَ عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرَطٌ؟ قال: لا. .

وَكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُـــوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَـــوْمٍ أَتَى وَلِكُلِّ حَامِلَـةٍ تَمَـــامُ

◘ قال الشافعيُّ: لما أُتي كسرىٰ بكتابِ رسول اللَّه ﷺ مزَّقه، فقال: رسول اللَّه ﷺ: «يُمزَّقُ مُلكُه»، وحَفِظنا أن قيصرَ أكرمَ كتابَ رسولِ اللَّه ﷺ ووضعه في مَسْك[1] ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «ثُبِّت مُلكُه»، ولَمَّا كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة، فأسلم مَن أسلم منهم، شكَوْا خوفَهم من مَلِكي العراقِ والشام إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقال: «إذا هَلَك كسرى فلا كسرى بعده؛ إذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده». فباد مُلكُ الأكاسرة بالكلية، وزال ملكُ قيصرَ عن الشام بالكلية، وإن ثَبَت لهم مُلكٌ في الجملة، ببركةِ دعاءِ النبي ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه، واللَّه أعلم»[2] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا هَلَك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل اللَّه»[3] .

● وعن جابرِ بنِ سَمُرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول:

---

(١) المَسْك: الجِلْد.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٦٨-٢٧١).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧)، ورواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧) عن جابر بن سمرة.

«لَتَفْتَحَنَّ عصابةٌ من المسلمين ـ أو مِنَ المؤمنين ـ كَنْزَ آلِ كسرى الذي في الأبيض»[1].

● وعن جابر بن سَمُرةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عُصبةٌ من المسلمين يَفتحون البيتَ الأبيض بيتَ كسرى»[2].

* **شيطانُ يهود: كعبُ بنُ الأشرف ـ لعنه اللَّه ـ، عدوُّ اللَّه ورسوله:**

□ لَمَّا اتَّصل بكعْبِ بنِ الأشرف ـ وهو رجلٌ يهوديٌّ من نَبْهانَ مِن طَيِئ، وأُمُّه من بني النَّضِير ـ قَتْلُ صناديدِ قريشٍ ببدرٍ قال: «بطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها».

● ونَهَض ابنُ الأشرف إلى مكةَ، فجعل يَرْثي قَتلى قريش، ويُحرِّضُ على قتالِ النبيِّ ﷺ، ويُشبِّب بنساءِ المسلمين؛ قصداً لإيذاءِ أزواجِهنَّ، وكان شاعراً، ثم عاد من مكةَ إلى المدينة، فلم يَزَلْ يُؤذي رسولَ اللَّه ﷺ ويدعو إلى خلافه، ويَسُبُّ المسلمين حتى آذاهم أعظمَ الأذى، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لي بابن الأشرف، فإنه يُؤذي اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين؟»، فقال له محمدُ بنُ مَسْلَمةَ: أنا له يا رسول اللَّه، أنا أقتله إن شاء اللَّه، فقال: «فافعل إنْ قَدَرْتَ على ذلك».

ومكَث محمدُ بنُ مَسْلَمةَ أيامًا مشغولَ النفس بما وَعَد رسولَ اللَّه ﷺ من نفسه في قتل ابن الأشرف، فانتدبه رسولُ اللَّه ﷺ، وانتدب معه سِلْكانَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٢١٧).

(٢) رواه أحمد، ومسلم.

ابنَ سلاَمَةَ بنِ وَقْشٍ أبا نائلةَ ـ أحدَ بني عبد الأَشْهَل، وكان أخَا كعبِ بنِ الأشرف من الرضاعة ـ، وعبَّادَ بنَ بِشْرِ بنِ وَقْش، والحارثَ بنَ أَوْسِ بنِ مُعَاذ ـ وهما من بني عبد الأشهل ـ، وأبا عَبْس بنَ جَبْر أخا بني حارثة[١]، وأَذِن لهم رسولُ اللَّه ﷺ أن يقولوا غيرَ ما يعتقدون[٢]، على سبيل جوازِ ذلك في الحرب.

وقدَّموا إلى ابن الأشرف سِلْكَانَ بنَ سَلاَمة، فقَصَد له وأظهَرَ له موافقتَه على الانحراف عن رسول اللَّه ﷺ، وشكا إليه ضِيق حالهم، وكلَّمَه في أن يَبيعَه وأصحابَه طعامًا، فَيَرْهَنُوه سِلاحَهم، فأجابهم إلى ذلك.

ورجع سِلْكَانُ إلى أصحابه، فخرجوا إلى ابنِ الأشرف اليهوديِّ، وشيَّعهم رسولُ اللَّه ﷺ إلى بَقيعِ الغَرْقَد[٣] في ليلةٍ مُقْمِرَة، فأتَوا كعبًا، فخرج إليهم من حِصْنِه، فَتَماشَوْا، فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمدُ ابنُ مَسْلَمَةَ مِغْوَلاً[٤] كان معه في ثُنَّتِه[٥] فقتله.

وصاح ابنُ الأشرف صيحةً شديدةً انذعر بها أهلُ الحصون حوالَيه، فأوقدوا النيرانَ دون جدوى.

---

(١) في عيون الأثر: أن اسمه عبدالرحمن.

(٢) أن يقولوا في الرسول ﷺ ما لا يعتقدون، خُدعةً للعدو على سبيل جواز ذلك مع الأعداء في الحرب.

(٣) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة المنورة.

(٤) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. وقيل: هو حديدة دقيقة لها حدٌّ ماضٍ وقفًا، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق يشدُّه الفاتك على وسطه؛ ليغتال الناس.

(٥) الثُّنَّة من الإنسان: ما دون السرَّة، فوق العانة، أسفل البطن.

وجُرِح الحارثُ بن أَوْسٍ في رِجْلِه ببعض سيوفِ أصحابه أو في رأسه، فَنَزَفَهُ الدمُ، وتأخَّر قليلاً عن أصحابه الذين سلكوا على بني أُمية بن زيد إلى بني قُرَيْظَة، إلى «بُعَاث»[1]، إلى «حَرَّة العُرَيْض»[2]، فانتظروا صاحبَهم الحارثَ هناك حتى وافاهم، فأتَوا به رسولَ اللَّه ﷺ في آخِرِ الليل وهو يُصلِّي، فأخبروه بقتل ابن الأشرف؛ وكان ذلك في شهرِ ربيعٍ الأول من السَّنةِ الثالثةِ من الهجرة (٦٢٤م).

وهكذا انتهت حياةُ أحدِ أعداء المسلمين الذين آذاهم وحَرَّض عليهم كثيراً.

● عن سفيانَ، عن عمرو قال: سمعت جابرَ بن عبداللَّه رضي الله عنه يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ لي بكعبِ بنِ الأشراف؟ فإنه قد آذى اللَّهَ ورسوله؟**» فقام محمدُ بنُ مسلمة فقال: يا رسولَ اللَّه، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: «**نعم**» قال: فأْذَنْ لي أقل شيئًا. قال: «**قل**».

فأتاه محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ، فقال: إنَّ هذا الرجلَ قد سألَنا صدقةً، وإنه قد عنَّانا[3]، وإني قد أتيتُك أستسلفُك. قال: وأيضًا واللَّه لَتَمَلُّنَّهُ. قال: إنا قد اتَّبعناه، فلا نحبُّ أن نَدَعَه حتى ننظرَ إلى أيِّ شيءٍ يصيرُ شأنُه، وقد أردنا أن تُسلِفَنا وَسْقًا أو وَسْقَينِ ـ فقال: نعم، ارهَنوني. قالوا: أيَّ شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءَكم. قالوا: كيف نَرهنُك نساءَنا وأنت أجملُ العرب؟ قال:

---

(١) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت فيه وقائع بين الأوس الخزرج في الجاهلية، انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٢٣).

(٢) حرَّة العريض: حرَّة بالقرب من المدينة، لا ذكر لها في «معجم البلدان».

(٣) أي: أثقل كواهلنا وأتعبَنا بما يطلبُه من المال.

فارْهَنوني أبناءَكم. قالوا: كيف نرهنُك أبناءَنا، فيُسَبَّ أحدُهم فيُقال: رُهِن بوَسْقٍ أو وسقَيْن!!، هذا عارٌ علينا، ولكنا نَرهنُك اللأْمَةَ - قال سفيان: يعني السلاح -، فواعَدَه أن يأتيَه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعبٍ من الرضاعة -، فدعاهم إلى الحِصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأتُه: أين تخرجُ هذه الساعةَ؟ فقال: إنما هو محمدُ بنُ مَسلمةَ وأخي أبو نائلة - وفي رواية: قالت: أسمعُ صوتًا كأنه يَقْطُرُ منه الدم، فقال: إنما هو أخي محمد ابن مسلمة ورضيعي أبو نائلة -، إنَّ الكريمَ لو دُعي إلى طَعنةٍ بليلٍ لأجاب.

قال: ويدخلُ محمدُ بنُ مَسلمةَ ومعه أبو عبس بنُ جبر والحارثُ بن أوس وعَبَّادُ بنُ بِشر. فقال محمدُ بن مَسْلمة: إذا ما جاء فإني قائلٌ بشَعْره فأشمُّه، فإذا رأيتُموني استمكنتُ من رأسه، فدونَكم فاضرِبوه - وقال مرة: ثم أُشِمُّكم -.

فنزل إليهم متوشِّحًا وهو يَنفحُ منه ريحُ الطيب، فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا - أيْ أطيب -. قال: عندي أعطرُ نساءِ العرب وأكملُ العرب. فقال محمدُ بن مَسْلمة: أتأذنُ لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم.. فشمَّه، ثم أشمَّ أصحابَه، ثم قال: أتأذنُ لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم.. فقتلوه.. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه»[1].

□ قال عَبَّادُ بنُ بِشر في هذه الواقعة - وفيها وصفُ شجاعةِ محمدِ بنِ مسلمة رضي الله عنه -:

صَرَخْتُ بِهِ فَلَمْ يَعْرِضْ لِصَوْتِي ... وَوَافَى طَالعًا مِنْ رَأْسِ خِدْرِ[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١) وأبو داود (٢٧٦٨)، وعزاه المزي للنسائي.

(٢) في مصادر أخرى: رأس جدر، وعند الواقدي:

صرخت به فلم يَجفَلْ لصوتي ... وأوفى طالعًا من فــوق قـصر

بَعثْتُ لَهُ فَقَالَ: مَنِ الْمُنَـادي؟ فَقُلتُ: أخوكَ عَبَّادُ بنُ بشرِ[1]
وَهَذي درْعُنَا رهْنًا فَخُذْهَا لشَهْرٍ إنْ وَفَى أَوْ نصْف شَهْرِ
فَقَالَ: مَعَاشِرٌ سَغِبُوا وَجَاعُوا وَمَا عَدِمُوا الْغنَى منْ غَيْرِ فَقْرِ
فَأَقْبلَ نَحْونَا يَهْوِي سَرِيعًا وَقَالَ لَنَا: لَقَدْ جِئْتُمْ لأَمْرِ
وَفي أَيْمَاننَا بيضٌ حدَادٌ مُجَرَّبَةٌ بهَا الْكُفَّارَ نَفْرِي
فَعَانَقَهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ الْمُرَدَّى به الْكُفَّارُ كَاللَّيْث الهِزَبْرِ
وَشَدَّ بِسَيفه صَلْتًا عَلَيه فَقَطَّرَهُ أَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرِ
وَكَانَ اللَّهُ سَادسَنَا فَأُبْنَا بأَنْعَمِ نعْمَة وَأَعَزِّ نَصْرِ
وَجَاءَ بِرأسِه نَفَرٌ كِرَامٌ هُمُو نَاهِيكَ مِنْ صِدْقٍ وَبِرِّ

◻ وقال كعب بن مالك في قتل ابن الأشرف:

فَغُودرَ منْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعه النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ بَأَيْدينَا مُشَهَّرَةً ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَرْهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ

◻ ولله دَرُّ من نظم هذه السَّرية شعراً فقال:

يَا نَاقضَ الْعَهْد لاَ شَكْوَى وَلاَ أَسَفُ اللَّهُ مُنتقمٌ والسيفُ مُنتصفُ
تَهْجُو النَّبِيَّ وَتُغري الْمُشركينَ به مَهْلاً لكَ الويلُ مَاذَا أَنتَ مُقترفُ
كَمْ جيفَةٍ خَرَجَتْ منْ فيكَ مُنكَرَة لَمَّا تَرَدَّتْ بِبَدْرٍ تِلْكُمُ الجِيَفُ

---

(١) وفي مصدر آخر:
فعُدتُ فقال من هذا المنادي فقلت أخوك عبّاد بن بشر

إِنَّ الْوَلِيمةَ أَخْزَى اللَّهُ صَانعَهَا ... كَانَتْ ضِرَارًا فَلاَ وُدٌّ وَلاَ لَطَفُ
أتحسَبونَ رسولَ اللَّهِ يَجهلُها ... مَكيدةٌ فَضَحَتْ أَسرارَها السُّجُفُ[1]
بل أظهرَ اللَّهُ مَا تُخفونَ فانكشفَتْ ... يا ويَلكم أيُّ خافٍ ليس يَنكشفُ؟
لقد هَممتُمْ بمن لا حَيَّ يَعدلُه ... إن نُوزِعَ المجدُ بينَ الناسِ والشرفُ
يا ويلَ من ظن أن اللَّهَ يَخذُلُه ... وأنه من يمينِ اللَّهِ يُختَطَفُ
يا كعبُ ما لَكَ تُؤذيهِ وتُنكِرُه ... وما الوُلوعُ بقولِ الزورِ والشغَفُ
جعلتَ مالَكَ للأحبارِ مفسدةً ... يُمتاحُ فيها الأذَى حِينًا ويُغتَرفُ[2]
رَمَوْك بالحق لما رُحتَ تسألُهم ... وأعلنوا من يقينِ الأمرِ ما عَرَفوا
فقلتَ: عُودوا فما عندي لكم صِلَةٌ ... جَفَّ المَعينُ فلا قَصْدٌ ولا سَرَفُ
حَسْبِي الحقوقُ فمالي لا يجاوزُها ... إلى الفُصولِ وما عن ذاكَ مُنصرَفُ
عادوا يقولونَ: ما أشقاهُ من رَجُلٍ ... لا يرتضِي القولَ إلا حينَ ينحرفُ
ثم انْثَنَوا ينطقون الزورَ فانقلبوا ... بالمالِ يَصدفُ عنه المعشرُ الأُنُفُ[3]
بئسَ العطاءُ وبئسَ القومُ أمرُهُم ... وأمرُ سيدهم في الغَيِّ مُؤتلفُ
هُمُ اليهودُ، لَو أنَّ المالَ لاح لهم ... في عَيْنِ مُوسى كليمِ اللَّهِ ما صَدَفوا

(١) الأستار.

(٢) جاءه أحبار اليهود، ليأخذوا صِلَتهم على عادتهم، فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل «النبي»؟! قالوا: هو الذي كنا ننتظره، ما أنكرنا من نعوته شيئًا!!. قال: قد حُرِمْتُمْ كثيراً من الخير، ارجعوا إلى أهليكم، فإن الحقوق في مالي كثيرا!. فرجعوا عنه خائبين، ثم رجعوا إليه وقالوا: إنا عجلنا فيما أخبرناك به، وليس هو المنتظر!!. فرضي عنهم، ووصلهم، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئًا من ماله.
وَمَتَحَ الْماءَ وامْتَاحَهُ: نَزَعَهُ.

(٣) جمع أُنوف، وهو: الشديد الأنفة.

هبَّ ابنُ مسلمة للحق يَنصرُه ... وللرسولِ يُريه كيفَ يَزدهفُ[١]

فقال: دُونكَ سعدًا إن هممتَ بها ... شَاورْهُ فيها فنِعمَ الحاذقُ الثقفُ[٢]

قَضى ثلاثةَ أيامٍ على سَغَبٍ ... وللمُجَرِّبِ ذي التدبيرِ ما يَصفُ

وجاءَ في صَحْبهِ يستأذنون على ... تَقْوَى من اللَّه ما مالوا ولا جَنَفُوا

قال الرسولُ لكمُ في القولِ مأربُكم ... ماذا على الدار مما يُوهِمُ الصدَفُ

هيَ القلوبُ فإن طابتْ سَرَائرُها ... فما بأفواهِكم عَيْبٌ ولا نَطَفُ[٣]

* * *

مَضَوا فقالوا لكعب: أنت مَوئلُنا ... أنت الحِمى المُرتجى في الأزْلِ والكَنَفُ[٤]

أما ترانا جِياعًا لا طعامَ لنا ... حتى لقد كادَ يَغْشَى أهلَنا التلَفُ

لم يُبقِ صاحِبُنا شيئًا نَعيشُ بهِ ... فالزادُ مَنتَهبٌ والمالُ مُجتَرَفُ[٥]

إن أنتَ أسلفتَنا ما نَستعيدُ به ... رُوحَ الحياةِ فَغيْثٌ ودْقُهُ يَكفُ[٦]

قال: الحلائلُ رَهْنٌ لا طعامَ لكم ... إلا بهن فقالوا: مطلبٌ قُذُفُ[٧]

---

(١) ازْدَهَفَ الأمرَ: تقحم فيه، وَالْحِمْلَ: احتمله، والشيءَ: ذهب به وأهله، وللكلمة معانٍ أخرىٰ.

(٢) الحاذقُ والثَّقِفُ بمعنىٰ.

(٣) النطف: العيب والشر والفساد.

(٤) الأزل ـ بسكون الزاي ـ: الشدة والضيق.

(٥) اجترف: ذهب به كله أو معظمه.

(٦) الودق: المطر. ووكف: سال قليلاً قليلاً.

(٧) القذف من الأمكنة والمواضع: ما يُزَلُّ عنه ويُهْوَىٰ، والشيء يبعد ويتقاذف.

تأبَى علينا سَجايانا ويمنعُنا هذا الجَمالُ أُوتيتَ والترَفُ

قال: البنونَ فقالوا: لا تكُنْ عَسِراً البؤسُ أهونُ مما رُمْتَ والشظَفُ

خُذِ السلاحَ وإن كَلفتنا شَططًا إن الشدائدَ فيها تَسْهُلُ الكُلَفُ[1]

لم يَدْرِ مأربَهم إذ يسخرونَ به وإذ يُريدونَها دَهماءَ تُلتَحَفُ[2]

قال: ارتضيتُ فقالوا: غُمةٌ ذَهبت عنا غياهبُها وانْجَابتْ السدُفُ[3]

وأَرْجَؤُوهُ إلى إبــانِ مَوْردِه يَعُبُّ من سُمِّه الُمردِي ويَرتشِفُ[4]

جــاؤوه بالليلِ مَسروراً بغرفته وليس يُنْجِي الفتى من حَتفه الغُرَفُ

ورَنَّ صَوتُ أخيه عندَ مضجعه: اخْرُجْ إلينا أما تَنْفَكُّ تَعتَكِفُ؟

فَهبَّ يركض، وارْتاعتْ حَليلَتُه: مَهْلاً فإن فؤادي خائفٌ يَجِفُ[5]

أنت امرؤٌ ذُو حروبٍ لا يُلائمُه أن يستجيبَ ذَوي الأضغانِ إن دَلفوا

إني لأسمعُ صَوتًا لستُ آمَنهُ كأنه الدمُ يَجرِي أو هُوَ الجَدَفُ[6]

قال: اسكُنِي ودَعِيني إنه لأخي يَخشَى عليَّ فَيرعانِي وينعطفُ

وراحَ يلقاهُ والإسلامُ مُبتسِمٌ والشركُ مُتسِمٌ بالحزنِ مُرتجِفُ

---

(١) جمع الكلفة: المشقة.

(٢) الدهماء: الداهية.

(٣) السدف: الظُلم، جمع سدفة.

(٤) يعبُّ: يشرب بلا تنفس. والُمردِي: الُمهلِك.

(٥) وجف القلب: خفق.

(٦) الجدف: القبر.

وَافَاهُ في صَحْبَهِ يُدنِي الخُطَى عَبِقًا ... كأنه ذاتُ دَلٍّ زَانها هَيَفُ[1]

قالوا أتمشي إلى شِعبِ العجوزِ ففي ... هذا الخـلاء جنًى للنفس يُخْتَرفُ[2]

وَانْظُرْ إلى القمرِ الزاهِي وبَهجته ... وَاعْجَبْ له بعد هذا كيفَ يَنكسفُ

* * *

ساروا إلى الشِّعبِ والأقدارُ تَتبعُهم ... على هُدى اللَّه ما زَاغْت ولا اعْتَسَفُوا

حتى إذا قعدوا ظَلَتْ بموقفها ... وَأَقْبَلَ الموتُ عن أيمانها يَقِفُ

وتلكَ كفٌّ أخيه فَوْقَ مَفْرِقه ... كأنها من جَنِيِّ الزهرِ تَقْتَطِفُ

يَشُمها ويقولُ القولَ يَخدَعُهُ ... في الطيبِ وَهْوَ له من خلفه هَدَفُ

ظَلَتْ سيوفُ رسولِ اللَّه تأخذُهُ ... تَشُقُّ ما ضربت منه وتَنْتَقِفُ[3]

يا حُسنَها صَيحةً من فيه يُرسلُها ... كادتْ تَخرُّ لها من دارِه السقُفُ

لم تستطع عُرْسُه صَبْرًا فجاوبَها ... صَوْتٌ يُجلجِلُ أُودَى السيدُ اللقفُ[4]

بَني قُرَيظةَ هُبُّوا من مَضَاجِعكم ... بني النضيرِ انْفِرُوا للثأرِ وَازْدَلِفُوا

عَدا الرجالُ على كعبٍ فوالهفا ... أين الحُماةُ وماذا يَصنعُ اللهَفُ

تَبكِي عليه وماذا بعدَ مصرعه ... إلا البكاءُ وإلا الأدمعُ الذُّرُفُ

إن الذي كان يَثْنِي عِطْفَهُ صَلَفًا ... أمسى صَرِيعًا فلا كِبْرٌ ولا صَلَفُ

---

(١) العَبِق: الذي تفوح منه رائحة الطيب. والدلُّ: الدلال، والهَيف: ضمور البطن ورقَّة الخَصْر.

(٢) اخترف الثمر: جناه.

(٣) نَقَفَ الشيءَ أو انْتَقَفَهُ، بمعنى: شقه، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية.

(٤) العرس: امرأة الرجل. واللقف: الحاذق.

عادوا بهامتـــه تُلْقَى مُذَمَّمـــةً عندَ الرسولِ ومنه الصَّدُّ والنكَفُ[1]

طار اليهودُ على آثارهم فأبَتْ أن يُدركوا همَمٌ تَرْمِي بهم عُصُفُ

اللَّه أكبـرُ والحمــدُ الجزيـلُ له نَصرٌ جديدٌ وفضلٌ منه مؤتَنَفُ[2]

رِيعَتْ يهودُ فجاءَتْ تَبتغِي حلفًا عُودِي يَهودُ فنعمَ العهدُ والحَلِفُ[3]

هَيهاتَ ما لكِ من عهدٍ ولو حَمَلَتْ ملءَ البسيطةِ من أيْمانكِ الصحفُ

عَبَّادُ قُلْ إن في الأشعارِ تذكرةً وإن أحسنها ما أورثَ السلَفُ[4]

غَنِّ الرفاقَ بِوَحيِ الحـــقِّ تُنشِدُهُ مَضَى النعيبُ وأودَى الشاعرُ الخَرِفُ[5]

* المنافق الخبيث أبو عَفَك :

شيطانٌ من شياطينِ المنافقين، ألدُّ أعداءِ المسلمين هو أبو عفك ـ لعنه اللَّهَ ـ هو أحد بني عمرو بن عوف، ثم من بني عبيدة[6] ، وكان قد نَجَمَ[7] نفاقُه حينَ قَتَلَ رسولُ اللَّه ﷺ الحارثَ بنَ سُوَيْد بن صامت، فقال :

لقد عشْتُ دهراً وما إنْ أَرى منَ الناس داراً ولا مَجْمَعَا

أَبَـــرَّ عهُــوداً وأُوفي لمن يُعــاقِــدُ فيهم إذا ما دعا

مِن أولادِ قَيْــلَةَ في جَمْعِهم يَهُدُّ الجبــالَ ولن يخضعا

---

(١) نكف عنه : أي : أَنِفَ منه.

(٢) المؤتنف : بمعنى المستأنف، أي : الجديد المتبدأ.

(٣) الْحِلْفُ : العهد والصداقة. والْحَلِفُ : اليمين.

(٤) عباد بن بشر ﷺ : قال الشِّعْر في هذه الواقعة.

(٥) النعيب : صوت الغراب. والخرف : الضعيف العقل، والمقصود : هو كعب.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٢).

(٧) نجم : ظهر.

فصدَّعهم راكبٌ جاءهم حلالٌ حرامٌ لَشَتى معا

فلو أن بالعزِّ صدَّقْتُمُ أو المُلْكِ تابعتُمُ تُبَّعا

● فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لي بهذا الخبيث؟»[١].

وكان أبو عَفَك شيخًا كبيرًا بلغ عشرين ومئةَ سنة، حين قَدِم النبيُّ ﷺ المدينةَ، وكان يُحرِّضُ على عداوةِ النبي ﷺ، ولم يدخلْ في الإسلام، فلما خَرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى «بدرٍ»، ورَجَع وقد انتصر على المشركين، حَسَده أبو عفَك وبَغَى، وقال في هجائه وهجاء المسلمين شعرًا[٢].

وأراح اللَّهُ البشريةَ مِن دنَسِه وخُبثِه على يَدِ الصحابيِّ البطل سالِمِ بن عُمَيْر العَوْفيِّ الأوسيِّ الأنصاريِّ ﷺ.

□ قال سالم: «عليَّ نذرٌ أن أقتلَ أبا عفَك أو أموت دونَه».

وأمهل سالمٌ، وطَلَب له غِرَّةً، حتى كانت ليلةٌ صائفة، فنام أبو عفَك بالفِناء في الصيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالمٌ، فوضع السيفَ على كَبِدِه، حتى خشَّ في الفراش، وصاح أبو عفَك، فسارع إليه ناسٌ ممن هم على قوله، فأدخلوه منزلَه وقَبَروه، وقالوا: مَنْ قتله؟ واللَّهِ لو نعلم مَنْ قتله لقتلناه به! فقالت أُمامةُ المُزَيْرِية[٣] في ذلك:

تُكَذِّبُ دينَ اللَّهِ والمرءَ أحمدَا لَعَمرُ الذي أمْنَاكَ إذْ بئس ما يُمْني[٤]

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤، ١٧٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣)، أما في «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٥): فورد اسمها: النهديَّة.

(٤) أمناك: أنساك، قاله أبو ذر. وعندنا أنَّ خيراً من ذلك أن يكون أمناك بمعنى بلاك، وما =

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ الليل طعنـةً أبا عَفَك خُذْها على كِبَر السِّنِّ
فإني وإنْ أعلمْ بقـاتلك الذي أبَاتَكَ حِلْسَ الليـلِ إِنْسِي أو جِنِّي

وكان قتلُ أبي عَفَك في شوالٍ على رأسِ عشرين شهراً من الهجرة، من السَّنة الثانية الهجرية[1].

ويذكرُ التاريخُ للصحابيِّ البطلِ سالمٍ ﷺ أنه قَتَل أخته؛ لأنها قالت في النبي ﷺ ما لا يرضاه ولا يرضاه المسلمون الصادقون، ويَذكرُ له أن أراح الناس من خُبْث أبي عَفَك، ويذكر التاريخُ لسالمِ بن عُمَير العَمْريِّ الأوسيِّ الأنصاريِّ أنه كان أحدَ البَكَّائين الذين نزل في أمرِهم قرآنٌ يُتلى.

* **بنو قَيْنُقاع ـ لَعَنهم اللَّه ـ أولُ يهود أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة:**

حالَفَهم رسولُ اللَّه ﷺ عند قدومه المدينة فيمن حالَفَ من اليهود، وكانوا أشجعَ يهود، وقد حَقَدوا على المسلمين انتصارَهم ببدر، وأخذوا يتحرَّشون ويتنكَّرون للعهدِ الذي بينهم وبين رسول اللَّه ﷺ، خِيفةً أن يَستفحِلَ أمرُه فلا يَعودون يمِلكون مقاومتَه، بعدما انتصر على قريشٍ في أولِ اشتباكٍ بينه وبينهم.

□ وذكر الواقديُّ أن إجلاءَهم كان في شوالٍ سنهَ اثنتَين، يعني بعد بدر بشهر.. ويؤيِّدُه ما رواه ابنُ إسحاق ـ بإسنادٍ حسن ـ عن ابن عباسٍ قال: «لَمَّا أصاب رسولُ اللَّه ﷺ قريشًا يومَ بدر جَمَع يهودَ في سوقِ بني قينُقاع،

= يُمني: مضارع هذا الفعل.

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤، ١٧٥)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٢، ٣١٣)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٨).

فقال: «يا يهودُ، أسلِموا قبل أن يُصيبكم ما أصاب قريشًا يوم بدر»، فقالوا: إنهم كانوا لا يعرفون القتال، ولو قاتلْتَنا لعرفت أنَّا الرجالُ.. فأنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣]».

◻ وذكر ابنُ هشام من طريقِ عبدِاللَّه بن جعفر قال: «كان من أمرِ بني قينقاع أن امرأةً من العرب قَدِمت بجَلَبٍ لها، فباعتْه بسُوقِ بني قينقاع، وجَلَست إلىٰ صائغ بها، فجعلوا يريدونها علىٰ كشفِ وجهها فأبت، فعَمَد الصائغُ إلىٰ طَرَفِ ثوبها، فعَقَده إلىٰ ظَهرها، فلما قامت انكشفت سوءتُها، فضحِكوا بها، فصاحت، فوثب رجلٌ من المسلمين علىٰ الصائغ فقتله ـ وكان يهوديًّا ـ، وشَدَّت يهودُ علىٰ المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين علىٰ اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع».

◻ وأكمل ابنُ إسحاق سياقَ الحادث قال: «فحاصَرَهم رسولُ اللَّه ﷺ حتىٰ نَزَلوا علىٰ حُكمه، فقام عبدُاللَّه بنُ أُبيٍّ بنِ سَلول ـ حين أمكنه اللَّهُ منهم ـ، فقال: يا محمدُ، أحسِنْ إليَّ في مَواليَّ ـ وكانوا حلفاءَ الخزرج ـ قال: فأبطأ عليه رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: يا محمدُ، أحسِنْ إليَّ في مَواليَّ قال: فأعرَضَ عنه، فأدخل يَدَه في جَيبِ درعِ رسولِ اللَّه ﷺ، فقال له

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٦) ـ تاب المغازي ـ باب حديث بني النضير.

رسولُ اللَّه ﷺ: «أرسلْني». وغضب رسول اللَّه ﷺ حتىٰ رأوا لوجهه ظللاً. ثم قال: «ويحك! أرسِلْني». قال: لا واللَّهِ لا أُرسِلُك حتىٰ تحسِنَ في مَواليَّ: أربَعُمئةِ حاسِرٍ، وثلاثُمئة دارعٍ، قد منَعوني من الأحمر والأسود، تحصُدُهم في غداةٍ واحدة!!، إني واللَّهِ امرؤ أخشىٰ الدوائر. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «هُم لك». وكان عبدُاللَّه بن أُبيٍّ لا يزالُ صاحبَ شأنٍ في قومه، فقَبِل رسولُ اللَّه ﷺ شفاعتَه في يهودِ بني قينقاع علىٰ أن يَجلُوا عن المدينة، وأن يأخذوا معهم أموالَهم عدا السلاح».

وبذلك تَخلَّصت المدينةُ من قِطاعٍ يهوديٍّ خبيثٍ ذي قوةٍ عظيمةٍ أساؤوا الأدب مع رسول اللَّه ﷺ، فأدَّبهم اللَّهُ أدبًا يَليقُ بهم في الدنيا وبأمثالهم، ومآلهم في النهاية إلىٰ أمِّهم الهاوية.

◻ قال ابن حجر: «أولُ مَن نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم في شوالٍ بعد وقعة بدر، فنزلوا علىٰ حُكمه، وأراد قتلهم، فاستوهبهم منه عبدُاللَّهِ بن أُبيٍّ وكانوا حلفاءَه، فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلىٰ أذرِعات»[1].

*** بنو النَّضير ومحاولتهم قتل النبي ﷺ:**

◻ بَوَّب البخاريُّ في كتاب «المغازي»: «باب حديث بني النَّضير، ومَخْرَج رسولِ اللَّه ﷺ في ديَةِ الرَّجُلَيْن، وما أرادوا مِن الغَدر برسول اللَّه ﷺ».

◻ قال الزهريُّ عن عُروة: «كانت علىٰ رأسِ سِتةِ أشهرٍ من وقعةِ «بدر»

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

قبلَ وقعة «أُحُد»، وجَعَله ابنُ إسحاقَ بعد «بئر معونة وأُحُد».

◻ عن ابن عمرَ ﷺ قال: «حاربت قريظةُ والنَّضيرُ، فأجلىٰ بني النَّضِير، وأَقرَّ قريظةَ ومَنَّ عليهم حتىٰ حاربت قُريظةُ، فقَتل رجالَهم، وقَسَمَ نساءَهم وأولادَهم وأموالَهم بين المسلمين، إلاَّ بعضُهم لَحِقوا بالنبي ﷺ، فأمَّنَهم وأسلموا، وأجلىٰ يهودَ المدينة كلَّهم: بني قينقاع - وهم رَهط عبدالله ابن سلام -، ويهودِ بني حارثة، وكلَّ يهود المدينة»[(١)] .

◻ خَرَج رسول اللَّه ﷺ إلىٰ بني النضير[(٢)] يستعينهم في دِيَةِ رجُلَيْنِ قَتَلهما عمرُ بن أُميَّة الضَّمْرِيُّ، قال ابنُ إسحاق: «فلمَّا أتاهم يستعينهم قالوا: نعم. ثم خلا بعضُهم ببعضٍ، فقالوا: إنكم لن تجدوه علىٰ مثل هذه الحال. قال: وكان جالسًا إلىٰ جانبِ جِدارٍ لهم، فقالوا: مَن رجلٌ يعلو علىٰ هذا البيتِ فيُلقِيَ هذه الصخرةَ عليه فيقتلَه ويُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرُو بن جِحاشِ بنِ كعبٍ، فأتى النبيَّ الخبرُ من السماء، فقام مُظهرًا أنه يَقضِي حاجة، وقال لأصحابه: لا تَبْرَحوا، ورجع مُسرِعًا إلى المدينة، واستبطأه أصحابُه، فأُخبِروا أنه توجَّه إلى المدينة، فلحِقوا به، فأمر بحَربهم والمسير إليهم، فتحصَّنوا، فأمر بقَطعِ النخيل والتحريق».

◻ وذكر ابنُ إسحاق: «أنه حاصَرهم ستَّ ليالٍ، وكان ناسٌ من المنافقين بَعثوا إليهم أنِ اثبُتوا وتمنَّعوا، فإنْ قُوتلتم قاتلنا معكم، فتربَّصوا،

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» كتاب المغازي - باب حديث بني النضير - حديث رقم (٤٠٢٨) «الفتح» (٧/ ٣٨٢).

(٢) في أوائل السنة الرابعة من الهجرة بعد غزوة أُحُد وقَبل غزوة الأحزاب ذهب رسول الله ﷺ مع عشرة من كبار أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي ﷺ إلىٰ محلّة بني النضير.

فقَذَف اللَّهُ في قلوبهم الرعبَ فلم يَنصروهم، فسألوا أن يُجْلَوْا عن أرضهم علىٰ أنَّ لهم ما حَمَلتِ الإبلُ، فصُولحوا علىٰ ذلك».

◻ وروىٰ البيهقي في «الدلائل» من حديث محمد بن مَسْلمَة: «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثه إلىٰ بني النضير، وأمَرَه أن يُؤجِّلَهم في الجَلاء ثلاثةَ أيامٍ، قال ابنُ إسحاق: فاحتَملوا إلىٰ خيبرَ وإلىٰ الشام. ولم يُسلِمْ منهم إلاَّ يامينُ بنُ عُمير، وأبو سعيد بن وهب، فأحرزَا أموالَهما».

● وروىٰ ابنُ مردويه قصَّةَ بني النضير ـ بإسنادٍ صحيح إلىٰ معمرٍ عن الزهري ـ: «أخبرني عبداللَّه بن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن رجلٍ من أصحـابِ النبي ﷺ قال: كتب كفـارُ قريش إلىٰ عبداللَّه بن أُبيٍّ وغيـرِه ـ ممن يَعبدُ الأوثانَ ـ قَبْل بدر يُهدِّدونهم بإيوائهم النبيَّ ﷺ وأصحابَه، ويتوعَّدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فَهَمَّ ابنُ أُبيٍّ ومَن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبيُّ ﷺ، فقال: «**ما كادكم أحدٌ بمثل ما كادتكم قريشٌ، يُريدون أن تُلقوا بأسكم بينكم**»، فلما سَمِعوا ذلك عَرَفوا الحقَّ فتفرَّقوا. فلما كانت وقعةُ بدرٍ كَتبت كفارُ قريشٍ بعدَها إلىٰ اليهود: إنكم أهلُ الحَلْقة والحُصون، يتهدَّدونهم، فأجمع بنو النضير علىٰ الغَدْر، فأرسلوا إلىٰ النبي ﷺ: اخرجْ إلينا في ثلاثةٍ من أصحابك، ويَلقاك ثلاثةٌ من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل، فاشتمل اليهودُ الثلاثةُ علىٰ الخناجر، فأرسَلَتِ امرأةٌ من بني النضير إلىٰ أخٍ لها من الأنصار مُسلمٍ تخبرُه بأمرِ بني النضير، فأخبر أخوها النبيَّ ﷺ قبلَ أن يَصِلَ إليهم، فرجع، وصبَّحهم بالكتائب، فحَصَرهم يومَه، ثم غَدَا علىٰ بني قريظة، فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلىٰ بني النضير، فقاتَلَهم حتىٰ نزلوا علىٰ الجَلاء، وعلىٰ أنَّ لهم ما

أقلَّتِ الإبلُ إلاَّ السلاح، فاحتَملوا حتىٰ أبوابِ بيوتهم، فكانوا يُخرِبون بيوتَهم بأيديهم فيَهدمونها، ويَحمِلون ما يُوافقُهم من خَشَبها، وكان جَلاؤهم ذلك أولَ حشرِ الناسِ إلىٰ الشام».

◘ قال ابنُ حجر: «فهذا أقوىٰ مما ذَكر ابنُ إسحاقَ من أن سببَ غزوة بني النضير طَلَبه ﷺ أن يُعينوه في دِية الرجلَين، لكنْ وافق ابنَ إسحاق جُلُّ أهلِ المغازي، فاللَّه أعلم»[1] .

◘ وقال ابنُ حجر أيضًا: «ذَكَر موسىٰ بنُ عُقبة في «المغازي» قال: كانت النضيرُ قد دَسُّوا إلىٰ قريشٍ وحَضُّوهم علىٰ قتالِ رسول اللَّه ﷺ، ودلُّوهم علىٰ العَوْرة.. ثم ذكر نحواً مما تقدم عن ابن إسحاق من مَجيءِ النبيِّ ﷺ في قصَّةِ الرجلَين قال: وفي ذلك نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية [المائدة: ١١].

وعند ابن سعد أن رسول اللَّه ﷺ أرسل إليهم محمدَ بنَ مَسْلَمة أنِ «اخرجوا من بَلَدي فلا تُساكنوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغَدر، وقد أجَّلتُكم عَشْرًا».. »[2] .

◘ وفي «مغازي الواقدي» أن النبي ﷺ حاصَرهم خَمسةَ عَشَر يومًا، فأجلاهم رسولُ اللَّه ﷺ، ووَلِيَ إخراجَهم محمدُ بنُ مَسلمة[3] ، كما وَلِيَ قبضَ أموالهم وسِلاحهم[4] .

(١) «فتح الباري» - كتاب المغازي (٧/ ٣٨٥).
(٢) «فتح الباري» (٧/ ٣٨٦).
(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٤).
(٤) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٧).

وكان منهم مَن سار إلىٰ خيبر، ومنهم مَن سار إلىٰ الشام، وكان مِن أشرافهم ممَّن سار إلىٰ خيبر سَلاَّمُ بنُ أبي الحُقيق، وكِنانةُ بنُ الربيعِ بنِ أبي الحُقيق، وحُيَيُّ بنُ أخطبَ ممن ألَّبوا المشركين علىٰ المسلمين في غزوة الأحزاب ووقعة بني قريظة.

* قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢ ـ ٤].

نَكالٌ منَ اللَّه، وإخراجٌ لهم في دار الدنيا، وعذابُ النار ينتظرهم في الآخرة؛ لأنهم شاقُّوا اللَّهَ ورسولَه، فموقفُهم فيه تبجُّحٌ قبيحٌ حين تقفُ المخاليقُ الضئيلةُ الهزيلةُ تتعرَّضُ لغضبِ اللَّهِ وعِقابه وهو شديدُ العقاب.

وهكذا تستقر في القلوب حقيقةُ مصائرِ المشاقِّين للَّه ورسوله في كلِّ أرضٍ وفي كلِّ وقت.

* بنو قريظة ـ لعنهم اللَّه ـ الخائنون لعهدهم مع رسول اللَّه ﷺ:

كان يهودُ بني قريظة إلبًا علىٰ المسلمين مع المشركين، بتحريضٍ من زعماءِ بني النضير، وحُيَيُّ بنُ أخطب علىٰ رأسهم، وكان نَقضُ بني قريظةَ لعهدهم مع رسول اللَّه ﷺ في هذا الظرف أشقَّ علىٰ المسلمين من هجومِ الأحزاب من خارجِ المدينة.. ولذلك قصةٌ نَقُصُّها: قد كان للمسلمين حِلفٌ

مع بني قريظة قبل مَجيءِ الأحزاب، ولكنهم غَدَروا بالمسلمين، وقد كانوا خَلْفَهم، وقَوَّاهم علىٰ ذلك شيطانُ بني النضير حُيَيُّ بنُ أخطب.

◘ ذَهَب شيطانُ خيبر ـ حُيَيُّ بنُ أخطب ـ إلىٰ حِصنِ بني قريظةَ قائلاً: «ويحكَ يا كعبُ، افتحْ لي، فقال له كعبٌ ـ وقد تَمنَّع ـ: يا حُيي، إنك امرؤٌ مشؤوم، وإني عاهدتُ محمداً، فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلاَّ وفاءً وصِدقًا، فقال له حييٌّ: ويحك، افتحْ لي أُكلِّمْك، فقال: ما أنا بفاعل، فغاظَ ذلك حُييًا، فقال لكعب: واللَّهِ ما أغلقتَ دوني إلاَّ تخوُّفًا علىٰ حَشيشتك[1] أن آكُلَ معك منها، فخَجِل منه كعبٌ، ففتح له.

فقال له حييٌّ: جئتُك بعزِّ الدهر، جئتُك بقريشٍ حتىٰ بجمع الأسيال، وبغطفان حتىٰ أنزلتهم بجانبِ «أُحُد»، قد عاهدوني وعاقدوني أنْ لا يَبْرَحوا حتىٰ يستأصِلوا محمداً ومَن معه، فقال له كعبٌ: جئتَني واللَّهِ بذُلِّ الدهر وكلِّ ما يُخْشىٰ، فإني لم أرَ في محمدٍ إلاَّ صدقًا ووفاءً، جئتَني ـ يا حيي ـ بجهامٍ قد هَراق ماؤه، فهو يَرْعَدُ وَيبرُق ليس فيه شيء[2].

ثم أردف كعبٌ قائلاً: ويحَك يا حيي، فدَعْني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمدٍ إلاَّ صدقًا ووفاءً، وما زال به حييٌّ وبقومه، يَفْتِلُ في الذِّروةِ والغارب، حتىٰ أجابوه إلىٰ ما طَلب، فوافَقوا علىٰ نَقضِ العهد، والغَدْرِ بالمسلمين، والانضمامِ إلىٰ جيش الأحزاب، ولم يَشُـذَّ إلاَّ الزعيـمُ القَرَظيُّ ـ عمرُو بنُ سُعدَىٰ ـ وقال: واللَّهِ لا أغدرُ بمحمدٍ أبدًا. . وَبقِيَ علىٰ عهدِه،

---

(١) البُرُّ يُطحن غليظًا.

(٢) يعني بذلك كعب أن جيوش الأحزاب علىٰ كثرتها؛ ليست إلاّ كالسحاب العظيم؛ الذي تَصُكُّ رعودُه الآذان، ويَخطِفُ برقُه الأبصار، وليس فيه قطرة ماء.

وساندَه في موقفِه النبيلِ هذا ثلاثةٌ من اليهود وهم: ثعلبةُ، وأُسيد ـ ابنا سَعْيه ـ وأسدُ بنُ عبيد، وأخذ كعبُ بنُ أسد الصحيفةَ ومَزَّقها.

غدروا برسول اللَّه ﷺ وجيوشُ الأحزاب تُوشِكُ الفَتْكَ بالمدينة، وبَلَغتِ القلوبُ الحناجر.

أوفَدَ إليهم النبيُّ ﷺ وفداً من الأنصار، على رأسه سعدُ بن معاذ، وسعدُ بن عبادة، فقالوا للوفد ـ وقد تملَّكهم الغرورُ ـ: الآن جئتُم تطلبون منا الوفاءَ بالعهد الذي بيننا وبين محمد، وهو الذي كَسَر جَناحنا، وأخرج إخوانَنا بني النضير، اذهبوا، لا عهدَ بيننا وبين محمد ولا عَقْدَ، مَن هو رسولُ اللَّه هذا؟! فغضب سيِّدُ الخزرج، وأخذ يُشاتِمُ اليهودَ، فشاتموه، وأغضبوه كثيراً.

غيرَ أن سيِّدَ الأوسِ سعدَ بن معاذ ـ وهو حليفُ هؤلاء اليهود ـ قد دخل في الأمر، وقال لسعدِ بن عبادة: دعْ عنك مُشاتَمَتَهم، فما بيننا وبينهم أربىٰ من المشاتمة، وأقبل عليهم ناصحًا ومحذِّرًا: إنكم قد علِمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا أخافُ عليكم مِثلَ يومِ بني النضير أو أَمَرَّ منه، فقالوا لسعدٍ: أكلتَ أَيْرَ أبيك، فقال لهم سعدٌ ـ وكان حليمًا ـ: غيرَ هذا من القول كان أجملَ بكم وأحسنَ يا بني قريظة.. فتمادىٰ بنو قريظة في غيِّهم، وصاروا ينالون من النبيِّ ﷺ ويقَعون فيه، وهنا يئس سعدُ بنُ معاذ من عَودةِ حلفائه إلىٰ جادَّةِ الصواب، فعاد الوفدُ يحمِلُ إلىٰ النبي ﷺ بواسطةِ كلمةِ سرٍّ: «عَضَل والقارَة»، أن القوم قد غدروا، دون أن يعلمَ أحدٌ مِن المعسكر هذا الخبرَ المزعجَ.

وحين أخزىٰ اللَّهُ الأحزابَ، أتىٰ وقتُ حسابِ بني قريظة:

◘ عن عائشة ﵂ قالت: «لَمَّا رَجع النبيُّ ﷺ من الخندق ووَضَع السلاحَ واغتَسَل، أتاه جبريلُ ﵇، فقال: قد وضعتَ السلاح! واللَّهِ ما وضعناه، فاخرجْ إليهم. قال: «فإلىٰ أين»؟ قال: ها هنا ـ وأشار إلىٰ قريظة ـ، فخرج النبي ﷺ إليهم»[1].

وكان توجُّهُ النبي ﷺ إليهم لسبعٍ بَقِينَ من ذي القَعدة، وأنه خرج إليهم في ثلاثةِ آلاف[2].

◘ وعن أنسٍ ﵁ قال: «كأني أنظر إلىٰ الغُبار ساطعًا[3] في زُقاقِ بني غَنْم، مَوْكب جبريل حين سار رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ بني قرِيظة»[4].

◘ وعن عُبيدِاللَّه بنِ كعب: «أن رسول اللَّه ﷺ لَمَّا رجع من طَلَبِ الأحزاب وجَمَع عليه اللأْمَةَ واغتسل واستجمر، تَبدَّىٰ له جبريلُ، فقال: عذيرك من مُحارب، فوثب فَزِعًا، فعَزَم على الناس ألاَّ يُصلُّوا العصرَ حتىٰ يأتوا بني قريظة، فلَبِسَ الناسُ السلاحَ، فلم يأتوا بني قريظة حتىٰ غربتِ الشمسُ، قال: فاختصموا عند غروب الشمس، فصلَّتْ طائفةٌ العصرَ، وتركتها طائفةٌ، وقالت: إنا في عَزْمة رسول اللَّه ﷺ، فليس علينا إثمٌ، فلم يُعنِّف واحدًا من الفريقين»[5].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلىٰ بني قريظة حديث (٤١١٧).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٧١).

(٣) ساطعًا: مرتفعًا.

(٤) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠) «فتح» حديث رقم (٤١١٨).

(٥) أخرجه الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن عبيدالله بن كعب، وأخرجه الطبراني =

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يُصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلاَّ في بني قريظة»، فأدرك بعضُهم العصرَ في الطريق، فقال بعضُهم: لا نُصلِّي حتىٰ نأتيَهم، وقال بعضُهم: بل نُصلِّي، لم يُرِدْ منَّا ذلك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعنِّف واحداً منهم»[1] .

● وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «.. فلمَّا رَجَع رسولُ اللَّه ﷺ من الخندق وَضع السلاحَ واغتسل، فأتاه جبريلُ عليه السلام وهو يَنفُضُ رأسَه من الغُبار، فقال: وقد وضعتَ السلاح! واللَّهِ ما وَضَعتُه، اخرجْ إليهم. قال النبي ﷺ: «فأين؟»، فأشار إلىٰ بني قريظة. فأتاهم رسولُ اللَّه ﷺ فنزلوا علىٰ حُكمِه، فردَّ الحُكمَ إلىٰ سعدٍ. قال: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَلَ المقاتِلةُ، وأن تُسبىٰ النساءُ والذُّرِّيةُ، وأن تُقَسَّم أموالُهم..»[2] .

▫ وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: نزل أهلُ قريظةَ علىٰ حُكمِ سعدِ ابنِ معاذ، فأرسل النبيُّ ﷺ إلىٰ سعد، فأتىٰ علىٰ حمارٍ، فلما دَنا من المسجد قال للأنصار: «قوموا إلى سيِّدكم ـ أو خَيركم ـ»، فقال: «هؤلاء نَزلوا على حُكمك»، فقال: تُقتَل مُقاتِلتُهم، وتُسبىٰ ذَراريُّهم. قال: «قَضَيتَ بحكمِ اللَّه».. وربما قال: «بحُكم المَلِك»[3] .

▫ ولقد نَصَح عمرُو بنُ سُعدىٰ ـ وهو من كبارِ زعماء بني قريظة ـ

= موصولاً بذكر كعب بن مالك، قاله الحافظ في «فتح الباري» (٧/ ٤٧٢).

(١) رواه البخاري بلفظ «العصر» (٤١١٩)، ومسلم، وأبو يعلىٰ، وابن سعد، وابن حبان. بلفظ «الظهر»، وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» بلفظ «العصر»، اتفق أصحاب المغازي علىٰ أنها العصر.

(٢) رواه البخاري (٤١٢٢).

(٣) رواه البخاري (٤١٢١).

قومَه، وأنَّبهم ووبَّخهم على نقضِهم العهدَ الذي بينهم وبين المسلمين، ونَصَحهم: «يا بني قريظة، لقد رأيتُ عِبرًا، رأيتُ دارَ إخوانِنا خاليةً بعد العزِّ والشرفِ والرأسِ الفاضل، تركوا أموالَهم قد تَملَّكها غيرُهم، وخَرَجوا خُروجَ ذُلٍّ».

◻ ثم أكَّد لهم ـ كعالمٍ من علماء التوراة ـ أنه لا يُعادِي أحدٌ محمداً ﷺ إلاَّ كان مصيرُه الخُسران، فقال: «لا والتوراة، ما سُلِّط هذا[1] على قومٍ قطُّ وللَّهِ بهم حاجةٌ، وقد أوقع ببني قينقاع، وكانوا أهلَ عُدَّةٍ وسلاحٍ ونخوة، فلم يُخرِجْ أحدٌ منهم رأسَه حتى سباهم، فكُلِّم فيهم فتركهم على إجلائِهم من يثرب».

◻ ثم دعا عمرو بن سُعْدى قومَه إلى الدخول في الإسلام، ليحقِنوا دماءَهم، ويتَّبعوا الحق، قائلاً: «يا قوم، قد رأيتُم ما رأيتم، فأطيعوني، وتعالَوا نتَّبعْ محمداً، فواللَّهِ إنكم لَتعلمون أنه نبي، وقد بَشَّرَنا به علماؤنا».

◻ ثم لا زال ابنُ سُعدى يخوِّفهم بالحربِ والسَّبي، وأقبل على سيِّدهم كعبِ بنِ أسد، وقال له: «والتوراةِ التي أُنزلت على موسى عليه السلام يومَ طورِ سيناء، إنه العزُّ والشرف في الدنيا».

◻ وبينما عمرُو بن سعْدَى يتحدَّثُ إلى قومه في ذلك الاجتماع، إذا بطلائع الجيش النبويِّ تظهرُ عليهم زَاحفةً نحو حُصونهم، وهنا قَطَع الزعيمُ اليهوديُّ ابنُ سعدى حديثه قائلاً: «هذا الذي قلتُ لكم».

◻ ومع هذا فقد رفض بنو قريظة نصيحةَ عمرِو بنِ سُعدى ـ الذي دعاهم إلى الدخول في الإسلام ـ، فتقدَّم إليهم بمحاولةٍ أخيرة، باقتراحٍ

---

(١) يعني: النبي ﷺ.

آخر، فقال لهم: «لقد خالفتم محمدًا، ولم أُشرِكْكم في غَدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه في دينه، فاثْبتوا على اليهودية، وأعطُوا الجزيةَ، فواللّهِ، ما أدري أيقبلُها منكم أم لا؟»، ولكنهم رفضوا أيضًا هذا الاقتراح؛ حيث كان جوابُهم ـ والغرور لَمَّا يزل يشحن رؤوسهم ـ: «نحن لا نُقِرُّ للعرب بخَراجٍ في رقابنا يأخذونه، القتلُ خير من ذلك».

وهنا أعلن عمرو بن سعدىٰ مفارقتَه لقومه، وخرج من حصون قومه بني قريظة، بعد أن طوَّقها الجيشُ الإسلاميُّ من كلِّ مكان، وكان خروجُه ليلاً.

وعندما خرج هذا الزعيمُ اليهودي من حصون قومه، مفارقًا لهم ـ وكان خروجه ليلاً ـ التقىٰ به رجالُ الحَرَس النبوي، الذين كانوا يقومون بأعمال الدورية: فأتَوا به إلىٰ قائدِهم محمدِ بنِ مَسْلَمةَ الأنصاري.

◻ قال ابن إسحاق: «خرج عمرُو بنُ سُعدىٰ القُرظيُّ، فمر بحَرَسِ رسول اللّه ﷺ وعليه محمدُ بنُ مسلمةَ الأنصاريُّ تلك الليلة، فلم رآه ابنُ مسلمة استوقفه قائلاً: مَن هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدىٰ ـ وكان عمرو قد أبىٰ أن يدخلَ مع بني قريظة في غَدْرهم برسول اللّه ﷺ وقال: لا أغدرُ بمحمدٍ أبدًا ـ. فقال ابنُ مسلمة ـ حين عرف أنه ابن سعدىٰ ـ: اللّهم لا تَحرمْني إقالةَ عثراتِ الكرام، ثم خَلَّىٰ سبيله، فخرج علىٰ وجهه حتىٰ بات ـ مستأمَنًا ـ في مسجد رسول اللّه ﷺ تلك الليلةَ بالمدينة، ثم خرج فلم يُدْرَ أين توجَّه من الأرض».

● ولقد وصف النبي ﷺ عمرو بن سعدىٰ بالوفاءِ، وذلك أنه لَمَّا ذُكرت له قِصةُ إلقاءِ الحرس القبضَ عليه، ثم إخلاءِ محمدِ بنِ مسلمةَ

سبيله، قال: «ذلك رجلٌ نجّاه اللَّه بوفائه»[1] .

□ أما يهودُ بني قريظة، فإنهم لَمَّا نظروا إلىٰ طلائعِ الجيش النبويِّ تتقدم ـ بقيادةِ عليٍّ بن أبي طالب ـ فاضت نفوسُهم الشريرةُ ببعض ما تختزِنُه من خُبثٍ ودناءةٍ ووَضاعة، وأَسْمَعوا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّه ﷺ في نبيِّ اللَّه ﷺ ونسائِه الطاهراتِ الطيباتِ من السبِّ والشتم والقذف، ما لم يَسْمَحْ أحدٌ من المؤرِّخين لنفسه أن يُوردَ نصَّه؛ لفظاعته وبشاعته، وكلُّ الجواب الذي سَمِعوه من عليٍّ: «السيفُ بيننا وبينكم»، وأشفق عليٌّ ـ وهو أولُ مَن سَبَق باللواء إلىٰ بني قريظة ـ مِن أن يَسمعَ الرسولُ ﷺ في نفسه وفي نسائه ذلك السبَّ القبيح.

وأناب عليٌّ في حَملِ اللواء أبا قتادةَ الأنصاري، وانطلق مسرِعًا نحو رسول اللَّه ﷺ، واستوقفه عَلَىٰ بُعدٍ من حصون اليهود، وطلب منه أن يقفَ بعيدًا عن هذه الحصون؛ لئلاَّ يتأذَّىٰ بسماع ما فاه به اليهودُ من سبٍّ وقذف، فقال عليٌّ: لا عليك يا رسول اللَّه أن تدنوَ من هؤلاء الأخابث، فقال النبي ﷺ: «لعلَّك سمعتَ منهم فيَّ أذًى؟» قال: نعم يا رسول اللَّه، فقال ﷺ: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئًا».

ثم واصل الرسولُ القائدُ ﷺ تقدُّمَه نحوَ حصونِ اليهود، حتىٰ إذا دنا من حصونِ قريظةَ الغادرة، نادىٰ نَفَرًا من قادتهم، فلمَّا ظَهروا في أبراج حصونهم قال لهم: «يا إخوانَ القردة وعَبَدَةَ الطاغوت، هل أخزاكم اللَّه، لأُنزِلَ بكم نقمتَه؟!»، وهنا أُسقط في أيدي اليهود، فأنكروا أن يكونوا

---

(١) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» لبشاميل، و«البداية والنهاية».

شَتَموه ونساءَه، وانطلقوا يَحلِفون كذبًا، أنهم ما فاهوا بشيءٍ مما بلَغه بهذا الشأن، ثم اندفعوا في لُيونةِ الأفاعي يُسمِعون رسولَ اللَّه ﷺ من لَيِّن القول، وطَيِّبِ الكلام، وجميلِ الإطراء، ما ظنوا أنه سيُساهم في تخفيفِ عقوبةِ خيانتهم العظمىٰ، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنتَ جهولاً.

واشتدَّ حصارُ المسلمين لليهود، وطلبوا المفاوضةَ والسماحَ لهم بالخروج من يثربَ مع نسائهم وذراريِّهم، وما تَقْدِرُ الإبلُ علىٰ حَمْله من متاع ـ سوىٰ السلاح ـ علىٰ أن يتركوا بقيةَ كلٍّ ما يملكون في يثربَ للمسلمين. . ورُفض طلبهم.

وحاصَرَهم المسلمون خمْسَ عشْرَةَ ليلةً ـ كما يقول ابن سعد ـ أو خمساً وعشرين ليلةً ـ كما يقول ابن إسحاق ـ: حاصرهم خمساً وعشرين ليلةً حتىٰ أجهَدَهم الحصارُ، وقُذف في قلوبهم الرعب، فعَرض عليهم رئيسُهم كعبُ ابنُ أسد أن يؤمِنوا، أو يَقتلوا نساءَهم وأبناءَهم ويخرجوا مستقتلين، أو يُبيِّتوا المسلمين ليلة السبت. فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحلُّ ليلةَ السبت، وأيُّ عيشٍ لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟!.

وقَرَّر الصحابةُ اقتحامَ حصونِ اليهود، مهما كان الثمن، وصاح عليُّ ابن أبي طالب حاملُ لواء الجيش، وابنُ عمِّه الزبيرُ بنُ العوام، صاح: واللَّهِ «لأذوقَنَّ ما ذاقَ حمزةُ، ولأفتَحَنَّ حِصنَهم».

ولما سمع اليهودُ هذا الإنذارَ من حاملِ لواءِ الجيش عليِّ بن أبي طالب ﷺ، وأيقنوا أن الهجومَ علىٰ حصونهم أمرٌ لا مفرَّ منه، طلبوا إيقافَ الهجوم، وأعلنوا الاستسلام والنزولَ علىٰ حكم الرسول ﷺ دونما قيدٍ أو شرط.

وسارع اليهودُ إلىٰ فتح أبواب معاقلِهم وحُصونهم فوراً، بعد أن ألقَوا سلاحَهم، وأخذوا في مغادرة الحصنِ مستسلمين، وأمر النبيُّ ﷺ باعتقالِ الرجال ووَضْعِ القيود في أيديهم، وقد تم ذلك تحتَ إشرافِ محمدِ بنِ مَسْلمة ـ قائدِ الحرسِ النبوي ـ، وقد حَبس الرجال من بني قريظة، وعددهم حوالَي ثمانمئةِ مُقاتِلٍ في دارِ أسامةَ بنِ زيد[1]، وذكر ابنُ إسحاقَ أنهم حُبِسوا في دار بنتِ الحارث، وفي رواية عُروة: في دارِ أسامة بن زيد، ويُجمَع بينهما بأنهم جُعِلوا في بيتْين[2].

وعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستِّمئة، وبه جزَم أبو عمر في ترجمة «سعد بن معاذ»، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حِبَّانَ بإسنادٍ صحيحَ أنهم كانوا أرْبَعَمئةِ مُقاتِل، فيَحتمل في طريق الجمع أن يُقال: إن الباقين كانوا أتباعًا، وقد حكىٰ ابنُ إسحاقَ أنه قيل: إنهم كانوا تِسْعَمئة[3] أمَّا النساء والأطفال؛ فقد رأىٰ النبيُّ ﷺ بعد أن أَوْكَلَ أمرَهم إلىٰ عبدالله بن سَلاَم، أن يُحفظوا في مكانٍ ليس فيه صِفةُ الحبس والتضييق، وأُنزلوا دارَ الضيافة؛ وهي دارُ ابنةِ الحارث النجَّارية المُعدَّة لنزول الوفود التي تقصِدُ المدينة، وكان عددُ هؤلاء النساء والذراريِّ يناهزُ الألف.

وشَفَع الأوسُ لحلفائهم يهودِ بني قريظة عند رسول الله ﷺ، ففوَّض أمرَ هؤلاء اليهود إلىٰ سيِّد الأوس سعد بن معاذ، قال رسول الله ﷺ: «ألا

(١) «الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٢٧).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٧٨).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٤٧٨).

تَرضَون ـ يا معشرَ الأوس ـ أن يحكمَ فيهم رجلٌ منكم؟». قالوا: بلىٰ، قال: «فذاك سعدُ بن معاذ».

ورویٰ الإمام أحمد في «مسنده» عن جابر بن عبداللَّه ﷺ أنه قال: «رُمي سعدُ بن معاذ، فقطعوا أكْحَلَه، فحَسَمه رسولُ اللَّه ﷺ بالنار، فانتفخت يدُه، فحَسَمه أخرىٰ فانتفخت يدُه فنزف، فلما رأىٰ ذلك قال: اللَّهم لا تُخرجْ نَفْسي حتىٰ تُقِرَّ عيني من بني قريظة. . فاستَمْسَك عِرقُه فما قَطَر، حتىٰ نزلوا علىٰ حُكمِ سعد، فحَكَم أن تُقتلَ رجالُهم، وتُسَبىٰ نساؤهم وذراريُّهم، فلما فَرغ منهم انفتق عِرقُه فمات.

رضي اليهودُ، ونزلوا علىٰ حُكم اللَّهِ أولاً، ثم علىٰ حُكم سعدِ بنِ معاذٍ ثانيًا، لَمَّا قال لهم: أترضون بحُكمي، قالوا: نعم، قال سعد: فإني أحكمُ فيهم أن تُقتَلَ المقاتلة، وتُسبىٰ النساءُ والذرية، وأن تُقسَمَ أموالُهم.

فأخذهم من الغمِّ ما أخذَهم، وصُعق اليهودُ لهذا الحُكم الصارم، وعلاهم الذهول، وخَيَّم عليهمُ الوجوم.

وأُمر بحَفرِ خنادقَ عميقةٍ في سوق المدينة، وأمر رسول اللَّه ﷺ بإحضارِ الرجال المحكومِ عليهم، وأمَرَ بإعدامهم، فأُعدموا دَفْعةً بعد دفعة، حتىٰ لم يبْقَ منهم أحدٌ، وكان الصحابةُ كلَّما تَمَّ إعدامُ دفعةٍ من هؤلاء اليهود قُذفوا في الخنادق، ووارَوهم بالتراب.

واختلف المؤرِّخون في عدد اليهود الذين تَمَّ إعدامُهم، فالبعض يقول: إنهم ما بين ستِّمئة إلىٰ سَبْعمِئة، والبعضُ الآخر يقول: إنهم ما بين الثمانمئة إلىٰ التِّسْعمئة.

ولقد أُعدم هؤلاء اليهودُ في ليلةٍ واحدة، وجرَت عمليةُ الإعدام علىٰ

ضَوءِ مشاعلِ سَعَفِ النخيل[١] ، وتولَّىٰ عمليةَ قتلِ اليهود الْخَوَنَةِ عليٌّ بنُ أبي طالب، والزبيرُ بنُ العوام، وكان بنو قريظةَ المحتَجَزون في السِّجن مع سيِّدهم كعبِ بنِ أسد، كلما استدعىٰ الحرسُ جماعةً منهم لإعدامهم، لاذُوا بسيِّدهم كعبٍ يسألونه في جزعٍ وارتباك: «ما تراه يُصنع بنا؟ فيجيبهم: أفي كلِّ موطنٍ لا تعقِلون؟! هو اللَّهِ القتلُ».

فكان جزاؤهم من جنسِ ما أرادوا للمسلمين.

وأبىٰ اللَّهُ إلاَّ أن يَصِلوا هم إلىٰ النهاية المريبة، التي أرادوا للمسلمين الوصولَ إليها، ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وهنا أمرٌ آخر: أن الحكم الذي أصدره سعدُ بنُ معاذ علىٰ يهودِ بني قريظة، وأقرَّه النبيُّ ﷺ وقام بتنفيذه، قد جاء تمامًا وِفقَ الشريعةِ المُوسَوِيةِ عند اليهود أنفسِهم، كما في التوراة عندهم، فقد نصَّ «الإصحاح العشرون» من «سِفْر التثنية»: «وإن تُسالِمك أيُّ قرية، بل حارَبَتك فحاصِرْها، وإذا دَفَعَها الربُّ إلهُك إلىٰ يَدِك، فاضربْ جميعَ ذكورِهم بحدِّ السيف، وأما النساءُ والأطفالُ والبهائمُ وكلُّ ما في المدينة كلُّ غنيمتها، فتَغتنِمُها لنفسك، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك»[٢].

وهذا النصُّ الصريحُ في كتابِ اليهود المقدَّس، يجعل هؤلاء يَرَون أنَّ مِن حقِّهم تنفيذَ حُكمِ الإعدام فيمَن وَقع في أيديهم من أعدائهم الرجال،

(١) «السيرة الحلبية» (٢/ ١٢٠).

(٢) «سفر التثنية» (٢٠/ ١٣ ـ ١٤).

وسَبْيَ نسائهم وذراريِّهم، ومصادرةَ كلِّ ممتلكاتهم، وهذا يعني أن اليهودَ لو نَجحوا في مؤامرتهم، وتم لهم ولأحلافِهم التغلُّبُ على المسلمين، لَمَا تردَّدوا لحظةً في إبادةِ المُحارِبين منهم، وسَبْيِ نسائهم وذراريِّهم، ومصادرةِ أموالِهم تمشيًا مع حُكمِ كتابهم المقدس، الذي جاء صريحًا في «سِفْر التثنية».

وهكذا جاءت العقوبةُ التي أنزلها المسلمون باليهود، هي نَفسُ العقوبةِ التي كان هؤلاء اليهودُ يَنوُون إنزالَها بالمسلمين، لو وَقعوا في أيديهم.

فالحكمُ النازل باليهود إنما جاء وِفقًا لشريعتهم، فهو إذًا جزاءٌ وفاقٌ[1].

* وصَدَق اللَّهُ إذ يقول: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦ـ٢٧].

*** شيطان اليهود حُيَيُّ بن أخطب ـ لعنه الله ـ:**

إذا تَجَمَّع خُبْثُ اليهود ودَنَسُهم وخِسَّتُهم وكَيدُهم ومكرُهم في شخصٍ أو شيطانٍ من شياطينِ الإنس، لكان هو حُيَيُّ بن أخطب.. فهو عدوُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ.. وله من ذلك بين يهود موقعُ الصَّدَارة.

◻ كان حُيَيُّ بنُ أخطَبَ على رأسِ الشياطين اليهود الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول اللَّه ﷺ وهم: سَلاَّمُ بنُ أبي الحُقيق النَّضْري، وكنانةُ ابنُ أبي الحُقيق النَّضري، وهَوذةُ بنُ قيس الوائليُّ، وأبو عُمَّارٍ الوائليُّ.. خَرَجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدَعَوهم إلى حربِ رسولِ اللَّه ﷺ

(١) «موسوعة الغزوات الكبرى» «بنو قريظة» (١٥٢، ٢٤٦، ١٦٤، ١٩٩، ٢٠٠).

وقالوا: إنا سنكونُ معكم عليه حتىٰ نستأصِلَه، فقالت لهم قريشٌ: يا معشر يهود، إنكم أهلُ الكتاب الأول والعلمِ بما أصبحنا نختلفُ فيه نحن ومحمدٌ، أفدينُنا خيرٌ أم دِينُه؟ قالوا: بل دينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولىٰ بالحقِّ منه، فهم الذين أنزل اللَّه تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٥]. فلما قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونَشِطوا لِمَا دَعَوهم إليه من حَرب رسول اللَّه ﷺ.

◻ ثم خرج هذا الشيطانُ حُيَيٌّ في أولئك النفر من يهود، حتىٰ جاؤوا غَطَفانَ ـ من قَيسِ عَيْلان ـ فدَعَوهم إلىٰ حرب رسول اللَّه ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم علىٰ ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

◻ وخَرج عدوُّ اللَّه حيَيُّ بنُ أخطبَ حتىٰ أتىٰ كعبَ بنَ أسدٍ القُرَظِي ـ صاحبَ عَقدِ بني قريظة وعَهدِهم مع رسول اللَّه ﷺ ـ، فلم يَزَلْ حيَيٌّ بكعبٍ يَفتِلُه في الذِّروةِ والغارب[1] حتىٰ نَقَض كعبُ بنُ أسدٍ عهدَه مع رسول اللَّه ﷺ.

◻ وأيُّ موقفٍ خانت فيه يهودُ رسولَ اللَّه ﷺ أو حاولت خداعَه والغَدْرَ به، كان علىٰ رأسهم حُيَيٌّ الذي كان يَعلمُ صِدْقَ رسول اللَّه ﷺ

(١) أي: ما زال يروّضه ويخاتله.

ونُبوَّته حتىٰ مكَّن اللَّهُ مِن رقبته.

⧈ وأراح اللَّهُ المسلمين من شَرِّه، فقد أصاب ما أصابَ بني قريظة لأنه كان معهم في حصونهم، وشَمِله حكمُ سعدِ بن معاذ ﷺ، فقُتل هو ومقاتِلةُ بني قريظة.. وذهب إلىٰ مَزبلة التاريخ.. وبَرِئت منه ابنتُه صفيةُ بنتُ حُييٍّ التي صارت أمًّا للمؤمنين.. وللَّه درٌّ من قال عن اليهود:

هم قومُ البُهت ويا طيري	ذي قوله حبر الإيمـانِ[1]
وصفيَّـــــة أمُّ الأبــرارِ	هارون وموسى عمرانِ
بُرآءُ منهـــم هُمْ منَّـــا	صاحوا: يا حكمَ القرآنِ
يَذْرون الدَّمْـــعَ لغيبته	ولغيبة سـعد الفرسـانِ
سعدُ بنُ معـــاذ تعرِفُهُ	واهتزَّ سـريرُ الرحمنِ[2]

* **مَلِكُ خَيْبَر أبو رافع سلاَّم بن أبي الحقيق ـ لعنه اللَّه ـ:**

كان سَلاَّمُ بن أبي الحُقَيْق من يهود بني النَّضير ومِن أحبار اليهود الذي ناصَبوا رسول اللَّه ﷺ العداوة من أول يوم، وهو من أحبارِ يهود الذين نزل فيهم القرآنُ لحِقدهم علىٰ رسول اللَّه ﷺ، ولكونهم كانوا يتعنَّتونه[3]، ولكذبهم وزورهم وقولهم: «إنَّ دينَ قريشٍ خيرٌ من الإسلام»[4].

⧈ وحين حاصَرَ النبيُّ ﷺ بني النضير وأجلاهم عن المدينة، كان

(١) عبداللَّه بن سلام زعيم اليهود الذي أسلم ﷺ.

(٢) هذه منقبة لسعد بن معاذ ﷺ عند موته.

(٣) أي: يشقُّون عليه، ويحاولون إنزال العَنَت به.

(٤) انظر «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٣، ١٣٤، ٢/ ١٩٠).

سَلاَّمٌ يُهدِّدُ المسلمين قائلاً: «إنَّ حلفائي بِخَيْبرَ لَعشرةُ آلافِ مقاتِل»، فبَلَغ رسولَ اللَّه ﷺ قولُه، فتبسَّم[1]، ثم دارت الدائرةُ على بني النضِيْر، فاستسلموا للمسلمين.

وكان سلاَّمٌ من التُّجار الكبارِ الذين يتعاطَون الربا، وكان له على أُسَيْدِ ابنِ حُضَير عشرون ومئةُ دينارٍ إلى سَنَة، فلما أجلاهم النبيُّ ﷺ صالَحه سَلاَّمٌ على أخذِ رأسِ مالِه ثمانين ديناراً، وأبطَلَ ما فَضَل[2]، وصَنَع يهودُ المرابون صَنيعَه مُكْرَهين.

وأعطى النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ مُعَاذ سيفَ سلاَّمِ بنِ أبي الحُقَيْق، وكان سيفًا له ذِكرٌ عندهم[3]، وكان من جُملة غنائمِ بني النضِيْر.

وكان سلاَّمٌ وحيِيُّ بنُ أخطبَ على رأس مَن حَزَّبوا الأحزاب من قريش وغَطَفان لحرب رسول اللَّه ﷺ.

◻ عن عروة: «أنه كان ممَّن أعَان غَطَفانَ وغيرَهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ»[4].

وكانت غزوةُ الخندق ثمرةً من ثمرات حِقده وكيدِه الدائب للإسلام هو وحُيَيُّ بن أخطب.

ولسلاَّمٍ أخَوانِ مشهورانِ من أهل خيبر: أحدهما كِنانةُ ـ وكان زوجَ صفيةَ بنتِ حييٍّ قبل النبي ﷺ ـ، وأخوه الرَّبيع بن أبي الحُقيق، وقتلهما

---

(١) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٤).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٨).

النبيُّ ﷺ جميعًا بعد فتح خيبر(١) .

لقد كان سلاَّمُ بنُ أبي الحُقَيْق من أخطرِ أعداءِ النبي ﷺ والإسلام والمسلمين، وكان لابدَّ من وضع حدٍّ لنشاطِه المخرِّب، فقد كان لا يُريحُ ولا يَسْتَريح، ولكنَّ القضاءَ عليه لم يكن سهلاً ميسوراً، وبخاصةٍ وهو في حِصْنه الحصين، بين أهله وذَوِيه الأقوياء، في وَسَطِ خَيْبرَ المُحصَّنَةِ ذاتَ الحصون والقلاع، التي يحميها عشرةُ آلاف مقاتل(٢) ، والتي تستطيعُ إرسالَ ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ فوراً(٣) ، فلابدَّ من أن يوكِّلَ أمرَه إلى بَطلٍ مقدام، وكان هذا البطل هو عبدُاللَّه بن عَتِيك.

□ قال ابنُ إسحاق: «لما قَتلت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف استأذنت الخزرجُ رسولَ رسول اللَّه ﷺ في قَتلِ سَلاَّمِ بنِ أبي الحُقيق وهو بخيبر، فأَذِن لهم، قال: فحدَّثني الزُّهريُّ عن عبداللَّه بن كعبِ بنِ مالك قال: كان ممَّا صنَع اللَّهُ لرسوله أن الأوسَ والخزرجَ كانا يتصاولانِ تصاوُلَ الفَحْلَيْن، لا تَصنعُ الأوسُ شيئًا إلاَّ قالت الخزرجُ: واللَّهِ لا تذهبون بهذه فضلاً علينا ـ وكذلك الأوس ـ، فلمَّا أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف تذاكرت الخزرجُ: مَن رجلٌ له من العداوة لرسول اللَّه ﷺ كما كان لكعب؟ فذكروا ابنَ أبي الحقيق وهو بخيبر»(٤) .

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٧).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٣).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٩٣).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٣٩٧).

*** سَرِيَّةُ عبدِاللَّه بنِ عَتِيك لقَتلِ أبي رافع عبداللَّه[1] بن أبي الحُقيق، أو سَلاَّم ابنِ أبي الحقيق:**

كانت هذه السَّرِيةُ المباركة ـ كما قال ابن سعد[2] ـ في رمضانَ سنةَ سِتٍّ على الرأي الأرجح، وهي من أبطالِ الخزرج، وقائدُها هو عبداللَّه بن عَتِيك ابنِ قيسٍ الخَزْرجيُّ من بني غَنْم بن سلمة.

وبقيَّةُ أبطالِ السَّرِية هم:

عبداللَّه بن أُنيس الجُهَنيُّ حليفُ بني سلمة من الخزرج، وحليفُ بني سَوَاد بن سلمة على الأخصّ.

وعبدُاللَّه بن عتبة.

ومَسْعود بن سِنَان الأسلمي حليف بني سلمة.

وأبو قتادة الحارث بن رِبعي.

وخُزاعي بن أسود[3].

قال ابنُ حجر «فإنْ كان عبدُاللَّه بنُ عتبة محفوظًا[4] فقد كانوا ستةً.

وأكثرُ أصحاب المغازي والسِّيَر ـ وعلى رأسِهم إمامُهم محمدُ بن

---

(١) الذي سمّاه عبداللَّه هو عبداللَّه بن أنيس كما أخرجه الحاكم في «الإكليل» من حديثه مُطوَّلاً.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩١).

(٣) ويُقال أسود بن خزاعي أو أسود بن حرام انظر «فتح الباري» (٧/ ٣٩٨).

(٤) نصّ عليه البخاري في الحديث رقم (٤٠٤٠)، ولم يُذكر إلا في هذا الطريق، وزعم ابن الأثير في «جامع الأصول» أنه ابن عِنَبة ـ بكسر العين وفتح النون ـ، وهو غلط منه فإنه خولاني لا أنصاري، ومتأخرُ الإسلام لا مُتقدِّمه وهذه القصة مُتقدِّمة.. قاله ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٩٧).

إسحاقَ - يَرَون أن الفدائيِّين الخمسة أو السِّتة كلُّهم اشتركوا مع قائدِهم عبدِاللَّه ابن عَتيك في القضاء على الطاغيةِ اليهودي، وأن الذي أثبَتَ أبا رافع وقَضى عليه هو «عبدُاللَّه بن أُنيْس»، وكلُّ أصحابِ الكتب السِّتةِ والسير - ما عدا الإمام البخاري - يتَّفقون مع ابنِ إسحاق في رأيه، إلاَّ أن الإمامَ البخاريَّ يختلفُ مع أصحاب الكتب السِّتة وأصحابِ السِّير، فرَوىٰ أن قاتلَ أبي رافع هو قائدُ الفدائيين عبدُاللَّه بنُ عَتيك لا عبدُاللَّه بن أنيس[1].

□ عن البَرَاء بنِ عازب ﷺ قال: «بَعث رسولُ اللَّه ﷺ رَهْطًا إلىٰ أبي رافعٍ، فدخل عليه عبدُاللَّه بن عَتيكٍ بيتَه ليلاً وهو نائم فقتَلَه»[2].

□ وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «بعث رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار، فأَمَّرَ - عليهم عبدَاللَّه بن عَتِيك، وكان أبو رافعٍ يُؤْذي رسولَ اللَّه ويُعينُ عليه، وكان في حِصنٍ له بأرضِ الحجاز، فلمَّا دَنَوا منه وقد غَرَبَت الشمسُ وراحَ الناس بِسَرحِهم[3]، فقال عبداللَّه لأصحابه: اجلِسوا مَكانَكم، فإني مُنطَلِقٌ ومُتَلَطِّفٌ للبَوَّابِ لَعَلِّي أن أدخلَ، فأقبلَ حتىٰ دَنا من الباب، ثم تَقَنَّعَ[4] بثوبه كأنه يَقضي حاجةً - وقد دخلَ الناسُ -، فهتف به البوابُ: يا عبدَاللَّه، إن كُنتَ تريدُ أن تدخلَ فادخل، فإني أريدُ أن أغلقَ

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ - ٣١٦)، و«صلح الحديبية» لبشاميل (ص٨٧)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٣٩)، و«فتح الباري» (٥/ ٢١٠ - ٢١٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب قتل أبي رافع عبداللَّه بن أبي الحُقَيق، ويُقال سلاَّم بن أبي الحقيق كان بخيبر، ويقال في حصن له بأرض الحجاز (٧/ ٣٩٥ - فتح الباري) حديث رقم (٤٠٣٨).

(٣) راح الناس بسرحهم: أي رجعوا بمواشيهم التي ترعىٰ.

(٤) تقنَّع بثوبه: أي تغطَّىٰ به ليخفىٰ شخصه لئلا يُعرَف.

البابَ، فدخلتُ، فكَمُنْتُ[١]، فلما دخل الناسُ أَغلقَ البابَ ثم علّق الأغاليق على وَدٍّ[٢]. قال: فقمتُ إلى الأقاليد[٣] فأخذتُها ففتحتُ الباب، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده[٤]، وكان في عَلاليّ[٥] له، فلما ذهب عنه أهلُ سَمَرِهِ صَعِدتُ إليه، فجعلتُ كلما فَتحتُ بابًا أَغلقتُ عليَّ من داخلٍ، قلتُ: إن القوم إن نَذِرُوا[٦] بي لم يَخلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه، فانتهيتُ إليه، فإذا هو في بيتٍ مُظلِمٍ وَسَطَ عياله لا أدري أينَ هَو من البيت، فقلت: أبا رافع. قال: مَن هذا؟ فأهوَيْتُ نحوَ الصوت[٧] فأضربُه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ، فما أغنيتُ[٨] شيئًا، وصاحَ فخرجتُ من البيت، فأمكثُ غيرَ بعيدٍ، ثم دخلتُ إليه فقلتُ: ما هذا الصوتُ يا أبا رافع؟[٩] فقال: لأُمِّكَ الوَيلُ[١٠]،

---

(١) كمنت: أي: اختبأت.

(٢) الأغاليق: جمع غَلَق بفتح أوله: ما يغلق به الباب والمُراد بها المفاتيح.

كذا في رواية أبي ذر، وفي رواية غيره بالعين المهملة وهو المفتاح بلا إشكال. الوَدّ: بفتح الواو وتشديد الدال هو الوتد.

وفي رواية: «وضع مفتاح الحصن في كَوّة». والكَوّة بالفتح وقد تُضَمّ وقيل: بالفتح: غير النافذة، وبالضمّ: النافذة.

(٣) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.

(٤) يسمر عنده: أي: يتحدثون ليلاً.

(٥) علاليّ: جمع علية بتشديد التحتانية وهي الغرفة.

(٦) نذِروا بي: أي: علموا، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه.

(٧) أهويت نحو الصوت: أي قصدتُ نحو صاحب الصوت.

(٨) فما أغنيت شيئًا أيْ لم أقتله.

(٩، ١٠) في حديث عبدالله بن أنيس: «فقالت امرأته: يا أبا رافع هذا صوت عبدالله بن عتيك فقال: ثكلتك أمكِ وأين عبدالله بن عتيك؟». =

إنَّ رجلاً في البيت ضَرَبني قَبْلُ بالسيف. قال: فأضربُه ضربةً أثخنَتْهُ ولم أقتُله، ثم وضعتُ ضَبِيبَ[1] السيف في بطنه حتى أخذ في ظَهرِه؛ فَعَرفتُ أَني قَتلتُه، فجعلتُ أفتحُ الأبوابَ بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعتُ رجلي وأنا أُرى[2] أني قد انتهيتُ إلى الأرض، فوقعت في ليلةٍ مقمرة، فانكسرَتْ ساقي[3] فعَصَبْتها بعمامة، ثم انطلقتُ حتى جلستُ على الباب، فقلتُ: لا أخرجُ الليلةَ حتى أعلمَ أقتَلْتُه؟ فلما صاحَ الدِّيكُ قام الناعي عَلَى السُّور، فقال: أنعَى[4] أبا رافع تاجرَ أهلِ الحجاز، فانطلقتُ إلى أصحابي، فقلت: النَّجاءَ النجاءَ[5]، فقد قَتل اللَّهُ أبا رافع، فانتهيتُ إلى النبي ﷺ فحدَّثته، فقال لي: «ابسُطْ رِجْلَك»، فبسطتُ رِجلي، فمَسَحَهَا فكأني لم أشتكِها قط»[6].

= وفي رواية: «وغيَّرت صوتي كهيئة المستغيث فإذا هو مستلق على ظهره»، وفي رواية ابن إسحاق: «فصاحت امرأته فنوَّهت بنا، فجعلنا نرفع السيف عليها ثم نذكر نهي رسول اللَّه ﷺ عن قتل النساء فنكفُّ عنها.

(١) قال الخطابي: هكذا يُروى، وما أراه محفوظًا، وإنما هو «ظُبَة السيف» وهو حرف حد السيف ويُجمع على ظبات. قال: والضبيب لا معنى له هنا؛ لأنه سيلان الدم من الفم. قال عياض: هو في رواية أبي ذر بالصاد المهملة، وكذا ذكره الحربي وقال: أظنه طرفه. وفي رواية غير أبي ذر بالمعجمة وهو طرف السيف.

(٢) أُرى: أيْ أظن. وذكر ابن إسحاق في روايته أنه كان سيء البصر.

(٣) فانكسرت ساقي: وفي رواية: «فانخلعت رجلي عصبتها». ويجمع بينهما بأنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق.

(٤) أنعَى: بفتح العين، كذا ثبت في الروايات، قال ابن التين: هي لغة والمعروف أنعو، والنَّعي: خبر الموت، والاسم: الناعي.

(٥) النَّجاء: أي: أسرعوا.

(٦) رواه البخاري (٤٠٣٩).

❑ وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «بَعَثَ رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ أبي رافعٍ عبدَاللَّه بنَ عَتيك وعبدَاللَّه بن عُتبة في ناسٍ معهم، فانطلقوا حتىٰ دَنَوا مِن الحِصن، فقال لهم عبدُاللَّه بنُ عَتيك: امكثُوا أنتم حتىٰ أنطلق أنا فأنظر.. قال: فتلَطَّفْتُ أن أدخلَ الحِصنَ، ففَقَدوا حِماراً لهم، قال: فخرجوا بقبَسٍ يطلبونه قال: فخشيتُ أن أُعرَفَ، قال: فغَطَّيت رأسي كأني أقضِي حاجةً، ثم نادىٰ صاحبُ الباب: مَن أراد أن يدخلَ فَلْيَدْخُل قبل أن أُغْلِقه. فدخلتُ، ثم اختبأتُ في مَربِط حِمارٍ عند بابِ الحصن، فتعشَّوا عند أبي رافع وتحدَّثوا حتىٰ ذهبت ساعةٌ من الليل، ثم رجعوا إلىٰ بيوتهم، فلمَّا هدأت الأصواتُ ولا أسمعُ حَركةً خرجتُ، قال: ورأيتُ صاحبَ الباب حيث وَضَع مفتاحَ الحصن في كُوَّة، فأخذتُه ففتحتُ به بابَ الحصن، قال: قلت: إن نَذِر بي القومُ انطلقتُ علىٰ مَهَل، ثم عَمَدتُ إلىٰ أبوابِ بيوتهم، فغلَّقتُها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلىٰ أبي رافع في سُلَّم، فإذا البيتُ مُظلم قد طُفِئ سِراجُه، فلم أدرِ أين الرَّجُلُ.

فقلت: يا أبا رافع. قال: مَن هذا؟ قال: فعمدتُ نحوَ الصوت فأضربُه، وصاحَ، فلم تُغْنِ شيئًا. قال: ثم جئتُ كأني أُغيثُه، فقلت: ما لكَ يا أبا رافع ـ وغيَّرتُ صوتي ـ؟. فقال: ألا أُعجِبك، لأمِّكَ الوَيْل، دخل عليَّ رَجُل فضربني بالسيف. قال: فعمدتُ له أيضًا فأضربُه أخرىٰ، فلم تُغْنِ شيئًا، فصاح، وقام أهلُه، قال: ثم سمعتُ صوتَ العَظْم، ثمَّ خرجت دَهِشًا حتىٰ أتيتُ السُلَّم أُريدُ أن أنزل، فأسقُطُ منه، فانخلعَتْ رِجلي، فعصَبْتُها، ثم أتيتُ أصحابي أحجُلُ، فقلت: انطلقوا فبَشِّروا رسولَ اللَّه ﷺ، فإني لا أبرَحُ حتىٰ أسمعَ الناعية. فلمَّا كان في وجه الصُّبح صَعِد

الناعيةُ فقال: أنعَى أبا رافعٍ. قال: فقمتُ أمشي ما بي قَلَبَة[١] ، فأدركتُ أصحابي قبل أن يأتوا النبيَّ ﷺ، فبشَّرتُه»[٢] .

◻ قال اللواء محمود شيت خَطَّاب عن هذه السَّرِيَّة: «وأمَّر رسولُ اللَّه ﷺ عليهم عبدَاللَّه بن عَتِيك، ونهاهم عن قتلِ النساء والصبيان، فنهضوا حتىٰ أتَوا خيبرَ ليلاً.

وكان سَلاَّمٌ ساكنًا في دارٍ في جماعةٍ من يهود، فلم يَدَعُوا بيتًا في الدار إلا أغلَقوه علىٰ أهلِه، وكان سَلامٌ في عِلِّيةٍ له إليها عَجَلَة[٣] ، فأسندوا فيها[٤] حتىٰ قاموا علىٰ بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأتُه، فقالت: «مَنْ أنتم؟»، قالوا: «ناسٌ من العرَب نلتمسُ المِيْرَة»، قالت: «ذاكم صاحبُكم، فادخلوا عليه».

فلما دخلوا أغلَقوا البابَ علىٰ أنفُسهم تخوُّفًا أن تكون دونَه مُجَاولة[٥] تَحولُ بينهم وبينه، فصاحت امرأتُه فهمُّوا بقتلها، ثم ذَكَروا نَهْيَ النبيِّ ﷺ عن قتل النساء، فأمسكوا عنها، ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقدٌ علىٰ فراشه، أبيضَ في سوادِ الليل كأنه قُبْطِيَّةٌ[٦] مُلْقَاة، ووضع عبدُاللَّه بنُ عَتِيك

---

(١) قَلَبَة: أي: عِلَّة انقلب بها.

(٢) رواه البخاري - حديث رقم (٤٠٤٠).

(٣) له إليها عجلة: المراد بالعجلة هنا: جذع النخلة، كانوا ينقرون في مواضع منه نقرًا بعضها فوق بعض، ثم يجعلونه، كالسلَّم يصعدون عليه إلىٰ الغرف والأماكن العالية.

(٤) أسندوا فيها: علوا وارتفعوا، وتقول: أسند فلان إلىٰ الجبل: إذا علا فيه وارتفع.

(٥) المجاولة: الحركة تكون بينه وبينهم.

(٦) القبطيَّة: ثوب يصنع بمصر أبيض من الكتان الرقيق، وهي منسوبة إلىٰ القبط علىٰ غير قياس.

سيفَه في بطنِه حتىٰ أنفذه، كما تحامَلَ عليه بالسيف عبدُاللَّه بنُ أُنيس في بطنه حتىٰ أنفذه، وسلامٌ يقول: قَطْنِي.. قَطْنِي، أي حَسْبي حَسْبي.

وخرج أفرادُ السَّرية من حُجرة سَلام، وكان عبدُاللَّه بن عَتيك سيِّئَ البصر، فوقع من الدرجة فَوُثِئَتْ[1] رِجلُه وثئًا شديداً، فحمَله أصحابُه حتىٰ أتوا مَنْهَراً من مناهِرِهم[2]، فدخلوا فيه واستتروا.

وخَرَجَ أهلُ الآطام، وأوقدوا النيرانَ في كلِّ وجهٍ، فلما يئِسوا رجعوا إلىٰ آطامهم.

وقال أفرادُ السَّرية: «كيف لنا بأنْ نعلمَ بأنَّ عدوَّ اللَّهِ قد مات؟»، فرجع أحدُهم ودخل بين الناس، فوجد امرأتَه ورجالَ يهود حولَه، وفي يدها المصباحُ تنظرُ في وجهه وتحدِّثُهم وتقول: «أمَا واللَّهِ لقد سمعتُ صوتَ ابنِ عَتِيك، ثم أكذبتُ نفسي وقلت: أنَّىٰ ابنُ عَتِيك بهذه البلاد؟»، قال: «ثم أقبلَتْ عليه تنظرُ في وجهه، ثم قالت: فاظ[3] وإلهِ يهود! فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألذَّ إلىٰ نفسِي منها».

وقد حَدَّث الذي ذهب يستطلعُ موتَ سَلام أصحابَه بحديثه هذا بعدَ عودته إليهم من مُهمته الاستطلاعية، فأيقنت السَّريةُ بهلاكه.

واحتمل أفرادُ السَّرية عبدَاللَّه بن عَتِيك، وقَدِموا علىٰ رسول اللَّه

---

(١) وثئت رِجلُه: شبه الفسخ في المفصل، أصاب العظم شيء ليس بالكسر. وقال بعض أهل اللغة: الوثء: تصدُّع في اللَّحم لا في العظم.

(٢) المنهر: مدخل الماء من خارج الحصن إلىٰ داخله.

(٣) فاظ: مات، قال الرَّاجز: «لا يَدْفِنون عنهم مَنْ فاظا».

ﷺ، فأخبروه بقتلِ سَلام، واختلفوا عنده في قتله، فكلُّهم يدعيه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «هاتوا أسيافكم»، فانظر إليها، فقال لسيف عبداللَّه بن أُنَيس: «هذا قَتَله، أرى فيه أثرَ الطعام»[1] .

قال حَسَّانُ بنُ ثابت وهو يَذكُرُ قتلَ كعبِ بنِ الأشرف وقَتْلَ سَلاَّمِ بنِ أبي الحُقَيق:

لله درُّ عصَابـةٍ[2] لاقيْتَهُـمْ ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأَنْتَ يا ابنَ الأَشْرَفِ

يَسْرُون بالبيضِ الخِفَافِ إليكُمُ ... مَرَحًا كأُسد في عَرِيْنٍ مُغْرِف[3]

حتى أتوكُم في مَحَلِ بلادِكُمْ ... فَسَقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ[4]

مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دينِ نَبِيِّهم ... مُسْتَصْغِرين لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[5]

وهكذا تخلَّص المسلمون مِن عدوٍّ لدود[6] ، وكان إقدامُ عبداللَّه

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦)، و«الدرر» (١٩٥، ١٩٦)، «جوامع السيرة» (١٩٨ ـ ٢٠٠)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٠، ٩١)، وانظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٩١ـ٣٩٥)، وابن الأثير (٢/ ١٤٦ـ١٤٨).

(٢) العصابة: الجماعة.

(٣) يَسْرُون: يسيرون ليلاً. والبيض الرقاق: السيوف. ومرحًا: يروىٰ بفتح الميم والراء جميعًا، وهو مصدر قولك: مَرِحَ فلان فهو مَرِحٌ، أي: نشط، والْمَرَحُ: النشاط، ويروىٰ بضمِّ الميم وسكون الراء، فهو جمع مَرِح ـ بِزِنَةِ كَتِف ـ، وهو النَّشيط. والأُسْدُ: جمع أَسَد بفتحتين. العرين: الغابة، وهي: موضع الأسد. والمغرف: الذي الْتَفَّتْ أغصانه.

(٤) ذُفَّف ـ بضم الذال وتشديد الفاء مفتوحة ـ: السريعة القتل، تقول: ذففت على الجريح: إذا أسرعت في قتله ولم تمهله.

(٥) الأمر المجحف: الذي يذهب بالنفوس والأموال.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٦، ٣١٧).

وإقدامُ سَرِيَّتِه إقدامًا فذًّا بمعنى الكلمة.

وكما قلنا من قبل: إن أكثرَ أصحابِ المغازي والسِّير ـ وعلى رأسهم محمدُ بن إسحاق ـ يَرَون أن الفدائيين الخمسةَ كلَّهم اشتركوا مع قائدهم عبدِاللَّه بنِ عتيك في القضاء على الشيطان اليهودي، وأن الذي أثبت أبا رافعٍ وقَضى عليه هو عبدُاللَّه بن أُنَيْس.

وعلى هذا كلُّ أصحابِ الكتبِ السِّتة والسِّيَر عدا البخاريِّ الذي ذَكر أن قاتلَ أبي رافع هو عبدُاللَّه بن عتيك، لا عبدُاللَّه بن أنيس، ولم يذكر البخاريُّ أن بقيةَ الفدائيين لم يدخلوا الحصن.

وليس هناك تناقضٌ بين الروايتين في اشتراك الفدائيين الخمسة في قتله «أما ما جاء في «صحيح البخاري» من أن ابنَ عَتيك قال لبقيةِ رجاله: «ابقُوا مكانَكم حتى أنظر»، فليس فيه ما يَنفي اشتراكَهم معه في العملية، إذ يَحتملُ أنه بعدَ أن نظرَ وقام بالاستكشاف رَجَع وأخذَهم معه كقائدٍ مسؤول، وأنه كان يَتحدَّثُ بلسانِ القائد الذي يُنسَبُ إليه فِعلُ كلِّ شيءٍ ـ حتى وإن لم يكن هو الذي فَعَل كلَّ شيء ـ.

كما أنَّ عدمَ ذِكرِ دَورِ بقيةِ الفدائيين في روايةِ البخاري لا يَنفي اشتراكَهم، إذ يحتمل أن يكونوا ظلُّوا كالحرس يَحْمُون ظَهرَ قائدِهم حتى قام بالقضاءِ على أبي رافع.

أما قول ابن عتيك في رواية البخاري: «ثم أتيتُ أصحابي أحجل..» إلخ، فلا ينفي ـ أيضًا ـ اشتراكَهم مع قائدِهم في العملية؛ إذ لا يُستبعد أن يكونوا قد سبَقوه، فخرجوا قبلَه وتأخَّر هو بسبب ما حَدَث له من كَسرٍ في

رِجله، ولأن القائدَ عند الانسحاب عادةً يكونُ آخِرَ مَن ينسحب.

بهذا يتَّضحُ أنه لا تناقضَ ولا تباينَ يُذْكر بين الروايتين»[١] إلاَّ في اسمِ قاتل أبي رافع؛ أي: مَن أجهز عليه في النهاية.

◻ قال ابنُ سعد يَصفُ مطاردةَ اليهود للفدائيين الخمسة: «وصاحت امرأتُه، فتصايَحَ أهلُ الدار، واختبأ القومُ في بعضِ مناهِرِ خيبر.. وخرج الحارثُ أبو زينب[٢] في ثلاثةِ آلافٍ في آثارهم يطلبونهم بالنيران ـ أي: بالمشاعل في ظلام الليل ـ، فلم يروهم، فرجعوا، ومكَث القومُ ـ أي الفدائيون ـ في مكانهم يومين حتىٰ سكن الطلب، ثم خرجوا مُقبِلين إلىٰ المدينة»[٣].

أَبَا رافعٍ لا يَرفعُ اللَّهُ طاغيًا ... ولا يَدَعُ الخَصْمَ المُشاغبَ نَاجيًا

جمعتَ من الأحزابِ ما شئتَ تَبتغي ... لنفسكَ من تلكَ العقابيلِ شَافيا[٤]

وَرُحتَ تَصُبُّ المالَ في غيرِ هينة ... تُريدُ بدينِ المسلمينَ الدواهيا[٥]

هو ابنُ عتيك إنْ جَهلتَ وصَحبُهُ ... فلستَ بلاقٍ من حمامكَ واقيا[٦]

يَدُبُّ وقد جَنَّ الظلامُ مُقنعًا ... يُريدُك مُغتالاً ويلقاكَ غازيا

كأنّ حِمارَ الحصنِ أُوتيَ رُشدَهُ ... فأجمعَ ألاَّ يصحبَ الدهرَ غاويا

---

(١) «موسوعة معارك الإسلام ـ خيبر» لبشاميل (ص٩٣، ٩٤).

(٢) الحارث أبو زينب هذا فارس يهودي شجاع مشهور.. كان أحد الفرسان الذين قُتِلُوا مبارزة أمام حصن مرحب.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٩١).

(٤) العقابيل: الشدائد وبقايا العلة أو العداوة، جمع العقبول والعقبولة.

(٥) الهينة: السكينة والوقار.

(٦) الحمام: الموت.

أعانَ عليكَ السيفَ يكرهُ أن يرى دمًا فاجرًا في مَسْبَح الكُفر جاريا

يقول له البوابُ: ما لك جالسًا وقد دخل الرهطُ الذي كُنتَ رائيا؟[1]

إلى الحصنِ فادْخُلْ لَسْتُ تاركَ بابِه لأجلكَ مفتوحًا ودَعْني لمَا بيا

فقامَ ولو يدري خَبئَةَ نَفسه أعضَّ وَرِيدَيْه الحُسامَ اليمانيا[2]

ولاحت لعينَيه الأقاليدُ فَانْتَحى يَضُمُّ عليها مِخلَبَ الليثِ ضَاريا[3]

فلما غَفَا السُّمَّارُ أقبلَ صَاعدًا إلى الأخرقِ المغرور يَعلو المَراقيا[4]

سَقاه بِحَدِّ الهِنْدوَانِي حَتْفَهُ فَبُورِكْتَ من سيفٍ وبُورِكَ ساقيا

* * *

هَوتْ رِجلُه من زَلةٍ قَذفت به إلى الأرضِ في ظَلماءَ تُخفي الدراريا[5]

فما برحتْ حتى أُصيبَ صَميمُها بِصَــدْعٍ فأمسى واهِنَ العَظْمِ واهيا

وباتَ يُواري نَفسَهُ في مكانِه ويَزْوَرُّ في بُردَيهِ يَخشَى الأعاديا[6]

---

(١) ظنَّه البواب من أهل الحصن، فقال له: إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الحصن، فدخل فاختبأ يتربص لحاجته.

(٢) يريد بواب الحصن. وأَعَضَّهُ الحُسَامَ: جَعَلَ الحُسَامَ يَعضُّهُ.

(٣) الأقاليد: المفاتيح.

(٤) الأخرق: الأحمق. والمراقي: الدرجات، جمع المرقى والمرقاة.

(٥) قال ابن عتيك ﷺ يذكر ما حدث له بعد قتل أبي رافع: فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى الأرض؛ فوقعت، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم خرجت، فكَمُنتُ في موضع، وأوقدت اليهود النيران، وذهبوا في كل وجه يطلبوني، حتى إذا آيسوا رجعوا، فلما صاح الديك صعد الناعي على السور ينعى أبا رافع، قال فأتيت أصحابي أحجل.. إلخ.

(٦) يزورُّ، أي: يميل وينكمش للاستخفاء.

تَنادَوْا فقالوا: فاتكٌ من عَدُوِّنـا ... رَمى السَّنَد الأعلى فلا كان راميا
مَتى جاءَ؟ كيفَ انسل في غَسَقِ الدجَى؟ ... وماذا جَرى مَن كان للحصنِ حاميا؟[1]
مِنَ الجِنِّ هذا أم من الإنس يا لَهُ ... مُصابًا يُنسِّينا الخُطوبَ الخواليا؟
وراحوا سِراعًا مُهطِعينَ يَهيجُهم ... طِلابُ الذي ما زال في الحِصْنِ ثاويا[2]
فما تركوا في أرضِ خَيبرَ بقعةً ... ولا غادروا مما هُنالكَ واديا
وعادُوا يَعَضُّونَ البنان ولو رَأَوْا ... مكانَ الردى المجتاحَ أَلْفَوْهُ جاثيا
فما زالَ حتى أَذَّنَ الديكُ وانْبَرى ... مِنَ القومِ داعٍ يَرفعُ الصوتَ ناعيا
هُنالكَ وافى صَحبُهُ فتحدَّبوا ... عليه وكان الظنُّ أنْ لا تلاقيا[3]
فَتًى يركبُ الأهوالَ لا يتَّقي الردى ... ولا يتوقَّى الحتفَ يَلقاهُ عاديا
قُصاراهُ أن يَرْعَى ربَّه ... ويلقى رسولَ اللَّه جَذْلانَ راضيا[4]
شَفَى رِجلَه مما بها فكأنها ... بِخَيبرَ لم تُكْسَرْ ولم يَكُ شاكِيا

* * *

أبا رافعٍ ماذا لَقِيتَ بحُفرةٍ ... طَوَتْ منكَ جبارًا قضَى العُمرَ عاتيا؟
عكفتَ على البَغْي المُذمِّمِ والأذَى ... فَذُبْ أسفًا واعكُفْ على النارِ صَاليا

□ قال الحافظُ ابن حجر بعد ذِكره أحاديث قتل أبي رافع: «وفي هذا الحديث من الفوائد: جوازُ اغتيالِ المشرِك الذي بلَغَتهُ الدعوةُ وأَصرَّ، وقتلُ

---

(١) غسق الدجى: ظلمة الليل.

(٢) المهطع: من ينظر في ذلٍّ وخضوع.

(٣) تحدَّب عليه: تعطَّف وحنا.

(٤) القُصارى: الجهد والغاية، وقصاراه أن يفعل كذا، أي: غاية جهده وآخر أمره وكل مستطاعه هو أن يفعل كذا.

مَن أعان على رسول اللَّه ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجوازُ التجسُّس على أهلِ الحرب وتطلُّبِ غِرَّتهم، والأخذِ بالشدَّة في محاربة المشركين»[1] .

رضي اللَّه عن بطلَيِ الإسلام ـ عبداللَّه بن عَتيك، وعبداللَّه بن أُنيس ـ وإخوانِهم الذين أراحوا المسلمين من اليهوديِّ الخبيث أبي رافع الطاغية اللعين.

*** الشيطان خالدُ بن سفيان الهُذَلي ـ لعنه اللَّه ـ:**

هو خالدُ بنُ سفيانَ بن نُبَيْح الهُذَلي، كان عدواً للَّه ولرسوله ﷺ، وكان يجمعُ الجموعَ لحربِ النبي ﷺ، فأخذه اللَّهُ أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ على يَدِ بطلٍ من أبطال الخزرج، وهو عبدُاللَّه بن أُنيْس الجُهَنيُّ الأنصاريُّ. وكان عبدُاللَّه وحدَه هو السَّرِية المسمَّاة في المغازي لقتل خالد بن سفيان الهذلي[2] .

خَرَج عبدُاللَّه من المدينة يومَ الإثنين لخمسِ ليالٍ خَلَوْن من شهرِ المحرم، على رأسِ خمسةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ـ أي: من السنة الرابعة الهجرية ـ، فغاب عنها ثمانيَ عشْرةَ ليلةً، وقَدِم يومَ السبت لسبعٍ بَقِينَ من المحرم[3]، بعد أن أدَّىٰ واجبَه الذي أمره به النبي ﷺ.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «موسوعة الغزوات الكبرىٰ» «صلح الحديبية» لبشاميل (ص٨٧)، و«سيرة ابن هشام» (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦) وصحيح البخاري «فتح الباري» (٥/ ٢١٠ ـ ٢١٢)، و«البداية والنهاية» (٤/ ١٣٩).

(٣) «مغازي الواقدي» (١/ ٣)، وفي (١/ ٤) أنها كانت سنة ستة الهجرية في شهر المحرم، وفي «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠): أنها في السنة الرابعة الهجريَّة؛ كما جاء في «مغازي الواقدي» (١/ ٣)، فأخذنا بذلك.

فقد بَعَثه النبيُّ ﷺ في سَريةٍ مؤلَّفةٍ منه وحده إلىٰ خالدِ بن سُفيان بن نُبَيح الهُذَلي الذي كان بِعُرَنة[1] يجمعُ الجموعَ لرسول اللَّه ﷺ؛ ليغزوه، فقتله عبدُاللَّه وعاد برأسه إلىٰ المدينة المنورة.

● قال عبدُاللَّه: «دعاني رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: «**إنه قد بَلَغني أن ابنَ سفيان بن نُبَيح الهُذَلي يجمعُ لي الناسَ ليَغزوَني، وهو بنَخْلَة[2] أو بعُرَنة، فأته فاقتله**». قلت: يا رسول اللَّه، انْعتْه لي حتىٰ أعرِفَه، فقال: «**إنك إذا رأيتَه أذكَرَك الشيطانَ، وآيةُ ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدتَ له قُشَعْريرَةَ**»[3].

◻ فخرجتُ متوشِّحًا سيفي، حتىٰ دَفعتُ إليه وهو في ظُعُنٍ[4] يرتادُ[5] لهنَّ منزلاً[6]، وحيث كان وقتُ العصر، فلمَّا رأيته وجدتُ ما قال لي رسول اللَّه ﷺ من القُشَعْريرَة، فأقبلت نحوه، وخَشِيتُ أن تكون بيني وبينه مجاولةٌ تَشغَلُني عن الصلاة، فصلَّيتُ وأنا أمشي نحوه أومِئُ برأسي، فلمَّا انتهيتُ إليه قال: مَنْ الرجل؟ قلت: رجلٌ من العَرَب سَمع بك وبجَمْعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك، قال: أَجَلْ[7] إني لفي ذلك.

فمشَيتُ معه شيئًا، حتىٰ إذا أمكنني حَمَلتُ عليه بالسيف، فقتلتُه، ثم

---

(١) عُرنة: موضع بقرب جبل عرفة موضع الحجيج، انظر: «شرح الزرقاني على المواهب اللدنيَّة» (٢/ ٧٦). وعرنة: وادٍ بحذاء عرفات.

(٢) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة.

(٣) القشعريرة ـ بِزِنَةِ الطمأنينة ـ: رعدة وارتعاش، كارتعاش المحموم.

(٤) الظعن: جمع ظعينة، وهي: المرأة.

(٥) يرتاد: يطلب.

(٦) المنزل: موضع النزول.

(٧) أجل: كلمة جواب، مثل: نعم.

خرجت وتركتُ ظَعائِنَه مُنْكَبَّاتٍ عليه.

فلمَّا قدمتُ علىٰ رسول اللَّه ﷺ فرآني قال: «أفْلَحَ الوجهُ»، قلتُ: قد قتلتُه يا رسول اللَّه[1]، ووضعتُ رأسَه بين يديه، وأخبرتُه خبري»[2].

وهكذا استطاع عبدُاللَّه وحده، ببطولته الفذَّة، وإقدامِه النادر، أن يقضيَ علىٰ فِتنة الهُذَلي التي كان يُعِدُّها ويستعدُّ لها، ويُنهي خُطَطَه في حربِ الإسلام والمسلمين.

❑ قال عبداللَّه بن أنيس في ذلك:

تركتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوار وحولَه	نوائحُ تَفْرِي كلَّ جَيْبٍ مُقَدِّدِ[3]
تناولتُهُ والظُّعْنُ خَلْفي وخَلْفَهُ	بأبيضَ من ماء الحديد مُهَنَّدِ[4]
عَجُومٍ لِهَامِ الدار عَيَنَ كأنه	شِهابُ غَضًا من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ[5]
أقول له والسيفُ يَعْجُمُ رأسَه	أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدَدِ[6]

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠، ٥١)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣١-٥٣٣)، و«سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣٣).

(٣) الحُوار: ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتفري: تقطع.

(٤) بأبيض: يريد به سيفًا. والمهنَّد: السيف المنسوب إلىٰ الهند، ويقولون: سيف هندي، وهندواني، ومهنَّد.

(٥) عجوم: هو من صفات الأبيض وهذه صيغة مبالغة من العَجْم، وهو: العضُّ وزنًا ومعنىٰ. والهام - هاهنا -: الرؤوس. والشُّهاب - بِزِنَةِ الكتاب -: القطعة من النار. والغضا: شجر يشتدُّ التهاب النار فيه. والمُلهَب: اسم مفعول من الهبَة، إذا أوقدتَ فيه النار.

(٦) القعدد: اللَّئيم الدَّنيء القاعد عن الحرب والمكارم.

أنا ابنُ الذي لم يُنْزِل الدهرُ قدْرَهُ ... رَحِيْبُ فِنَاءِ الدار غيرُ مُزَنَّـــدِ[1]

◘ ولِلَّه درُّ القائل مثنيًا على البطل ابن أُنَيْس :

سَرِيــةٌ أنتَ وَحْـدَكْ ... فَاجْعَلْ سَجَايَاكَ جُنْدَكْ

لاَ تَخْشَ يا ابنَ أنيس ... فليس سُفيانُ نــدَّكْ

احْشُدْ قُواكَ وَحُـدْهُ ... فليس يَسْتَطِيعُ حَشْدَكْ

إنْ غَرَّهُ حَــدُّ عــزم ... فَسَوفَ يَعرفُ حَـدَّكْ

يَهولُ في الوصفِ جدًا ... حَتَّى لَيَعْظُمُ عنْــدَكْ

لَكنَّـــهُ اللَّهُ أعـلى ... عليه في البأسِ جَـدَّكْ

أَقْبِلَ فتى البأسِ أَقْبِلْ ... وَاعْمَلْ لربكَ جُهْدَكْ

* * *

أَخَذْتَـــهُ بِخِـــلاب ... كَذَبْتَـــهُ فيه وُدَّكْ[2]

أوردتَهُ القَــولَ حُـلواً ... ولو دَرى عَافَ وِرْدَكْ[3]

وَيْلُمِّـــهِ من غَبِـي ... لو كان يعرف قصدَكْ[4]

أَحْبِبْ بِهِ من رســول ... لِقَتْلِـه قــد أعـــدَّكْ

يَظُـــنُّ أنك ضِــدٌّ ... له فَدُونَـكَ ضِـدَّكْ[5]

---

(١) رحيب: متَّسع، وأصله من الرحب، وهو: الفضاء. والمزند: الضيِّق البخيل.

(٢) الخلاب: الخداع بلطيف الكلام.

(٣) عافه: كرهه، فتركه.

(٤) ويْلُمِّه: أصلها: وَيْلٌ لأُمِّه.

(٥) الضدُّ: المثل والنظير.

بُورِكْتَ يا ابنَ أُنيسٍ ... من فارسٍ ما أشدَّكْ!
ضربْـتَـــهُ فتَـــرَدَّى ... وكان ذلك وَكْدَكْ[1]
وَعُدْتَ لا مَجدَ إلا ... أراهُ يَحْسُدُ مَجْدَكْ

* * *

سُفيانُ هل كنتَ طَوداً ... فمن رَماكَ فهدَّكْ؟
أم كُنْتَ للشرِّ ذُخراً ... تَخشى الطواغيتُ فَقْدَكْ؟[2]
أَوْدَى بِكَ ابنُ أنيس ... فأقفرَ الحيُّ بَعْدَكْ
وَرَدَّ عِـــزَّكَ ذُلاً ... فما تُصَعِّرُ خَدَّكْ[3]
مَلأتَ صدركَ حقداً ... فهل شَفَى السيفُ حقْدَكْ؟
وَمِتَّ مِن قَبـــلُ وَجداً ... فهل مَحَا الموتُ وَجْدَكْ؟
أين الجمـــوعُ؟ أتدري ... مَن خَطَّ في التُّرْبِ لَحْدَكْ
وأين رأسُـــك؟ هـــلاَّ ... صَدقْتَ نفسَكَ وَعْدَكْ؟
أَغـواكَ جَهــلُكَ حَتى ... لَقيتَ في النارِ رُشْدَكْ
أنضَجتَ نفسَكَ غَيظًا ... فاليومَ تُنضِجُ جِلْدَكْ
يَغيظُـــكَ الدينُ حقًّا ... فأنت تَقْدَحُ زَنْدَكْ[4]
هَيَّجْـــتَ للشرِّ وَقْـــداً ... فأينَ غادرتَ وَقْدَكْ؟[5]

---

(١) الوكد: المراد والقصد.

(٢) الطواغيت: جمع الطاغوت، وهو: الشيطان وكل معبود دون اللَّه.

(٣) صَعَّرَ خده: أماله عن النظر إلى الناس، تهاونًا وكبرًا.

(٤) الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به الناس.

(٥) الوقد: النار.

يا صاحبَ الغـــارِ مَن ذَا بنَصرِهِ قد أَمَـــدَّكْ[1] ؟
أليس ربَّـــكَ؟ فَاجْعَلْ لهُ على الدهـــرِ حَمْدَكْ
رَدَّ العِـــدَى لم يفوزوا وأنتَ بالفوزِ رَدَّكْ
أَلْقِ الهديـــةَ[2] وَاسْحَبْ في ساحَةِ الفَخرِ بُرْدَكْ
دعَا الرســـولُ وأثنـــى فَاحْمَدْ لكَ الخَيرُ رِفْدَكْ[3]
وقلْ: تبـــاركتَ ربـــي يَسَّـــرْتَ للخيـرِ عَبْـــدَكْ

* **المُجرم مَلِك خيبر: أُسَيْر بن رازم ـ لعنه الله ـ «اليُسَيْر بن رزام»:**

اسْمه الذي اشتُهر به هو «اليُسير بن رزام»، واسمُه عند الواقديِّ: «أُسَيِّر بن رازم»[4].

كان هذا المجرِم قائداً من كِبار قوَّاد اليهود، وكان مِلكًا على خيبر بعد قتل أبي رافع سَلاَّمِ بن أبي الحُقيق، وكان يَجمعُ غَطَفانَ لغزوِ رسول اللَّه ﷺ في المدينة المنوَّرة.

◻ قال هذا اللعينُ لقومه: «واللَّهِ ما سَاحَ محمدٌ إلى أَحَدٍ من يهود، ولا بَعَث أحداً من أصحابه إلا أصابَ منهم ما أراد، ولكني أصنعُ ما لم يَصنعْ أصحابي. قالوا: وما عَسَيتَ أن تصنعَ؟ قال: أَسِيرُ في غطفان؛

---

(١) أسرع القوم خلف عبداللَّه بن أنيس ﷺ بعد أن قَتَلَ سفيان، فاختبأ في غار كان في طريقه، ونجاه اللَّه منهم.

(٢) هي رأس سفيان ألقاها بين يدي النبي ﷺ، ففرح وأثنى عليه.

(٣) الرِّفد بفتح الراء: النصيب، وبكسرها: العطاء.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٩٢، ٢٩٣)، وانظر «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦).

فأجمعُهم، ونسير إلىٰ محمدٍ في عُقرِ داره؛ فإنه لم يُغْزَ أحدٌ في عقر داره إلاَّ أدرك منه عدوُّه ما يريد».

انتدب له رسولُ اللَّه ﷺ ثلاثين، علىٰ رأسهم عبدُاللَّه بنُ رواحة، قَدِموا علىٰ أُسيْر، فقالوا: «نحن آمنون حتىٰ نعرِضَ عليك ما جئنا له؟». قال: «نعم، ولي منكم مثلُ ذلك؟»، فقالوا: «نَعَمْ». فقالوا لأُسَير: «إن رسول اللَّه ﷺ بَعَثَنا إليك. لتخرجَ إليه؛ فيستعمِلَك علىٰ خيبر ويُحسِنَ إليك» فطَمِع في ذلك وخَرَج، وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود، مع كلِّ رجل رديفٌ من المسلمين، حتىٰ إذا كانوا بـ «قَرْقَرة ثِبار»، ندِم أُسير، وفكَّر بالخيانة، قال عبدُاللَّه بن أُنيس ـ وكان في السَّرية ـ: «وأهوىٰ بيده إلىٰ سيفي، ففطِنتُ له، ودفعتُ بعيري، وقلتُ: غَدْرًا ـ أيْ عدوَّ اللَّه ـ!! فعل ذلك مرتين، فنزلتُ، فسُقْتُ بالقوم حتىٰ انفرد لي أُسير، فضربته بالسيف، فأندرتُ عامَّةَ فخِذه وساقه. وسَقَط عن بعيره وبيده مِخْرَش[1] من شَوْحَط[2]، فضَرَبني فشجَّني. ومِلْنا علىٰ أصحابه. فقتلناهم كلَّهم غيرَ رجل واحد أعجَزَنا شدًّا، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ، ثم أقبلنا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فحدَّثناه الحديث، فقال: «**نجّاكم اللَّهُ منَ القومِ الظالمين**»[3].

فُبورك عبدُاللَّه بن أنيس من بطلٍ مغوار، يُورد ثلاثةً من كبارِ شانئي الرسول ﷺ النار.

---

(١) المخرشة: عصا معوجَّة كالصَّوْلجان.

(٢) شوحط: ضرب من شجر جبل السَّراة تتَّخذ منه القسي واحدته: شوحطة.

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٢، ٩٣)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦ـ٥٦٨).

□ ولله درُّ أحمد محرم حين يقول:

أأنت يا ابنَ رِزامٍ تَغلبُ القَدَرا؟ جَرِّبْ لك الويلُ من غِرٍّ وسوف تَرى
جَرِّبْ أُسَيْرُ ولا تجزعْ إذا عَثَرَتْ بك التجاريبُ إنَّ الحُرَّ مَنْ صبرا
كذبتَ قومَك إن الحقَّ ليس له من غالبٍ فَاعْتَبِرْ إن كنتَ مُعتَبِرا
هيهاتَ ما لكَ إلاَّ الغَيُّ تتبعُه والغيُّ يتبعُه في الناسِ مَن فجرا
بئسَ الأميرُ وبئسَ القومُ إذ جعلوا لك الإمارةَ كيما يُدركوا الظفَرا
الظافرونَ بنو الإسلام لا فَزَعًا يرى العدَى في الوغَى منهم ولا خَوَرا[1]
هم الأُلى يُلبسونَ الحربَ زينتهَا إذا تَعَرَّتْ وَولَّى الذادةُ الدُّبُرَا
ماذا تُحاوِلُ بالأشياعِ تَنْدُبُهم حاولت يا ابن رِزامٍ مطلبًا عَسِرَا
ظَنَنْتَهَا غزوةً تَخْفَى مكائدها فما احتيالُكَ في السر الذي ظَهَرا؟
لو لم يُوافِ رسولَ اللَّه مُخْبِرُهُ وافاهُ مِن ربِّه مَن يحملُ الخَبَرَا
كم فَضَّ جِبريلُ من صَمَّاءَ مُغْلَقَةٍ أَنْحَى على سِرِّها المكنونِ فاشتُهرا[2]

* * *

على أبي رافعٍ فَلْتَبْكِ من أَسَفٍ وَاسْتَبْقِ نفسَك إِنْ كُنْتَ امْرأً حَذِرَا
ذَلَّتْ يهودُ فما يُرْجَى لها خَطَرٌ عَلَى يَدَيْ مَن نهى فيها ومَن أَمَرَا
دَعْهَا أسيرُ لكَ الويلاتُ من رَجُلٍ ضَلَّ السبيلَ فأمسى يَرْكَبُ الغرَرَا[3]
ألستَ تُبْصِـرُ عبدَاللَّه في نَـفَـرٍ أَعْظِمْ به وبهم مِن حَوْله نَفَرا؟

(١) الفزع: الذعر. والخوَر: الضَّعف.

(٢) أنحى على الشيء: أقبل.

(٣) الغَرَرُ: التعريض للهلكة.

جاؤوكَ يا ابنَ رِزَامٍ لو تُطاوِعُهم ... لأذهبَ اللَّهُ عنك الرِّجْسَ والوَضَرَا(١)

لكنكَ المرءُ لو ترميهِ صاعقةٌ ... تنهاهُ عن نَزَعاتِ الغَيِّ ما ازْدَجَرا

رَدُّوا لكَ الخيرَ تُسديهِ إليكَ يدٌ ... ما مِثلُها من يدٍ نفعًا ولا ضررا

قالوا انطلقْ معنا إنْ كنتَ مُنطَلِقًا ... فَأْتِ الرسولَ وسَلْهُ تبلغِ الوَطَرَا

ما شئتَ مِن سُؤْدُدٍ عالٍ ومن شَرَفٍ ... على اليهود، ويَجْزِي اللَّهُ مَن شكرَا

أَبَى وراجَعَهُ مِن نفسه أَمَلٌ ... أغراه بالسير حتى جَدَّ مُبْتَدِرَا

ثم انْثنى يتمادَى في وَسَاوِسِهِ ... يظنُّ ذلك رأيًا منه مُبْتَسَرَا

واختارَها خُطَّةً شنعاءَ ماكرةً ... فحاقَ بالجاهلِ المأفونِ ما مكَرا

أرادَ شَرًّا بعبداللَّه فانبعثتْ ... منه صَرِيمةُ عادٍ ينقضُ المِرَرَا(٢)

رآهُ أخونَ من ذئبٍ فعاجَلَهُ ... بالسيف يُوردُهُ منه دمًا هَدَرَا(٣)

وانْقضَّ أصحابُه يَلْقَونَ مَن مَعَه ... من قومه فاسْتَحرَّ القتلُ واسْتَعَرا

لم يَتركِ السيفُ منهم وَهْوَ يأخذُهم ... إلا حُشَاشةَ هافٍ يَسبقُ البَصَرَا(٤)

مضى مع الريح لا يأسَى لمهلكِهم ... ولا يُبالي قضاءَ اللَّه كيفَ جَرَى

كذلك الغدرُ يَلْقَى الويلَ صاحِبُه ... وكيف يأمن عُقْبَى السوءِ مَن غَدَرَا

* * *

(١) الرجس: القذر، والوضر: الوسخ.

(٢) الصريمة: العزيمة. والمِرر جمع المِرّ؛ وهو الحبل. ونقضه: أي حله؛ كناية عن نقض العهد.

(٣) هَدراً: أي: باطلاً.

(٤) هو الرجل الذي هرب. والحُشاشة: بقيّة الروح في المريض. والهافي: المُسرع.

* **عَدُوَّةُ اللَّهِ ورسوله بوادي القرى، أمُّ قِرْفة ـ لعنها اللَّه ـ:**

كانت العربُ تقول: «لو كانت أعزَّ من أم قِرْفة»؛ لأنها كانت يُعلَّق في بيتها خمسون سيفًا كلُّهم لها ذو محرم. واسم أمِّ قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفَزَارية بوادي القرىٰ علىٰ سَبعِ ليال من المدينة، وهي سيِّدةُ قومها، ضُرب بها المثل في المَنَعة: «أمنع من أمِّ قرفة».. جَهَّزت ـ لعنها اللَّه، وقد فعل ـ ثلاثين راكبًا مِن ولدها ووَلَدِ ولدها، وقالت لهم: «اغزُوا المدينةَ واقتلوا محمدًا».. فأرسل النبيُّ ﷺ زيدَ بنَ حارثة ؓ علىٰ رأسِ سَرِيةٍ إلىٰ أمِّ قِرفة في شهر رمضان في السنة السادسة الهجرية إلىٰ وادي القرىٰ، وخرج المسلمون من المدينة يَكمُنون النهار ويسيرون الليل، وقصدوا فَزارةَ في الليل حتىٰ صَبَّحوهم، ثم أحاط زيدٌ ومَن معه بفزارة في بيوتهم، وكبَّر زيدٌ وكبَّر الصحابة، وقَتل قيسُ بنُ المُحَسِّر أمَّ قرفة، وعاد زيدٌ إلىٰ المدينة، فقرع بابَ النبي ﷺ، فخرج إليه مسرعًا واعتنقه وقبَّله، فأخبره زيدٌ بانتصارِه وغَنائمه.

وأما جاريةُ بنت أم قرفة، فوهبها النبي ﷺ لخاله حَزْنِ بن أبي وهب، فولدت له امرأةً ليس له منها ولدٌ غيرها[1].

وحاقَ بأُمِّ قِرْفَةَ ما أرادتْ ... بأكرمِ مَن تُفَدَّى الأُمَّهاتُ
أرادت قَتْلَه فَجَرَى عليها ... قَضَاءُ القتل، وانْتَصَفَ القُضَاةُ
فيا لكَ منظرًا عَجَبًا تناهتْ ... به الصُّوَرُ الرَّوائعُ والصِّفَاتُ
أُحيطَ بها وبابنتها جميعًا ... فما نَجَتِ العجوزُ ولا الفتاةُ

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٠، ٩١)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٤، ٥٦٥).

لِتلكَ جزاؤهَا المُرْدِي، وهذي | لها الأَسْرُ المُبَرِّحُ والشَّتَاتُ
خَباها خَالَه في غير ضِنٍّ | وأين من الضَّنينِ المَكْرُمَاتُ؟
تَأَمَّلْتُ الحياةَ وكيفَ تبقى | حقائقُها وتمضي التُّرَّهَاتُ

وقيل: أُخذت أم قِرفة وربُطت رجلاها بحبلين شُدَّا إلى بعيرين؛ فشقَّاها.

* عَدُوَّةُ رسولِ اللَّه ﷺ: عَصماءُ بنتُ مروان ـ لعنها اللَّه ـ:

كانت عصماءُ بنتُ مروانَ من بني أُمَيَّة بن زيد، وكانت عند يزيدَ بن زيد بن حِصْنِ الخَطْمِي، وكانت تَعيبُ الإسلام وتُؤذِي النبيَّ ﷺ، وتقولُ الشِّعْر[1]. فقالت تَعيبُ الإسلامَ وأهْلَه:

بِإسْتِ بَنِي مالكٍ والنَّبِيبِ | وعَوْفٍ وَبَاسْتِ بني الخزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيَّ[2] مِنْ غَيْرِكم | فلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ[3]
تَرَجُّونَه بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤوسِ[4] | كما يُرْتَجَى مَرَقُ المُنْضِجِ
أَلاَ أَنِفٌ[5] يبتغي غِرَّةً[6] | فيقطَعَ مِن أَمَلِ المُرتَجِي!

فقال رسولُ اللَّه ﷺ حين بلغه ذلك: «أَلاَ آخِذٌ لي من ابنة مَرْوان؟».

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٧).

(٢) الأتاوي: الغريب.

(٣) مراد ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.

(٤) الرؤوس: أشراف القوم.

(٥) الأَنِف: الذي يترفَّع عن الشيء ويُكبِرُ نفسَه عنه.

(٦) الغرة: الغفلة ورُوي أيضًا «ألا أنِف يبتغي عِزَّةً».

وكان ذلك لخمسٍ ليالٍ بَقِينَ من رمضان على رأسِ تسعةَ عشَرَ شهراً من هجرة النبي ﷺ ـ أي: في السنة الثانية الهجريَّة ـ، فسَمع ذلك من قول رسول اللَّه ﷺ عُمَيرُ بنُ عَدِيٍّ الخَطْمِيُّ الأَوسيُّ وهو عنده، فلَّما أمسى من تلك الليلة سَرَىٰ عليها في بيتها، فقتلها.

وأصبح عميرٌ مع رسول اللَّه ﷺ، فقال: «يا رسول اللَّه! إني قد قتلتُها»، فقال: «نصرتَ اللَّهَ ورسولَه يا عُمَيْر»، فقال: «هل عليَّ مِن شأنها يا رسول اللَّه؟». فقال: «لا يَنتطحُ فيها عنْزَان»[١].

ورَجَع عميرٌ إلى قومه، وبنو خَطْمةَ يومئذ مَوْجُهُم[٢] كثيرٌ في شأنِ بنت مروان، ولها يومئذٍ بنون ـ خمسةُ رجال ـ، فلما جاءهم عميرٌ من عند رسول اللَّه ﷺ قال: «يا بني خطمة! أنا قتلتُ ابنةَ مروان، فكِيدوني جميعًا ثم لا تنظرون». فذلك اليوم أولَ ما عزَّ الإسلام في دار بني خَطمْة، وكان يَستخفي بإسلامه فيهم مَن أسلم، وأسلمَ يوم قُتِلت ابنةُ مروان رجالٌ من بني خَطمة، لِمَا رأوه مِن عزِّ الإسلام[٣].

ويبدو أن سكوت أبناءِ عصماء وإخوتها عن أخذِ الثأر من عمير؛ لأن عُمَيرًا كان من أشرافهم، ولأنَّ الإسلامَ فشا فيهم، ولأنهم خافوا المسلمين الذين أصبحوا قوةً ضاربةً بعد انتصارهم في غزوة بدر.

---

(١) يريد أن شأن قتلها هين لا يكون فيها طلب ثأر.

(٢) موجهم كثير: أراد به اختلاط كلامهم.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٥)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٧، ٢٨)، و«مغازي الواقدي» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤).

☐ وفي عصماءَ ـ لعنها اللَّه ـ قال حسَّانُ بن ثابت :

بنــو وائــلٍ وبنو واقف وخَطْمَــةَ دونَ بني الخزرجِ

متى ما دَعَتْ سفَهًا وَيْحَها بَعَوْلَتِها والمنايــا تَجي[1]

فَهَزَّتْ فتًى مَاجِــدًا عِرْقُــه كَرِيمَ المداخِــلِ والمَخْـرَجِ

فَضَرَّجها من نَجيــعِ الدِّمَا ءِ بعدو الهـدو فلم يَحْرَجِ[2]

فأورَدَكَ اللَّهُ بَــرْدَ الجِنــان جَذْلاَنَ في نعمــة المَوْلَجِ

☐ فللَّه درُّ عميرٍ من غَيُورٍ على رسوله ﷺ . . وقد رُوي أنه قتل أخته ؛ لأنها شتمت رسولَ اللَّه ﷺ[3] .

* * *

(١) العَوْلة : المَرَّة من العويل ؛ وهو : البكاء مع ارتفاع الصوت . تجي : تجيء .

(٢) ضرّجها : لطّخها . النجيع هنا : الكثير . . بعد الهدو : بعد ساعة من الليل . لم يحرج : هو من الحرج وهو الإثم . وفي «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٤) .

فضرّجها من نجيع الدماء قُبيل الصباح ولم يحرج

وذكر الواقدي أن حسان بن ثابت قال هذه القصيدة يمدح عمير بن عدي لقتله عصماء .

(٣) «الاستيعاب» (٣/ ١٢١٧) .



مُدَّعو النُّبُوَّة والأُلُوهِيَّة

مُدَّعُو النُّبُوَّةِ والأُلُوهِيَّةِ

● عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يقتتلَ فئتانِ، فيكونَ بينهما مَقْتَلَةٌ عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقومُ الساعةُ حتى يُبعثَ دجَّالون كذَّابون قريبًا من ثلاثين، كلُّهم يزعُمُ أنه رسولُ اللَّه»[1].

● وعن ثوبانَ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى تَلْحَقَ قبائلُ من أمَّتي بالمشركينَ، وحتى تُعبدَ الأوثانُ، وإنه سيكون في أمَّتي ثلاثون كذَّابًا، كلُّهم يزعُمُ أنه نبيٌّ، وأنا خاتَمُ النبيين، لا نبيَّ بعدي»[2].

● وعند أبي داود: «... وإنما أخافُ على أمتي الأئمةَ المضلِّين، وإذا وُضِعِ السيفُ في أمتي لم يُرفعْ عنها إلى يومِ القيامة، ولا تقومُ الساعةُ حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تَعبُدَ قبائلُ من أمتي الأوثانَ، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلُّهم يزعُم أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين لا نبيَّ بعدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ ظاهرين لا يَضُرُّهم مَن خالَفَهم حتى يأتيَ أمرُ اللَّه تعالى».

● وعن جابرِ بن سَمُرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ بيْن يدَيِ الساعةِ كذَّابين، فاحذروهم»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٦١٦)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٠)، وأحمد، وأبو داود (١١/ ٣٢٣)، والترمذي.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وكذا رواه أبو داود، وابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤١٨).

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٢٣٩)، وأحمد (٥/ ٨٦، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠١). =

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ بين يَدَي الساعة ثلاثين دَجَّالاً كذَّابًا»[1].

● وعن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ ثلاثون كَذَّابًا رِجالاً كلُّهم يَكذِبُ على اللَّه ـ عز وجل ـ ورسوله»[2].

وكلُّ هذه الدعاوَى الباطلة وهذا الزورُ لا يَنطَلِي على مَن لديه أدنى نور ببصيرته، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]..

مَن ليس يَفتحُ للضياء عيونَه هيهاتَ يومًا واحدًا أن يُبصرَا

* وصدَق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿.. فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وهذه سنة اللَّه في خلقه. وسنشرعُ في ذِكرهم بحول اللَّه وقوَّته.

* ابن صَيَّاد مُدَّعِي النُّبوّة:

● عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن عُمَرَ انطَلَق مع النبي ﷺ في رَهْطٍ قِبَلَ ابنِ صيَّاد، حتى وجدوه يلعبُ مع الصِّبيان عند أُطُمِ بني مَغالة، وقد قارب ابنُ صيَّادٍ الحُلُمَ، فلم يَشعُرْ به حتى ضَرَب النبيُّ ﷺ بيده، ثم قال لابن صيَّاد: «تَشْهَدُ أني رسولُ اللَّه؟» فنظر إليه ابنُ صياد فقال: أشهدُ أنك رسولُ الأُميِّين[3]. فقال ابنُ صيَّاد للنبي ﷺ: أتشهدُ أني رسول اللَّه؟ فرَفَضَه،

= ١٠٦، ١٠٧).

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٥٠)، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٧٣): «فيه إشعارٌ بأن اليهود الذين كان منهم ابن صياد =

وقال: «آمنتُ باللَّه وبرُسُله»[١]. فقال له: «ماذا ترى؟» قال ابن صيَّاد: يأتيني صادقٌ وكاذب[٢]، فقال له النبي ﷺ: «خُلِّط عليك الأمر»[٣]، ثم قال له النبي ﷺ: «إني قد خبَّأتُ لك خَبيئًا»[٤]. فقال ابنُ صيَّاد: هو «الدُّخُ»؟

= كانوا معترفين ببعثة رسول اللَّه ﷺ، لكنْ يدّعون أنها مخصوصة بالعرب، وفساد حجتهم واضح جدًا؛ لأنهم إذْ أقرّوا بأنه رسول اللَّه استحال أن يكذب على اللَّه، فإذا ادَّعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرهم تعيّن صدقه، فوجب تصديقه».

(١) قال الزين بن المنيّر: «إنما عرض النبي ﷺ الإسلام على ابن صيّاد بناءً على أنه ليس الدجّال المحذَّر منه. قلت (القائل: هو الحافظ ابن حجر): ولا يتعيّن ذلك، بل الذي يظهر أن أمره كان محتملاً فأراد اختباره بذلك، فإن أجاب غلب ترجيح أنه ليس هو، وإن لم يجب تمادى الاحتمال، أو أراد باستنطاقه إظهار كذبه المنافي لدعوى النبوّة، ولما كان ذلك هو المراد أجابه بجواب منصف، فقال: «آمنت باللَّه ورسله».

وقال القرطبي: كان ابن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصحّ تارة ويفسد أخرى، فشاع ذلك ولم ينزل في شأنه وحي، فأراد النبي ﷺ سلوك طريقة يختبر حاله بها.

(٢) أي يأتيه الشيطان بما يسترقه من السمع فيصدق فيه، ويأتيه مع ذلك بالكذب فيكذب عليه.

(٣) أي: لبِّس عليك الحق الذي يسترقه الشيطان، بالباطل الذي هو كذب إبليس.

(٤) في رواية أحمد (٢/ ١٤٨) بإسناد صحيح: «إني قد خبّأت لك خبيئًا». وخبّأ له ﴿يوم تأتي السماء بدُخَانٍ مبين﴾ فيها تصريح بأن الذي «خُبِّئ» هو سورة «الدخان».

قال الحافظ في «الفتح»: «وأما جواب ابن صياد بـ«الدُّخُّ» فقيل: إنه اندهش فلم يقع من لفظ «الدخان» إلاّ على بعضه.

و«الدُّخُّ» هو بضم الدال وتشديد الخاء، وهو لغة في الدُّخان. وحكى صاحب «نهاية الغريب» فتح الدال وضمَّها، والمشهور في كتب اللغة والحديث ضمها.

والصحيح المشهور وهو قول الجمهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدُخَانٍ مبين﴾.

ولم يهتد ابن صياد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلاّ هذا اللّفظ الناقص، على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب، ويدل عليه قوله =

فقال: «اخسأ، فلن تعدوَ قَدْرَك»[1] . فقال عمر رضي الله عنه: دَعْني يا رسول اللَّه أضربُ عُنقَه. فقال النبي ﷺ: «إن يَكُنْه فلن تُسلَّط عليه»[2] ، وإن لم يَكُنْه فلا خيرَ لك في قَتْله»[3] .

● وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: لَقِيه رسولُ اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمرُ في بعضِ طرقِ المدينة، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «أتشهدُ أني رسولُ اللَّه؟». فقال هو: أتشهدُ أني رسولُ اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «آمنتُ باللَّه وملائكته وكُتبه، ما ترى؟» قال: أرىٰ عَرشًا على الماء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «ترى عرشَ إبليس على البحر. وما ترى؟» قال: أرىٰ صادقِينَ وكاذبًا -أو: كاذِبين وصادقًا-. فقال رسول اللَّه ﷺ: «لُبِّس عليه. دعوه»[4] .

= ﷺ: «أخسأ فلن تعدوَ قَدْرَك» أي: القدر الذي يدرك الكهّان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يبين من تحقيقه، ولا يصل به إلى بيان أمور الغيب.

(١) اخسأ: أي: اسكت صاغرًا مطرودًا. وأصل معناها التباعد والطرد. انظر «لسان العرب» (١١٥٥-١١٥٦). وقال النووي: اخسأ: اقعد.
«فلن تعدو قدرك»: قال الحافظ: أي لن تجاوز ما قَدَّر اللَّه فيك، أو مقدار أمثالك.
قال العلماء: استكشف النبي ﷺ أمره ليبين لأصحابه تمويهه لئلا يلتبس حاله على ضعيف لم يتمكن من الإسلام.
ومُحَصَّل ما أجاب به النبي ﷺ أنه قال له على طريق الفرض والتَنَزُّل: إن كنت صادقًا في دعواك الرسالة ولم يختلط عليك الأمر آمنت بك، وإنْ كنتَ كاذبًا وخُلِّط عليك الأمر فلا، وقد ظهر كذبك والتباس الأمر عليك؛ فلا تعدو قدرك.

(٢) أي: إنْ يكن هو الدجال الذي سيخرج بين يدي الساعة فلن تستطيع قتله؛ لأن اللَّه سبحانه قدّر أنّه خارج.

(٣) رواه البخاري (٣/٢١٨) (٣٠٥٥)، ومسلم (٦/٦١٦) (٢٩٣٠)، وأبو داود (٤٣٢٩)، والترمذي بنحوه (٢٢٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٢٥)، والترمذي (٢٢٤٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

◻ وعن أبي سعيد الخُدريِّ ﵁ قال: «قال لي ابنُ صائد ـ وأخذَتْني منه ذمامةٌ[١] ـ: هذا عَذَرْتُ الناسَ.. ما لي وما لكم يا أصحابَ محمد؟! ألم يقُل نبيُّ اللَّه ﷺ: «إنه يهوديٌّ»، وقد أسلمتُ؟ قال: «ولا يُولَدُ له»، وقد وُلِدَ لي؟ وقال: «إنَّ اللَّه قد حَرَّم عليه مكةَ»، وقد حججتُ؟!.

قال: فما زال حتىٰ كاد أن يأخذَ فيَّ قولُه. قال: فقال له: أمَا واللَّهِ إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرفُ أباه وأُمَّه، قال: وقيل له: أيَسُرُّكَ أنك ذاك الرَّجُل؟ فقال: لو عُرِض عليَّ ما كَرِهتُ»[٢].

◻ فابنُ صيَّاد لا يكره أن يكونَ هو الدجّال، ويزعم أنه يَعرفُ مولِدَ الدجَّال ومكانه: فعن أبي سعيد الخدري قال: «صحبتُ ابنَ صائد إلىٰ مكة، فقال: أمَا قد لقيتُ من الناس! يزعمون أنِّي الدجَّال، ألستَ سمعتَ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنه لا يُولَدُ له»؟ قلت: بلىٰ، قال: فقد وُلِد لي، أو ليس قد سمعتَ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «لا يدخلُ المدينةَ ولا مكةَ»؟ قلت: بلىٰ. فقال: فقد وُلِدت بالمدينة، وها أنذا أريدُ مكة. قال: ثم قال لي في آخرِ قولِه: أمَا واللَّهِ إني لأعلمُ مولدَه ومكانَه وأين هو؟ قال: فلبَّسني[٣]»[٤].

◻ وكان عمرُ بنُ الخطاب وابنُه وأبو ذرٍّ وابنُ مسعود يقولون: «إنَّ ابن صيَّاد هو المسيحُ الدجال».

◻ فعن محمدِ بنِ المنكدر قال: «رأيتُ جابرَ بنَ عبداللَّه يحلفُ باللَّهِ: إنَّ ابنَ صياد الدجَّال. قلت: تحلفُ باللَّه؟ قال: إني سمعتُ عمرَ يحلفُ

---

(١) الذَّمامة: الحياء والإشفاق.
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٢).
(٣) لبَّسني. أي: جعلني ألتبس في أمره.
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٢٧).

على ذلك عند النبي ﷺ، فلم يُنكِرْه النبيُّ ﷺ»(١) .

◻ وعن زيدِ بنِ وهبٍ، قال: قال أبو ذرٍّ: «لأَنْ أحلفَ عشْرَ مِرارٍ أن ابنَ صائدٍ هو الدَّجال أَحَبُّ إليَّ مِن أن أحلفَ مرةً واحدةً أنه ليس به»(٢) .

◻ وعن نافعٍ قال: كان ابنُ عمر رضي الله عنهما يقول: «واللَّهِ، ما أشكُّ أن المسيحَ الدجَّال ابنُ صياد»(٣) .

◻ وعن عبداللَّه بنِ مسعود رضي الله عنه قال: «لأَنْ أحلفَ باللَّه تسعًا أنَّ ابن صيَّادٍ هو الدجال أحبُّ إليَّ من أحلفَ واحدةً، ولأن أحلفَ تسعةً أنَّ رسول اللَّه ﷺ قُتِل قتلاً أحبُّ إليَّ مِن أحلفَ واحدة، وذلك بأن اللَّه اتَّخذه نبيًّا وجعله شهيدًا»(٤) .

◻ قال الخَطَّابيُّ في «معالم السنن»: «وقد اختلف الناسُ في ابن صيَّاد اختلافًا شديدًا، وأُشكل أمرُه حتى قيل فيه كلُّ قول، وقد يُسأل عن هذا فيُقال: كيفَ يُقِرُّ النبيُّ ﷺ رَجُلاً يدَّعي النُّبوَّة كاذبًا، ويتركُه بالمدينة يساكنُه في دارِه، ويجاورُه فيها؟ وما معنى ذلك؟!» .

◻ ثم قال: «والذي عندي أن هذه القصةَ إنما جرَت معه أيامَ مهادنةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٥)، ومسلم (٢٩٢٩)، وأبو داود (٤٣٣١).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/١٤٨)، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/٣٢٩): إسناده صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٣٠) وصححه النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٧٧٠) وقد صحح الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٢٥) إسناده إلى موسى بن عقبة.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٢٧ ـ ١٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠١١٩).

رسولِ اللَّه ﷺ اليهودَ وحلفاءَهم، وذلك أنه بعدَ مَقدَمِه المدينةَ كتب بينه وبين اليهود كتابًا صالَحهم فيه على أنْ لا يُهاجُوا وأن يُتركوا على أمرهم، وكان ابنُ صيَّاد منهم أو دخيلاً في جُملتهم، وكان يَبلغُ رسولَ اللَّه ﷺ خبرُه وما يَدَّعيه مِن الكِهانة ويتعاطاه من الغَيب، فامتحنه ﷺ بذلك ليزوِّرَ به أمرَه، ويَخْبُرَ به شأنَه، فلما كلَّمه عَلِم أنه مُبْطِلٌ، وأنه من جُملة السَّحَرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رِئِيٌّ من الجنِّ، أو يتعاهدُه شيطان، فيُلقِي على لسانه بعضَ ما يتكلَّمُ به»[1].

◻ وقال النوويُّ: «باب ذكر ابن صيَّاد: يُقال له: «ابن صيَّاد»، و«ابن صائد»، واسمه «صافِ».. قال العلماء: وقصتُّه مُشكِلة، وأمرُه مُشتبه في أنه هل هو المسيحُ الدجَّالُ المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجَّالٌ من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهرُ الأحاديث أن النبي ﷺ لم يُوحَ إليه بأنه المسيحُ الدجَّال ولا غيره، وإنما أُوحِيَ إليه بصفاتِ الدجَّال، وكان في ابنِ صياد قرائنُ مُحتمِلة؛ فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطعُ بأنه الدجَّال ولا غيرُه، ولهذا قال لعمرَ رضي الله عنه: «إن يكن هو فلن تستطيعَ قتلَه»، وأمَّا احتجاجُه هوَ - أي: ابن صياد بأنه مسلم والدجَّالُ كافرُ، وبأنه لا يُولَدُ للدجَّال، وقد وُلِد له هو، وألاَّ يدخل مكة والمدينة وأن ابنَ صيَّادٍ دَخَل المدينة وهو متوجِّهٌ إلى مكة، فلا دلالة له فيه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ إنما أخبر عن صفاتِه وقت فتنتِه وخروجه في الأرض.

---

(١) «معالم السنن مع أبي داود» (٤/ ٥٠٣).

ومِن اشتباه قَصَّته وكونه أحدَ الدجاجلة الكذَّابين: قوله للنبي ﷺ: «أتشهدُ أني رسولُ اللَّه؟» ودعواه: أنه يأتيه صادقٌ وكاذب، وأنه يرىٰ عرشًا فوق الماء..».

◻ ثم نقل كلامًا للبيهقي قاله في كتاب «البعث والنشور» قال: «وليس في حديث جابر أكثرُ من سكوتِ النبي ﷺ لقول عمر، فيُحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقِّف في أمرِه، ثم جاءه البيانُ أنه غيرُه كما صرَّح به في حديثِ تميم» اهـ.

فإن قيل: كيف لم يَقتُلْه النبي ﷺ مع أنَّه ادَّعىٰ بحضرته النبوة؟!.

فالجواب من وجهين ـ ذكرهما البيهقيُّ وغيره من العلماء ـ:

أحدهما: أنه كان غيرَ بالغ.. واختار القاضي عياضٌ هذا الجواب.

والثاني: أنه كان في أيامِ مهادنةِ اليهود وحلفائهم.. وجزم الخطابي في «معالم السنن» بهذا الجواب الثاني.

* **مسيلمة الكذاب دجَّال اليمامة ـ لعنه اللَّه، وقد فعل ـ:**

هو عدوُّ اللَّهِ مُسيلِمة بنُ ثُمامة بنِ كبير بن حبيب الحَنَفي الوائلي.

● قال عبيدُاللَّه بن عبداللَّه: «سألتُ عبدَاللَّه بنَ عباس ﷺ عن رؤيا رسول اللَّه ﷺ التي ذَكَر؟ فقال ابنُ عباس: ذُكِرَ لي أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ، رأيتُ أنَّه وُضِع في يَدَيَّ سِوارانِ من ذهب، فقطعتُهما وكرِهتُهما، فأُذِن لي، فنفختُهما فطارا، فأوَّلتهما كذَّابانِ يخرجان**»[1].

فقال عُبيداللَّه: أحدهما: «العَنْسِيُّ» الذي قتله فيروزٌ في اليمن، والآخر: «مُسيلِمة».

(١) رواه البخاري (٧٠٢٣).

❑ قال الحافظ في «الفتح»[1] : «قوله: «فنفختُهما فطارا»: في ذلك إشارةٌ إلىٰ حقارة أمرهما؛ لأنَّ شأن الذي يُنفَخُ فيذهبُ بالنفخ أن يكون في غايةِ الحقارة، وردَّه ابنُ العربي بأن أمرهما كان في غايةِ الشدَّة ولم ينزل بالمسلمين قبلَه مثلُه.

قلت: وهو كذلك، لكنَّ الإشارةَ إنما هو للحقارة المعنوية لا الحسيَّة، وفي طَيَرانِهما إشارةٌ إلىٰ اضمحلالِ أمرهما ـ كما تقدم ـ.

وقوله: «فأوَّلتُهما الكذَّابَيْنِ»: قال القاضي عياض: لما كان رؤيا السِّوَارَيْن في اليدَيْن جميعًا من الجهتَيْن، وكان النبيُّ ﷺ حينئذ بينهما، فتأوَّل السوارَيْنِ عليهما لِوَضْعِهما في غير موضِعِهما؛ لأنه ليس من حِلْيَةِ الرجال، وكذلك الكذَّابُ يضعُ الخبرَ في غيرِ موضعه، وفي كونهما مِن ذهبٍ إشعارٌ بذهابِ أمرِهما».

● وعن ابن عباس ﷺ، قال: «قَدِم مسيلمةُ الكذَّابُ علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ، فجعل يقول: إنْ جَعَل لي محمدٌ الأمرَ من بعده تَبِعْتُه، وقَدِمَها في بَشَرٍ كثير مِنْ قومه، فأقبل إليه رسولُ اللَّه ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شمَّاس، وفي يد رسول اللَّه ﷺ قطعةٌ من جَرِيد، حتىٰ وقف علىٰ مسيلِمة في أصحابه، فقال: «لو سألْتَني هذه القطعةَ ما أعطيتُكها، ولن تَعْدُوَ أمرَ اللَّه فيك، ولئن أدبرتَ لَيَعْقِرَنَّك اللَّهُ، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ، وهذا ثابتٌ يجيبك عني»، ثم انصرف عنه»[2].

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣)، والترمذي (٢٢٩٢)، وقال: هذا حديث صحيح حسن غريب.

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «بينا أنا نائمٌ، إذْ أُتيتُ خزائنَ الأرض، فوُضِع في يدي سوارانِ من ذهب، فكَبُرا عليَّ وأهمَّاني، فأُوحي إليَّ: أنِ انفُخْهما، فنَفَختُهما فطارا، فأوَّلْتُهما الكذَّابَيْنِ اللَّذيْنِ أنا بينهما: صاحبُ صنعاء، وصاحبُ اليمامة»[1] .

◻ قال الحافظ في «الفتح»[2] : «قوله: «اللذيْن أنا بينهما» ظاهرٌ في أنهما كانا حين قصَّ الرؤيا موجودَيْن، وهو كذلك، لكن وقع في روايةِ ابن عباس: «يخرجانِ بعدي».

والجمعُ بينهما: أنَّ المرادَ بخروجهما بعده: ظهورُ شوكتِهما ومحاربتُهما ودعواهما النُّبُوَّة. . نقله النووي عن العلماء، وفيه نظر؛ لأن ذلك كلَّه ظَهَر للأسود بصنعاءَ في حياته ﷺ، فادَّعى النُّبُوَّة، وعَظُمت شوكتُه، وحارب المسلمين وفَتَك بهم، وغَلَب على البلد، وآلَ أمرُه إلى أنْ قُتِل في حياة النبي ﷺ، وأمَّا مُسيلِمة فكان ادَّعى النبوَّة في حياةِ النبي ﷺ، لكنْ لم تَعظُمْ شوكتُه، ولم تقعْ محاربتُه إلاَّ في عهد أبي بكر، فإمَّا أن يُحمَل ذلك على التغليب، وإمَّا أن يكونَ المرادُ بقوله: «بعدي»، أي: بعد نُبُوَّتي».

● وعن وهبِ بن منبِّهٍ، عن جابر بن عبداللَّه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إنَّ بيْن يَدَيِ الساعة كذَّابينَ، منهم صاحبُ اليمامة، ومنهم صاحبُ صنعاء العَنسيُّ، ومنهم صَاحِبُ حِمْيَر، ومنهم الدجَّال وهو أعظمُهم فتنة»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٣٦)، ومسلم (ص١٧٨١).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٢٤).

(٣) صحيح: أخرجه ابن حبان. انظر «موارد الظمآن» (١٨٩٧).

قال: وقال أصحابي: «همُ قريبٌ من ثلاثين كذَّابًا».

مسيلمة الكذَّاب، «كَذَّابُ اليمامة»، وكان يُدعىٰ «رحمان اليمامة»، ادَّعىٰ النبوةَ في عهدِ رسول اللَّه ﷺ، قَصَدَتْه سَجَاح ـ لَمَّا ادَّعَتِ النبوة ـ بجنودها، لأخذِ اليمامة منه، فهابه قومُها، وقالوا: إنه قد استَفْحَل أمرُه وعَظُم، فقالت لهم فيما تقوله: «عليكم باليمامة، دُفُّوا دفيفَ الحمامة، فإنها غزوةٌ صَرَّامة، لا تَلحقُكم بعدها ملامة».

قال: فعَمَدوا لحربِ مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه، خافَها علىٰ بلاده، فبعث إليها يستأمنُها، ويضمنُ لها أن يُعطيَها نصفَ الأرض الذي كان لقريشٍ لو عَدَلَت، «فقد رَدَّه اللَّهُ عليكِ فحباكِ به».. وراسلها، ليجتمعَ بها في طائفةٍ من قومه، فركب إليها في أربعينَ من قومه، فلما خلا بها عَرَض عليها ما عَرَض من نصف الأرض، وقَبِلت ذلك، قال مسيلمة: «سَمِع اللَّهُ لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا يزالُ أمرُه في كلِّ ما يَسُرُّ مجتمع، رآكم ربُّكم فحيَّاكم، ومِن وحشته أخلاكم، ويومَ دينِه أنجاكم فأحياكم».. إلىٰ آخرِ الهراء، وإلىٰ آخرِ ما فعل اللعين، مما يَعِفُّ القلمُ عن ذِكره. فلما رجعت سَجاحُ إلىٰ قومها قالوا: «ما أَصْدَقَكِ؟ فقالت: لم يُصدِقْني شيئًا، فقالوا: إنه قبيحٌ علىٰ مِثلِكِ أن تتزوجَ بغيرِ صَداق»، فبعثت إليه تسأله صداقًا، فقال: «أرسلي إليَّ مؤذنَكِ»، فبعثته إليه ـ وهو شَبَثُ بن رِبعي ـ فقال: «نادِ في قومك أن مسيلمة بنَ حبيب رسولَ اللَّه: قد وضع عنكم صلاتَيْن، مما أتاكم به محمد ـ يعني صلاةَ الفجر وصلاةَ العشاء الآخرة[1] ـ»،

---

(١) «في الفرق بين الفرق» (ص٣٤٥) للبغدادي «أسقط وجوب صلاتيْ الصبح والمغرب، وجعل سقوطها مهراً لامرأته سجاح المتنبِّأة».

ثم أسلمت بعد ذلك سجاحُ.

هذا الكذَّابُ الذي كَذَب على اللَّه ورسوله، فشانَه اللَّهُ وفَضَحه بكَذِبه، فما يُسمَّىٰ إلاَّ مسيلِمة «الكذَّاب»، وكفىٰ به جزاءً في الدنيا، فكيف بالقتل وقد قَتَله وحشيٌّ العبد؟ فكيف بيوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وكان مؤذِّنَه «عبدُاللَّه بن النوَّاحة»، والذي يُقيم الصلاة له «حُجير بن عمير»، وكان يقول أثناءَ الإقامة: «أشهد أن مسيلمةَ يزعم أنه رسول اللَّه»، فقال مسيلمة: «أفْصح حُجَيْر، فما في المجمجة خير»[1].

وجاء في قرآنِ مسيلِمة الكذابِ مما يُثير الضحكَ والعجبَ العُجاب:

◻ قال الحافظُ ابن كثير: «لَمَّا قَدِمت وفودُ بني حنيفة على الصِّدِّيق[2] قال لهم: أَسْمِعونا شيئًا من قرآنِ مُسيلِمة. فقالوا: أَوَ تُعفينا يا خليفةَ رسولِ اللَّه؟ فقال: لابُدَّ من ذلك. فقالوا: كان يقول: يا ضِفْدع بنتَ الضِّفْدَعين، نِقِّي كمْ تَنقِّين، لا الماءَ تُكدِّرينْ، ولا الشاربَ تَمنَعِين، رأسُك في الماء، وذَنَبُك في الطِّين».

وكان يقول: «والمُبَذِّرَات زَرْعًا، والحاصِداتِ حصدًا، والذَّارياتِ قمحًا، والطاحِناتِ طَحْنًا، والخابِزات خُبْزًا، والثارِداتِ ثَرْدًا، واللاقماتِ

(١) «الكامل» (٢/ ٣٦١).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٤، ٣٠٠) بنحوه.

لقْمًا، إهالةً وسَمْنًا، لقد فُضِّلتُم على أهل الوبَر، وما سَبَقكم أهلُ المَدَر، رفيقَكم فامنعوه، والمُعتَرَّ فآووه، والناعي[١] فواسوه».

واللّهِ، إنها لَخرافاتٌ يأنفُ من قولها الصبيان، وهم يلعبون.

◻ قال الصِّدِّيق لوفد بني حنيفة: «ويحكم، أين كان يذهبُ بعقولكم؟ إن هذا لم يخرج من إلٍّ»[٢].

◻ وكان الكذَّابُ يقول: «والفيلِ، وما أدراك ما الفيل، له زُلّومٌ طويل».

◻ وكان يقول: «والليلُ الدامس، والذئبِ الهامس، ما قَطَعَت أسَدٌ من رَطْبٍ ولا يابس».

◻ وكان يقول: «لقد أنعم اللّهُ على الحُبْلى، أخرج منها نَسَمةً تَسْعى، من بين صِفاقٍ وحَشًا».

وأشياء من هذا الكلام السَّخيف الرَّكيك البارد السَّمج. . وقد أورد أبو بكر بنُ الباقِلاَّني - رحمه اللّه - في كتابه «إعجاز القرآن»[٣] أشياءَ من كلام هؤلاء الجَهَلة المُتنبِّئين كمسيلمة، وطُلَيْحة، والأسودِ، وسَجاح، وغيرهم، مما يدلُّ على ضعْف عقولهم وعقولِ من اتَّبعهم على ضلالهم ومِحالهم، وقد رُوِّينا عن عمرِو بن العاص أنه وَفَد إلى مسيلمة في أيام جاهليته. فقال له مُسيلِمة: «ماذا أُنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد

---

(١) وفي نسخة: والباغي فناوئوه.

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٦١): «إن هذا لم يخرج من إلٍّ»، أي من ربوبية والإلُّ بالكسر هو اللّه تعالى، وقيل: الإل: هو الأصل الجيد.

(٣) «إعجاز القرآن» (ص١٥٦، ١٥٧).

أُنزل عليه سورةٌ وجيزةٌ بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ.. ﴾ [العصر: ١-٢]، قال: ففكر مسيلِمة ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أُنزل عليَّ مثلُها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: «يا وَبَر يا وبر، إنما أنت إيرادٌ وصَدَر، وسائرُك حُفَرٌ نُقَر».

ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: واللَّهِ، إنك لَتعلمُ أني أعلمُ أنك تكذب».

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبَّه بالنبي ﷺ، فبلَغه أن رسولَ اللَّه ﷺ بَصَق في بئرٍ فغَزَر ماؤه، فبَصَق في بئر، فغاض ماؤه بالكلية، وفي أخرى فصار ماؤه مِلْحًا أُجاجًا.

وتوضَّأ وسقى بوضوئه نخلاً، فَيَبُست وهَلَكت.

وأُتي بوِلْدانٍ يُبرِّكُ عليهم، فجعل يمسحُ رؤوسهم، فمنهم من قَرَع رأسُه، ومنهم من لُثغ لسانه!!.

* **جَزاءُ هذا الكذَّاب اللعين:**

فُضوح الدنيا قبل الآخرة، وتكذيبُ الناس له، ويقال: إنه دعا لرجلٍ أصابه وجع في عينيه فمَسَحها فعمي.

◻ وعن عُمير بنِ طلحةَ، عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة، فقال: «أين مسيلِمة؟ فقال: مه رسول اللَّه، فقال: لا، حتى أراه، فلما جاء قال: أنت مسيلِمة؟ قال: نعم. قال: مَن يأتيك؟ قال: رِجس، قال: أفي نورٍ أم في ظُلمة؟ فقال: في ظُلمة، فقال: أشهدُ أنك كذَّاب وأن محمدًا صادق، ولكنَّ كذابَ ربيعةَ أحبُّ إلينا من صادقِ مُضَر».

واتبعه هذا الأعرابيُّ الجِلْفُ ـ لعنه اللَّه ـ حتىٰ قُتل معه «يوم عقربا» ـ لا رحمه اللَّه ـ[1] .

ذهب الكذَّابان، وذهب أمرُهُما . . أما الأسود، فذُبح في داره. . وأمَّا مسيلِمة، فعقَره اللَّه علىٰ يدِ وَحْشيٍّ بنِ حرب، رماه بالحَربةِ، فأنفَذَه كما تُعقَرُ الإبل، وضَرَبه أبو دُجانة علىٰ رأسه ففَلَقه ـ وذلك بعُقرِ داره في «حديقة الموت» ـ، وقد قُتل قبلَه وزيراه: «مُحكَّمُ بنُ الطُّفيل» و«الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَة» .

● رَوىٰ البخاريُّ أنَّ مسيلَمةَ كَتَب إلَىٰ رسول اللَّه ﷺ : «بسم الله الرحمن الرحيم . . من مسيلمة رسولِ اللَّه، إلىٰ مُحمدٍ رسولِ اللَّه، سلامٌ عليك، أمَّ بعد، فإنِّي قد أُشرِكتُ معك في الأمر، فلك المَدَرُ، ولِي الوَبَر[2] . . ولكنَّ قريشًا قومٌ يَعتدون» .

● فكتب إليه رسولُ اللَّه ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، **من محمدٍ رسول اللَّه ﷺ إلى مسيلِمة الكذاب، سلامٌ على مَنِ اتَّبع الهدى.**

أما بعد: فإن الأرض للَّه، يُورثُها مَن يشاءُ من عباده، والعاقبة للمتقين».

ولَمَّا مات رسولُ اللَّه ﷺ زَعَم أنه استَقَلَّ بالأمر من بعده، واستخفَّ قومَه فأطاعوه، وكان يقول:

خُذِي الدُّفَّ يَا هَذه والْعَبي ... وبُثِّي مَحَاسنَ هَذَا النَّبي
تَولَّى نَبِي بَنِي هَاشِمٍ ... وَقَامَ نَبِي بَنِي يَعْرُبِ

فلم يُمهِلْه اللَّهُ بعد وفاةِ رسول اللَّه ﷺ، حتىٰ سَلَّط اللَّهُ عليه سَيفًا من

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) ويُروىٰ: «فلكم نِصفُ الأرض، ولنا نِصفُها».

سيوفه، وحَتْفًا من حُتوفه، فعَجَّ بطنَه، وفَلَق رأسَه، وعَجَّل اللَّهُ بروحه إلى النار، فبئس القرار.

* قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فمسيلِمة والأسود وأمثالُهما ـ لعنها اللَّه ـ أحقُّ الناس دخولاً في هذه الآية الكريمة، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة[1] اهـ.

◻ أنزل اللَّهُ عظيمَ عذابه في الدنيا على كذَّابِ اليمامة في معركةِ اليمامة، ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأنكى وأخزَى. وكانت وقعةُ اليمامة في سَنَةِ إحْدَىٰ عشْرةَ كما قال خليفةُ بنُ خَيَّاط ومحمدُ بنُ جرير وخَلْقٌ من السَّلَف[2].

◻ وقال ابنُ قانع[3]: «في آخرِها».

◻ وقال الواقدي[4] وآخرون: «كانت في سَنَة ثِنْتَي عَشْرة».

والجمع بينهما أن ابتداءَها في سنة إحدىٰ عشْرَة، والفراغَ منها في سنةِ ثِنْتَيْ عشرة.

رماه وَحشيٌّ بحَرْبته، وعلاه أبو دُجانة ـ سماكُ بنُ خَرَشة الساعديُّ الخَزْرَجيُّ الأنصاريُّ البَدْرِيُّ ـ بالسَّيف، قال وَحشيٌّ: فربُّك أعلم أيُّنا قتَله!.

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

(٢) «تاريخ خليفة» (١/ ٨٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨١).

(٣، ٤) انظر «تاريخ الإسلام» للذهبي، جزء «الخلفاء الراشدين» (ص٤٠، ٤١).

* **الأسودُ العَنْسِيُّ كذابُ اليمن ـ لعنه اللَّه ـ:**

الأسودُ العَنسيُّ، واسمه «عَبْهَلة بنُ كعب»، وهو من بني عَنْس، وعَنْسٌ بطنٌ من مِذْحَج، وكان يقال له: «ذو الخِمار» لأنه كان يُخَمِّر وجهه أبدًا، وكان معه شيطانان يُقال لأحدهما «سُحَيق» والآخر «شُقَيْق»، وكانا يُخبرانه بكلِّ شيءٍ يحدثُ من أمور الناس[١].

وكان النبيُّ ﷺ قد جَمَع لباذانَ ـ حين أسلم وأسلم أهلُ اليمن ـ عَمَلَ اليمنِ جميعَه، وأمَّرَه على جميع مَخاليفه، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات، فلما مات جَعل على اليمن شهرَ بنَ باذان.

وكان الأسودُ العنسيُّ لما عاد رسولُ اللَّه ﷺ من حَجَّةِ الوداع وتمرَّض من السفر غيرَ مرضِ موته، بَلَغه ذلك فادَّعى النبوة، وكان مُشعبِذًا يُريهم الأعاجيب، فاتبعته مَذحج، وكانت رِدَّةُ الأسود أولَ رِدةٍ في الإسلام على عهد رسول اللَّه ﷺ، وغزا نَجرانَ، فأخرج عنها عمروَ بنَ حزم، وخالدَ بن سعيد، ووثب قيسُ بنُ عبدِ يغوثَ بنِ مشكوح على فَروةَ بنِ مُسيك وهو على «مراد»، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسودُ عن نجرانَ إلى صنعاء، وخرج إليه شهرُ بنُ باذان[٢]، فلقيَه، فقُتِل شَهرٌ لخمس وعشرين ليلةً من

(١) «المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) نقل الحافظُ ابنُ حجر في «فتح الباري» (٨/ ٩٣) ما رواه يعقوبُ بنُ سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٦٢، ٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٣٥، ٣٣٦) أنَّ باذانَ كان عاملَ النبيِّ بصنعاءَ فمات، فجاء شيطانُ الأسود فأخبره، فخَرج في قومه حتى مَلَك صنعاء وتزوَّج المَرْزُبانة زوجةَ باذان، فذكر القصةَ في مواعدتها داذَوَيه وفيروزَ وغيرهما حتى دخلوا على الأسود ليلاً، وقد سَقَته المرزبانةُ الخمرَ صِرفًا حتي سكِر، وكان على بابه ألفُ حارس، فنقَب فيروزُ ومَن معه الجدارَ حتى دخلوا فقتله فيروزُ، واحتزَّ رأسَه، =

خروج الأسود، وخرج معاذٌ حتىٰ لَحِقَ بأبي موسىٰ وهو بمأربَ، فلَحقا بحَضْرَموتٍ.

ولَحِقَ بفَروةَ مَن تمَّ علىٰ إسلامه من مَذحِجٍ، واستتبَّ للأسود مُلْكُ اليمن، ولَحِق أمراءُ اليمن بالطاهر بن أبي هالةَ، إلاَّ عمراً وخالداً، فإنهما رَجَعا إلىٰ المدينة والطاهرُ يومئذٍ بجبال عَكٍّ وجبالِ صنعاء، وغَلَب الأسودُ علىٰ ما بين مفازةِ حَضْرَمَوْتَ إلىٰ الطائفِ إلىٰ البحرين والإحساءِ إلىٰ عَدَن، واستطار أمرُه كالحريق، وكان معه سَبْعُمِئة فارس يومَ لَقِي شهراً سوىٰ الركبان، واستَغْلَظَ أمرُه، وكان خليفتُه في مذحج عمرُو بنُ مَعديكرب، وكان خليفتُه علىٰ جُنده قيسَ بنَ عبدِ يغوث، وأمرُ الأبناء إلىٰ فيروز وداذويه، وكان الأسودُ تزوج امرأةَ شهرِ بنِ باذان بعد قَتْلِه، وهي ابنةُ عمٍّ فيروز، وخاف مَن بحَضْرَمَوْتَ من المسلمين أن يبعثَ إليهم جيشاً أو يَظهرَ بها كذَّابٌ مثل الأسود، فتزوَّج معاذٌ إلىٰ السَّكُون فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلىٰ مَن باليمن من المسلمين كتابُ النبي ﷺ يأمرُهم بقتالِ الأسود، فقام معاذٌ في ذلك، وقَوِيت نفوسُ المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي ﷺ وَبْرُ بنُ يُحَنَّسَ الأزديُّ، قال جشنس الدَّيلميُّ: فجاءتنا كُتُب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله، إما مصادمةً، أو غِيلةً؛ يعني إليه وإلىٰ فيروز[1] وداذويه، وأن نُكاتِبَ من عنده دِين، فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً

= وأخرجوا المرأةَ وما أحبُّوا من مَتاعِ البيْت، وأرسلوا الخبر إلىٰ المدينة، فوافىٰ بذلك عند وفاةِ النبي ﷺ.

(١) هو الصحابي المبارك أبو عبدالرحمن، وأبو الضحاك، وأبو عبدالله، فيروز الديلمي من الأبناء، والأبناء هم ولد الفُرْس لمساعدة سيف بن ذي يزن علىٰ طرد الأحابيش وهم من

كثيفًا، وكان قد تغيَّر لقيسِ بنِ عبدِ يغوث، فقلنا: إن قيسًا يخافُ على دمِهِ فهو لأولِ دعوةٍ فدعوناه، وأبلغناه عن النبي ﷺ، فكأنما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا وكاتَبْنا الناسَ، فأخبره الشيطانُ شيئًا من ذلك، فدعا قيسًا أن شيطانَه يأمُره بقَتله لميله إلى عدوِّه، فحَلَف له قيسٌ: لأنت أعظمُ في نفسي من أن أُحدِّث نفسي بذلك.

ثم أتانا فقال: يا جشنسُ، ويا فيروزُ، ويا داذويه، فأخبَرَنا بقول الأسود، فبينا نحن معه يحدِّثنا إذ أرسل إليه الأسود فتهدَّدَنا، فاعتذَرْنا إليه ونجونا منه ولم نَكَدْ، وهو مرتابٌ بنا ونحن نَحذَرُه، فبينا نحن على ذلك إذ جاءتنا كتبُ عامرِ بنِ شهر، وذي زود، وذي مران، وذي الكَلاع، وذي ظلم يبذلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يَفعلوا شيئًا حتى نُبرمَ أمرَنا، وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتَبَهم النبيُّ ﷺ، وكتب أيضًا إلى أهلِ نجرانَ فأجابوه، وبلغ ذلك الأسودَ وأحسَّ بالهلاك، قال: فدخلت على آزاد ـ وهي امرأتُه التي تزوَّجها بعد قتلِ زوْجها شهرِ بن باذان ـ، فدعوتُها إلى ما نحن عليه، وذكَّرتها قتلَ زوجِها شهرٍ وهلاكَ عشيرتِها وفضيحةَ النساء، فأجابت وقالت: واللَّه ما خلَقَ اللَّهُ شخصًا أبغضَ إليَّ منه، ما يقومُ للَّه على حقٍّ، ولا ينتهي عن مُحرَّم، فأعلِموني أمركم أُخبِركم بوجهِ الأمر.

قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز، وداذويه، وقيْسًا. قال: وإذْ قد جاء رجلٌ فدعا قيسًا إلى الأسود، فدخل في عَشَرةٍ من مَذْحج وهَمْدان، فلم

= أمهات عربيات. ويُقال: الحِميري؛ لنزوله في حِميَر ومحالفته إيّاهم.. وهو قاتل الأسود العنسي.

يَقْدِرْ على قتلِه معهم، وقال له: ألم أُخبِرْك الحقَّ وتخبِرْني الكَذِبَ؟ إنه ـ يعني شيطانه ـ يقول لي: إن لا تَقطعْ من قيسٍ يَدَه يقطعْ رقبتك.

فقال قيس: إنه ليس من الحقِّ أنْ أَهْلِكَ وأنت رسولُ اللَّه، فمُرْني بما أحببتَ أو اقتُلْني، فموتةٌ أهونُ من موْتات.. فرقَّ له وتركه، وخرج قيسٌ فمرَّ بنا وقال: اعملوا عَمَلكم. ولم يقعدْ عندنا، فخرج علينا الأسودُ في جَمعٍ، فقمنا له وبالباب مئةٌ ما بين بَقرةٍ وبَعير، فنحرها، ثم خلاَّها، ثم قال: أحقٌّ ما بلغني عنك يا فيروز ـ وبوَّأ له الحَربة ـ لقد هممتُ أن أنْحرَك. فقال: لقد اختَرْتَنا لصِهْرِك، وفَضَّلْتَنا على الأبناء، فلو لم تكن نبيًّا لَمَا بِعْنا نَصيبَنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ الدنيا والآخرة؟!.

فقال له: اقسِمْ هذه.. فقَسَمها ولَحِقَ به، وهو يسمعُ سِعايةَ رجُلٍ بفيروز وهو يقول له: أنا قاتلُه غداً وأصحابه. ثم التفت، فإذا فيروز، فأخبره بِقَسْمتِها، ودخل الأسودُ، ورجع فيروز، فأخبَرَنا الخبر، فأرسلنا إلى قيسٍ، فجاءنا، فاجتَمَعْنا على أن أعودَ إلى المرأة فأُخبِرَها بعزيمتنا، ونأخذُ رأيها، فأتيتُها فأخبرتُها فقالت: هو متحرِّز، وليس من القصر شيءٌ إلا والحرسُ محيطون به، غير هذا البيت، فإنَّ ظَهْرَه إلى مكانِ كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقُبوا عليه، فإنكم من دونِ الحرسِ وليس دون قتلِه شيء، وستجدون فيه سِراجًا وسلاحًا.

فتلقاني الأسودُ خارجًا من بعضِ منازله فقال: ما أدخلَك عليَّ؟ ووجأ رأسي حتى سقطت، وكان شديدًا، فصاحت المرأةُ فأدهَشَتْه عني، ولولا ذلك لقتلني، وقالت: جاءني ابنُ عمي زائرًا ففعلتَ به هذا!! فتركني، فأتيتُ أصحابي فقلتُ: النجاءَ، الهربَ، وأخبرتُهم الخبر، فإنَّا على ذلك

حيارىٰ إذْ جاءنا رسولُها يقول: لا تَدَعَنَّ ما فارقتُك عليه، فلم أزل به حتىٰ اطمأن. فقلنا لفيروز: ائتها فتثبَّت منها. ففعل، فلما أخبرته قال: نَنْقَبُ علىٰ بيوتٍ مبطنة، فدخل، فاقتَلَع البِطانة، وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسودُ، فأخذته غيرةٌ، فأخبرته برَضاعٍ وقرابةٍ منها محرم، فأخرجه، فلما أمسينا عَمِلنا في أمرِنا، وأعمَلْنا أشياعَنا، وعَجِلْنا عن مراسلة الهَمْدانيين والحِمْيَريين، فنَقَّبْنا البيتَ من خارج، ودخلنا وفيه سراجٌ تحت جَفْنة، واتَّقينا بفيروزَ وكان أشدَّنا فقلنا: انظر ماذا ترىٰ؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرسِ معه في مقصورة، فلما دنا من بابِ البيت سَمع غطيطًا شديدًا والمرأةُ قاعدة؛ فلما قام علىٰ بابٍ أجلسه الشيطانُ وتكلَّم علىٰ لسانه وقال: ما لي وما لك يا فيروز؟ فخَشِي إنْ رجع أن يَهْلِكَ وتَهلِكَ المرأة، فعاجَلَه وخالَطه وهو مِثلُ الجَمَل، فأخذ برأسِه فقَتَله ودَقَّ عنقه، ووضع رُكبتَه في ظهرِه فدقَّه، ثم قام ليخرجَ، فأخذت المرأةُ بثوبه وهي ترىٰ أنه لم يقتلْه، فقال: قد قتلتُه وأرحتُكِ منه.. وخرج فأخبرنا، فدخلنا معه فخار كما يخورُ الثور، فقَطعتُ رأسَه بالشفرة، وابتدر الحرسُ المقصورةَ يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيُّ يوحَىٰ إليه.. فخَمَدوا، وقَعَدْنا نأتمرُ بيننا ـ فيروز وداذويه وقيس ـ: كيف نُخبِرُ أشياعَنا؟ فاجتمعنا علىٰ النداء، فلما طَلَع الفجرُ نادَيْنا بشعارِنا الذي بيننا وبين أصحابنا، ففَزِع المسلمون والكافرون، ثم نادَينا بالأذان فقلت: أشهدُ أن محمداً رسول اللَّه، وأن عَبهلةَ كذَّاب.. وألقينا إليهم رأسَه، وكتبنا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ بخبره وذلك في حياته، وأتاه الخبرُ من ليلته، وقَدِمت رسلُنا وقد تُوفِّي رسولُ اللَّه ﷺ، فأجابنا أبو بكر.

قال ابنُ عمر: أتىٰ الخبرُ من السماء إلىٰ النبي ﷺ في ليلته التي قُتِل

فيها فقال: «قُتل العنسيُّ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهلِ بيت مباركين»، قيل: وَمَن قتله؟ قال: «فيروز»[(١)] .

◘ فللَّه درُّ فيروز الدَّيلمي ﷺ من صحابيٍّ مباركٍ ودرُّ ابنةِ عمِّه آزاد التقية التي كان لها فضلٌ كبير في تمكين فيروز من قتل الأسود العنسي.. وشكَرَ اللَّهُ لها حُسنَ صنعها.

*** كرامةٌ لأبي مسلمٍ الخَوْلاني، وذُلٌّ للأسود كذَّاب اليمن:**

قَبْلَ مقتلِ الأسود العنسيِّ، أذلَّه اللَّهُ على يد وليٍّ من أبناءِ الإسلام وهو أبو مسلم الخَوْلاني؛ أُتي به إلى الأسود العنسيِّ، فقال له الأسود: أتشهدُ أني رسولُ اللَّه؟ فقال أبو مسلم: ما أسمعُ شيئًا. فقال الأسود: أتشهدُ أن محمدًا رسولُ اللَّه؟ قال أبو مسلم: بأبي هو وأمي، هو رسول اللَّه حقًّا. فألقاه في النار، فخرج منها سالمًا، فقال مَن حوله: انفِهِ من اليمن لئلاَّ يؤلِّبَ عليك العامة. فنفاه إلى المدينة، فأتى أبو مسلم المسجدَ، فقال له عمر ـ وكان مُحدثًا ـ أنت أبو مسلم الذي خرج من النار سالمًا؟ فقال له: أنا عبدُاللَّه بنُ ثُوَب، فقال له عمرُ: ناشَدتُك اللَّهَ أنت صاحبُ الكذَّاب، فقال أبو مسلم: أنا هو. فأجلَسَه عمرُ بينه وبين أبي بكر الصديق وقال: الحمد للَّه الذي لم يُمِتْ عمرَ حتى أراه اللَّه من أمةِ محمد ﷺ مَن صَنَع اللَّهُ به صُنْعَه بخليله إبراهيم.

◘ ونقل الحافظُ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٩٣) عن عروة أنه قال: «أُصيب الأسودُ قبل وفاة النبي ﷺ بيومٍ وليلة، فأتاه الوحيُ، فأخبَرَ به

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٤).

أصحابَه، ثم جاء الخبرُ إلىٰ أبي بكرٍ ﷺ».

▫ وقيل: «وصل الخبرُ بذلك صبيحةَ دَفْنِ النبي ﷺ».

*** لَقِيطُ بنُ مالكٍ الأَسَديُّ.. مُدَّعي النبوَّة:**

بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ نَبَغَ في أهلِ «عُمان» رجلٌ يقال له: «ذو التاج - لَقِيطُ بنُ مالكٍ الأَسَدَيُّ»، وكان يُسامِي في الجاهلية «الجَلَندي» مَلِكَ عُمان[1]، فادَّعىٰ النبوة، وتابَعَه الجَهَلَةُ مِن أهلِ عمان، فتَغَلَّب عليها، وقَهَر «جَيْفرًا وعبَّادًا ابني الجَلَندي»[2]، وألجأهما إلىٰ أطرافِها من نواحي الجبالِ والبحرِ، فبَعَث «جيفر» إلىٰ الصِّدِّيق، فأخبَرَه الخبر - واستجاشه -، فبعث إليه الصِّدِّيقُ بأميرَينِ هما «حذيفةُ بنُ مِحصَنٍ الحِمْيَريُّ» و«عَرْفَجةُ البارقي» من الأزد - حذيفةُ إلىٰ عُمان، وعَرْفجةُ إلىٰ مُهْرة -، وأمَرَهما أن يَجتمعَا ويتَّفِقَا ويبتدئا بعمان، وحذيفةُ هو الأمير، فإذا سارا إلىٰ بلادِ مُهْرة، فعَرفجةُ الأمير، وأَمَر الصِّدِّيقُ «عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ» أن يَلحقَ بحذيفةَ وعَرفجةَ إلىٰ عُمان، وكلٌّ منكم أميرٌ علىٰ جيشِه، وحذيفةُ - ما دمتم بعمان - فهو أميرُ الناس، فإذا فرغتم، فاذهبوا إلىٰ مُهْرة، فإذا فرغتم منها، فاذهبْ إلىٰ اليمن وحَضْرَمَوْتَ، فكن مع «المهاجرِ بنِ أبي أُميَّة»، ومَن لَقِيتَهُ منَ المُرتدَّةِ بين عُمانَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ، فنَكِّلْ به.

فسار عكرمةُ لِمَا أَمَره الصِّدِّيقُ، فلَحِقَ بحذيفةَ وعَرْفجةَ قبلَ أن يَصِلاَ إلىٰ عُمان، وقد كَتَب إليهما الصِّدِّيقُ أن ينتهيا إلىٰ رَأيِ عكرمةَ بعد الفراغِ منَ السَّيرِ من عُمان - أو المُقامِ بها -، فساروا، فلمَّا اقتربوا من عمانَ راسلوا

(١، ٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٤).

جَيْفرًا، وبلَغ لَقِيطَ بنَ مالكٍ مَجيءُ الجيش، فخَرَج في جُموعِه، فعَسْكَرَ بمكانٍ يُقال له «دبا» ـ وهي مِصرُ تلك البلاد وسوقها العظمىٰ ـ، وجَعل الذرارِيَّ والأموالَ وراءَ ظهورهم ـ ليكونَ أقوىٰ لحربهم ـ، واجتمع جيفرٌ وعبَّادٌ بمكانٍ يقال له: «صَحَار»، فعَسكرا به، وبَعَث إلىٰ أُمراءِ الصِّديق، فقَدِموا علىٰ المسلمين، فتقابَلَ الجيشانِ هنالك، وتقاتَلوا قتالاً شديداً، وابتُلِي المؤمنون، وكادوا أن يُوَلُّوا، فمَنَّ اللَّهُ بكَرمِه ولُطفِه أنْ بَعَثَ إليهم مَدداً في الساعةِ الراهنةِ من «بني ناجِية» و«عبد القَيس» في جماعةٍ من الأمراء، فلمَّا وَصَلوا إليهم كان الفتحُ والنصر، فولَّىٰ المشركون مُدبِرين، وركِب المسلمون ظهورَهم، فقتلوا منهم عشرةَ آلافِ مقاتل، وسَبَوْا الذراريَّ، وأَخذوا الأموالَ والسُّوقَ بحذافيرها، وبَعَثوا بالخُمُسِ إلىٰ الصِّديق رضي الله عنه مع أحدِ الأمراء ـ وهو عَرفجةُ ـ، ثم رَجَع إلىٰ أصحابه[1] .

* * *

(١) المصدر السابق (٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

*** ادِّعاءُ طُلَيحةَ بنِ خُوليدٍ الأسَديِّ النُّبُوَّةَ، ثم عودتُه إلى الإسلام وموته شهيدًا في سبيل اللَّه، وادِّعاءُ سَجَاحٍ النبّوة، ثم إسلامها وموتُها على الإسلام:**

أخبرنا النبي ﷺ عن تنبؤ مُسيلمة الكذَّاب والأسود العنسيِّ باسمهما، وأما المختارُ بن أبي عُبيد الثَّقفي، فلم يُصرِّح باسمه، بل ذَكَره بصفتِه وبلدته.

وكذلك خرج طليحةُ وسَجَاح، وقُضِي على فتنتهما، وعدمُ ذِكرهما من رسول اللَّه ﷺ وذِكْرُ الآخرِين فقط عَلَمٌ من أعلام نُبُوَّته، إذ إن هذيْن الشخصيْن قد أسلَمَا وحَسُن إسلامهما، بخلاف الآخرِين الذين قُتلوا على الرِّدَّة[1].

*** المختارُ الكَذَّاب.. المختارُ بن أبي عُبَيد الثَّقَفيُّ:**

هو الكَذَّابُ الذي أخبرعنه رسولُ اللَّه ﷺ.

● عن أسماءَ ذاتِ النطاقين رضي الله عنها قالت للمختار: «أمَا إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ حدَّثنا: «**إنَّ في ثقيف كذَّابًا ومُبيرًا**»[2]، فأما الكذَّابُ فرأيناه، وأمَّا المُبير، فلا إخالُكَ إلا إيَّاه»[3].

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ**

(١) «عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية» لأحمد بن سعد الغامدي (ص١٧١) ـ دار طيبة ـ الرياض.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٧١).

(٣) قالت أسماء هذا للحجاج بن يوسف الثقفي.

حتى يخرجَ ثلاثون دَجَّالاً، كلُّهم يَكذِبُ على الله وعلى رسوله»[١] .

◻ عن مُغيرةَ، عن إبراهيمَ قال: «قال عَبيدةُ السَّلمانيُّ بهذا الخبر، فذَكَر نحوه، فقلتُ له: أترىٰ هذا ـ يعني المختارَ ـ قال: فقال عَبيدةُ: أمَا إنه من الرؤوس».

وقد كان في بداية أمرِه ناصبيًّا، يُبغِضُ عليًّا بُغضًا شديدًا، ثم ادعىٰ التشيُّع، وتَتَبَّعَ قَتَلَةَ الحُسينِ ومَن شَهد الوقعةَ بكربلاء، وطابت نفسُ المختار بالمُلك، وظنَّ أنه لم يَبْقَ له عدوٌّ ولا مُنازع.

وكان هذا الكذَّابُ يقول بإمامةِ محمدِ بنِ الحَنَفية، وكان يدعو الناسَ إليه، ويذكر علومًا مزخرفةً بترَّهاته ينوطُها به.. ولَمَّا وقف محمدُ بنُ الحنفيَّة علىٰ ذلك تبرَّأ منه[٢] .

ولم يكنِ المختارُ في نفسه صادقًا، بل كان كاذبًا، يزعمُ أن الوحيَ يأتيه علىٰ يد جبريل، وأن «جبريل عليه السلام ينزل عليه»[٣] .

ورَوىٰ الإمامُ أحمدَ عن رفاعةَ الفِتْيانيِّ، قال: دخلتُ علىٰ المختار، فألقىٰ لي وسادةً، وقال: لولا أن أخي جبريلَ قام عن هذه، لألقيتُها لك. قال: فأردت أنَ أضربَ عُنقَه، قال: فذكرت حديثًا حدَّثنيه أخي عمرو بن

---

(١) صحيح لغيره: سبق تخريجه رواه أبو داود (١١/ ٤٨٥) وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن والحديث صحيح لغيره. انظر «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للوادعي (ص٢٠١، ٢٠٢).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني» (١/ ١٤٨).

(٣) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٨٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٢٩١)، و«الفرق بين الفرق» (ص٤٦).

الحَمِقِ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إيُّما مؤمن أمَّن مؤمنًا على دَمِه فقتله، فأنا من القاتل بريءٌ**»(١).

◻ وقد قيل لابن عمر: «إن المختار يزعمُ أن الوحيَ يأتيه، فقال: صدق؛ قال تعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٢١]»(٢).

◻ ورَوىٰ ابنُ أبي حاتم عن عكرمةَ قال: قَدِمتُ علىٰ المختارِ فأكْرَمَني، وأنزلني عنده، وكان يتعاهدُ مَبِيتي بالليل، قال: فقال لي: اخرجْ فحدِّثِ الناس، قال: فخرجتُ، فجاء رجلٌ فقال: ما تقولُ في الوحي؟ فقلت: الوحيُ وحيانِ، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿**بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾ [يوسف: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ قال: فهمُّوا أن يأخذوني، فقلت: ما لكم وذاك! إني مُفتيكم وضيفُكم، فتركوني، وإنما أرادَ عكرمةُ أن يعرِّض بالمختار وكَذِبِه في ادِّعائه أن الوحيَ ينزلُ عليه.

◻ ورَوىٰ الطبرانيُّ من طريق أُنيسةَ بنتِ زيدِ بنِ الأرقم أن أباها دخل علىٰ المختار بن أبي عبيد، فقال له: «يا أبا عامر، لو سبقتَ رأيتَ جبريل وميكائيل، فقال له زيد: خسرتَ وتَعِستَ، أنت أهونُ علىٰ اللَّه من ذلك، كذَّابٌ مفترٍ علىٰ اللَّه ورسوله».

وقد ذكر العلماءُ أنَّ المختار كان يُظهِر التشيُّع ويُبطِنُ الكِهانه، وأسرَّ

---

(١) «المسند» (٥/ ٢٢٣)، وحسَّنه الشيخ الأرنؤوط (٣٦/ ٢٧٩).

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٣): «رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح».

إلىٰ أخَصَّائه أنه يُوحَىٰ إليه، وكان قد وُضع له كرسيٌّ يُعَظَّم ويَحُفُّ به الرجال، ويُستر بالحرير، ويُحمل علىٰ البغال، وكان يضاهَىٰ به تابوتُ بني إسرائيل المذكورُ في القرآن.

◘ من تُرَّهاته: أنه كان عنده كُرسيٌّ قديم قد غَشَّاه بالدِّيباج وزَيَّنه بأنواعِ الزينة، وقال: «هذا من ذخائر أميرِ المؤمنين عليٍّ كَرَّم اللَّه وجهه، وهو عندنا بمنزلةِ التابوت لبني إسرائيل».

◘ وكان إذا حارب خصومَه يَضعُه في براح الصفِّ ويقول: «قاتلوا ولكم الظفَرُ والنُّصرة، وهذا الكرسيُّ مَحِلُّه فيكم محلُّ التابوت في بني إسرائيل، وفيه السَّكينةُ والبقيةُ، والملائكةُ، من فوقكم ينزلون مدداً لكم»[1].

◘ أمَّا مبدأُ هذا الكرسي، فقد رَوَىٰ ابنُ جرير بإسناده إلىٰ طُفيل بن جَعْدَةَ ابنِ هُبيرة قال: «أُعدِمتُ مرةً من الورق، فإني كذلك إذ مَررتُ ببابِ رجلٍ هو جارٌ لي، له كرسيٌّ قد رَكِبه وسخٌ شديد، فخَطر في بالي أنْ لو قلتُ في هذا، فأرسلت إليه أن أرسِل إليَّ بالكرسي، فأرسل به، فأتيتُ المختارَ فقلتُ له: إني كنتُ أكتُمُك شيئًا، وقد بدا لي أن أذكرَه إليك، قال: وما هو؟ قلتُ: كرسيٌّ كان جَعْدةُ بنُ هبيرة يجلسُ عليه؛ كأنه كان يرىٰ أن فيه أثارةً من عِلم، قال: سبحان اللَّه! فلِمَ أخَّرتَ هذا إلىٰ اليوم؟ ابعثه إليَّ، قال: فجئتُ به، وقد غُسل فخرج عُوداً ناضِراً وقد شَرِب الزيت، فأمر لي باثني عَشَر ألفًا، ثم نودي في الناس: الصلاةُ جامعة، قال: فخَطب

---

(١) «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٩)، و«تاريخ ابن الوردي» (١/ ١٧٦)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٢٦٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٢٩٢).

المختارُ، فقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمرٌ إلاَّ وهو كائنٌ في هذه الأمةِ مِثلُه، وإنه قد كان في بني إسرائيل تابوتٌ يستنصرون به، وإن هذا مِثْلُه، ثم أَمَرَ فكَشَف عنه أثوابَه، وقامت السَّبَئية، فرَفَعوا أيديَهم، وكبَّروا ثلاثًا، فقام شَبْثُ بنُ رِبعيٍّ فأنكر على الناس، وكاد أن يُكفِّرَ مَن يصنعُ بهذا التابوت هذا التعظيم، وأشار بأن يُكسر، ويُخرجَ من المسجد، ويُرمى في الحُنس، فشكرها الناسُ لشبث بن رِبعي، فلما قيل: هذا عُبيداللَّه بن زياد قد أقبل، وبَعَث المختارُ ابنَ الأشتر، بعث معه بالكرسي، يُحمل على بَغلٍ أشهبَ قد غُشِّي بأثواب الحرير، عن يمينه سَبعةٌ، وعن يساره سبعة، فلمَّا تواجَهوا مع الشاميين، وغَلبوا الشاميين، وقَتلوا ابن زياد، ازداد تعظيمُهم لهذا الكرسيِّ حتى بلغوا به الكفر.

◻ قال الطفيلُ بنُ جعدة: «فقلت: إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، وندمت على ما صنعت».

◻ وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان:

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبَئِيَّةٌ ... وَأَنِّي بِكُمْ يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عَارِفُ
وَأُقْسِمُ مَا كُرْسِيُّكُمْ بِسَكِينَةٍ ... وَإِنْ كَانَ قَدْ لُفَّتْ عَلَيه اللَّفَائِفُ
وَأَنْ لَيْسَ كَالتَّابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ ... شَبَامُ حَوَالَيْهِ وَنَهْدٌ وَخَارِفُ[1]
وَإِنِّي امْرُؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ ... وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضُمِّنَتْهُ المَصَاحِفُ

◻ وقال المتوكل الليثي:

أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ جِئْتَهُ ... أَنِّي بِكُرْسِيِّكُمْ كَافِرُ

(١) شبام: رُضَّع، نهد: الفتاة الناهد، والخارف: العجوز.

تَنْزُوا شَبَامٌ حَولَ أَعْوَادِه ... وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرُ
مُحَمَّرَةً أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ ... كَأَنَّهُنَّ الْحُمُّصُ الْحَادِرُ

وهذا وأمثالُه مما يدلُّ على قِلَّةِ عقلِ المختار وأتباعه، وضعفه وقِلةِ عِلمه، وكثرةِ جهله، ورَدَاءةِ فَهمه، أو ترويجِه الباطلَ على أتباعه، وتشبيهِه الباطل بالحق، ليُضِلَّ به الطَّغام، ويَجمعَ عليه جُهَّالَ العوام.

▫ قال عبدُالقاهر البغدادي: «لما تَمَّت ولايةُ الكوفة والجزيرة والعراقَين إلى حدودِ أرمينية تكهَّن بعد ذلك، وسَجَع كأسجاعِ الكهنة.

ثم إنَّ المختارَ خَدَعَتْه السبئيةُ الغلاةُ من الرافضة؛ فقالوا له: «أنت حُجَّةُ هذا الزمان»، وحَمَلوه على دعوى النبوة، فادعاها عند خواصِّه، وزعم أن الوحيَ ينزلُ عليه.

ثم إنَّ أهلَ الكوفة خرجوا على المختار لَمَّا تكهَّن، واجتَمعت السبئيةُ إليه مع عبيد أهل الكوفة؛ لأنه وَعَدهم أن يعطيَهم أموالَ ساداتهم، وقاتل بهم الخارجين عليه، فظَفِر بهم، وقَتَل منهم الكثير، وأسَرَ جماعةً منهم، وكان في الأُسَرَاء رجلٌ يقال له: «سُراقة بن مِرداس البارقي»، فقُدِّم إلى المختار، وخاف البارقيُّ أن يأمرَ بقتله، فقال للذين أسَروه وقدَّموه إلى المختار: ما أنتم أسرتمونا، ولا أنتم هزمتمونا بعُدَّتكم، وإنما هَزَمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخَيل البُلْق فوقَ عَسكركم، فأعجبَ المختارَ قولُه هذا، فأطلق عنه، فلَحِق بمصعب بنِ الزبير بالبصرة، وكتب منها إلى المختار هذه الأبيات:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ عَنِّي ... رَأَيْتُ الْبُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ
أَرَى عَيْنَيَّ مَا لَمْ تَنْظُرَاهُ ... كِلاَنَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ

وفي هذا الذي ذكرناه بيانُ سببِ كِهانة المختار، ودَعْوَاه الوحيَ إليه.

◘ ومِن أسجاع هذا الكذَّاب قوله: «أما والذي أنزل القرآن، وبيَّن الفرقان، وشرع الأديان، وكرَّه العِصيان، لأقتُلنَّ البُغاةَ مِن أَزْدِ عُمان، ومَذْحِجٍ وهَمْدان، ونهد وخَوْلان، وبكر وهزَّان، وثُعْل ونَبْهان، وعَبْسٍ وذُبيان، وقَيس عيلان»[1].

◘ وقال: «أمَا ومُمشِي السحاب، الشديدِ العقاب، السريعِ الحساب، العزيز الوهَّاب، القديرِ الغلاَّب، لأنبِشَنَّ قبرَ ابنِ شهاب، المفترِي الكذَّاب، المجرِمِ المرتاب، ثم وربِّ العالمين، وربِّ البلد الأمين، لأقتُلَنَّ الشاعرَ المَهين، وراجزَ المارِقين، وأولياءَ الكافرين، وأعوانَ الظالمين، وإخوانَ الشياطين، الذين اجتمعوا على الأباطيل، وتقوَّلوا عليَّ الأقاويل، وليس خِطابي إلاَّ لذَوِي الأخلاق الحميدة، والأفعالِ السديدة، والآراءِ العتيدة، والنفوس السعيدة»[2].

◘ وقد قال هذا الكذابُ بجواز البَداءِ على اللَّه، تعالى اللَّه عما يقول الكاذبون.

وأما سببُ قوله بجوازِ البَداء على اللَّه؛ أنه قد وَعَد أصحابَه بالنصر على جيشِ مصعب، فلما هُزموا، قالوا له: «لماذا تَعِدُنا بالنصر على

(١) «الفرق بين الفرق» (٤٦ ـ ٤٧)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٢٦٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٤٧ ـ ٤٨).

عدوّنا؟!! فقال: إن اللَّهَ كان قد وَعَدني ذلك، لكنه بدا له».

ثم إنَّ المختارَ باشَرَ قتالَ مصعبِ بنِ الزبير بنفسه بالمَذَار من ناحيةِ الكوفة، وقَتَل في تلك الواقعة محمدَ بنَ الأشعث الكِندي؛ قال المختارُ، طابت نفسي بقَتْلِه، أن لم يكن بَقِي من قَتَلَةِ الحُسين غيره، ولا أُبالي بالموت بعد هذا، ثم وقعت الهزيمةُ على المختار وأصحابه.

وأشار عليه جماعةٌ من أساورته؛ بأن يدخلَ القصرَ دارَ إمارته، فدخله وهو ملومٌ مذموم، وعن قريبٍ ينفذُ فيه القَدَرُ المحتوم، فحاصَرَه مصعبٌ فيه وجميعَ أصحابه؛ حتى أصابهم من جَهدِ العطشِ ما اللَّهُ به عليم، وضَيَّق عليهم المسالكَ والمقاصد، وانسدَّت عليهم أبوابُ الحِيل، وليس فيهم رجلٌ رشيد ولا حليم، ثم جَعل المختارُ يُجيلُ فكرتَه، ويُكرِّرُ رَويَّتَه في الأمر الذي قد حَلَّ به، واستشار مَن عنده هذا السبب السيء، الذي قد اتصل سببُه بسببِه من الموالي والعبيد، ولسانُ الشرع ينادي: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، ثم قَوِي عَزمُه قوةَ الشجاعةِ المركَّبة فيه، على أن أخرجَتْه مِن بينِ مَنْ كان يحالفُه ويُواليه، ورأى أن يموتَ على فَرَسه، حتى يكونَ عليها انقضاءُ آخرِ نَفَسِه، فنزل حَميَّةً وغضبًا، وشجاعةً وكَلَبًا، وهو مع ذلك لا يجدُ مَناصًا ولا مَفرًّا ولا مَهربًا، وليس معه من أصحابه سوى تسعةَ عَشَر، ولعله إن كان قد استمرَّ على ما عاش عليه أنْ لا يُفارِقَه التسعةَ عشرَ الموكَّلون بسقر، ولما خرج من القصر تقدَّم إليه رجُلانِ شقيقان أخَوَان؛ وهما طَرَفةُ وَطرَّافُ ابنا عبدِاللَّه بن دِجاجة من بني حنيفة، فقتلاه، واحتزَّا رأسه، وأتيا به إلى مصعبِ بنِ الزبير، وقد دخل قصرَ الإمارة، فُوضع بين يديه، كما وُضع رأسُ ابن زياد بين يدي المختار، وكما وُضع

رأسُ الحُسينِ بين يدي ابن زياد، وكما سيوضع رأسُ مصعبٍ بين يدي عبدِالملك بن مروان.

📖 يقول أعشى همدان:

لَقَدْ نُبِّئتُ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاَقَى الْكَوَارِثُ بِالْمَذَارِ

وَمَا إِنْ سَرَّنِي إِهْلاَكُ قَوْمِي ... وَإِنْ كَانُوا وَحَقِّكَ فِي خَسَارِ

وَلَكِنِّي سُرِرْتُ بِمَا يُلاَقِي ... أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيٍ وَعَارِ

وأراح اللَّهُ المسلمين مِن هذا الضالِّ المُضِلِّ عام ٦٧هـ وزالت دولته، وفرح المسلمون بزوالها[1] بعدما انتقم به مِن قوم آخرين من الظالمين، وذهب المختارُ إلى مَزبلة التاريخ، بعد أن نُعِت بـ «الكذاب» على لسانِ رسول اللَّه ﷺ، وكلُّ صاحبِ فِريةٍ ذليل في الدارين.

* **الحارثُ بنُ سعيدٍ مولى أبي الجُلاَّس:**

الحارثُ بن سعيد ـ لعنه اللَّه ـ، كان مولًى لأبي الجلاس نزل دمشق[2] تعبَّد بها وتنسَّك وتزهَّد، ثم مُكِر به، ورجع القَهْقَرىٰ على عَقِبيه، وانسلخ من آياتِ اللَّه تعالى، وفارقَ حزبَ اللَّه المفلِحين، واتبع الشيطانَ، فكان من الغاوين»[3].

وكانت بدايةُ ضلاله أنه «كان متعبِّدًا زاهدًا لو لَبِس جُبَّةً من ذهب

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٥٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٢٨٩)، و«تاريخ ابن الوردي» (١/ ١٧٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٧)، و«تلبيس إبليس» (ص٤٢٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٧)، و«تلبيس إبليس» (ص٤٢٧)، و«تهذيب ابن عساكر» (٣/ ٤٤٢).

لرأيتَ عليه زِهادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يُصْغِ السامعون إلىٰ كلامٍ أحسنَ من كلامه.. فكتب إلىٰ أبيه: يا أبتاه، عجِّل عليَّ، فإنه قد رأيتُ أشياءَ أتخوَّفُ منها أن تكونَ من الشيطان.. فزاده أبوه غَيًّا، وكتب إليه: يا بُني أقبل علىٰ ما أُمِرت به، إن اللَّهَ يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، ولستَ بأفَّاكٍ ولا أثيم، فامْضِ لما أُمِرت به، وكان يجيءُ إلىٰ أهل المساجد رجلاً رجلاً فيَذكُرُ لهم أمره، ويأخذُ عليهم العهودَ والمواثيقَ إن هو رأىٰ ما يُرضَىٰ قَبِل وإلاَّ كتَم عليه»[١].

◻ فعَرَض علىٰ القاسم بن مُخيمِرةَ وقال له: «إني نبيٌّ، فقال له القاسمُ: كذبتَ يا عدوَّ اللَّه، ما أنت بنبيٍّ»[٢].

ثم أُخبر به قاضي دمشق وأَخبر بدوره الخليفةَ عبدَالملكِ بنَ مروان.

فاختفىٰ الحارثُ بعد ذلك ببيت المقدس، وجَهل الناسُ خَبَره، فتسلَّط عليه رجل من أهل البصرة حتىٰ عَرَف مَدْخَلَه ومَخْرَجه، وتظاهر له بالتصديق، وقال له: «إن كلامك لَحَسن، وقد وقع في قلبي، وقد آمنتُ بك، وهذا هو الدِّينُ المستقيم، فأَمَر ألاَّ يُحجَب عنه متىٰ أراد الدخول عليه، فاتَّصل بعبدالملك، وأخبره الخبر، فسيَّر معه جنودًا مِن العجم، وتمَّ القبض عليه، وجيء به إلىٰ عبدالملك، فأَمَر بخشبة فنُصبت فصلبه، وأمر بحَرْبة، وأمر رجلاً فطَعَنه، فلما صار إلىٰ ضِلع من أضلاعه فانكفأت الحربةُ عنه،

(١) «تلبيس إبليس» (ص٧٢٤).
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٨).

فجعل الناسُ يَصيحون ويقولون: الأنبياءُ لا يجوزُ فيهم السِّلاح، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين تناوَلَ الحربةَ ثم مشى إليه، وأقبل يتحسَّسُ حتى وَافَى بيْن ضِلْعَيْن فطعنه بها فأنفذه فقتله»[١].

◘ «وقد كان عبدُالملك حَبَسه قبل صَلْبِه، وأَمَر رجالاً من أهلِ الفقه والعلمِ أن يَعِظُوه ويُعلِموه أن هذا من الشيطان، فأبى أن يقبلَ منهم، فصلَبه بعد ذلك»[٢].

◘ «ومن مخاريقه أنه كان يأتي إلى رُخامةٍ في المسجد فيَنقرُها بيدِه فتُسبِّحُ تسبيحًا بليغًا حتى يضجَّ مِن ذلك الحاضرون».

◘ «وكان يُطعِمُهم فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء، وكان يقول لهم: اخرجوا حتى أُريكم الملائكة.. فيَخرجُ بهم إلى دَيرِ المراق، فيُريهم رِجالاً على خَيلٍ بُلْقٍ فيَتْبَعُه على ذلك بَشَر كثير»[٣].

* بَيانُ بنُ سَمْعان المُرْتَدُّ، شيخ البيانية الرافضةِ الخارجةِ عن الإسلام:

هو مُمَخرِقٌ، ظَهر بالعراق بعد المائة في أوائل القرن الثاني من الهجرة، يُسمَّى بيان بن سمعان النَّهْديُّ التميميَّ اليمنيَّ.

ادَّعى أصحابهُ انتقالَ الإمامةِ من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إليه،

(١) «تلبيس إبليس» (ص٤٢٩)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٢٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٨-٢٩)، و«تلبيس إبليس» (ص٤٣٠).

(٣) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٧ - ٢٨)، و«تلبيس إبليس» (ص٤٥٧)، و«معجم البلدان» (٢/ ٣٢٣-٣٢٤).

وكان يزعمُ أن جُزءً إلهيًّا حَلَّ في عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، ثم انتقل إليه الجزءُ الإلهيُّ بنوعٍ من التناسخ(١)، وكان يزعمُ أنه يعرفُ الاسم الأعظم، وأنه يَهزِمُ به العسكرَ، وأنه يدعو به الزُّهرة فتجيبه(٢)، ثم زعم أنه هو المذكور في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. وقال: «أنا البيان، وأنا الهدىٰ، والموعظة».

زعم بعضُ أتباعه أنه كان نبيًّا، وأنه نَسَخ بعضَ شريعةِ محمد ﷺ(٣)، بل هو كان يزعم أنه نبيٌّ، ولهذا فقد كَتب كتابًا إلىٰ محمد بن علي بن الحسين الباقر ﷺ ودعاه إلىٰ نفسه، وفي كتابه: «أسلم تَسْلَمْ وتَرْتَقِ في سُلَّم، فإنك لا تدري حيث يجعل اللَّه النبوة».. فأمر الباقر أن يأكلَ الرسولُ قِرطاسَه الذي جاء به، فأكله فمات في الحال، وقد اجتمعت طائفةٌ علىٰ بيان ابن سَمعان، ودانوا به وبمذهبه(٤).. وطائفتُه الخارجة عن الإسلام تُسمَّىٰ «البَيَانية»، واختلف هؤلاء في «بَيَانٍ» زعيمِهم، فمنهم: مَن زعم أنه كان نَبِيًّا، وأنه نَسَخ بعضَ شريعةِ محمد. ومنهم: مَن زعم أنه كان إلهًا، وذَكر هؤلاء أن بيانًا قال لهم: «إن رُوحَ الإلهِ تناسخت في الأنبياء والأئمةِ حتىٰ صارت إلىٰ أبي هاشم عبدِاللَّه بن محمد بن الحنفية، ثم انتقلت منه إليه ـ يعني نفسه ـ»، فادَّعىٰ لنفسه الربوبيةَ علىٰ مذاهِب الحلولية.

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٥٢).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٢٨)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ٦٧).

(٣) «الفرق بين الفِرَق» (ص٢٣٧).

(٤) «الملل والنِّحل (١/ ١٥٣)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٣٥٧)، و «فِرَق الشيعة» للنُّوبختي (ص٥٠ـ٥١).

ومِن عقائد هذا الزِّنديق زَعْمُه أنَّ الإلهَ الأزليَّ رَجُلٌ من نور، وأنه يَفنَىٰ كلُّه غيرُ وجهه، وتأوَّل علىٰ زعمه قولَه تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧][1] .

ولو كان له أدنىٰ عقلٍ أو فَهمٍ لَعَلِم أنَّ اللَّه تعالىٰ إنما أخبر بالفَناء عمَّا في الأرض فقط بنصِّ قوله الصادق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2] .

ورُفع خبرُ بيانٍ هذا إلىٰ خالد بن عبداللَّه القَسْريِّ في زمانِ ولايته في العراق، فاحتال علىٰ بيان حتىٰ ظَفِر به وصَلَبه، وقال له: «إنْ كنتَ تَهزمُ الجيوش بالاسم الذي تعرفُه، فاهزمْ به أعواني عنك»[3] .

▫ وقال الشَّهرستاني: «صَلَبه وأحرَقه خالدُ بن عبداللَّه القَسْريُّ مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد، وجُبِّنَ المغيرةُ بنُ سعيد عن اعتناق حِزمةِ الحطب جبنًا شديدًا حتىٰ ضُمَّ إليها قَهراً، وبادر بيانُ بنُ سمعان إلىٰ الحِزمة فاحتضنها من غير إكراه، ولم يظهر منه جزَع، فقال خالد لأصحابهما: في كلِّ شيءٍ أنتم مجانين، هذا كان ينبغي أن يكون رئيسَكم لا هذا الفَسْل»[4] .

وذهب بيانُ إلىٰ ذاتِ السلاسل والنَّكال، تُشيِّعُه لعناتُ الصادقين إلىٰ يومِ الدين.

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٧).

(٢) «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٤).

(٣) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٧).

(٤) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٥/ ٤٤).

* **المغيرة بن سعيد العِجْلي ـ لعنه الله ـ:**

المغيرةُ بن سعيدِ العِجلي[١] مولى خالد بن عبدالله القَسْري[٢] وهو من أهل الكوفة[٣] .

ادَّعى أنه الإمامُ بعد محمدِ بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية[٤] ، ثم زَعَم بعد ذلك أنه رسولٌ نبيٌّ وأن جبرائيل يأتيه بالوحي من عند الله[٥] ، وادَّعى علمَه بالاسم الأعظم، وزَعَم أنه يُحيي به الموتى، ويهزم به الجيوش[٦] .

❑ **ومن عقائده:** أنه زعم أن معبودَه رجلٌ من نور، وله أعضاءٌ وقلبٌ

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٧٦).

(٢) «الملل والنحل» (١/ ١٧٦)، و«فرق الشيعة» (ص٧٥).

(٣) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ١٦١).

(٤) قال الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد محقق كتاب «الفرق بين الفرق» على هامش (ص٢٣٨ ـ ٢٣٩): «محمد هذا هو المعروف «بالنفس الزكيّة»، وقد كانت وفاته في سنة ١٤٥هـ، ولهذا نقرّر أنه لا يتم ادعاء أن المغيرة بن سعيد العجلي ـ الذي قدّمنا أنه مات محروقًا على يد خالد بن عبدالله القسري في سنة ١١٩ ـ كان يدعو لمحمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، ونرجح أن الضال المغيرة بن سعيد ما كان يدعو ولا ينتسب لأحد بعينه من العلويين، وإنما كان يدعو إلى المهدي المنتظر «مهدي الشيعة» ولم تكن دعوته هذه صادرة عن نيَّة وعزيمة صادقتَيْن، وإنما كان يتخذها ستاراً للمخرقة والتضليل، وهو في نفسه كان يُضمر الكفر أو يسعى لنقض عرى الدولة والرجوع إلى الجاهلية الجهلاء، وكذلك خيَّم هؤلاء الضالُّون المفسدون».

(٥) «فرق الشيعة» (ص٧٥)، و«الملل والنحل» (١/ ١٧٧)، و«شرح النووي على مسلم» (١/ ١٠٠)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ١٦١)، و«الفرق بين الفرق» (ص٢٣٩).

(٦) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٩).

ينبعُ منه الحكمةُ، وأن أعضاءَه على صورِ حروفِ الهجاء، وأن «الألف» منها مِثالُ قدمَيه، و«العين» على صورةِ عينه، وشبَّه «الهاء» بالفَرْج[1] .

وله في بَدءِ الخَلق كلامٌ عجيب وهذيانٌ غريب، كزعمه أن اللَّه تعالىٰ لَمّا أراد أن يخلقَ العالَمَ تكلمَ باسمِهِ الأعظم، فطار ذلك الاسمُ ووقع تاجًا علىٰ رأسه، وتأوَّل علىٰ ذلك قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وزعَم أنَّ الاسم الأعلىٰ إنما هو ذلك التاجُ، ثم إنه بعد وقوع التاج علىٰ رأسه كتب بإصبَعه علىٰ كفِّه أعمالَ عباده، ثم نظر فيها فغَضب من معاصيهم، فعَرِق، فاجتمع من عَرَقه بَحْران، أحدهما مُظلِمٌ مالحٌ، والآخرُ عَذبٌ نَيِّر، ثم اطَّلَع في البحر فأبصَرَ ظِلَّه، فذهب ليأخذَه، فطار، فانتزع عيني ظِلِّه، فخلَق منهما الشمسَ والقمرَ، وأفنىٰ باقيَ ظِلِّه، وقال: «لا ينبغي أن يكون معي إلهٌ غيري. .»[2] ، إلىٰ آخر ذلك الكلام الذي يَعجبُ منه كلُّ من قرأه أو سمعه، ولا يُصدِّقُ أن لقائله مُسْكةً من عقل، بَلْهَ أن يكون نبيًّا رسولاً.

وزَعم كذلك أن اللَّه تعالىٰ خَلق الناسَ قبل أجسادهم، فكان أولَ ما خَلَق ظِلَّ محمدٍ. . قال: فذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، قال: ثم أرسل ظِلَّ محمدٍ إلىٰ أظلال الناس[3]. . إلخ ما ذكره من ذلك الهراء.

ومن تُرَّهاته أنه كان يُحرِّمُ ماءَ الفرات، وكلَّ ماءِ نهرٍ أو عينٍ أو بئرٍ

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٩).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٩ ـ ٢٤٠)، و«مقالات الإسلاميين» (٦٩، ٧٢، ٧٣).

(٣) «الملل والنحل» (٤/ ١٧٥).

وقعت فيه نجاسة، وكان من تشريعاته كذلك استحلالُ المحارم[1].

وكان يزعمُ أنه «لو أراد أن يُحييَ عاداً وثمودَ وقروناً بين ذلك كثيراً لأحياهم»[2].

حكىٰ ذلك عنه الأعمشُ[3].

وعندما اطَّلع عليه خالدُ بن عبدالله القَسريُّ قَبض عليه، وأوقد له ناراً، وأمره أن يعتنقَها، فأبىٰ، فقتله خالدٌ وقتل أصحابَه[4].

وقيل: بل أُحرق بالنار، أمَرَ خالدٌ بالقصب والنِّفط فأُحضِر، ثم أجَّج النارَ وأحرقه ومَن معه، وذلك في سنة ١١٩[5].

◻ قال عبدالقاهر البغدادي عن المغيرة بن سعيد وطائفته «المغيرية» الغلاة الخارجة عن فرق الإسلام: «وكان جابرٌ الجُعْفيُّ علىٰ هذا المذهب، وادَّعىٰ وَصِيَّةَ المغيرةُ بنُ سعيد إليه بذلك..».

◻ قال عبدالقاهر: «كيف يُعَدُّ في فِرَق الإسلام قومٌ شبَّهوا معبودَهم بحروفِ الهجاء، وادَّعوا نُبُوَّةَ زعيمهم؟ لو كان هؤلاء من الأُمَّة لصَحَّ قولُ مَن يزعمُ أن القائلين بنبُوَّة مسيلِمة وطُليحةَ كانوا من الأمة»[6].

---

(١) «الفِصل» (٤/ ١٧٥).

(٢) «تاريخ ابن جرير» (٧/ ١٢٨)، و«فرق الشيعة» (ص٧٥).

(٣) هامش «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٢٣)، و«تاريخ الطبري» (٧/ ١٢٨-١٢٩).

(٥) «تاريخ الطبري» (٧/ ١٢٨)، و«فرق الشيعة» (ص٧٥)، وهامش (ص٢٣٨) من كتاب «الفرق بين الفرق».

(٦) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٢).

* أبو منصور المستنير العِجلي:

أبو منصور العِجْلي، رجلٌ من أهل الكوفة من عبدِ القيس، وله فيها دارٌ، وكان منشأه بالبادية، وكان أميًّا لا يقرأ[١].

ولم يَدَّعِ النبوةَ من أولِ أمره، بل قَدَّم لذلك بمقدِّمات وتمهيدات، وصل بعدها إلىٰ ما يريد.

فأولَ ما ادَّعىٰ أنه خليفةُ أبي جعفر محمدِ بنِ علي بن الحسين المسمَّىٰ بالباقر، وأنه فَوَّض إليه أَمْرَه، وجَعَله وصيَّه من بعده[٢].

ثم زَعَم أن الرسل لا تنقطعُ أبدًا، وأن الرسالة لا تنقطع[٣].

وبعد ذلك ادَّعىٰ أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ نبيٌّ ورسول، وكذا الحسن والحسين وأبناء الحسين، ثم لَمَّا كان هو خليفةَ الباقر محمدِ بن علي ابن الحسين - وقد كان هذا في زعمه نبيًّا -، فإن النبوَّةَ تحوَّلت إليه، وقال: أنا نبي ورسول، والنبوةُ في سِتَّةٍ من ولدي يكونون بعدي أنبياءَ آخِرُهم القائم[٤].

وزعم أن جبرائيل ﷺ يأتيه بالوحي من عند اللَّه - عزَّ وجلَّ -، وأن اللَّه بَعث محمداً بالتنزيل، وبعثه هو - يعني نفسه - بالتأويل[٥].

وادَّعىٰ أنه عُرِج به إلىٰ السماء، وأن اللَّه تعالىٰ مَسَح بيده علىٰ رأسه،

(١) «فرق الشيعة» (ص٥٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٣٤)، و«فرق الشيعة» (ص٥٤).

(٣) «الملل» (١/ ١٧٩)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥)، والفصل» (٤/ ١٨٥).

(٤) «فرق الشيعة» (ص٥٤).

(٥) «فرق الشيعة» (ص٥٤).

وقال له: يا بنيَّ، بلِّغْ عني.. ثم أنزله إلى الأرض، وزعم أنه الكِسْفُ الساقطُ من السماء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤][1] .

وزعم أنَّ أولَ ما خَلق اللَّه تعالى هو عيسى بن مريم عليه السلام، ثم عليٌّ بن أبي طالب كرم اللَّه وجه[2] ، وزعم أن اللَّه اتخذه خليلاً[3] .

وهو لا يؤمن بالجنة والنار[4] ، وزعم أن الجنةَ رجلٌ أُمرنا بموالاته، وهو إمامُ الوقت، وأن النار رجلٌ أُمِرنا بمعاداته، وهو خَصم الإمام[5] .

ومن تأويلاته في الشريعة أنه تأوَّل المحرَّماتِ كلَّها على أسماءِ رجالٍ أَمَرنا اللَّهُ بمعاداتهم، وتأول الفرائضَ على أسماءِ رجالٍ أَمَرنا بموالاتهم[6] .

وقد أباح المحرَّمات من الزنا والخمر والميتة والخنزيرِ والدم[7] .

وقال: لم يُحرِّم اللَّهُ ذلك علينا، ولا حرَّم شيئًا تقوى به أنفسنا[8] .

وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج[9] .

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٤)، «فرق الشيعة» (ص٥٤)، و«الملل» (١/ ١٧٨)، و«الفصل» (٤/ ١٨٥).

(٢) «الملل» (١/ ١٧٩)، و«الفصل» (٤/ ١٨٥)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٥).

(٣) «فرق الشيعة» (ص٥٤).

(٤) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥)، و«الفرق بين الفرق» (ص٢٤٥).

(٥) «الملل» (١/ ١٧٨)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥)، و«الفرق بين الفرق» (ص٢٤٥).

(٦) «الملل» (١/ ١٧٩)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥)، و«الفصل» (٤/ ١٨٥).

(٧) «الفصل» (٤/ ١٨٥)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥).

(٨) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٥).

(٩) «الفصل» (٤/ ١٨٥)، و«الملل» (١/ ١٧٩)، و«المقالات» (١/ ٧٥).

◘ وكان يأمر أصحابَه بخَنقِ مَن خالَفَهم وقَتْلهم بالاغتيال، ويقول: «مَن خالَفكم هو كافر مُشرك، فاقتلوه، فإن هذا الجهادُ الخفيُّ».

وذكر هشامُ بنُ الحكم الرافضيُّ في كتابه المعروف بـ «الميزان»، وهو أعلمُ الناس بهمَ ـ لأنه جارُهم بالكوفة وجارُهم في المذهب ـ أن الكِسْفيةَ خاصةً يقتلون مَن خالفهم[1].

استمرت فتنتُهم على عادتهم، إلى أن وقف يوسفُ بنُ عمرَ الثقفيُّ والي العراق في زمانه على عَورات المنصورية، فأخذ أبا منصور العِجْليَّ وصَلَبه[2]، وذلك في أيامِ هشامِ بن عبدالملك[3].

◘ يقول الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد في قول عبدالقاهر البغدادي في «الفَرْق بين الفِرَق» عن أبي منصور العِجْلي: «زَعَمَ أنه الكِسْفُ الساقط من السماء»: «الذي ذَكره الشهرستانيُّ في «الملل والنحل» أن عليًّا هو الكِسْفُ الساقط من السماء، وربما قال: الكِسفُ الساقط من السماء هو اللَّه ـ عز وجل ـ»، ولكن الأشعريَّ ذكر مثل ما ذكره المؤلِّفُ هنا[4].

◘ قال: «وإن أبا منصور قال: آلُ محمد هم السماءُ، والشيعةُ هم الأرض، وأنه هو الكِسْفُ الساقط مِن بني هاشم».

---

(١) «فرق الشيعة» (ص٥٤)، و«الفرق» (ص٢٣٥)، «الفصل» (٤/ ١٨٥)، و«أصول الدين» (ص٣٣١)، و«الفصل» (٥/ ٤٥).

(٢) «الفرق» (ص٢٣٥)، و«المقالات» (١/ ٧٥).

(٣) «الملل» (١/ ١٧٩).

(٤) وبذا قال ابن حزم في «الفصل» (٥/ ٤٥): «وكان يُقال: إنه المراد بقول اللَّه عز وجل: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا﴾».

□ يقول عبدالقاهر البغدادي عن «المنصورية» الخارجة عن فرق الإسلام وهي فرقة أبي منصور العجلي، وتُسمىٰ أيضًا «الكِسْفِيَّة»: «كَفَرت هذه الطائفةُ بالقيامة والجنة والنار، وتأوَّلوا الجنةَ علىٰ نَعيم الدنيا، والنار علىٰ مِحَنِ الناس في الدنيا، واستحلُّوا خَنْقَ مُخالفيهم، وهذه الفرقةُ أيضًا غيرُ معدودةٍ في فِرق الإسلام، لكُفرِها بالقيامة والجنة والنار»[1].

* الحُسين بن أبي منصور العِجْليّ ـ لعنه اللَّه ـ:

□ قال ابن حزم في «الفِصَل»: «إنه الحسن بن أبي منصور العجلي».

□ قال: «وكانوا بعد موت أبي منصور يُؤدُّون الخُمُس مما يأخذون ممن خَنَقُوه إلىٰ الحسن بن أبي المنصور»[2].

كان هذا الضالُّ الزنديقُ يَسكنُ «أَلْمُوت» مع أبيه، وقد ادَّعىٰ النُّبُوَّة بعدَ مقتلِ أبيه، وأنَّه في مرتبةِ أبيه، فأُخذَ وأُتي به إلىٰ المَهْديِّ العباسيِّ، فأقرَّ أمامَه بما نُسِب إليه، فقَتَله وصَلَبه، وأَخذ منه مالاً عظيمًا، وطلب أصحابه فقَتل منهم جماعةً وصَلَبهم[3].

* عبدُاللَّه بن عَمرو بن حَرْب الكِنْدِيُّ:

كان أولُ أمرِه علىٰ دين «البيانية» في دعواها أن رُوحَ الإلهِ تناسخت في الأنبياء والأئمةِ إلىٰ أن انتهت إلىٰ أبي هاشم عبداللَّه بن محمد بن الحنفية، ثم زعمت «الحربيةُ» أن تلك الروحَ انتقلت من عبداللَّه بن محمدِ بن الحنفية

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٥).
(٢) «الفصل» (٥/ ٤٥).
(٣) هامش «الفصل» (٥/ ٤٥)، وهامش «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٤).

إلىٰ عبداللَّه بن عمرو بن حرب، وادَّعت «الحربيةُ» في زعيمها عبدِاللَّه بن عمرو بن حرب مثلَ دعوىٰ البيانية في سمعانَ من دعوىٰ النبوة أو الربوبية، وهي مرتدة عن الإسلام[1].

* أبو الخَطَّاب الأسَدِيُّ زعيم الخَطَّابية:

أبو الخطَّاب الأَسَديُّ، هو محمد بن أبي زينب، ويُكنىٰ «أبا إسماعيل»، و«أبا الظبيان» وكان مولًىٰ لبني أسد[2].

◻ وكان ـ لعنه اللَّه ـ يقول: «إن الإمامةَ كانت في أولاد عليٍّ، إلىٰ أن انتهت إلىٰ جعفرِ الصادق».

ويزعمُ أنَّ الأئمةَ كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يزعمُ أولاً أنَّ الأئمة أنبياءُ، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولادَ الحسنِ والحسينِ كانوا أبناءَ اللَّه وأحبَّاءَه، وكان يقول: إنَّ جعفراً إلهٌ، فلمَّا بَلَغ ذلك جعفراً لَعَنه وطرده[3].

ثم «ادَّعىٰ النبوة لنفسه»[4]، وقد تابعه أصحابُه علىٰ ذلك، وزعموا «أنَّ الأئمة أنبياءُ محدَّثون»[5]، و«أنَّ أبا الخطاب كان نَبيًّا»[6].

◻ وقال أتباعُه: «إن جعفراً إلهٌ؛ غيرَ أن أبا الخطاب أفضلُ منه وأفضل

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٣).

(٢) انظر «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٥/ ٤٦)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٦)، وهامش (ص٢٤٧) من كتاب «الفرق بين الفرق».

(٣) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٧)، و«الملل والنحل» (١/ ١٧٩، ١٨٠).

(٤) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ٨٢).

(٥) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٦).

(٦) «مختصر التحفة الاثنى عشرية» (ص١٢)، و«فرق الشيعة» (٨١).

من عليٍّ»[1] .

والخطابية يَرَوْن شهادةَ الزُّور لموافقيهم على مخالفيهم، ثم إنَّ أبا الخطَّاب نَصَب خيْمةً في كُنَاسةِ الكوفة ودعا فيها أتباعَه إلى عبادةِ جعفر[2] .

وقد كان من غُلُوِّ أتباعه أنهم خَرَجوا يومًا من الأيام مُحْرِمين ينادُون بأعلى أصواتهم: لبَّيك جعفر لبَّيك جعفر[3] .

◻ وأنكر أبو الخطاب الجنةَ والنارَ، وقال: «الجنةُ نعيم الدنيا، والنار آلامُها»[4] .

ثم استباح هو وأتباعُه المحرَّمات، وترك الفرائض[5] .

◻ وأتباعُه كانوا يقولون: «ينبغي أن يكون في كلِّ وقتٍ إمامٌ ناطقٌ، وآخرُ ساكتٌ، والأئمةُ يكونون آلهة، ويَعرِفون الغيبَ».

◻ ويقولون: «إن عَليًّا كان في وقتِ النبي صامتًا، وكان النبي ﷺ ناطقًا، ثم صار عليٌّ بعده ناطقًا، وهكذا يقولون في الأئمة، إلى أن انتهى الأمرُ إلى جعفر، وكان أبو الخطاب في وقته إمامًا صامتًا، وصار بعدَه إمامًا ناطقًا»[6] .

والخطابيةُ قد كَفَّروا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثَرَ الصحابة بإخراجهم عليًّا من الإمامة في عصرِهم[7] .

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص٢٤٧).

(٣) «الفصل» (٤/ ١٨٧).

(٤) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٨٢)، و«مختصر التحفة الإثنا عشرية» (ص١٢).

(٥) «مختصر التحفة الإثنا عشرية» (ص١٢)، و«فرق الشيعة» (ص٨١).

(٦) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٨).

(٧) «المصدر السابق (ص٢٥٠).

◻ وقد خرج أبو الخطَّاب على والي الكوفة في أيامِ المنصور، فبَعَث إليه المنصورُ بعيسى بنِ موسى في جيشٍ كثيف، فأسَرُوه، فصُلب في كُناسة الكوفة[١]. وقال الشهرستانيُّ: «إنه قُتِل بسبخة الكوفة»[٢].

*** بُزَيغ الحائكُ زعيم البُزَيْغِيَّة:**

◻ قال ابنُ حزم في «الفصل» عن البُزَيغِيَّة: «وقالت فرقةٌ بنبوَّة بُزَيغ الحائك بالكوفة، وإنَّ وقوع هذه الدعوىٰ لهم في حائكٍ لطريفة!!»[٣].

وهذه الفرقةُ من فرق الخطَّابية.

◻ وقال ابنُ حزم: «فإن قال قائل: فإن المجوسَ تُصَدِّق بنبوَّة «زرادشت»، وقومٌ من اليهود يُصَدِّقون بنبوَّة «أبي عيسىٰ الأصبهاني»، وقومٌ من كَفَرة الغالية يصدِّقون بنبوَّة «بزيغ الحائك»، و«المغيرة بن سعيد»، و«بيان ابن سمعان التميمي» وغيرهم من كِلاب الغالية.

فالجوابُ ـ وباللَّه تعالىٰ التوفيق ـ: أن أبا عيسىٰ، وبيان، وبُزَيْغًا، وسائر من تدَّعي له الغاليةُ بنبوَّةٍ أو إلهيَّةٍ مِن خيار الناس وشرارهم، لم تظهر لواحدٍ منهم آيةٌ بوجهٍ من الوجوه؛ والآيات لا تصحُّ إلاَّ بنقلِ الكوافِّ، وكلُّ هؤلاء كانوا بعد رسول اللَّه ﷺ، وقد أخبر الذي جاءت البراهينُ بِصِدْقه ﷺ أنه «لا نبيَّ بعده»، فقد صحَّ البرهانُ ببطلان ما ادُّعي لهؤلاء من النبوَّة»[٤].

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٧).

(٢) «الملل والنحل» (١/ ١٨٠).

(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٤٦).

(٤) «الفصل» (١/ ١٩٦).

▫ وزعم بزيغ أن جَعفراً كان إلهًا، ولم يكن جعفرٌ الذي يراه الناس، بل كان يظهر للناس بتلك الصورة.

▫ وزعموا أيضًا أن كلَّ مؤمن يُوحَىٰ إليه، وتأوَّلوا علىٰ ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥] أيْ: بوحْي منه إليه، واسْتَدَلوا أيضًا بقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ الآية [المائدة: ١١١]، وادَّعوا في أنفسهم أنهم هم الحواريُّون، وذَكَروا قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الآية [النحل: ٦٨]، وقالوا: إذا جاز الوحيُ إلىٰ النَّحْل فالوحي إلينا أوْلىٰ بالجَوَاز.

▫ وزعموا أيضًا أنَّ فيهم مَن هو أفضلُ من جبريل، وميكائيل، ومحمد ـ عليهم صلوات اللَّه وسلامه ـ.

▫ وزعموا أيضًا أنهم لا يموتون، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية في دينه رُفع إلىٰ الملكوت.

▫ وزعموا أنَّهم يَرَوْن المرفوعين منهم غَدوةً وعشية. اهـ[1].

✍ ألاَ لعنةُ اللَّه علىٰ الكاذِبين الظالمين.

*** مَعْمَرُ بائع الحِنْطَة، دجَّال «المَعْمَريَّة»:**

▫ قال ابنُ حزم: «وفرقةٌ قالت بِنُبُوَّة معمر بائع الحنطة بالكوفة، وذكر الأشعريُّ هذه الفرقةَ تحت اسم «المعمريَّة»، وقال: إنها الفرقة الثانية من الخطَّابية، وهي الفرقةُ السابعة من الغالية، يزعمون أن الإمام بعد أبي الخطَّاب رجلٌ يُقال له: «معمر»، وعَبَدوه كما عَبَدوا أبا الخطَّاب، واستحلُّوا

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٨ـ٢٤٩).

سائر المحرَّمات، وهم يُسَمَّون «المَعمريَّة»: ويُقال: إنهم يُسَمَّوْن «اليعمرية»[١] «وكانوا يزعمُون أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنَّة هي التي تصيب الناسَ من خير ونِعمةٍ وعافية، وأنَّ النار هي التي تصيبُ الناسَ من شرٍّ ومشقَّةٍ وبليَّة.. ودانوا بترك الفرائض، وكانوا يُنكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح»[٢].

* عُمَير بنُ بيان التبَّان العِجْلي:

قال ابن حزم: «وقالت فرقة بنُبُوَّة عمير التبَّان بالكوفة، وكان ـ لعنه اللَّه ـ يقول لأصحابه: «لو شئتُ أن أعيدَ هذا التِّبن تبراً لفعلْتُ، وقَدِمَ إلى خالد بن عبداللَّه القَسْريِّ بالكوفة، فتجلَّد وسَبَّ خالداً، فأمر خَالد بضرب عُنُقه، فقُتِل إلى لعنة اللَّه»[٣].

وذكر الأشعريُّ هذه الفرقةَ تحت اسم «العُمَيْرِيَّة»، وهي الفرقةُ الرابعة من الخطَّابية، والتاسعةُ من الغالية، وهم منسوبون إلى عُمَير بن بيان العجلي ـ ولم يُذكر وَصفُه بالتبَّان ـ، وكان هؤلاء قد ضَربوا خيمةً في كُناسةِ الكوفة، ثم اجتمعوا إلى عبادةِ جعفر، فأخذ يزيدُ بنُ عمرو بنِ هُبَيْرة عميرَ بن البيان، فقتله في الكُناسة»[٤].

وقد قالت العُمَيْرية: «بتكذيب الذين قالوا منهم: إنهم لا يموتون، وقالوا: إنا نموت، ولكن لا يزالُ خَلَفٌ مِنَّا في الأرض أئمةٌ أنبياءَ.. وعَبَدوا

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٨).
(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٨).
(٣) «الفصل» (٥/ ٤٦).
(٤) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٩).

جعفراً وسَمَّوْه ربًّا »[1] .

* **عمَّار بن موسى الساباطي، الملقب «بخداَّش»:**

قال ابن حزم: «وقالت فرقة من أوائل شيعةِ بني العباس بنبوة عمَّار المُلَقَّب بخداَّش، فظفر به أسدُ بنُ عبداللَّه أخو خالدِ بن عبداللَّه القَسْري، فقتله إلىٰ لعنة اللَّه»[2] .

وطائفته تُسمىٰ «العَمَّارية» وتُسمَّىٰ «الإفْطَحِيَّة» أو «الفُطْحية»، يسوقون الإمامةَ إلىٰ جعفر الصادق، ثم زعموا أن الإمامَ مِن بعده ولدُه عبداللَّه، وكان أفطَحَ الرِّجْلَين[3] .

واستظهر الشيخُ محمد محيي الدين عبدالحميد أن عمَّاراً هذا هو عمارُ ابن موسىٰ الساباطي، وله كتابٌ كبير معتمد عندهم[4] .

* **أحمدُ بنُ خابط، والفضلُ الحُدَثي، وأحمدُ بن نانوس ثالوثُ الكفر والزندقة:**

أحمدُ بن خابط، والفضلُ الحدَثيُّ البَصْريَّان، وكانا تلميذَينِ لإبراهيمَ النَّظَّام، كانا يَزعُمانِ أن للعالَم خالقَيْنِ، أحدهما قديم ـ وهو اللَّه تعالىٰ ـ، والآخرُ محدَثٌ ـ وهو كلمةُ اللَّه عز وجل المسيح عيسىٰ التي خَلَق اللَّه بها العالَمَ ـ، وكانا ـ لعنهمـا اللَّه ـ يَطعنانِ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ بالتزويج، وأن أبا ذرٍّ كان أزهدَ منه.

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٤٩).

(٢) «الفصل» (٥/ ٤٦).

(٣) أفطح الرِّجْلَين: إذا اعوَجّت رجله حتىٰ يتقلب قدمها إلىٰ إنسيها.

(٤) انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٩٩)، و«الفرق بين الفرق» هامش (ص٦٢).

وكان أحمدُ بنُ خابط ـ لعنه اللَّه ـ يقول: إنَّ في كلِّ نوعٍ من أنواعِ الطير والسَّمك وسائرِ حيوانِ البَرِّ حتىٰ البقِّ والبراغيثِ والقُمَّلِ والقُرود والكِلاب والفيران والتيوس والحمير، والدود والوزغ والجُعْلان أنبياءَ للَّه تعالىٰ رسالةً إلىٰ أنواعهم مما ذكرنا ومن سائر الأنواع.

وكان ـ لعنه اللَّه ـ يقول بالتناسخ والكُرور، وأن الذي يَجيءُ يومَ القيامة مع الملائكة في ظُلَلٍ من الغمام إنَّما هو المسيحُ عيسىٰ بنُ مريم عليه السلام، وأن الذي خَلَق آدمَ علىٰ صورته إنَّما هو المسيحُ عيسىٰ بنُ مريم عليه السلام، وأنَّ الذي يُحاسِبُ الناسَ يومَ القيامة إنَّما هو المسيحُ عيسىٰ بنُ مريم عليه السلام.

وكان ـ لعنه اللَّه ـ يقول: إنَّ للثواب دارَيْنِ: أحدهما لا أكلَ فيها ولا شُرب، وهي أرفعُ قدْراً من الثانية.. والثانية فيها أكلٌ وشربٌ وهي أنقصُ قَدْراً[1].

◻ أما أحمدُ بنُ أيوب بن نانوس أوْ «مَانوس» فإنه تلميذ الكافر أحمدَ ابنِ خابط وعلىٰ مذهبه، وكان يقول بقول مُعَلِّمه في التناسخ، ثم ادَّعىٰ النُّبُوَّة وقال: إنه المُراد بقول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦][2].

* **عليُّ بنُ الفَضْل الحِمْيَريُّ:**

عليُّ بنُ الفضل بنِ أحمدَ الحَنْفري الحِمْيَري[3]، قيل: إنه سار ليَحُجَّ

---

(١) «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٦٤، ٦٥).

(٢) «الفصل» (٥/ ٦٥)، (١/ ١٦٥ وهامشها).

(٣) «أشعة الأنوار» للبيحاني (٢/ ٩).

ثم ليزورَ قبرَ الحُسين بكربلاء، والتقىٰ هنالك بجَدِّ الفاطميين عُبيدِاللَّه بنِ ميمونَ القَدَّاح، فتفرَّس فيه الذكاءَ والنبوغَ، فانتدبه للقيام بالدعوة، وأمره بالعَودة إلىٰ اليمنِ[1]، وبعد وصوله اليمن أظهر التنسُّكَ والعبادة، وكان الناسُ يطلبون منه الدعاءَ، ويَرَون فيه الرجلَ الصالح، ولَمَّا كثُر أتباعُه أَعلَنَ التمرُّدَ واستولىٰ علىٰ أجزاءَ كثيرةٍ في اليمن، وصل بعدها إلىٰ «زَبيد وصنعاء»، وهناك أعلن مذهبَه ومُعتقَدَه[2] السيء.

وبعد أن دَخل صنعاءَ، صَعِدَ المنبر، وقال قصيدتَه المشهورةَ التي صرَّح فيها بدعوىٰ النبوَّة، وهذا مَطلعُها:

خُذي الدُّفَّ يا هذه واضرِبي ... وغَنِّي هَزَارك ثم اطرَبي
تولَّى نبيُّ بني هاشمٍ ... وجاء نبيُّ بني يَعْرُبِ
أَحَلَّ البناتِ مع الأمهات ... ومِن فضله زاد حِلَّ الصَّبي
لكلِّ نبيٍّ مضى شِرْعَةٌ ... وهذي شريعةُ هذا النَّبي[3]
لقد حَطَّ عنَّا فروضَ الصلاة ... وحَطَّ الصيامَ ولم يُتعِبِ
إذا الناسُ صلَّوا فلا تنهضي ... وإن صَوَّمُوا فكُلي واشربي
ولا تَمنعي نفسَكِ المُعَرِّسين ... مِنَ الأقربين أو الأجنبي
فلِمْ ذا حَللتِ لهذا الغريب ... وصِرْتِ مُحَرَّمَةً للأب؟!
أَلَيس الغِراسُ لِمَنْ ربَّهُ ... وسَقَّاه في الزمنِ المجدبِ؟!
وما الخمرُ إلاَّ كماءِ السماء ... حَلالٌ فقُدِّستِ من مَذهبِ

---

(١) «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» (١/ ١٩١) ليحيىٰ بن الحسين بن القاسم.

(٢، ٣) «أشعة الأنوار» (١/ ١٠).

◻ وكان يخاطبُ نُوَّابه وأمراءَه في كتبه بقوله: «مِن باسِطِ الأرضِ وداحيها، ومزلزِلِ الجبالِ ومُرسيها عليٍّ بن الفضل».

ثم يتبجَّحُ بالرسالة والاتِّصال باللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، حتىٰ كان مؤذِّنُهُ يقول في أذانه: «أشهد أن عليَّ بن الفضل رسول اللَّه»[1].

فأقر الداعي الإسماعيليُّ إدريسُ عماد الدين بأن عليَّ بن الفضل «ادَّعىٰ النبوة»، وبعد فترةٍ قاسيةٍ عاشها أهلُ اليمن في عهده، سَخِط عليه فيها أهلُ السماء وأهلُ الأرض حتىٰ أقرباؤه وحاشيته لانغماسه في المحرمات والخروج علىٰ شريعة الإسلام، بعد ذلك أهلكه اللَّه علىٰ يدِ أحدِ الأطباء عام ٣٠٣هـ[2]، فأراح اللَّه منه البلاد والعباد.

* «الجَنَاحِيَّة» من غُلاة الشِّيعة:

فرقةٌ ضالةٌ من غُلاة الشيعة، يزعمون أن عبدَاللَّه بنَ معاوية بنِ عبدِاللَّه ابنِ جعفرَ ذي الجناحيْن يَنبُتُ العلمُ في قلبه كما تَنبُتُ الكَمأةُ والعُشْبُ، وأنَّ الأرواحَ تَنَاسخت، وأنَّ رُوحَ اللَّهِ جَلَّ اسمُه كانت في آدمَ، ثم تناسخت حتىٰ صارت فيه.

وزعموا أنه ربٌّ، وأنه نبيٌّ، فعَبَده شيعتُه، وهم يَكفُرون بالقيامة، ويَدَّعون أن الدنيا لا تَفْنىٰ، ويَستحلُّون المَيْتَة والخَمْرَ وغيرَهما من المحارم[3] وهؤلاء ـ لعنهم اللَّه ـ لا يَرَوْن وجوبَ الصلاةِ والصومِ والزكاةِ والحجِّ وغيرِها

---

(١) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير (ص٩٩).
(٢) «مذهب الباطنية وبطلانه» (ص٨٢)، و«أشعة الأنوار» (٢/ ١١).
(٣) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٧).

من الطاعات، ويزعمون أنَّ المرادَ بأسماءِ هذه العبادات جماعةٌ من أهلِ البيت أوجبَ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ الناس موالاتَهم وسَتَر أسماءَهم، وكنَّىٰ عنهم بأسماءِ هذه العبادات، ويَدَّعون أن عبدَاللَّه بنَ معاوية ـ الذي ينتسِبون إليه ـ لم يَمُتْ، وأنه حيٌّ في جبال أصبهانَ، وأنه لا يزال حيًّا حتىٰ يخرجَ إليهم.

والثابت أن أبا مسلم الخُراساني سار إلىٰ عبداللَّه بن معاوية وشيعته وقتله، ثم أظهر الدعوة العباسية[1].

* «الغُرَابيَّة» من غُلاَة الشّيعة:

وهذه الطائفةُ مرتدةٌ كافرة.

◻ قال عبدالقاهر البغدادي: «الغُرابية قومٌ زعموا أن اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ أرسل جبريلَ عليه السلام إلىٰ عليٍّ، فغَلِطَ في طريقه فذهب إلىٰ محمدٍ؛ لأنه كان يُشبُهه، وقالوا: كان أشبهَ به من الغُرَاب بالغُرَاب، والذُّباب بالذُّباب، وزعموا أن عَلِيًّا كان الرسولَ وأولادُه بعده هم الرُّسُل.

◻ وهذه الفرقة تقولُ لأتباعها: «العَنُوا صاحبَ الرِّيشَ».. يَعْنُون جبريل عليه السلام»[2].

◻ ثم قال: «والغُرَابية من الرَّافِضة يلعنون جبريلَ ومُحمدًا عليهما السلام، وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وفي هذا تحقيقُ اسمِ الكافر

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» (ص١٣٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٣)، وهامش «مقالات الإسلاميين» (ص٦٨).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٥٠).

لُمبغضِ بعضِ الملائكة، ولا يجوزُ إدخالُ مَن سمَّاهُمُ اللَّهُ كافرين في جملة فِرَقِ المسلمين»(١) .

▫ وقال ابنُ حزم: «الطائفة التي أوجبت النُّبوَّة بعد النبي ﷺ فِرَق، فمنهم الغُرابيةُ وقولُهم: إن محمداً ﷺ كان أشبَهَ بعليٍّ من الغُراب بالغراب، وأنَّ اللَّهَ ـ عز وجل ـ بَعَث جبريل ﷺ بالوحي إلىٰ عليٍّ، فغَلِط جبريلُ ﷺ بمحمد، ولا لومَ علىٰ جبريل في ذلك لأنه غلِط!!.

وقالت طائفةٌ منهم: بَلْ تعمَّد ذلك جبريلُ، وكفَّروه ولَعنوه ـ لعنهم اللَّه ـ.

▫ قال أبو محمد بن حزم: «فهل سُمع بأضعفَ عقولاً، وأتمَّ رَقَاعةً من قومٍ يقولون: إنَّ محمداً ﷺ كان يُشبِهُ عليَّ بنَ أبي طالب!!! فيا للناس!!! أين يقعُ شبهُ ابنِ أربعين سنةً من صبيٍّ ابنِ إحدىٰ عشْرةَ سنة، حتىٰ يغلَط به جبريل ﷺ !!، ثم محمد ﷺ فوق الرَّبعة إلىٰ الطُّول، قويمُ القناة، كثُّ اللحية، أدعجُ العينْين، ممتلئُ السَّاقيْن، قليلُ شعر الجسد، أَفْرعُ. . وعليٌّ دون الرَّبعة إلىٰ القِصر، مُنْكَبٌ شديدُ الانكباب كأنه كُسِر ثم جُبر، عظيم اللِّحية، قد ملأت صَدْرهُ من مَنْكِبٍ إلىٰ مَنْكِبٍ إذا التحىٰ، ثقيل العينْين، دقيقُ السَّاقين، أصْلَع، عظيمُ الصَّلَع، ليس في رأسه شعرٌ إلاَّ في مُؤخَّرِه يسير، كثيرُ شعرِ اللِّحية. . فاعجَبوا لِحُمق هذه الطَّبقة.

ثم لو جاز أن يَغْلَطَ جبريلُ ـ وحاشا لروحِ القُدُس الأمين ـ كيف غَفَل اللَّه ـ عز وجل ـ عن تقويمه وتنبيهه، فتركه علىٰ غَلَطِه ثلاثًا وعشرين سنةً!!

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٥١).

ثم أظرفُ من هذا كُلِّه: مَنْ أخبرهم بهذا الخبر، ومَن خَرَّفهم بهذه الخرافة؟ وهذا لا يعرفُه إلاَّ مَن شاهَدَ أمرَ اللَّه تعالى لجبريلَ عليه السلام، ثم شاهَدَ خِلافَه، فعلى هؤلاء لعنةُ اللَّه ولعنةُ اللاعنين، والملائكةِ والناسِ أجمعين، ما دام للَّهِ في عالمه خَلْق»[1].

□ قال عبدُالقاهر: «وكُفْر هذه الفرقة أكثرُ من كُفْر اليهود الذين قالوا لرسول اللَّه ﷺ: «مَنْ يأتيك بالوحي مِن اللَّه تعالى؟ فقال: «جبريلُ»، فقالوا: إنَّنا لا نُحِبُّ جبريلُ؛ لأنَّه ينزل بالعذاب، وقالوا: لو أتاك بالوحي ميكائيلُ الذي لا ينزل إلاَّ بالرَّحْمة لآمَنَّا بك»، فاليهودُ ـ مع كفرهم بالنبي ﷺ، ومَع عَدَواتهم لجبريلَ عليه السلام ـ لا يَلعنون جبريلَ، وإنما يزعُمون أنَّه مِن ملائكة العذاب دون الرحمة»[2].

*** «الذَّمِّيَّة» . . من غُلاة الشيعة:**

□ قال الشيخ عبدالقاهر البغدادي في بيانه للفِرَقِ الخارجة عن هذه الأمة: «وأمَّا الذَّمِّيَّة منهم: فقومٌ زعموا أن عَليًّا هو اللَّه، وشتموا محمَّداً، وزَعموا أن عَليًّا بَعَثه لِيُنبِئ عنه، فادعى الأمرَ لنفسه.

وهذه خارجَةٌ عن فِرَق الإسلام لكُفرِها بنبوَّة محمدٍ ﷺ مِن اللَّه تعالى»[3].

*** فِرْقَةٌ من الكَيْسانيَّة:**

□ قال الإمامُ ابنُ حزم في قوله عن الغالية من الشيعة التي أوْجبت

---

(١) «الفِصَل» (٥/ ٤٢ـ٤٣).

(٢، ٣) «الفرق بين الفِرَق» (ص٢٥١).

النُّبُوَّة بعد رسول اللَّه ﷺ لغيره: «وفرقةٌ قالت بنبوَّة عليٍّ وبَنِيه الثلاثة: الحسنِ والحسيْنِ ومحمد بن الحنفِيَّة فقط، وهم طائفةٌ من الكَيْسانية».

والكَيْسانية من الرَّافضة هم أتباعُ المختارِ بنِ أبي عُبيد الثقفِيِّ، وكان المختارُ يُقال له: «كَيْسان»، وقيل: إنه أخذ مقالتَه عن مَوْلًى لعليٍّ رضي الله عنه كان اسمه «كَيْسان».

وافتَرقت الكَيْسانيةُ فِرَقًا يجمعُها شيئان:

أحدهما: قولُهم بإمامةِ محمدِ بن الحنفِيَّة، وإليه كان يدعُو المختارُ بنُ أبي عُبَيْد.

والثاني: قولُهم بجواز البَدَاء على اللَّه ـ عز وجل ـ، ولهذا البدعةِ قال بتكفيرهم كلُّ مَن لا يُجيز البداءَ على اللَّه سبحانه.

وزعم قومٌ منهم ـ وهم «الكَرْبية» أصحابُ أبي كرب الضرير ـ أن محمدَ بنَ الحنيفيَّةِ حيٌّ لم يَمُت، وأنه في جَبَل «رَضْوَى»، وعنده عينٌ من الماء وعينٌ من العَسَل يأخذ منهما رِزقه، وعن يمينه أسد، وعن يساره نَمِر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وهو المهديُّ المُنْتَظَر!!»[1].

◻ قال كُثَيِّر عَزَّة ـ وكان من هذه الطائفة:

ألاَ إنَّ الأئمَّـــة منْ قُرَيْشٍ ... ولاةُ الحَــــقِّ أربعــةٌ سَوَاءُ

عَلِيٌّ والثَّـــلاثَـــةُ من بنيه ... هُمُ الأسْبَاطُ ليس بهمْ خَفَاءُ

فَسِبْـــطٌ سِبطُ إيمـــانٍ وبِـــرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْـــهُ كَرْبَـــلاءُ

(١) «الفصل» (٥/ ٤٣).

وسبْطٌ لا يَذوقُ الموتَ حتى ... يقـودَ الخَيْلَ يَقْدُمُها اللّواءُ
تَغَيَّبَ لا يُرَى فيهم زَمَانـًا ... بِرضْوى عنده عسَلٌ وماءُ[1]

❏ وقال كُثيِّرُ عزةَ في قصيدةٍ أيضًا :

أَلاَ قُلْ للوَصِيِّ فَدَتْـك نَفْسي ... أَطَلْتَ بِذَلِكَ الجَبَـلِ المُقَامَـا
أَضَـرَّ بِمعْشَـرٍ وَالَـوْكَ مِنَّـا ... وسَـمَّوْكَ الخَليفَـةَ وَالإمَـامَـا
وما ذَاقَ ابنُ خَوْلَـةَ[2] طَعْمَ مَوْتٍ ... ولا وَارَتْ له أرضٌ عظَـامَا
لقد أَمْسَى بِمَجْرى شِعْبِ رَضْوَى ... تُرَاجِعُـهُ الملائـكـةُ الكَلاَمَا
وإنَّ لهُ لَـرزْقًـا كُـلَّ يَـوْمٍ ... وأَشْـرِبَـةً يُعِـلُّ بِها الطَّعَـامَا

❏ فأجابه عبدالقاهر البغدادي :

لقدْ أَفْنَيْتَ عمرَكَ بانتظار ... لمن ورای الترابُ له عظَامَا
فليس بِشِعْبِ رَضْواءَ إِمَامٌ ... تُراجِعُـهُ الملائكةُ الكَلاَمَـا
ولاَ مَن عِنْدَهُ عَسَـلٌ ومَـاءٌ ... وأشربةٌ يُعِلُّ بها الطَّعَامـا
وقَدْ ذَاقَ ابنُ خَوْلَةَ طَعْمَ مَوْتٍ ... كما قد ذاقَ والدُه الحِمَـامَـا
ولو خَلَـدَ امـرؤٌ لِعُلُوِّ مَجْـدٍ ... لعاشَ المصطفـى أبـدًا ودَامَا[3]

* * *

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٣٨، ٣٩، ٤١).
(٢) هو محمد بن الحنفية.
(٣) «الفرق بين الفِرَق» (ص٤٢ ـ ٤٣).

* الإسماعيليَّة[1] :

كلُّ مَن كَتَب عن عقائدِ الخطابيَّة ـ كالأشعريِّ والملطيِّ والبَغداديِّ وابنِ حزم والشَّهْرستانيِّ والجُوينيِّ وابنِ الأثير ـ يقرِّرُ أنَّ أبا الخطاب مولىٰ بني أسد وأصحابَه كانوا يقولون: «إنَّ لكلِّ ظاهرٍ باطنًا، وإن ظاهرَ القرآن يحتاجُ للفهم الصحيح إلىٰ التأويل»، وقالوا بالتناسخ وتكفيرِ الصحابة، فأبو الخطَّاب هو المؤسِّسُ الحقيقيُّ للعقائد التي تبنَّتْها الإسماعيليةُ فيما بعد، وإن ميمونَ القَدَّاحَ وابنَه عبدَاللَّه كانا من دُعاته وأكابرِ علماءِ طائفته، وإن أولَ مَن قام بالدعوة الإسماعيلية أبو شاكر ميمون، كان ممن صَحِبَ أبا الخطاب محمدَ بنَ أبي زينب.

والإسماعيليةُ هم أبناءُ ميمونَ القَدَّاح، ولا صِلَةَ لهم مطلقًا بالبيت العَلَوِيِّ، وهم ـ كما قال أهلُ السنة ـ: «ظاهرُهم الرَّفْض، وباطنُهم الكفرُ المحض».

ادَّعىٰ الفاطميون ـ وهم الإسماعيلية ـ نِسْبَتَهم إلىٰ البيت العَلَوِيِّ، وأنكر ذلك عليهم علماء الإسلام من أهل السنة والعلويون أيضًا، ومنهم الشريفُ الرضي، وكتبوا وثيقةً بذلك.

وأنكرَ نسبَهم إلىٰ بيتِ النبوة كبارُ علماء الإسلام كالبغداديِّ وابنِ كثير وابنِ تيميَّة والذهبيِّ وابنِ حجر والسَّخاوي، وابن تَغْرِي بَرْدي، وابنِ

(١) كل ما أوردناه عن الإسماعيلية فهو تلخيص من كتاب «الإسماعيلية» للشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه اللَّه ـ وخاصة الفصل الثاني من الباب الرابع «معتقدهم في النبوة والأنبياء» (ص٣٢١ ـ ٣٤٥) والباب السادس مبحث «الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات اللَّه عليه» (ص٥٤٦ ـ ٥٩١) ـ مُلَخَّصًا.

الجوزي والسُّيوطي وغيرِهم.

فعُبيدالله الملقَّبُ بالمَهديِّ هو سعيدُ بنُ الحُسين بنِ أحمدَ بنِ عبدِالله بن ميمون القَدَّاح بن دِيصانَ الثنوِي الأهوازي، وأصلُهم من المجوس.

وقال هؤلاء الملاعنة بنبوَّة محمدِ بن إسماعيلَ بنِ جَعْفر.. وانظر إلىٰ كلامهم في النبوَّة ترىٰ العَجَبَ العُجاب والكفرَ المَحْض.

*** والإسماعيليةُ يعتقدون بـ:**

أولاً: أنَّ النبوةَ مكتسَبة، وأنَّ الإنسانَ يستطيعُ أن يُصبحَ نبيًّا بعد التحلِّي بعد الارتياض والمجاهرة.

ثانيًا: وهي فَيضٌ يَفيضُ من أحدِ العقول العَشَرة.

ثالثًا: أن جبرئيلَ ليس من ملائكِ الرحمن.

رابعًا: الرسولُ تَعلَّم من بشر، وهو المعبِّر عنه بالوحي.

خامسًا: وأن القرآنَ ليس بكلام الرحمن الذي تكلَّم به الربُّ جل وعلا، بل هو من كلامِ الرسول المركَّبُ من خَطَرات النفس.

سادسًا: أنَّ الرسولَ أقامه أبو طالب، وهو الذي جَعله رسولاً.

سابعًا: وأبو طالب هو إمامُ الزمان والربُّ.

ثامنًا: ودعوةُ الرسول ﷺ ومَن سَبَق من الأنبياء كانت إلىٰ عليٍّ.

تاسعًا: وعليٌّ هو مرسِلُ الرسل، باعثُ الأنبياء.

عاشرًا: وكان يفضِّل محمداً ﷺ، بل كان مولًىٰ له، وهو عبدُه[1].

الحادي عشر: الاعتقادُ بإتيان رسولٍ بعد خاتمِ المرسلين وهو

(١) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير (ص٣٣٨) إدارة ترجمان السنة.

محمدُ بن إسماعيل.

الثاني عشر: انقضاءُ دَوْرِ رسول اللَّه ﷺ، ونَسْخ شريعته بشريعة أخرىٰ.

الثالث عشر: رَفعُ التكاليف الشرعية، والاكتفاءُ بالباطن المحض[1].

✍ فهل هناك كفرٌ فوقَ هذا الكفر؟!! وسنأتي بنصوصٍ من كُتُبهم تبيِّن ذلك.. فالنبيُّ عندهم شخصٌ يتحلَّىٰ بالخصالِ الاثنتَيْ عشْرة:

أولاً: أن يكون تامَّ الأعضاء.

ثانيًا: أن يكون جيِّدَ الفهم.

ثالثًا: أن يكون جيِّدَ اللفظ.

رابعًا: أن يكون فَطِنًا ذكيًّا.

خامسًا: أن يكون حَسَنَ العبارة.

سادسًا: أن يكون محبًّا للعلم والإفادة.

سابعًا: أن يكون محبًّا للصدق.

ثامنًا: أن يكون غيرَ شَرِهٍ في الأكل والشرب والنكاح.

تاسعًا: أن يكون كبيرَ النفس.

عاشرًا: أن يكون زاهدًا في الدنيا.

حادي عشر: أن يكون محبًّا للعدل.

ثاني عشر: أن يكون قويَّ العزيمة[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٥٨٨).

(٢) انظر «رسائل إخوان الصفاء» (ج٤ الرسالة السابعة والأربعون، الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة» (ص١٢٩ ـ ١٣٠).

❑ وقالوا: «إذا اجتمعت هذه الخصالُ في واحدٍ من البشر، في دَور من أدوار القِرانات في وقتٍ من الزمان، فإن ذلك الشخصَ هو المبعوثُ، وصاحبُ الزمان، والإمامُ للناس ما دام حيًّا.. فإذا بلَّغ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانةَ، ونَصَح الأمة، ودَوَّن التنزيل، ولَوَّح التأويل، وأحكمَ الشريعة، وأوضحَ المنهاج، وأقام السُّنَّة، وألَّف شملَ الأمة، ثم تُوفِّي ومَضَىٰ إلىٰ سبيله، بَقِيَتْ تلك الخِصالُ في أُمَّته وِرَاثَةً منه.. وإنِ اجتَمعت تلك الخصالُ في واحدٍ من أمته أو جُلُّها، فهو الذي يَصلُحُ أن يكون خليفةً في أمته بعد وفاته»[1].

❑ فإذن النبوَّة مكتسبة، وبذلك صرحوا، حيث قالوا: «إنَّ العلماءَ ذَكروا أن العلومَ ثلاثُ مراتب: أولها الرياضيات، وبعدها الطبيعيات، وبعدها الإلهيات.

فمن ابتدأ أولاً بتعلُّمِ الرياضيات وأَحكمها كما ينبغي، سَهُل عليه تعلُّم الطبيعيات، ومن أَحْكم الطبيعياتِ كما ينبغي، سَهُل عليه تعلُّم الإلهيات.

فهكذا نقول: مَن يريد أن يهذِّب نفسُه ويهيئَها لقَبول إلهامِ الملائكة إذا ابتدأ أولاً فأَصلح أخلاقَه الرديئةَ التي نشأ عليها منذ الصبا، ثم سار سِيرةً عادلةً في مُتصرَّفاته كما رُسِم له في الشريعة، ثم نظر في العلوم الحسِّيَّة فأَحكمها كما يجب، مِثل ما ذكرنا في رسالة «الحاسِّ والمحسوس»، ثم نظر في الأُمور العقلية فأحكَمَها كما يجبُ ليحل بها عن ضميره، والآراءِ

---

(١) أيضًا (ص١٣٥).

الفاسدة التي اعتقدها قبل البحث عن حقائقِ الأشياء، كما بيَّنا في رسالة «العقل والمعقول»، فأقول: إنَّ نفسه عند ذلك متهيئةٌ لقبول إلهام الملائكة، وكلما زاد في المعارف استبصاراً، صارت نفسُهُ لقَبول إلهام الملائكة أَسهلَ طبعًا، ولطاعةِ العقل أَشدَّ تشبُّهًا، وإلى السمائيَّة أقربَ قُربةً. . وأعلمُ أن الحيواناتِ متفاوتةٌ في شعورها ومعارفها. . وذلك أنَّ منها ما له حاسةٌ واحدة، ومنها ما له حاسَّتان، ومنها ما له ثلاثُ حواسَّ، ومنها ما له أربعُ حواسَّ، ومنها ما له خَمسُ حواسَّ، كما بينَّا في رسالة «الحيوانات».

وهكذا أيضًا الناسُ متفاوِتون في معارِفهم وعلومهم: وذلك أنَّ مِن الناس عقلاءَ وبُلَهاء، ومِن العقلاء علماءَ وجهلاء، والعلماء متفاوِتون في درجات العلوم. . وذلك أن منهم مَن يُحسِنُ عِدَّةَ علوم، ومنهم مَن هو أكثرُ منه، ومنهم دون ذلك، وأن المُفيدِين في العلوم يتفاوَتون في درجاتهم: وذلك أنَّ منهم مَن تكونُ معلوماتُه كلُّها جُسمانية، ومنهم مَن تكونُ معلوماتُه رُوحانية.

وأعلمُ أنَّ كلَّ عالِم تكونُ أكثرُ معلوماته روحانيةً فهو إلى الملائكة أقربُ رتبةً، ومن أَجل هذا جَعَل اللَّهُ طائفةً من بني آدمَ واسطةً بين الناس وبين الملائكة، لأنَّ الواسطةَ هي التي تُناسِبُ أحدَ الطرَفين من جهةٍ، والطرفَ الآخَرَ من جهةٍ: وذلك أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كانوا يناسِبون الملائكة بنفوسهم وصفاءِ جَوْهَرهم، ومِن جهةٍ أخرىٰ كانوا يناسِبون الناسَ بغِلَظِ أجسامهم.

واعلم يا أخي أن كلامَ الملائكةِ إنما هو إشاراتٌ وإيماء، وكلامُ الناس

عبارات وألفاظ، وأما المعاني فهي مشتركةٌ بين الجميع، وكانت الأنبياءُ تأخذُ الوحيَ والأنباءَ عن الملائكة إيماءً وإشارات، وذلك بلطافة ذكاءِ نفوسهم وصفاء جوهرها، وكانتْ تعبِّرُ عن تلك المعاني للناس باللسان الذي هو عضوٌ من الجسد لكلِّ أمةٍ بلُغتها وبالألفاظ المعروفة بينها.

واعلم يا أخي أن نفسك مَلَكٌ بالقوَّة، ويمكن أن تصيرَ مَلَكًا بالفعل إن أنت سَلكت مَسلك الأنبياء وأصحابِ النواميس الإلهية، وعَمِلت بوصاياهم المذكورة في كتبهم المفروضةِ في سنن شرائعهم، وإنَّ نفْسَك أيضًا شيطان بالقوة، ويمكن أن تصيرَ يومًا شيطانًا بالفعل إنْ أنت سلكتَ مَسْلَكَ الأشرارِ والكفار[1].

وأيضًا: إن كلَّ إنسانٍ تكونُ نفسُه أصفى جوهرًا، وأذكى فهمًا كما بيَّنَّا في رسالةِ «كيفية الطريق إلى اللَّه تعالى»، فكانت أخلاقهُ وسجاياهُ لأخلاق الكرامِ أقربَ وأَشبهَ، كما بيَّنَّا في رسالة «الأخلاق»، وكان مذهبُه واعتقادُه باعتقادِ الأنبياء ومذهب الحكماء أشدَّ تحقيقًا، كما بيَّنَّا في رسالة «الناموس»، وكانت أعمالُه وسيرتُه بأفعال الملائكة وسيرتها أشدَّ تشبُّهًا، كما بينَّا في رسائل «إخوان الصفاء».. فأقول: إن قَبول نفسِه إلهامَ الملائكة والوحيَ والأنبياءَ أَمكنُ.

والدليل على صحَّةِ ما قلنا وصايا الأنبياءِ والحكماءِ بهذا الأمر، وذلك أن موسى عليه السلام أوصى أولادَ هارون أن يَلزمَوا - بعد قيامهم بشريعة التوراة - خِدمةَ الهيكل المسمَّى «الزمان»، ويتعبَّدوا فيها، ويتركوا لذَّاتِ نعيمِ الدنيا

(١) «رسائل إخوان الصفاء» (٤/ ١٢٠، ١٢١، ١٢٢).

واتِّباعَ شهواتِ النفوس، ويقتصِروا على ما لا بدَّ منه من القُوت، وما يَستُر العَورة من اللباس، ويَتركوا ما سوى ذلك من الفضول، كلُّ ذلك كيما تصفو نفوسُهم، وتتهذبُ أخلاقهم، وتصيرُ نفوسهم متهيئةً لقَبول الوحي والإلهام، وقال لهم: «مَن تعبَّد منكم على ما رَسمتُ له في هذا الهيكل أربعين سنةً مُخلصًا، جاءه الوحيُ من اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، ونزلت عليه الملائكةُ بالروح»[1].

◻ وأما الشريعةُ فقالوا: «إن الشريعةَ الإلهيةَ هي جبِلَّةٌ رُوحانية تبدو من نفسٍ جزئيةٍ في جسدٍ بشريٍّ بقوَّةٍ عقليَّةٍ تَفيضُ عليها من النفس الكلية بإذن اللَّه تعالى في دروس الأدوار، وقرآن من القرآنات، وفي وقتٍ من الأوقات»[2].

◻ ويوضِّحُ السِّجستاني أبو يعقوب إسحاقُ الداعي الإسماعيلي أيامَ المُعزِّ لدين اللَّه: «إنَّ النبوَّةَ لا تَحدُثُ بغتةً في قلبِ النبي، بل جُزءٌ، وعملٌ بعد عمل، وزيادةٌ بعد نُقصان، ونُقصانٌ بعد زيادة إلى أن يكمُلَ كونُها فتظهرُ مصورَّةً مُجلاَّةً، فلا تزالُ في ارتفاعٍ إلى أن تبلغَ منتهاه في الرِّفعة»[3].

◻ وأخطرُ مِن ذلك ما صَرَّح به السِّجستاني أيضًا تحت عنوان «كيفية قبول الرسالة من المرسِل»، فيقول: «إن القبولَ قَبولان: قبولُ سمع، وقبولُ

(١) أيضًا الرسالة الخامسة من العلوم الناموسية ـ الرسالة السادسة والأربعون (ص١١٦، ١١٧).

(٢) أيضًا (ص١٢٩).

(٣) «كتاب اثبات النبوءات» للسجستاني، الفصل التاسع من المقالة السادسة (ص١١١) ط بيروت ـ لبنان.

وَهْم، فالقبولُ السمعيُّ يكون بالكلام، والقبولُ الوَهْمِي يكونُ بالخطرات، والكلامُ يكونُ من المتكلِّم فيه آلاتُ الكلام، والخطرات من متفكِّر فيه خزائنُ العقل. فصَحَّ مِن هذه الجهة أن قبولَ الرسلِ قبولٌ وَهْميٌّ يخطُرُ في أفئدتِهم ما أُرسلوا به، ثم يؤدُّون إلى الأمم بلسانهم ولغتهم»[1].

ثم أجاب عن قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]: «يعني ما كان للناطق أن يَصِلَ إليه خَطَرٌ من كلمةِ اللَّه تعالىٰ: ﴿إِلاَّ وَحْيًا﴾، يعني: إلا ما يؤيِّده من جهةِ السابق ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يعني: أو ما يؤيِّده به من جهة السابق مِن وراء التالي، فالتالي حجابٌ بين الطبيعة والعقلِ، إذ هو المتوسِّطُ بينهما، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، يعني: أن الناطقَ إذ رَقِىٰ إلىٰ حدِّ الناطقية فقد فُرض عليه أن يُغيِّر بلسانِه كما قَذَفَ في قلبه الروحُ الأمين من صناعةِ الأشياء ليُبَلِّغَ بذلك إلىٰ الأمة، فنظرنا في الكلام فوَجَدْنا صوتَ الموضوع بالاتفاق والاصطلاح دالاًّ علىٰ الزمان، وإذا فُرِّقت أجزاؤه لم تَدُلَّ علىٰ شيءٍ من الكلام»[2].

وقال أيضًا في كتابه الآخر: «هذا وَهْمٌ من العوامِّ أن الرسالة إنما هي إرادةُ اللَّه تعالىٰ أن يُرسِلَ رسولاً إلىٰ خَلْقِه فيُرسلَ إليه مَلَكًا من الملائكة»[3].

وأمَّا ما يُقالُ بأنَّ النبيَّ ﷺ كان يُوحَى إليه بواسطة جبرائيلَ هو من الملائكة، فليس الأمر كذلك، لأن جبرائيلَ عند الإسماعيلية ليس بمَلَكٍ من

(١) «إثبات النبوءات» للسجستاني الفصل الثاني من المقالة الخامسة (ص١٤٧، ١٤٨).

(٢) أيضًا الفصل الثالث من المقالة الخامسة في كيفية كلام اللَّه (ص١٤٩).

(٣) «كتاب الافتخار» للسجستاني (ص٦١) ط بيروت لبنان.

ملائكة الرحمن، الذي خُصِّص بسفارةِ الرب إلى أنبيائه، ونزولِ كلامه إلى رسله، بل هو إما عبارةٌ عن أحدِ العقولِ العَشَرة أو عن الخيال، أو البَشَرِ الذي يزعمُ الإسماعيليةُ أنه كان يُعلِّمُ الرسولَ ﷺ.

عياذًا باللَّه مِن اتِّهام الكَفَرة المخالِفين لرسول اللَّه ﷺ، المعادِين له ولدعوته التي كان يدعو بها بأمرٍ من اللَّه ووحيه، الذين أخبَرَ عنهم الربُّ تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وأنهم: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

◻ فيقولون: «إن الإمامَ نَفْس، وجبرائيلَ عَقلُ المُكنَىٰ عنه بالخيال»[1].

◻ وأما السِّجستاني فيقول: «إن جبرائيلَ كنايةٌ عن ثقة اللَّه الذي لا يُجاوِزُه ولا يَعدُوه»[2].

◻ وأما كونُ جبرائيلَ بشرًا، فصرَّح به الداعي الإسماعيلي طاهرُ بنُ إبراهيم الحارثي اليماني: «وكان العقلُ العاشرُ هو المحتجِبُ لمحمد ﷺ، المؤيِّدُ له، الناظرُ إليه، المُمْدِدُ له بواسطةِ الجدِّ والفتحِ والخيال عند كماله وبلوغه رُتبةَ الحِجابية؛ لأن كلَّ ناطقٍ ووَصِيٍّ وإمامٍ لا بدَّ له من التعليمِ والترقِّي رُتبةً رتبةً، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فكان محمدٌ ﷺ آخِذًا من أُبَيِّ بنِ كعبٍ في حالِ تعليمه ابتداءً، وهو المَكْنِيُّ عنه بجبرائيل»[3].

(١) «كنز الولد» للحامدي (ص١٦٥).

(٢) «كتاب الافتخار» للسجستاني (ص٤٤).

(٣) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني في السرادبي الثالث (ص١٢٦، ١٢٧).

ومعناه أن أُبَيَّ بنَ كعبٍ هو الذي كان يُعلِّمُ رسولَ اللَّه ﷺ ـ عياذًا باللَّه ـ وليس هو فحسب.

بل يقولون بكلمة الكفر أكبرَ من ذلك وأعظمَ، حيث يُصرِّحون أن رسولَ اللَّه ﷺ كان يُعلِّمُه ويُربِّيه ويُوحِي إليه خمسةٌ، لا أُبيُّ بنُ كعب وحدَه كما صرح بذلك الحامدي وغيرُه من الدعاة الإسماعيلية الكبارِ، حيث كَذَبوا على رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «تَسلَّمتُ من خمسة»، وهو عَلِم ما تَسلَّمه من مراتبِ النُّطقاءِ الخمسةِ من قَبله، فأولُ مَن وقع في يدِه أبيٌّ بن كعب، وربَّاه بحقيقةِ الوِصاية التي هي حظُّ آدم، فَعَلِمَها وقام بها، ثم رَفَعه إلىٰ زيدِ بنِ عمرو، فربَّاه بمعاني الطهارةِ التي هي حظُّ نوحٍ، فَعَلِمها وقام بها، ثم رَفَعه إلىٰ عمرِو بنِ نُفيل، فربَّاه بمعاني الصلوات التي هي حظُّ إبراهيم، فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه عمرُو بنُ نفيل إلىٰ زيدِ بن أسامةَ، فربَّاه بمعاني الزكاة التي هي حظُّ موسىٰ، فَعَلمها وقام بها، ثم رفعه إلىٰ بحيرا الراهب، فربَّاه بمعاني الصيام الذي هو حَظُّ عيسىٰ، فعَلِمَها وقام بها، ثم رفعه إلىٰ حُجَّةِ صاحب الوقت التي هي خديجةُ بنتُ خويلد، وذلك بعد مزاوجته لها، وقد صار ماهراً في الشرائع ورموزها المراد بها، فرَفعت خديجةُ منزلتَه، وعَلَت رتبتُه في معاني الحجِّ وفرائضِه وسُنَنِه الذي هو حظُّه وقِسْمُه من دعائمِ الدين.

ثم أَمَرها إمامُ الوقت بتسليم وديعته إليه، من الرسالة والنبوة، فهؤلاء النُّطقاء الخمسةُ الذين تسلَّم منهم، والخمسةُ التي هي بينه وبين ربِّه. . أي بينه وبين إمامِ زمانه مُربِّيه وكفيلِه، فهم: أُبَيٌّ بن كعب، وزيدُ بنُ عمرو، وعمرو بنُ نفيل، وزيدُ بن أسامة، وبَحِيرا الراهب[1] .

(١) «كنز الولد» للحامدي الباب الحادي عشر بعنوان (القول على الحدود العلوية والسفلية =

◻ ونَظَم هذا الداعي الإسماعيليُّ محمدُ بن علي الصُّوري في قصيدته تحت عنوان «القول في محمد»:

«ومات للحين أبوه وأُمُّهُ	وكان ذو الكفلِ الكريمُ عمَّهُ
حتى إذا تُوِّج بالجلال	وصار في مرتبةِ الكمال
زَوَّجه خديجةَ المبجَّلةْ	لأنَّ منها فاطمةَ المفضَّلةْ
مِن بعدما صاحَبَ حِينًا مَيسرةْ	وهو الذي أفـــاده وأبصَرَهْ
ثم أتى زيدٌ وعمرٌو بعدَهُ	فاض عليه الفتح والجد...»[1]

وأما الربُّ وإمامُ الزمان، الذي يقول الإسماعيلية: إنَّ الرسولَ صرَّح به في قوله: «أخذت من خمسة، وسُلِّمتُ إلىٰ خمسة، وبيني وبين ربي خمسة»، كما روىٰ ذلك الحارث اليماني الداعي الإسماعيلي إبراهيم، وأشار إليه الحامدي أيضًا.

فالربُّ في قوله عليه الصلاة والسلام هو «أبو طالب»؛ لأنه هو الذي أرسله وأقامه، وهو كان إمامَ الوقت الذي كانت خديجةُ حُجَّتَه أيضًا كما ذكر ذلك الحارثيُّ واضحًا وجليًّا.

فقال: «قولُ ناطقِ دَوْرِنا ﷺ: «أخذتُ من خمسة، وسُلِّمتُ إلىٰ خمسة، وبيني وبين ربِّي خمسة»، فالخمسةُ الذين أَخذ منهم هم الخمسةُ

= ومعرفتهم الذين هم أسماء اللَّه الحسنىٰ الذين إذا دُعي بهم أجاب خيرته من خلقه» (ص٢١٠)، أيضًا «المجالس المستنصرية» (ص٢٥) بتحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي، أيضًا «كتاب أجزاء عن العقائد الإسماعيلية» للداعي إبراهيم (ص٧٢) ط. باريس بتحقيق كويارد.

(١) رسالة إسماعيلية واحدة «القصيدة الصورية» (ص٥٧).

المتقدِّمون عليه الذين تعلَّم كُتُبَهم المنزَّلةَ عليهم، وشرائعَهم التي شرَعوها، وأوضاعَهم التي وضعوها، وتحقَّق تأويلاتِها ومعانيَها وحقائقَها، فالخمسةُ الذين بينه وبين ربِّه هم الحدودُ الدينية الذين أَخذ منهم، وتَعلَّم في بَدءِ أمرِه منهم، ورَقَّوه في مراتبِ الدين شيئًا بعد شيءٍ إلىٰ أن بَلغ ذُورتَها، وهم: أُبيٌّ، وزيدُ بن عمرو، وعمرُو بن نفيل، ومَيسرة، وخديجةُ بنتُ خويلد، وهم حدود صاحب الوقت المقيمِ له المُعلي رُتْبَتَه، المسلِّم له وهو عمُّه أبو طالب»[1].

وخلاصةُ ذلك أن النبي ﷺ لم يُقِمْه علىٰ مَنصِبِ النبوَّة، ولَم يَبعثْه رسولاً إلاّ أبو طالب، كما أنه لم يُوحِ إليه، ولـم يُعلِّمْه ولم يُفِدْه ويُبصِّرْه إلا أُبَيٌّ، وميسرة، وزيدُ بن حارثة، وعمرُو بن نفيل، وبَحيرا الراهب، مع حُجَّة أبي طالب خديجة ﵂، فمحمدٌ ﷺ هو رسولُ الربِّ ـ أي أبي طالب ـ، وموحًىٰ إليه من قِبَلِ أُبيٍّ وغيرِه، ومُعَلَّم من قبل خديجة ـ عياذًا باللَّه ـ.

◻ وهذه نصوصٌ زيادةٌ علىٰ ما ذكرناه آنفًا:

◻ فيقول الحامدي مفسِّرًا وشارحًا كلام المؤيَّد الذي نقله في كتابه: «وقوله ـ أي: المؤيَّد الشيرازي ـ بأربابِ أدوارٍ تقدَّمت فيها الأنبياءُ والأسبابُ، يدلُّ علىٰ أن هذه الأربابَ المتقدِّمة علىٰ الأنبياء هم الذين أقاموهم مثل هُنيد مقيم آدم، وهود مقيم لنوح، ومثل صالح لإبراهيم، وآد لسوسي، وخُزَيمة لعيسىٰ، ومثل أبي طالب لمحمدٍ ﷺ.

فهذا معناه في أربابِ النقطاء، والأسباب هم الأوصياءُ والأئمة

---

(١) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادق الثالث (ص١٦٠ـ١٦١).

القائمون مقامَهم مِن بعدِهم، وحدودهم، بيانُ ذلك قوله: أربابُ أدوارٍ فيها تقدمت الأنبياء والأسباب»[1].

◻ وقال الحارثيُّ اليمانيُّ ببيانٍ أوضحَ من ذلك وأظهر: «فقام أولُ نُطقاءِ دَورِ السّتّر وهو آدمُ عليه السلام بأمرِ ذلك الإمام الذي هو صاحبُ الزمان.. ولا يزالُ ذلك كذلك إلى أن يُقيمَ أساسًا يَخلُفه في أمته، وانتقل إلى دارِ كرامةِ اللّه تعالى، وجرَت الإمامةُ متسلسلةً من إمامٍ إلى إمام إلى وفاءِ دَورِه، وقام بعدَه الناطقُ الثاني، وهو نُوح عليه السلام وقيامُه عن أمرِ إمامٍ زمانه، وهو هود عليه السلام، وضِدُّه عَوْج بن عَنَق، فقنَّن قوانين، وشَرَع شرعًا غير ذلك الأول، ودعا إلى عبادةٍ ظاهرة، هي رُموزٌ واشاراتٌ إلى حدود اللّه الرُّوحانية والجُسمانية، الدالةِ على توحيده وتنزيهه، إلى وفاءِ ما عليه من الخِدمة، ثم أقام وصية «ساما» عليه السلام خَلَفًا في أمته، ومؤوِّلاً لباطنِ شريعته، ثم نَصَّ عليه، وانتَقَل إلى دارِ كرامة اللّه تعالى، وجرَت الإمامةُ متسلسلةً إلى تمامِ دَوره، وقام إبراهيمُ عليه السلام عن أمرِ إمامٍ زمانه، الذي هو صالح عليه السلام، فكان ضدَّه النمروذُ بن كنعان، فقنَّن قوانين، وشَرَع شرعًا جَعَل فيه رموزًا وإشارات، إلى معرفةِ حدودِ اللّه الرُّوحانية والجُسمانية الدالةِ على معرفةِ توحيد اللّه وتنزيهه، إلى وفاءِ ما عليه من الخِدمة، وأقام وصيَّه إسماعيل عليه السلام وانتَقل إلى دارِ كرامة اللّه، وجرَت الإمامةُ متسلسلةً في عَقِبهِ إلى وفاءِ دَوره، وقام موسى عليه السلام عن أمرِ إمامِ زمانِه الذي هو «أد» عليه السلام، وكان إبليسُه فرعون، قائمًا بإزائه، ففعل كما فَعل مَن كان قبلَه إلى وفاء

---

(١) «كنز الولد» للحامدي (ص٢٠٦، ٢٠٧).

دَوره، وقام عيسىٰ عليه السلام عن أمرِ إمامِ زمانه الذي هو خُزيمة عليه السلام، ففعل كفِعلِ مَن كان قبلَه إلىٰ وفاءِ دَوره، وقام محمدٌ عليه السلام عن أمرِ إمامِ زمانه الذي هو أبو طالب وكان له ضِدَّان أبو لهب وأبو جهل، إلىٰ أن أوفىٰ ما عليه من الخِدمة، وأكمَلَ قوانينَ شريعته التي هي رموزٌ وإشاراتٌ إلىٰ حدودِ اللَّه تعالىٰ الرُّوحانية والجسمانية الدالةُ علىٰ توحيد اللَّه تعالىٰ وتنزيهه، ثم أقام وَصيَّه عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام، وانتقل إلىٰ دارِ كرامةِ اللَّه تعالىٰ»[1] .

❑ وذكر الحامديُّ أيضًا في كتابه مفصَّلاً ما أجملَه في شرح وتفسير كلام المؤيد: «وذلك أنَّه لَمَّا آنَ قيامُ الناطقِ السادسِ الذي هو ممثولُ اللحم في الشرائع، وزَوَّجه صاحبُ الوقتِ بخديجةَ بنتِ خويلد ـ عليها السلام ـ وهي حُجَّته، فزاوجها علىٰ الظاهرِ والباطن، كما زاوَجَ إبراهيم سارة، فرَفعت «خديجة» منزلته ـ كما ذكرنا ـ بأمرِ وليِّ الأمر، وسَلَّمت إليه رُتبةَ النبوةِ والرسالة، وهو ما رُوي أن خديجة أسلمت يوم الإثنين وقتَ الظُّهر، وهو اليومُ الذي بُعث فيه، والوقتُ الذي قام به مرسَلاً، وقولهم: «إن عليًا أسلم يومَ الثلاثاء وقتَ الظهرِ بعد مَبْعثِه بيوم، فكان بين إسلامِ خديجةَ وإسلامِ عليٍّ خمسُ صلوات في خمسةِ أوقات»، والمعنىٰ في ذلك أنَّه لَمَّا تَسلَّم من خديجةَ رتبةَ النبوَّةِ والرسالة في الظاهرِ المحض، الذي هو حَظُّ النُّطقاء قبلَ إسلامِ عليٍّ، ومعنىٰ «إسلام علي» يعني أن المَقامَ ـ الذي هو صاحبُ الوقت ـ لَمَّا كان في كهفِ التقيَّة وحُجُبِ الاستتار من قريشٍ وغيرهم، لِحَسَدِهم وتكبُّرِهم، وانكتامِ الأمرِ من إسماعيلَ بنِ إبراهيم

---

(١) «الأنوار اللطيفة» (ص١٠٨، ١٠٩).

عليه السلام، تَنَبَّه، فأَمر حُجَّتَه «بنت خويلد خديجة» بإحضارِها، والخمسة حدود الذين هم بينــه وبين ربِّه ـ الذين تقدَّم ذكرهم ـ بأمرِ اللَّهِ له ووحيهِ إليه، أن يَستكفلَ محمداً لعليٍّ رُتبةَ الوِصايةِ والإمامةِ، ويستودعَها فيهم له، فشَرَحت خديجةُ عليه ما أُمرت، وبيَّنت له أنَّه وصيُّه ووارثُ عِلمِه، والذي تجتمعُ إليه المراتب، وهو مستقَرُّ الباطنِ ومركزُه، وأساسُ الدين، وأَخذت عليه عَهدَ الكَفالةِ والوفاءِ بالوديعة لوصيِّه مِن بعدِه، لأنه مقامُ النور، والحجابُ المشهور، والبابُ المستور، الذي اسمُه في العصور والدهور: نهايةُ النهايات، وغايةُ الغايات، صاحبُ الظهورِ اللطيف المتسلسلِ معناه من أولِ السُّلالةِ الشرعيةِ إلىٰ ظهورِه مع الرتبة اللحمية، فبَسَط يَدَه للعهد علىٰ ذلك، وأقرَّ بما هنالك، فرضي عليٌّ بكفالته ووديعته، وسَلَّم الأمرَ لصاحبِ الأمر، واستسلم بالدخول تحتَ طاعتِه وخِدمته، إلىٰ وفاءِ مُدَّته، فذلك معنىٰ «إسلام علي»، وهو الرضاء والتسليم بالحقيقة»[1].

□ وأما الداعي الإسماعيليُّ عليُّ بن الوليد، فقد ذكر في هذا المعنىٰ: «كان رسولُ اللَّه ﷺ مَجْمَعًا لعلومه تلك الظاهرة، ونَفَخ فيه مُقيمُه ومؤيِّدُه الذي هو عمُّه الروحَ الحياةَ التي مَن نُفِخت فيه فقد نال ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة، وأعلىٰ قَدْرَه علىٰ جميع العالَمين، وجَعَله دونَ الناس مبلِّغًا، لِمَا يَنزلُ به الروحُ الأمينُ علىٰ قلبه، ليكونَ من المُنذِرين، بلسانٍ عربيٍّ مُبين، فصار للكلِّ مَجْمعًا، ولمتفرِّقاتِ الفضائِل مَحلاً وموضِعًا، ﷺ»[2].

---

(١) «كنز الولد» (ص٢١٦، ٢١٧).

(٢) «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد بتحقيق الأعظمي الفصل الثامن عشر (ص١٠٨، =

◻ وبصراحةٍ أكثرَ ما ذكره المفسر الإسماعيليُّ ضياءُ الدين في سورة «القصص» تحت آية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥]: «يعني المولىٰ عِمْران[1] بدعائِك إلىٰ العين عليٍّ ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، يعني: لَمُرقِّيك بالانضمام إلىٰ العين، وأيضًا إن الحجابَ النبويَّ المقيمَ لِحجابه الوصيِّ رادُّه العين ينضمُّ إلىٰ ذلك الحجاب الذي أقامه، وذلك كائنٌ في كل دَورٍ لموجَبِ الأسباب الأصلية»[2].

◻ وأيضًا ما ذكره تحت قول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١]، قال: «﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾، أي: من عمران ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾، يعني: أن أتوجَّهَ بالدعاء إلىٰ العين ـ يعني: عليًّا ـ والبلدة هي دائرتُه الذي حَرَّمها، يعني: دخولَها علىٰ أهلِ البغي، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، يعني: من التدبير والإنشاء والتصوير»[3].

◻ وعلىٰ ذلك قال شهابُ الدين أبو فراس: «ولما كانت الأعدادُ مبدؤها من الواحد، وعودتُها إليه عند انحلالها، كذلك الرسلُ مبدؤهم من الإمام القائمِ بدَوره في الابتداء، ومنتهاهم إليه في الانتهاءِ في دَور الكشف، فالإمامُ عِلَّةُ المخترعات، وبه تَرَتَّبَ الخَلقُ والدِّين، وعندما تنتهي مُدَّتُه وتَحينُ فَترتُه، ينتقلُ الأمرُ إلىٰ شخصٍ آخَرَ من دعوته وهو الذي ينصُّ

= ١٠٩) دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

(١) عمران اسم لأبي طالب.

(٢) «تفسير مزاج التسنيم» سورة القصص الجزء الثالث من القسم الرابع (ص٣٥٩).

(٣) أيضًا سورة النمل (ص٣٤٢).

عليه ويشير إليه»[1] .

◻ والجديرُ بالذِّكر أن أبا طالب هو الثاني بعدَ نبيِّ اللَّه إبراهيم، الذي اجتمع فيه الرتبُ الأربع: «الوصاية، والإمامة، والنبوة، والرسالة»: «وقام أبو طالب بالرُّتبِ الأربع، إلى أن بَلَغَ محمدٌ أشدَّه»[2] .

هذا وإن الأنبياءَ لا تكونُ دعوتُهم إلا إلى عليٍّ، وخاصةً نبيُّنا محمدٌ ﷺ لم تكن دعوتُه حَسْبَ زعمِ الإسماعيلية - إلا إليه.

◻ وبذلك صرَّح جعفرُ بنُ منصور اليمن باب الأبواب للإمام الإسماعيلي المعزِّ لدين اللَّه، في كتابه الباطني المشهور تحت قوله اللَّه - عز وجل -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: «معنى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، أي: على اللَّه سبحانه يتعبَّدُ الخَلق بما يختارون لأنفسِهم ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾، يعني: رسول اللَّه ﷺ يَدعُوه إلى اتِّباع عليٍّ، وهو أولُ مَن أسلم، فاسمه وطاعتُه الإسلام»[3] .

◻ وبمثل ذلك قال المفسر الإسماعيلي: «قال تعالى للميم «محمد»، ﴿فسبِّحْ بحمدِ ربك﴾، يعني: ادعُ إلى المَقام العُلويِّ، حَمدُ الربِّ لك وهو المقامُ العمراني ﴿قبلَ طلوعِ الشمس﴾، يعني: قبل اتصال النصِّ عليه من العاشر»[4] .

---

(١) «مطالع الشموس في معرفة النفوس» لشهاب الدين (ص٣٣) من أربع رسائل إسماعيلية.

(٢) «الأنوار اللطيفة» الفصل الخامس من السرادق الثالث من الباب الأول (ص١٢٤).

(٣) «كتاب الكشف» (ص١٥٨، ١٥٩).

(٤) «مزاج التسنيم» سورة طه (ص٢١٩).

وأيضًا: ﴿فإنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾، «يعني: إيضاحَ مقامِ العينَ «عليٌّ» في كلِّ دور لكونك الداعي إليه»(١).

▫ وأيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، «يعني: بإيضاحِ مقامِ «العين»، وكذلك الرحمةُ لمن اعترف بمَقامه في القديم، فجرىٰ علىٰ ذلك في الحديث، ثم قال تعالىٰ «للميم»: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾، يعني: «العين»، ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، يعني: متوحِّدٌ في مقام العظمة»(٢).

ولو أنه قَصَّر في الدعوة إليه لَهَبطت منزلتُه، وسُلبت منه نبوتُّه ورسالتُه، كما قال الصوري:

«فأنـــزل اللَّه على نـبـيِّـــهْ	أن يُظهـرَ النصَّ على وَصيِّـــهْ
فخاف مِن أصحـــابِـــه لعلْمِـه	بكيدِهم وما نَـــوَوْا من ظُلْمِـهْ
وقيــــلَ: لا تُشرِكْ فإن أشركتَ	ليُحْبَـــطنَّ اللَّهُ مـــا عَمِـلْتْ
فقُمْ وبَلِّـــغْ لا تَخَــفْ فرحمتــي	تنالُك اليومَ وكنْ في عصـمتي»(٣)

▫ وأما أنه إليه الدعوةُ في كلِّ عصرٍ وزمان، فكما قاله صاحب «الكشف»: «قال النبي عليه السلام: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤]، أراد بذلك أن الذكرَ الذي معي هو الذِّكرُ الذي كان يدعُو إليه مَن كان قبلي، وهو العلمُ الذي قام به أميرُ المؤمنين صلواتُ اللَّه عليه الذي إليه

(١) أيضًا تفسير سورة مريم (ص١٩٩).

(٢) أيضًا تفسير الأنبياء (ص٢٣٩).

(٣) «القصيدة الصورية» (ص٦٠).

الدعوةُ في كلِّ عصرٍ وزمان ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] أراد بذلك أصحابَ العَقَبة، لأنهم أعرَضوا عن الحقِّ وعن الإقرارِ به، وهو الإمام صلوات اللَّه عليه عنده عِلم ما يحتاجُ الناس إليه من جميعِ البلايا والمنايا والوصايا والأسباب والأقسامِ والآجال»[1] .

◻ ونَقل إبراهيمُ الحامديُّ أيضًا عن جعفر بنِ منصور اليمن أنه قال: «إن اللَّه لا يقبلُ توبةَ نبيٍّ، ولا اصطفاءَ وَصِيٍّ، ولا إمامةَ وليٍّ، ولا عَملَ طاعةٍ من عاملٍ ـ ولو تقطَّع في العبادة واجتهد ـ إلا بولاية علي بن أبي طالب صلوات اللَّه عليه وآله، فمَن أتىٰ بغيرِ ولايةِ علي بن أبي طالب صلوات اللَّه عليه أُسقطت نبوَّته ووصايتُه وولايتُه وصالحُ عمله، ولم يَقبلِ اللَّهُ منه، ولا زَكَّىٰ عَمَلَه، وعليٌّ منه السلام مِن وَلَدِ إسماعيلَ بن إبراهيم، لا مِن ولد إسحاق صلىٰ اللَّه عليهم أجمعين، وأيُّ فضلٍ أعظمُ من هذا الذي ما له شَريك فيه ـ بل هو مخصوصٌ به وحده ـ؟!.

فكما أن اللَّه واحدٌ أحدٌ فردٌ صَمَد، لا شَريكَ معه في مُلكه، ولا صاحبةَ ولا ولد، كذلك مولانا عليٌّ عليه السلام واحدٌ في فَضله، أحدٌ فَردٌ صَمدٌ لا شريكَ له فيه، ليس له كفوًا أحد»[2] .

وبمثل ذلك قال الحارثي اليماني[3] .

ومعنىٰ هذا كلِّه أن الأصلَ هو عليٌّ، لا محمدٌ.

---

(١) «كتاب الكشف» (ص٨٤).

(٢) «كنز الولد» للحامدي (ص٢١٨).

(٣) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادق الثالث الباب الثالث (ص١٢٦).

◻ لأنَّ الرُّتَبَ الأربعَ لَمَ تجتمعْ في أحدٍ بعد أبي طالب إلاَّ في عليٍّ ابنه: «والذي تجتمعُ إليه المراتبُ الأربع، هو مستقَرُّ الباطن ومركزُه وأساسُ الدين.. وأنه مقامُ النور، والحجاب المشهور، والبابُ المستور، الذي اسمُه في العصور والدهور: نهايةُ النهايات وغايةُ الغايات»[١].

◻ وقال الحارثي: «ولما كان أميرُ المؤمنين بهذه الحالةِ التي لَم يَبلُغْها أحدٌ غيره، اتَّصل به العقلُ العاشر اتصالاً كليًا، ولَحِظَتْه القُوىٰ الإبداعية لحظًا سرمديًا، ورَمَته بأشعتها، واتصلت به الموادُّ الإلهيةُ فوقَ ما اتَّصلت بكلِّ مقامٍ قبلَه»[٢].

◻ «وعليٌّ هو الحائزُ لرتبةِ الظاهر والباطن»[٣].

◻ «ومعلومٌ أن محمداً ﷺ لَم يَحُز إلا رتبةَ الظاهرِ فقط.. وأكثرُ من ذلك أن محمداً كان مؤيَّدًا بعلي»[٤].

◻ «ومنصوراً به»[٥].

◻ وبه عَظُم شأنُه كما قال القاضي النعمان: «وإنما عظُم فضله، وعَلَتْ منزلتُه بوصيِّهِ عليٍّ إمامِ المتقين، صاحب التأويل، ومبيِّنِ الشرائعِ للمرسلين»[٦].

---

(١) «كنز الولد» (ص٢١٦)، أيضًا «كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن (ص١٥٨).

(٢) «الأنوار اللطيفة» الفصل الأول من السرادق الثالث من الباب الثاني (ص١٢٥).

(٣) انظر «المسائل المجموعة» (ص١٣٠) من «أربعة كتب إسماعيلية».

(٤) «المجالس المؤيدية» للشيرازي (ص١٩٢).

(٥) «أساس التأويل» للنعمان القاضي (ص٣٥٧).

(٦) «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان (ص٨٦) من «خمس رسائل إسماعيلية» تحقيق عارف تامر.

ولِمَ لا يكونُ كذلك؟.

◻ لأنه هو الذي أنبأ النبيِّين، وأرسل المرسَلين، وهو بكلِّ شيءٍ عليم ـ عياذًا باللَّه ـ كما قالوا: «وإنه هو مَجْمَعُ الأنبياءِ والأولياءِ والأئمَّةِ مِن أولِ الأدوار إلىٰ قيامه»[1].

◻ و«هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطن، وهو الذي سَمَك السماء، وسَطَح الأرض، وأجرىٰ الأنهار، وأنبَتَ الأشجار، وبسببه دارتِ الأفلاك، وتناظَرت الأملاك، وتمخَّضت الطبائع والأمهات، أُذنُ اللَّه الراعية، ويدُه المبسوطة، والمَخرجُ لهم من الظلمات إلىٰ النور»[2].

◻ «وهو الذي كان يَنزِلُ علىٰ قلبه»[3].

◻ وهو الذي قال عنه الرسولُ عليه السلام ـ كما يكذبون عليه ـ: «علي أبو عِترتي، وساترُ عَورتي، ومُفَرِّجُ كربتي، وغافرُ خطيئتي»[4].

◻ «وأنه كان مولىٰ رسول اللَّه، ورسولُ اللَّه عبده» اهـ.

◻ اللَّهم إني أعوذُ بك من نَقلِ هذه الكلماتِ الكفرية، كما ذكر ذلك الحارثيُّ اليمانيُّ في كتابه بعد ذِكر كلامِ جعفر بن منصور اليمن الذي ذكرناه سابقًا «أن عليًّا هو مَجْمَعُ الأنبياء والأولياء والأئمَّةِ من أول الأدوار إلىٰ قيامه».

◻ قال: «ومِن هذه الجهة والحالة صَحَّ قولُ الداعي عَبدان: إن الجمعةَ

---

(١) «الأنوار اللطيفة» (ص١٢٥، ١٢٦).

(٢) «كنز الولد» (ص٢١٧ و٢١٩).

(٣) «تأويل الزكاة» لمنصور اليمن (ص١٦) مخطوط.

(٤) «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن (ص٢٠٩) مخطوط.

على خِدمة المولى لعبده في هذا الدَّور؛ لأن أصحابَ الدعوةِ الظاهرةِ في الأدوار الماضية ـ الذين هم أولادُ إسحاق عليه السلام ـ كانوا حُجَجًا ودُعاةً وخَدَمًا لأربابِ الدعوات الباطنية ـ الذين هم أولادُ إسماعيل عليه السلام ـ، واجتمعت أولاد إسحاقَ عند ناطق الدور ﷺ، وَجَب في مزيَّةِ عدلِ اللَّه تعالى خِدمةُ أميرِ المؤمنين لمحمد ﷺ قضاءً بما سبق من خِدمةِ أولاد إسحاق، ولأولادِ إسماعيل ميزانُ العدل قائم، وهذا معنى خدمةِ المولى لعبده، وقيامِه معه بين يديه، وسَعيه معه، ومحاربتِه لأضداده، وقَتلِه لمن أنكر منزلتَه، وجانَبَ عن طاعته وجهادِه لأهل الكفر المعانِدين له، كما كان خادمًا له في دَور إبراهيم وموسى وعيسى، حَذْوًا بحذوٍ، لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها»[1].

❑ وإليه أشار الصُّوري في قصيدته عند ذِكرِ النبيِّ ومحاولةِ الأعداء قتله:

واقتَرَنَ المُبغِضُ بالحسودِ ... به مِن الكفار واليهودِ
واجتَهدوا في قَتلِه واشتركوا ... ولو استطاعوا قتلَه لَفَتَكوا
لكن حَمَاه منهم مولاهُ ... فقام بالفِديةِ واجتباه»[2]

❑ فهذه هي العقائدُ الإسماعيلية في النبوة والأنبياء، وفي رسول اللَّه الصادق الأمين، المخالفةُ لنصوص القرآنِ وصريحِ السُّنة، والمبنيَّةُ على الكفر المحض، حيث أن اللَّه يقول:

* ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

(١) «الأنوار اللطيفة» الفصل الثاني من السرادق الثالث من الباب الثاني (ص١٢٦).
(٢) «القصيدة الصورية» (ص٥٧).

* و﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

* و﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

* و﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر: ١٠].

* و﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* و﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

* و﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

* و﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨].

* و﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

* و﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦].

* و﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

* و﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* و﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

* و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

* و﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ [البقرة: ١٥١].

* و﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

* و﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأحزاب: ٢].

* و﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

* و﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

* و﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

* و﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [الأحزاب: ٢].

* و﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه: ١١٤].

* و﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [الأعراف: ١١٧].

* و﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* و﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٨].

* و﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء: ٧٩].

* و﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾ [النساء: ٦١].

* و﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٩٩].

* الإسماعيلية وقولُهم بنَسخ شريعةِ محمدٍ ﷺ :

❑ ذكر الإمام الغزاليُّ في كتابه «فضائح الباطنية» أو كتاب

«المستظهري» تحت عنوان «الطرف الخامس في اعتقادهم في التكاليف الشرعية»: «والمنقولُ عنهم الإباحةُ المطلقة، ورفعُ الحِجاب، واستباحةُ المحظورات واستحلالُها وإنكارُ الشرائع، إلاَّ أنهم بأجمعِهم يُنكرون ذلك إذا نُسب إليهم، وإنما الذي يَصِحُّ من معتقَدِهم فيه أنهم يقولون: لا بدَّ مِنَ الانقيادِ للشرع في تكاليفه ـ على التفصيل الذي يُفصِّله الإمام ـ، من غير متابعةٍ للشافعيِّ وأبي حنيفة وغيرهما؛ وإن ذلك واجبٌ على الخَلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رُتبةَ الكمال في العلوم، فإذا أحاطوا من جهةِ الإمام بحقائقِ الأمور، واطَّلَعوا على بواطنِ هذا الظواهر، انحلَّت عنهم هذه القيودُ، وانحطَّت عنهم التكاليفُ العَمَلية، فإنَّ المقصودَ من أعمال الجوارح تنبيهُ القلبِ لينهضَ لطلب العلم، فإذا ناله استعدَّ للسعادة القُصوى، فيَسقطُ عنه تكليفُ الجوارح، وإنما تكليفُ الجوارح في حقِّ مَن يَجري بجهلِه مَجرى الحُمُرِ التي لا يمكنُ رياضتُها إلاَّ بالأعمالِ الشاقَّة، وأمَّا الأذكياء والمدرِكون للحقائق فدرجتُهم أرفعُ من ذلك.

وهذا فنٌّ من الإغواء، شديدٌ على الأذكياء، وغرضُهم هدمُ قوانين الشرع، ولكنْ يُخادعون كلَّ ضعيفٍ بطريقٍ يُغويه ويليقُ به، وهذا من الإضلال البارد، وهو في حُكمِ ضربِ المثال، كقول القائل في الاحتماء عن الأطعمة المُضِرَّة: «إنما يجبُ على مَن فَسَد مزاجُه؛ فأمَّا مَنِ اكتَسَب اعتدالَ المِزاج، فلْيُواظبْ على أكل ما شاء أيَّ وقتٍ شاء»، فلا يلبث المُصغي إلى هذا الضلال أن يُمعِنَ في المطعومات المضرَّة إلى أن تتداعى به إلى الهلاك»[1].

(١) «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي (ص٤٦ ـ ٤٧) ـ طبع مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت.

والإسماعيليةُ يقولون برفعِ التكاليف العَملية، ونسخِ الشريعة المحمديَّة.. وعندهم أنَّ النطقاءَ السَّبعةَ في دَور السَّتر: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد، وقائم الزمان.

وأكبرُ دليلٍ علىٰ ما قلناه هو دُعاءُ «المعزِّ لدين اللَّه» الإمامِ الإسماعيليِّ الرابعِ في دَور الظهور، الذي له منزلةٌ كبيرة في أعينِ الإسماعيلية، حيث إنه هو الرابعُ من الظهور، والسابعُ من محمد بن إسماعيل، والسابعُ هو مُتِمُّ الدَّور، وله منزلةٌ عالية ودرجةٌ سامية في الفلسفة الإسماعيلية، وكذلك هو الرابعُ من المهدي الإسماعيلي، وللرابع مكانةٌ كبيرة أيضًا لدىٰ الإسماعيلية، إضافةً إلىٰ أنه هو الذي فَتح مصر، وأقامَ فيها الدعوةَ الإسماعيلية والمذهبَ الإسماعيلي، ونشر هذا المذهبَ من مصرَ إلىٰ أطرافِ الأرض وأكنافها، كما أن «المعزَّ» هذا صرَّح نفسُه بأنه يَسبقُ جميعَ مَن تقدَّمه من الأئمة والوَصِي، وحتىٰ الناطق محمد صلوات اللَّه وسلامه عليه[1].

◻ يقول «المعزُّ» هذا، في دعاءِ يومِ السبت، من أدعية الأيام السبعة:

«اللَّهم صلِّ علىٰ أبينا آدمَ الذي شرَّفتَه وكرَّمتَه.. وصلِّ علىٰ بابه ووصيه شَيثِ بن آدم، وعلىٰ أئمَّةِ دَوره وهم ستة.. اللَّهمَّ صلِّ علىٰ رسولك نوح.. الذي شرفتَه وكرَّمتَه، وعطَّلتَ به ظاهرَ شريعةِ آدم، وجعلتَه ثانيَ النطقاء.. اللَّهم صلِّ علىٰ خَليك إبراهيمَ بنِ تارخ الذي شرَّفتَه وكرَّمتَه، وعَطَّلتَ به ظاهرَ شريعة نوح، وجعلتَه ثالثَ النطقاء.. اللَّهمَّ صلِّ علىٰ نَجيِّك موسىٰ بنِ عمران الذي شرَّفتَه وكرَّمتَه، وعَطَّلتَ به ظهرَ شريعةِ إبراهيم، وصيَّرته رابعَ النطقاء.. اللَّهم صلِّ علىٰ رُوحِك المسيحِ عيسىٰ ابن

(١) انظر «المجالس والمسامرات» للنعمان (ص١٠٧) الجزء الثالث ـ طبع تونس.

مريم الذي شرَّفتَه وكرَّمتَه، وعَطَّلتَ به ظاهرَ شريعةِ موسىٰ، وصيَّرته خامسَ النطقاء.. واخصُصِ اللَّهمَّ محمدَ بنَ عبدِاللَّه من ولدِ إسماعيلَ الذي شرَّفتَه وكرَّمتَه، وعَطَّلتَ به ظاهرَ شريعةِ عيسىٰ، وصيَّرتَه سادسَ النطقاء.. وعلىٰ القائمِ بالحقِّ والناطقِ بالصِّدقِ، التاسع من جدِّه الرسول، والثامنِ من أبيه الكوثر، السابعِ من آبائه الأئمَّة من البررة.. الذي شرَّفتَه وعظَّمتَه وكرَّمتَه، وختَمتَ به عالَمَ الطبائع، وعطَّلتَ بقيامه ظاهرَ شريعةِ محمد ﷺ، وتملأ به الأرض عدلاً وقِسطًا كما مُلِئَتْ جَوراً وخبْطًا كالذي قال النبيُّ: «المهديُّ منا أهل البيت، رجلٌ أشمُّ الأنف، أقنى أكحل، يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جوراً وخَبْطًا»، وهو مُترجِمُ القرآن ومفسِّرُه ومُظهِرُ بيانِه ومنوِّرُه، وهو قائمُ يومَ القيامةِ والفصلِ والتغابُنِ والبعثِ والنشر: يومَ لا ينفع الظالمين معذرتُهم.. وصلِّ علىٰ الخلفاءِ الراشدين الذين يقضُون بالعدل وبه يعدلون»[1].

وذَكَر المُعِزُّ هذا في دعاءِ يوم السبت؛ لأنه دليلٌ علىٰ القائم، كما أن يوم الأحدِ دليلٌ علىٰ آدم، والإثنين علىٰ نوح، والثلاثاءِ علىٰ إبراهيم، والأربعاءِ علىٰ موسىٰ، والخميسِ علىٰ عيسىٰ، والجمعةِ دليلٌ علىٰ محمدٍ صلوات اللَّه عليهم[2].

---

(١) «أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين اللَّه الإمام الإسماعيلي الرابع عشر، دعاء يوم السبت، أيضًا «زهر المعاني» للداعي إدريس (ص٥٦) من «المنتخب» لايوانوف ط مطبعة أجمل بريس بومبي، وكذلك «الأنوار اللطيفة» الباب الثاني من السرادق الثالث الفصل الخامس (ص١٣٠).

(٢) انظر «رسالة الأصول والأحكام» للداعي حاتم بن عمران (ص١١٦) من «خمس رسائل إسماعيلية» ط. بيروت ١٩٥٦م.

وعباراتُ هذا الدعاءِ صريحةٌ في معناها، ظاهرةٌ في مفهومها، لا تحتاجُ إلىٰ توضيحٍ وبيـان بأنَّ محمدَ بنَ إسماعيل نَسَخَ شريعةَ محمدٍ رسول اللَّه الذي جَعَله اللَّهُ خاتَمَ النبيين، وأكمَلَ به الدينَ، كما أن محمداً صلوات اللَّه وسلامه عليه نَسخ بمجيئه شريعةَ عيسىٰ عليه السلام، وكما أن عيسىٰ نَسخ شريعةَ مَن قَبله.. وهلمَّ جرًّا.

واستعمَلَ المُعزُّ ـ وهو إمامٌ معصومٌ لدىٰ الإسماعيلية لا يُخطئُ ولا يَلحَنُ، ولا يَنطِقُ عن الهوىٰ إن هو إلاَّ وحيٌ يوحَىٰ ـ نفسَ العبارة، وعَيَّن الألفاظَ لمحمدِ بنِ إسماعيل، التي استعملها لمحمدِ بن عبداللَّه وغيرِه من النطقاء الخمسةِ الذين نسخوا شريعةَ مَن قبلَهم من الأنبياء والنطقاء.

ثم إنَّ هذا لم يُنقل عن المعزِّ وحدَه، ولو كان منه وحدَه لكان كافيًا للحُجة والتدليل؛ لأنه إمامٌ معصوم ـ حسب زعم القوم ـ، وحائزٌ علىٰ مرتبة الألوهيَّة والربوبيَّة ـ كما مرَّ بيانُه في مبحث الإلهيات ومبحثِ الإمامة ـ، بل وصرَّح بهذه الحقيقة الآخرون أيضًا، كما أنه لَم يَرِدْ ولم يُنقل في كتابٍ واحد، ولا من كتابٍ واحد، بل وَرَد هذا الدعاءُ في الكتب الكثيرة الإسماعيلية.

هذا ولقد ذَكر هذه الحقيقةَ كثيرٌ من الدعاة الإسماعيلية، وأثبتوها في كتبهم الباطنية بأساليبَ متعددةٍ وطرقٍ مختلفة.

◻ فيقول الداعي إدريسُ عماد الدين المتوفَّىٰ سنة ٨٧٢هـ: «وقام محمدُ بن إسماعيل صلوات اللَّه عليه وهو سابعُ الأئمَّة وقائمُهم مقابلَ لجده عليٍّ أمير المؤمنين تمام الدَّور الرُّوحاني، والخَلق الآخر الذي هو نفس الشيء ورُوحُه ومعناه، وهو تمامُ الدَّور الأول، ومنه ابتدأ الدورُ الثاني.. فقام

محمدٌ باللسان، وصَمَت عنه السيفُ إلىٰ بلوغ الكتاب أجَلَه، فأظهر العلومَ، وبيَّن الحقائق، وكَشَف لخلفائه منها السرَّ المكتوم، فظَهَرت منه حقائقُ معجزاتٌ ودلائلُ وآياتٌ لَم تَظهر في الأئمَّة من قبله، ولا قام أحدٌ منهم كمِثله لأنه السابعُ صاحبُ القوَّةِ والظهور، والضياءِ والنور، ومبيِّن العلم المستور.

وكان محمدُ بنُ إسماعيل مُتِمَّ الدَّور المنتهيةَ إليه غايةُ الشرائعِ المختومة به، المشتملَ علىٰ مراتبِ حدودها، المحيطَ بعلومهم، وهو قائمٌ بالقوة، صاحبُ الكشفة الأولىٰ؛ لأن القائمَ بالفعل هو القائمُ الكلِّي الذي هو صاحبُ الكشفة الأخرىٰ، والبطشةِ العظمىٰ، وقائمُ القيامةِ الكبرىٰ؛ لأن القياماتِ كثيرة.. وإنما وقع عليه «محمد بن إسماعيل» اسمُ الناطق السابع لنُطقه بالأمرِ الإلهي، وجَمْعِه للفضل الذي هو إليه متناهي، وليس بمتمٍّ ولا رسول، بل هو منفردٌ برتبةِ الوحدة، وقد تمَّ التمام واتَّسق النظام.

وإنما خُصَّ «محمدُ بنُ إسماعيل» بذلك لانتظامِه في سِلك مقاماتِ دَورِ السَّتر، لأنك إذا عَدَدْتَ آدمَ ووصيَّه وأئمةَ دَورِه كان خاتمهم الناطقُ وهو نوحٌ عليه السلام. وإذا عددت عيسىٰ ووصيَّه وأئمَّةَ دوره، كان محمدٌ ﷺ متسلِّمًا لمراتبهم، وهو الناطقُ الخاتمُ للنطقاء، وكان وصيُّه عليه السلام بالفضل منفرداً، وإذا عددتَ الأئمَّة في دَوره كان «محمدُ بنُ إسماعيل» سابعُهم، وللسابع قوةٌ علىٰ من تقدَّمه، فلذلك صار ناطقًا وخاتمًا للأسبوع وقائمًا، وهو ناسخُ شريعةِ صاحبِ الدَّور السادس»[1].

(١) «زهر المعاني» للداعي الإسماعيلي المطلق إدريس عماد الدين ـ الذي له العصمة الكبرىٰ مثل الإمام ـ (ص٥٣) وما بعد من «المنتخب» لايوانوف.

فالعبارةُ صارخةٌ بمدلولها، ناطقةٌ بمنطوقها ومفهومها، لا تحتاجُ إلى توضيح وتبيين.

❑ وقال أيضًا في الباب السابع عشر من هذا الكتاب: «إسماعيلُ بنُ جعفر خاتمُ الأتماء والخَلقِ الآخر، ولدُه محمد ﷺ قد كان ظَهَر شخصُه، وبان رَسمُه، وهو في رُتبةِ القائمِ سابعِ النطقاء ﷺ روح الحياة»[1].

❑ وبمثل ذلك قال داعٍ إسماعيلي أقدمُ منه وهو طاهرُ بنُ إبراهيمَ الحارثيُّ المتوفَّى سنة ٥٨٤هـ: «ولما قام الناطقُ السادسُ الذي هو محمدٌ ﷺ بالأمر، وأعلن بالشهادتين، وأقام دعوتَه الظاهرة دون الباطنة، أسلم له مَن أسلم، وجاهَد معه مَن جاهد.. فلما كَمُلت فاطمةُ زوَّجها أبوها أميرَ المؤمنين ﷺ بأمرِ اللَّه تعالى ووحيِه، فتمَّ التمام، واتَّسق النظام، وازدوج الإيمانُ والإسلام، وجَرَت الدعوة الظاهرة على حالتها، والدعوةُ الباطنة في ضمنه، واستمرَّ أمرُها إلى أن استَخرج من الدعوة الظاهرة الحَسَن، ومن الدعوة الباطنة الحُسين، وكانت الدعوةُ الظاهرة قِسطَ الناطق، والدعوةُ الباطنة قِسطَ الوصِيِّ.. وانساق الأمرُ بعد مولانا الحسين عليه السلام، كذلك في باقي الأئمَّة المتمِّين، إلى أن انتهى الأمر إلى مولانا «محمدِ بنِ إسماعيل»، فكان «محمدُ بن إسماعيل» مُتِمَّ الدورِ وخاتمَ الرسلِ المنتهيةَ إليه غايةُ الشرائع المختومة به، المشتمل على مراتب حدوده، المحيط بعلومهم، وهو القائمُ بالقوة، صاحبُ الكشفة الأولى.. وإنَّما وقع عليه اسمُ الناطقِ السابعِ لنُطقِه بالعلمِ الإلهي، وقولِه: «أنا» لأنه غير منتظم في مَسلكِ نطقاءِ دَور الستر، إذ هو بخلافهم، وليس له مُتِمٌّ ولا رُتَبٌ بحدوده، ولا هو برسول، بل هو

(١) أيضًا (ص٤٧).

منفردٌ برُتبة الإلهية، وإنما مولانا محمدُ بنُ إسماعيل المخصَّصُ بذلك لانتظامه في سلك مقاماتِ دَوْرِ السَّتر ونطقائه، فإذا أعددت آدم عليه السلام ووصيَّه ومُتِمُّ دُورِه السَّبعة، كان سابعُهم ناطقًا.. وإذا عددت محمداً ووَصيَّه ومتمِّي دَورِه السِّتة، كان سابعُهم ناطقًا، وهو «محمدُ بن إسماعيل». ومُتمِّي دَوره السِّتةُ الثلاثةُ الأئمةُ المستوِّرون وأبوابُهم الثلاثة، الذي أَمَر كلُّ إمامٍ بابه الذي هو أَخذ عنه هذه الثلاثةَ الأبواب أن يتسمَّىٰ بالإمام لهذا المعنىٰ، إذ بقيامه تمامُ الدَّور الستر، واعتقادُ دَورِ الكشف، ونَسْخِ شريعةِ الرسول السادس»[1] .

✍ وهل هناك أكثر من ذلك؟!.

❑ نعم، هناك أكثرُ من ذلك وأصرح، يقول الداعي الإسماعيلي الآخرُ في كتابه «مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية، التي لا يجوزُ الاطِّلاع عليها إلا بإذنِ مَن له العقد والحَل»، في هذا الكتاب، العريض العنوان، يقول في جواب سائلٍ سأله في المسألةِ الحادية والعشرين عن معنىٰ تسليم الرسول: «ولما كان محمدُ بنُ إسماعيل عليهما السلام سابعَ الأئمة وخاتمَ دَورِ الأتماء، وكان كلُّ سابعٍ يقومُ مقامَ الناطق، إن أوجب الوقتُ ذلك كان ناطقًا، وإلاَّ كان حافظًا لرتبته، وقد قيل: إن شهادةَ رسولِ اللَّه لمحمدٍ بالرسالة إشارةٌ بها إلىٰ محمدِ بنِ إسماعيل صلوات اللَّه عليهما، وذلك معنىٰ تسليمِه إليه»[2] .

(١) «الأنوار اللطيفة» لطاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني الفصل الرابع والخامس من الباب الثاني من السرادق الثالث (ص١٢٨، ١٢٩، ١٣٠).

(٢) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية» (ص٩٩) من «أربعة كتب إسماعيلية» جمع ونشر

▫ هذا ولقد عَقَّبَ الداعي المذكور جوابَه هذا بعدما لاحظ فيه التعقيد والإجمال، فقال: «بَقِيَ من معاني هذه الألفاظ ما لا يُسَطَّرُ في القراطيس. . وهذا سؤالٌ يُمتنع جوابُه لكونه لا يتحققُ ما يشيرُ إليه مَن أعلى اللَّهُ قُدسَه لاتساع المعاني، وكثرةِ الفنون فيها وفيما ورد من الأجوبة مُقنعٌ إن شاء اللَّه»[1] .

▫ ولكنَّ الداعيَ الإسماعيليَّ الآخَرَ القديمَ كان أصرحَ منه وأوضحَ في كلامه حين قال: «وتسليمه ـ أي: رسول اللَّه ﷺ ـ لمحمد بنِ إسماعيل شهادتَه له بالأذان عند قوله: «أشهد أن محمداً رسول اللَّه»؛ لأن شهادته لنفسه غيرُ جائزة، وإنما كانت شهادتُه لمحمد بن إسماعيل عليه السلام ـ ما أصرحَه وأقبحَه ـ وأما شهادةُ الأئمَّة وسائرُ المسلمين فهي له ـ أي: لرسول اللَّه ﷺ ـ؛ لأنه الناطقُ السادس، وكونُ الشهادة مُثنَّاةً في الأذان لَمَّا كانت الشهادةُ الأولى له، والثانية لمحمد بن إسماعيل الذي هو مُتِمُّ دَورِه، وهو سابعُ الرسل، وإليه أشار مولانا المُعِزُّ في دعائه يوم السبت إذ هو الناطقُ السابع»[2] .

✍ ولا أظنُّ أنه خَفِيَ المعنى والمطلوب بعد هذا التصريح والتوضيح، والصراحة التي بلغت حدَّ الوقاحة.

▫ يقول هؤلاء الدَّجَّالون الكافرون: إن محمدَ بنَ إسماعيل أفضلُ من

= شتروطمان ط. المجمع العلمي غونتيغن ـ ألمانيا.

(١) أيضًا (ص١٠٠).

(٢) «الانوار اللطيفة» للحارثي اليماني المتوفى سنة ٥٨٤هـ (ص١٦١) الفصل الثاني من الباب الخامس من السرادق الرابع.

رسول اللَّه ﷺ، قالوا: «إنَّ كلَّ خَلَفٍ يكونُ أفضلَ من كلِّ سَلَف، فنوحٌ أفضلُ من آدم، وإبراهيمُ أفضلُ من نوح، إلى أن تهيَّأ ظهورُ مَن هو أفضلُ من إبراهيم ـ وهو موسى ـ، ثم ظَهَر مَن هو أفضلُ من موسى ـ وهو عيسى ـ، إلى أن تهيَّأ ظهورُ مَن هو أفضلُ من عيسى ـ وهو محمد ـ، إلى أن تهيَّأ ظهورُ من هو أفضل من محمد ـ وهو القائم ـ»(١).

ولا عجبَ مِن ذا، أليس هو الناسخَ لشريعته!!!.

✍ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾

[الكهف: ٥].

◘ يقول جعفرُ بنُ منصور داعي دعاةِ الإسماعيلية ـ وهي أكبرُ منزلةٍ يحصلُ عليها واحدٌ من الإسماعيلية بعدَ الإمام ـ: «القائمُ لا شريعةَ له، بل هو يُزيلُ كلَّ الشرائع وينسخُها بإقامةِ التأويل المحض»(٢).

* الفاطميون والأغاخانية والبَهَرة:

✍ هذه العقائدُ السوداءُ للإسماعيليَّةِ المرتدَّةِ عن الإسلام حتى لا يَنطلِي بَهْرَجُها وزَيفُها على دعاةِ الإسلام.. هذه هي الفاطمية.

ثم انقسمت الإسماعيليةُ إلى:

١ ـ الإسماعيلية النِّزارية ـ أو الأغاخانية ـ أتباع أغاخان.

٢ ـ الإسماعيليَّة المُسْتعلية ـ أو البَهَرة.

---

(١) انظر كتاب «الإيضاح» لأبي فراس (ص٤٣) طبع عارف تامر ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت.

(٢) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور (ص١١٩).

لعنهم اللَّه في الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد بما كَذَبوا علىٰ ربِّهم وعلىٰ رُسُله وأنبيائه، ألاَ لعنة اللَّه علىٰ الكافرين.

* **القَرَامطة ـ لعنهم اللَّه ـ:**

فرقةٌ تفرَّعت من الإسماعيلية.

❑ قال ابنُ حزم عنهم: «وفرقةٌ قالت بنبوَّة محمدِ بن إسماعيل بنِ جعفر فقط، وهم طائفة من القرامطة»[1].

وهم منسوبون إلىٰ «حَمْدان الأشعث» المعروف بـ «قِرمط» لقِصَرِ قامتِه ورِجليْه وتقارُبِ خَطْوِه، في سَنَة ٢٦٤هـ، وكان ظهورُه بسَوَادِ الكوفة، فاشتُهر مذهبُه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحبُ الخال، والمدثِّر المطوَّق، وقام أبو سعيد الجُنَّابي بالبحرين، وعَظُمت دولتُه ودولةُ بنيه حتىٰ أوقعوا بعساكر الخلفاءِ العباسيِّين، وغَزَوْا بغدادَ والشامَ ومِصرَ والحجاز، وانتشر دعاتُهُم بأقطارِ الأرض.

❑ أوَّلَ هؤلاء المارقون المرتدُّون شرائعَ الإسلام، وصرَفوها عن ظواهرها إلىٰ أمورٍ زعموها مِن عند أنفُسِهم، ويَرىٰ ابنُ كثير «أنَّ ظهورَهم كان في سنة ٢٧٨هـ في سواد الكوفة، وأن الرجُلَ الذي دعاهم إلىٰ مذهبه كان شيخًا، وقد تمرَّض بقريةٍ من سواد الكوفة، فحَمَله رجلٌ من أهلِ القرية يُقال له «كرميته» لحمرة عينْيه، وهو بالنبطية اسمٌ لحُمرة العَين، فلمَّا تعافَىٰ الشيخُ المذكور سُمِّي باسم ذلك الرجل الذي آواه ومَرَّضه، ثم خُفِّف، فقالوا: «قِرْمَط» بكسر القاف، ودعا قومًا مِن أهل البادية ممَّن ليس لهم دينٌ

---

(١) «الفصل» (٥/ ٤٣).

ولا عقل إلىٰ دينه، فأجابوه».

وزعم هؤلاء أنَّ محمدَ بنَ إسماعيل حيٌّ إلىٰ اليوم، ولم يَمُتْ، ولا يموت حتىٰ يَملِكَ الأرضَ، وأنه هو المهديُّ الذي تقدَّمت به البشارة[1].

وقد حارَبَ «المعزُّ الفاطميُّ» وقائدُه «جوهرٌ» القرامطةَ حروبًا داميةً سنةَ ٣٦٢هـ.

◻ دخل قائدُهم أبو طاهر بن أبي سعيد الجنَّابي مكةَ في ذي الحجة سنةَ سبعٍ وثلاثِمِئة، وقَتَل فيها ثلاثةَ عشرَ ألفًا، وقطَعَ الرُّكن يومَ النحر، وهو القائل ـ لعنه اللَّه ـ:

فلو كان هــذا البيتُ للَّهِ ربِّنــا	لصَبَّ علينــا النــارَ فوقَنـا صبًّا
لأننــا حَجَجْنــا حَجةً جاهليَّــةً	مُجلَّلةً لم تُبـق شرقًا ولا غَرْبــا
وأنَّا تركْنا بين زمـــزمَ والصَّـــفا	كتــائبَ لا تبـــغي سوى ربِّها ربَّا
ولكنَّ ربَّ العرشِ جلَّ جـــلالُـه	لم يتَّخذْ بيتًا ولَمْ يتخــذ حُجُبا[2]

قَتل اللعينُ في المسجد الحرام نحوَ ألفٍ وسَبْعِمِئةٍ من الرجال والنساء، وهم متعلِّقون بالكعبة، ورَدَمَ بها زمزم، وفَرَش بهم المسجد وما يليه.

وقَتَل في سِكك مكة وشِعابها من أهلِ خراسانَ، والمغاربةِ وغيرهم زُهاءَ ثلاثين ألفًا، وسَبَىٰ من النساء والصِّبيانِ مثلَ ذلك.

واقتَلع الحجرَ الأسودَ من موضعِه يومَ الإثنين لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلَتْ

---

(١) «الشيعة والتشيّع فرق ومذاهب» (ص٢٣٥) لإحسان إلهي ظهير ـ نشر إدارة ترجمان السنة ـ باكستان.

(٢) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» (ص٦٣) ـ لمحمد بن مالك الحمّادي.

من ذي الحِجَّة، وذَهَب به معه إلىٰ «هَجَر»؛ فأقام عند القرامطة، إلىٰ أن رُدَّ في يومِ الثلاثاء يوم النحر من سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثِمِئة (٣٣٩هـ)، وبَطَل الحجُّ من العراق بسببِ هذا القرمطيِّ اللعين ثلاثَ سنين متواليةً من هذه السنة»(١).

✍ هذا اللعينُ الذي كان يقولُ عند الكعبة: «أين الطير الأبابيل؟!».

◻ وفي هذا كان يقول شاعرُهم علىٰ منبر الجامع في الجند:

خُذي الدُّفَّ يا هـذه والعَبِي | وغنِّـي هزاريكِ ثم اطربَي
تـولَّى نبيٌّ بنـي هاشـمٍ | وهـذا نبِـيُّ بني يعـرُبِ
لكلِّ نبيٍّ مَضى شِـرْعَـةٌ | وهذي شـرائعُ هذا النبي
فقط حطَّ عنا فروضَ الصلاة | وحَـطَّ الصيـامَ ولم يُتعِبِ

إلىٰ آخر القصيدة المذكورة من قبل:

وما الخمرُ إلاَّ كماءِ السمـاء | حَلاَلاً فقُـدِّستِ مِن مَذْهَبِ

◻ وقد ذَكَر الذهبيُّ في حوادثِ سنةِ ٣١١ أن أبا طاهر سليمان بن الحسن الجَنَّابي دخل البصرة ليلاً في ألفٍ وسَبْعمئة فارس، نَصَبوا السلالم علىٰ السُّور، ثم نزلوا فوضعوا السيف في أهل البلد، وأحرقوا الجامع وسَبَوا الحريم «العبر» (٢/ ١٤٧)، ثم ذكر في حوادث سنة ٣١٢هـ أن أبا طاهر هذا عارض رَكبَ العراق، فوضع السيفَ واستباح الحجيجَ، وساق الجِمالَ بالأموال والحريم «العبر» (٢/ ١٥٠)، ثم ذكر أحداثه في كلِّ سنة، وذكر في حوادث سنة ٣١٦هـ: أنه بنىٰ داراً سمَّاها «دار الهجرة» ودعا إلىٰ

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ـ للفاسي المكي (ص٧٤، ١٨٥) ـ تحقيق د. محمد زينهم ـ دار الصحوة للنشر ـ مطبعة السنة المحمدية.

المهدي، وتسارَعَ إليه كلُّ مريب «العبر» (٢/ ١٦٣)، وفي سنة ٣١٧هـ وافى الحُجَّاج يومَ التروية بمكة، فقتلهم قتلاً ذريعًا في المسجد الحرام وفي فِجاج مكة، وقَتَل أميرَ مكة، وقَلَع بابَ الكعبة، وقَلَع الحجرَ الأسود، وأخذه إلى «هَجَر» «العبر» (٢/ ١٦٧)، ثم ذكر إفسادَه في سنة ٣٢٣هـ، وأخْذَه رَكْبَ الحُجَّاج العراقي، ودخوله الكوفة في سنة ٣٢٥هـ وضَرْبَه إتاوةً على ركب الحجاج في سنة ٣٢٧هـ، إلى أن ذكر وفاته في شهر رمضان من سنة ٣٣٢ بهجر من جُدَرِيٍّ نزل به فأهلكه، وقام بأمر القرامطة بعده أبو القاسم الجَنَّابي «العبر» (٢/ ٢٢٩).

◻ وقال عبدُ القاهر البغدادي في «الفَرْق بين الفِرَق» عن سليمان بن الحسنِ بنِ سعيدٍ الجَنَّابي: «تعرَّض للحجيج، وأسرفَ في القتل منهم، حتى دَخَل مكة، وقَتَل من كان في الطَّواف، وأغار على أستارِ الكعبة، وطَرَح القتْلى في بئر زمزم، وكَسَر عساكرَ كثيرةً من عساكر المسلمين، وانهزم في بعضِ حُروبه إلى «هجر»، فكتب للمسلمين قصيدةً يقول فيها:

أَغَرَّكُمُ منِّي رُجوعي إلى هَجَرْ ... وعمَّا قليلٍ سوف يأتيكُمُ الخَبَرْ

إذا طَلَعَ المِرِّيخُ في أرض بابلٍ ... وقارنه النَّجمانِ فالحَذَرَ الحَذَرْ

ألستُ أنا المذكورَ في الكُتْبِ كلِّها ... ألستُ أنا المبعوثَ في سورة الزُّمَرْ

سأَمْلِكُ أهلَ الأرض شرقًا ومَغْرِبًا ... إلى قيروانِ الرومِ والتُّرْكِ والخَزَرْ

وأراد بالنَّجْمَيْن «زُحَل والمشترى»، وقد وُجد هذا القِرانُ في سِنِي ظهوره، ولم يَملِكْ من الأرض شيئًا غيرَ بلدته التي خرج منها، وطَمِع في أن يَملِكَ سبعَ قِرانات وما مَلَك سبع سنين، بل قُتِل بـ«هِيت»، ورمته امرأةٌ

من سَطحِها بلبنة على رأسه فدَمَغته، وقتيلُ النساءِ أخسُّ قتيل وأهْوَنُ فقيد»[1] .

وانتهت بقتله شوكةُ القرامطة، وذُبح على فراشه مِمَّن تولَّى بعده وهو «ابن أبي زكريا الطامي» الذي أسَنَّ اللواط، وأوجَبَ قتل الغلامِ الذي يمتنع على من يريد الفجور به.

◻ قال عبدالقاهر البغدادي في كتابه القيم «الفَرق بين الفِرق» عن الباطنية ـ ويعني بذلك دعوةَ ميمون بن القَدَّاح وحَمدان قِرمطَ من الإسماعيلية والقرامطة ـ: «ومنهم مَن نَسَب الباطنيةَ إلى الصابئين الذين هم بحَرَّان، واستدلَّ على ذلك بأن حَمْدان قِرمِط داعيةَ الباطنية بعد ميمونَ بنِ دِيصان كان من الصابئة الحرَّانية، واستدلَّ أيضًا بأن صابئةَ حَرَّان يكتمون أديانَهم ولا يُظهرونها إلاَّ لمن كان منهم، والباطنيةُ أيضًا لا يُظْهرون دينَهم إلاَّ لمن كان منهم بعدَ إحْلاَفهم إياه على أن لا يَذكر أسرارَهم لغيرهم».

◻ قال عبدالقاهر: «الذي يصحُّ عندي من دِينِ الباطنية أنهم دُهْرية زَنَادقة، يقولون بقِدَم العالم، ويُنكرون الرسلَ والشرائعَ كلَّها، لِميلها إلى استباحةِ كلِّ ما يَميل إليه الطبع.

والدليلُ على أنهم كما ذكرناه ما قرأتُه في كتابهم المترجم بـ «السياسة والبلاغ الأكيد، والناموس الأعظم»، وهي رسالةُ عُبَيْد اللَّه بن الحسين القَيْرَوَاني[2] إلى سليمانَ بنِ الحسنِ بن سعيد الجَنَّابي، أوْصَاه فيها بأنْ قال

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٨٧).

(٢) هو عُبيداللَّه المُلَقب بالمهدي والد الخلفاء العبيديين الفاطمين، والذي افترىٰ أنه من ولد =

له: «ادعُ الناسَ بأن تتقرَّبَ إليهم بما يَميلون إليه، وأوْهِمْ كلَّ واحدٍ منهم بأنك منهم، فمن آنَسْتَ منه رُشْدًا فاكشِفْ له الغِطاء، وإذا ظَفِرتَ بالفلسفيِّ فاحتفِظْ به، فعلى الفلاسفة مُعَوَّلُنا، وإنا وإياهم مُجمِعُون على ردِّ نَوَاميس الأنبياء، وعلى القول بقِدَمِ العالم، لولا ما يخالفُنا فيه بعضُهم من أن للعالَم مُدَبِّرًا لا نعرفه».

وذَكَر في هذا الكتاب إبطالَ القول بالمَعَاد والعقاب، وذَكَر فيه أن الجنةَ نعيمُ الدنيا، وأن العذابَ إنما هو اشتغالُ أصحابِ الشرائع بالصَّلاةِ والصيام والحجِّ والجهاد.

◻ وقال أيضًا في هذه الرسالة: «إنَّ أهلَ الشرائع يَعْبُدون إلهًا لا يعرفونه ولا يَحصُلون منه إلاَّ على اسمٍ بلا جسم».

◻ وقال فيها أيضًا: «أكْرِمِ الدُّهْرِيَّةَ فإنهم منَّا ونحن منهم»، وفي هذا تحقيقُ نسبة الباطنية إلى الدهرية، والذي يؤكِّد هذا أن المجوسَ يَدَّعُون نبوَّة «زرادشت» ونزولَ الوحيِ عليه من اللَّه تعالى، وأن الصابئِين يَدَّعُون نبوةَ «هَرمس، وواليس، وذروثيوس، وأفلاطن» وجماعةٍ من الفلاسفة، وسائرُ أصحابِ الشرائع كلُّ صنفٍ منهم مُقِرُّون بنزولِ الوحي من السماء على الذين أقرُّوا بنبوتهم، ويقولون: إنَّ ذلك الوحيَ شاملٌ للأمر والنهي والخبرِ

= جعفر الصادق، وكان بسلمية ـ وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تُعَدُّ من أعمال حِمص ـ، فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب، واستولى على بلاد المغرب، وأنشأ فيها دولة، وامتدت أيامه بضعًا وعشرين سنة، ثم هلك في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٢ بالمهدية التي بناها، وكان يُظهر الرفض ويبطن الزندقة»، انتهى من «العبر» (٢/ ١٩٣).

عن عاقبة بعد الموت، وعن ثوابٍ وعقاب، وجنةٍ ونار، يكون فيها الجزاءُ عن الأعمال السالفة.. والباطنيةُ يرفضون المعجزات، ويُنكِرون نزولَ الملائكة من السماء بالوَحْي والأمر والنهي، بل ينكرون أن يكون في السماء مَلَك، وإنما يتأوَّلون الملائكةَ على دُعَاتهم إلى بِدْعَتهم، ويتأوَّلون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسةَ على مخالفيهم.

ويزعُمون أن الأنبياءَ قومٌ أحبُّوا الزعامةَ، فساسُوا العامة بالنواميس والحيل طلبًا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة، وكلٌّ واحد منهم صاحبُ دَورٍ مسبَّعٍ إذا انقضى دَورُ سبعة، تَبِعهم في دَورٍ آخر، وإذا ذكروا النبيَّ والوحيَ قالوا: إن النبي هو الناطق، والوحيَ أساسُه الفاتق، وإلى الفاتق تأويلُ نطقِ الناطق على ما تراه يميلُ إليه هواه، فمَن صار إلى تأويله الباطنِ فهو من الملائكة البَرَرَة، ومَن عَمِل بالظاهر فهو من الشياطين الكَفَرة.

ثم تأوَّلوا لكلِّ ركنٍ من أركانِ الشريعة تأويلاً يُورِثُ تضليلاً، فزعموا أن معنى «الصلاة» موالاةُ إمامهم، و«الحجِّ» زيارتُه وإدمانُ خدمته، والمرادُ «بالصوم» الإمساكُ عن إفشاءِ سرِّ الإمام دون الإمساكِ عن الطعام، و«الزِّنى» عندهم إفشاءُ سرِّهم بغير عهدٍ وميثاق.

وزَعَموا أنَّ مَنْ عرف معنى العبادة سَقَط عنه فرضُها، وتأوَّلوا في ذلك قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وحَمَلوا «اليقينَ» على معرفةِ التأويل.

◻ وقد قال القَيرواني في رسالته إلى سليمانَ بنِ الحسن: «إني أوصيك بتشكيك الناسِ في القرآنِ والتوراةِ والزبورِ والإنجيل، وبدَعْوتِهم إلى إبطالِ الشرائع، وإلى إبطالِ المعاد والنشور من القبور، وإبطالِ الملائكة في

السماء، وإبطالِ الجنِّ في الأرض، وأوصيك بأن تدعوَهم إلى القول بأنه قد كان قبلَ آدم بَشَر كثيرٌ، فإن ذلك عَونٌ لك على القول بقدم العالم».

وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية أنهم دُهْرِية يقولون بقِدَمِ العالَم، ويَجحدون الصانع، ويدلُّ على دعوانا عليهم القولَ بإبطال الشرائع أن القيرواني قال أيضًا في رسالته إلى سليمان بن الحسن: «وينبغي أن تُحيطَ علمًا بمخاريقِ الأنبياء ومُناقضاتِهم في أقوالهم، كعيسى ابنِ مريم قال لليهود: «لا أَرفعُ شريعةَ موسى»، ثم رَفَعها بتحريم الأحدِ بدلاً من السبت، وأباح العملَ في السبت، وأبدل قِبلةَ موسى بخلافِ جهتها، ولهذا قَتَلَتْه اليهودُ لَمَّا اختلفت كلمتُه».

◻ ثم قال له: «ولا تكن كصاحبِ الأُمةِ المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لَمَّا لَم يعلم ولم يَحْضُره جوابُ المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهانٌ سوى المَخرقةِ بحُسنِ الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحقِّقُ في زمانه عنده برهانًا قال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه كان صاحبَ الزمان في وقته».

◻ ثم قال في آخرِ رسالته: «وما العَجَبُ من شيءٍ كالعجب من رجلٍ يدَّعي العَقْلَ ثم يكون له أختٌ أو بنتٌ حَسْناء وليست له زوجةٌ في حُسنها فيحرِّمُهَا على نفسه ويُنْكِحها من أجنبي، ولو عَقَل الجاهلُ لَعَلم أنه أحقُّ بأختهِ وبنته من الأجنبي، وما وَجْهُ ذلك إلاَّ أن صاحبَهم حَرَّم عليهم الطيِّبات، وخَوَّفهم بغائبٍ لا يعقل، وهو الإلهُ الذي يزعمونه، وأخبرهم بكَوْنِ ما لا يَرَونه أبدًا من البَعْث من القبورِ والحسابِ والجنةِ والنار، حتى

استَعبدهم بذلك عاجلاً، وجَعَلهم له في حياته ولذريَّته بعد وفاته خوَلاً[(١)]، واستباح بذلك أموالهم بقوله: ﴿لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فكان أمرُه معهم نَقْدًا وأمرُهم معه نَسيئة، وقد استَعجل منهم بَذْلَ أرواحِهم وأموالِهم على انتظار موعودٍ لا يكون، وهل الجنةُ إلاَّ هذه الدنيا ونعيمُها؟ وهل النارُ وعذابُها إلاَّ ما فيه أصحابُ الشرائع من التعبِ والنَّصَبِ في الصلاة والصيام والجهاد والحج؟».

◻ ثم قال لسليمانَ بنِ الحسن في هذه الرسالة: «وأنت وإخوانُك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمَها ولذَّاتِها المحرمةَ على الجاهلين المتمسِّكين بشرائعِ أصحابِ النواميس، فهنيئًا لكم ما نِلْتُم من الراحة عن أمرهم».

وفي هذا الذي ذكرناه دلالةٌ على أن غَرضَ الباطنيةِ القولُ بمذاهبِ الدهرية واستباحة المحرَّمات وترك العبادات»[(٢)].

فانظرْ ما يقولُ المنتسِبُ زُوراً إلى أولاد النبي - وهو عدوُّهم على الحقيقة -، المُكفِّرُ للصحابة - وعلى رأسهم الصِّديق - إلى تلميذه الشقيِّ، في هذه الرسالة التي فضحت شأنَ الإسماعيلي والقِرْمطي - وكلاهما غبيٌّ -:

أتطمَعُ أنتَ في جنَّات عدنٍ	وأنت عَـــدُوُّ أولادِ النَّـــبيْ
وهُمْ تركُوكَ أشْقى من ثمودَ	وهُم تركوكَ أفْضَحَ مِن دَعِيْ
وفي نارِ الجحيم غداً ستَصْلَى	إذا عَادَاكَ ســـيِّدُنا النبـــيْ

---

(١) الخَوَل: الخدم والأتباع.

(٢) «الفرق بين الفرق» (٢٩٤-٢٩٨).

* الدُّروز ـ لعنهم اللَّهم ـ:

☐ يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير[1] ـ رحمه اللَّه وطيَّب ثراه ـ فاضحًا هذه الفرقةَ اللعينة، ومُبيِّنًا عداوتَهم للرسول ﷺ ودينه: «إن الباحثَ لا يستغربُ ـ بعدما يدرسُ المذهبَ الإسماعيليَّ دراسةً متعمقةً ـ أن ينشأ فيه طوائفُ، وأن يخرجَ منه فِرَقٌ تَدينُ بألوهيةِ الرجال، وتركِ الأعمال، وإلغاءِ الشرائع، واستباحةِ المحظورات، مِثل الدروز، والبديعية[2]؛ لأن الديانةَ الإسماعيلية لم تُبْنَ إلاَّ علىٰ مثلِ هذه المعتقدات، ولم تُروِّجْ إلاَّ نظيرَ هذه الأفكار كما بَسَطْنا القولَ فيها في الأبواب السابقة، ولكنَّ الفَرقَ بينها وبين هذه الفِرَقِ المتفرِّعة عنها أنها حافظت علىٰ خفاياها وبواطنِ أمورِها وصانت أسرارَها، وكَتَمت حقيقتَها، وأخفَتْ أصليَّتها في ألفاظٍ وعباراتٍ فلسفية غامضة، واصطلاحاتٍ أفلاطونيةٍ معقَّدة، حيث إنَّ هؤلاء جاهَروا بمعتقداتهم، وأعلَنوا عقائدَهم أمامَ الملأِ بدون تحفُّظٍ وتورُّع، وبدون حزمٍ واحتياط، ودون لُجوءٍ إلا الألفاظِ المنمَّقة والعباراتِ المزوَّرة.

فإنَّ حَمْزة بنَ عليٍّ الزَّوزني، والحسنَ بنَ حَيدرة الفرغاني الأخرم، ومحمدَ بنَ إسماعيل الدُّرزي ـ بُناةَ المذهبِ الدُّرزيِّ ـ، لم يكونوا إلاَّ من دعاةِ الإسماعيليَّة البارزين، والمقرَّبين إلىٰ الإمام الإسماعيلي الحاكمِ بأمرِ اللَّه، والمدعَّمين منه هو، وما قالوا فيه، وما أظهروا من الآراء إلاَّ ما أخذوها من الديانة الإسماعيلية نفسِها، وبإيعازٍ من الإمام الإسماعيلي «المعصوم» وتأييدٍ منه، بل وبتحريضِه وتشجيعه إيَّاهم كما ذكره المؤرِّخون وصرَّحوا به،

(١) «الإسماعيلية» (ص٧٢٢ ـ ٧٣٣).

(٢) فرقة ضالة نشأت عن الإسماعيلية.

فهؤلاء هم المؤرِّخون يذكرون هؤلاء الدعاةَ وعلاقتَهم بهم، فيقول ابنُ المحاسن وهو يذكر الحسن الفرغاني المعروف بالأخرم: «ثم عَنَّ له ـ أي: للحاكم ـ أن يدَّعي الربوبية، وقَرَّب رجلاً يُعرفُ بالأخرم ساعَدَه على ذلك، وضمَّ إليه طائفةً بَسَطَهم للأفعالِ الخارجة عن الديانة. فلما كان في بعضِ الأيام خَرَجَ الأخرمُ من القاهرة راكبًا في خمسين رجلاً من أصحابه، وقَصَدَ مصرَ ودخل الجامع راكبًا دابَّته، ومعه أصحابُه على دوابِّهم وقاضي القضاة ابنُ أبي العوام جالسٌ فيه ينظرُ في الحكم، فنَهَبوا الناسَ، وسَلبوهم ثيابَهم، وسَلَّموا للقاضي رُقعةً فيها فتوىٰ، وقد صَدَرت باسم «الحاكم الرحمن الرحيم»، فلما قرأها القاضي رَفَع صوته منكِرًا، واسترجع، وثار الناسُ بالأخرم، وقتلوا أصحابَه وهَرَب هو، وشاع الحديثُ في دعواه الربوبية، وتقرَّب إليه جماعةٌ من الجهال، فكانوا إذا لقُوه قالوا: «السلام عليك يا واحدُ يا أحدُ يا محيي يا مميت»، وصار له دعاةٌ يَدْعُون أوباشَ الناس ومَن سَخِفَ عقلُه إلىٰ اعتقادِ ذلك، فمال إليه خَلقٌ كثيرٌ طمعًا في الدنيا والتقرُّب إليه، وكان اليهوديُّ والنصرانيُّ إذا لَقِيَه يقول: «إلهي قد رغبتُ في شريعتي الأولىٰ»، فيقول الحاكم: «افعلْ ما بدا لك»، فيرتدُّ عن الإسلام.. وزاد هذا الأمر بالناس[1].

ويذكرُ الأمامُ الذهبيُّ أن حَسَنَ بنَ حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم لَمَّا بدأ يدعو الناسَ إلىٰ ما كان يدعو إليه من التناسخ والحلول وألوهيةِ الحاكم استدعاه الحاكم، وخلَع عليه، وأركبه فرسًا مطهَّمًا، وسَيَّره في

---

(١) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٤/ ١٨٣).

موكبه، وأولاه عَطفَه ورعايته، ولَمَّا قتله أحدٌ من المسلمين السُّنة غَضِب الحاكمُ لذلك أيَّما غضب، وأَمر باعدامِ القاتلِ في الحال، وكَفَّنه الحاكمُ[1] بأكفانٍ من القصر، ودُفن في حَفلٍ رسمي، وحَمَل أهلُ السُّنة صاحبَهم، ودفنوه مكرَّمًا، وهرع الناس أيامًا لزيارة قبرِه، ولكنَّ القبرَ نُبش بعد أيامٍ واختفت جُثَّته بأمرٍ من الحاكم[2].

وأما الدُّرزِيُّ، فيَذكره أبو الحسن نقلاً عن الإمام الذهبيِّ أيضًا في «تاريخه»: «إن رجلاً يُعرف بالدُّرزيِّ قَدِمَ مصرَ، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم، وساعَدَه على ادعاءِ الربوبية، وصَنَّف له كتابًا ذَكَر فيه أن رُوحَ آدمَ عليه السلام انتَقلت إلى عليٍّ بنِ أبي طالب، وأن رُوحَ عليٍّ انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتَقلت إلى الحاكم، فنَفَق على الحاكم وقَرَّبه وفَوَّض الأمورَ إليه، وبَلغ منه أعلى المراتب، بحيث أن الوزراءَ والقُوَّادَ والعلماء كانوا يَقِفون على بابه، ولا يَنقضي لهم شُغلٌ إلاَّ على يَده، وكان قَصدُ الحاكم الانقيادَ إلى الدرزيِّ المذكور فيطيعونه، فأظهر الدرزيُّ الكتابَ الذي فعله وقرأه بجامع القاهرة، فثار الناسُ عليه وقَصدوا قَتْلَه، فهرب منهم، وأنكر الحاكمُ أمره خوفًا من الرعية، وبعث إليه في السرِّ مالاً، وقال: «اخرجْ إلى الشام وانشرِ الدعوةَ في الجبال، فإنَّ أهلَها سريعو الانقياد». فخرج إلى الشام، ونزل بِوادِي «تَيمِ اللَّه بن ثعلبة»، غربيَّ دمشق من أعمال «بانياس»، فقرأ الكتابَ على أهله، واستمالهم إلى الحاكم

---

(١) أي: كفَّن الآخرَ.

(٢) ملخص ما ذكر الذهبي في «مرآه الزمان» المجلد الحادي عشر (ج٣ ص٣٠٤) نقلاً عن «الحاكم بأمر اللَّه» لمحمد عبداللَّه عنان (ص١٩٩).

وأعطاهم المال، وقرَّر في نفوسهم الدرزيُّ التناسخَ، وأباح لهم شُربَ الخمر والزنا، وأخْذَ مالِ مَن خالفهم في عقائدهم وإباحةَ دمه، وأقام عندهم يُبيحُ لهم المحظوراتِ إلىٰ أن انتهىٰ[1] .

وأمَّا المَقريزيُّ المتعاطفُ مع الإسماعيلية، وفاطميُّ النزعة ـ كما يُسمِّيه البحَّاثةُ الكبيرُ محمد عبداللَّه عنان ـ، فقد أقرَّ اتصالَ الدُّرزيِّ بالحاكم حيث كتب: «قدم مصرَ داعٍ أعجميٌّ اسمُه محمدُ بنُ إسماعيل الدرزي، واتَّصل بالحاكم فأنعم عليه، ودعا الناس إلىٰ القولِ بإلاهية الحاكم، فأنكر الناسُ عليه ذلك»[2] .

◘ «ثم ظَهَر داعٍ آخَرُ اسمُه حمزةُ بنُ أحمد، وتلقَّب بالهادي، وأقام بمسجدِ «تبر» خارج القاهرة، ودعا إلىٰ مقالةِ الدرزي، وبَثَّ دعاتَه في أعمال مصر والشام، وترخَّص في أعمالِ الشريعة، وأباح الأمهاتِ والبناتَ ونحوَهن، وأسقط جميعَ التكاليفِ مِن الصلاة والصوم ونحو ذلك، فاستجاب له خَلقٌ كثيرٌ، فظَهر من حينئذٍ مذهبُ الدُّرزيِّ ببلاد «صيدا وبيروت» وساحل الشام»[3] .

وذكره المؤرِّخون الآخَرون الكثيرون، منهم ابنُ عذارىٰ المراكشي، والذهبي، والخزرج المصري، وابن سعيد الأنطاكي، والمكين بن عميد وغيرهم.

---

(١) «النجوم الزاهرة» (ص١٨٤).

(٢) «اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزي (٢/ ١١٣) بتحقيق د/ محمد حلمي محمد ط. القاهرة سنة ١٩٧١م.

(٣) المصدر السابق.

◻ فأما ابنُ عذارىٰ المراكشيُّ، فيقول وهو يَذكرُ نِزاراً أبا المنصور، وبعده الحاكم بأمر اللَّه: «ثم وَلِيَ بعدَه الحاكمُ فأظهرَ أكثرَ مذهبِهم، ثم إنه ادَّعىٰ الربوبيةَ من دون اللَّه، وجَعل داعيًا يدعو الناسَ إلىٰ عبادته، وسمَّاه المهدي، فكتب داعيِه الكتاب، وكان اسمُه حمزة، وذلك في سنة ٤١٠، وقُرئ بحضرة الحاكم ـ لعنه اللَّه ـ علىٰ أهلِ مملكته، ذَكَر فيه ـ تعالىٰ اللَّه عن إبطالِ المبطلين علوًّا كبيراً ـ: «الحمد لمولاي الحاكم وحدَه! باسمِك اللَّهمَّ الحاكمِ بالحق»، ثم تمادىٰ، فقال: «توكَّلتُ علىٰ إلاهي أمير المؤمنين ـ جل ذكره ـ! وبه نستعين في جميع الأمور»، ثم طَوَّل في الكتاب بالتخليط: فمرة يجعله أمير المؤمنين، ومرة يجعله الإله، وقال فيه: «وأمرني بإسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة».

وذكر أشياءَ يَطولُ ذكرُها، وكانت له رايةٌ حمراءُ تحتَ قصرِه، فاجتمع إليه خلقٌ نحو خَمسةَ عَشَرَ ألف رجل فيما قيل»[1] .

◻ وأما البقية، فلخَّص أقوالَهم محمد عبداللَّه عنان بقوله: «إن حمزةَ ابنَ عليٍّ عَكَف مدىٰ حين علىٰ بثِّ دعوته سرًّا، ولم يجاهِرْ بها إلاَّ في أواخرِ سنةِ ٤٠٧هـ أو أوائل سنة ٤٠٨هـ، وعندئذٍ يبدو علىٰ مسرحِ الحوادث الظاهرة، ويلازمُ الجلوسَ في مسجدِ «ريدان» ـ أو مسجد «تبر» ـ بظاهرِ باب النصر، ويدعو جَهراً إلىٰ عِبادةِ الحاكم، ويُنادي بالتناسخِ في الأديانِ الشرائعِ وبالحلول، ويَزعمُ أن الحاكمَ ليس بشراً، وإنما هو رمزٌ حَلَّ فيه الإلهُ، فاجتَمَع إليه طائفةٌ كبيرةٌ من غلاةِ الشيعةِ الإسماعيلية، وتلقَّب

(١) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» (١/ ٢٨٦) ط. المكتبة الأندلسية أوفست دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م بتحقيق المستشرقين كولان وليفي بروفنسال.

بـ«هادي المستجيبين»، ولَقَّب الحاكم بـ «قائم الزمان»، وبَثَّ دعاتَه في أنحاءِ مصرَ والشام، ورَخَّص في أحكامِ الشريعة، وأباح الأمهاتِ والبناتَ وسائرَ المحارم، وأسقَطَ جميعَ التكاليفِ في الصلاة والصوم وغيرِهما، فاستجاب له كثيرٌ من الكافة، وكَثُر جَمعُه، وذاع أمره، وكان الحاكمُ حين يَمرُّ رَكْبُه بالمسجد، يخرجُ إليه حمزةُ، ويحادثُه طويلاً على انفراد، ولم يَلبثْ أنْ أَولاه الحاكمُ رعايتَه بصورةٍ ظاهرة، وبَعَث إليه وإلى أتباعِه بالسلاحِ ليدافعوا عن أنفسِهم وقتَ الحاجة، إذ كانوا يُوجِسون شرًّا من الكافَّة، ثم تمادىٰ حمزةُ في مشروعِه، فاتَّخذ له بطانةً قويةً من الدعاةِ والرسل، ولَقَّب أحدَهم ـ وهو إسماعيلُ بنُ محمد التميمي ـ بـ «سفير القُدْرة»، وكان يُنفِذُه لأخذِ البَيعةِ من الرؤساء والكبراء للحاكم في صفته الجديدة التي أسبغها عليه حمزةُ وشيعتُه ـ أعني باعتباره «قائمَ لزمان» ـ، فكان الكثيرُ منهم يَضطَرُّ إلى التظاهر بالقبول خَوفًا من البطش والانتقام»[1].

فهؤلاء هم مؤسِّسو المذهبِ الدرزيِّ وبُناةُ هذه النِّحلة، وهذه هي علاقتهم بالإمام الإسماعيلي المعصوم ـ حسب زعم القوم ـ الحاكم بأمر اللَّه.

ولقد ذَكر المؤرِّخون أنَّ عَزْمَ الحاكمِ على إحراقِ مصر، وهَتكِ أعراض الناس، وخَطفِ نسائهم وبناتهم، ونَهْبِ أموالهم، وسَفكِ دمائهم لم يكن إلاَّ نِقمةً منه عليهم بأنهم لَم يَقبلوا ادعاءاته السخيفة، ولم يؤمنوا بألوهيته

(١) انظر «الحاكم بأمر اللَّه» لمحمد عبداللَّه عدنان (ص١٩٧)، ط مكتبة الخانجي القاهرة نقلاً عن «تاريخ الأنطاكي» (ص٢٢٠ و٢٢٣)، و«المكين ابن العميد» (ص٢٦٤ و٢٦٥)، والمقريزي في «اتعاظ الحنفاء» (المخطوط) لوحة ١٦٩، وراجع أخبار الدول المنقطعة (المخطوط) وأورده فستنفلد في «تاريخ الفاطميين» (ص٢٠٥ و٦٠٢).

المزعومة، ولم يَصْغَوا إلىٰ دُعاته المجاهِرين بربوبيته والطائفين حولَ قَصْرِهِ بإرادة الحجِّ، فنَكَّل بهم وبأهلهم، وعَمِل بهم ما لم يَعْمَلْه طاغيةُ الروم في الروم.

وأما علاقةُ الديانة الدرزية بالديانة الإسماعيلية، فإنها علاقةٌ متَّصلةٌ وثيقة، وليس في الدرزية ما لا يوجَد في الإسماعيلية، بل إنها هي عينُها ببعضِ الفروق الزمنية وفَرْقِ الجُرأة والمجاهرة بالمعتقدات طالَمَا خَفِيت وكُتمت عن الآخرين، ولقد صَدَقَ الدكتور محمد كامل حسين حيث عَنْوَنَ بابه الثالث في كتابه «طائفة الدروز» بعنوان «عقيدة الفاطميين أساسُ عقيدةِ الدروز»، ثم كتب تحته: «إن الباحثَ في عقيدة الدروز يجبُ أن يكون مُلِمًّا إلمامًا تامًّا بعقيدةِ الشيعة الفاطمية، ولذلك رأيتُ أن أوجِزَ هنا الحديثَ عن عقائدِ الفاطميين التي أعتبرُها الأساسَ الأول لعقيدةِ الدروز، فالمصطلحاتُ المذهبيةُ الفاطميةُ تكادُ تكونُ هي المصطلحاتِ المذهبيةَ عند الدروز، وأحيانًا نَرىٰ الذين وَضعوا عقيدةَ الدروز يستعملون مصطلحاتِ الفاطميين لمدلولاتٍ جديدة كلَّ الجِدَّة، ومع ذلك كلِّه، فهي ليست بعيدةً كلَّ البُعدِ عن آراء الفاطميين»[1].

وكان بَدءُ هذه الدعوة كما تشيرُ الرسائلُ الدرزية سنة ٤٠٠هـ، ولكن لَم يُجهرْ بها حَسبَ ما ذكره المؤرخون إلاَّ سنة ٤٠٨هـ، أو سنة ٤٠٧هـ.

ومن الطرائف أن الدرزيَّ وحَمزةَ اختلفا فيما بينهما على غنيمةِ ألوهية الحاكم وثمرتِها، وهي النبوَّة، وأراد كلٌّ واحدٍ منهما أن يكونَ هو نبيًّا

(١) «طائفة الدروز» الدكتور محمد كامل حسين (ص٨٦) ط دار المعارف مصر ١٩٦٢م.

ورسولاً للإله الجديد، وكَفَّر كلٌّ واحد منهما الآخر[1] .

وإن الدروزَ اليوم يَنفُون نسبتَهم إلى الدرزيِّ، بل إنَّهم يُكفِّرون الدرزيَّ ومَن والاه، ولا يتَّبعون إلاَّ حمزةَ وتعاليمَه، ويُسمُّون أنفسَهم بالموحِّدين، ولكنهم لَم يُعرفوا في التاريخ الطويلِ إلاَّ بهذا الاسمِ واقتنعوا به.

مع الملاحظة أن تعاليمَ الدرزيِّ وتعاليمَ حمزة لا تَختلفانِ في جَوهرِها، بل إنها متفقةٌ تمامَ الاتفاق، اللَّهمَّ إلاَّ ما أراد كلٌّ واحدٍ منهما من احتكارِ الزعامة والقيادة لنفسه.

* مذهب الدروز:

◻ وتتلخَّصُ عقيدةُ الدروز في:

١ ـ ألوهية الحاكم.

٢ ـ التناسخ والحلول.

٣ ـ الغَيبة والرجعة.

٤ ـ إبطال الشرائع وأصولِ الإسلام.

٥ ـ نبوَّة ورسالة حمزة بن علي.

◻ فأمَّا ألوهيةُ الحاكم، فيقول فيه حمزةُ بنُ عليٍّ بنِ أحمدَ الزَّوزني: «فالحذرَ الحذرَ، أن يقول واحدٌ منهم بأنَّ مولانا جلَّ ذِكره: ابن العزيز، أو أبو علي؛ لأن مولانا سبحانه هو في كلِّ عصرٍ وزمانٍ يَظهرُ في صورةٍ بشريةٍ

---

(١) انظر «رسائل حمزة والدرزي».

وصفةٍ مرئيةٍ كيف يشاءُ حيث يشاء . . إلى أن يقول: وهو سبحانه لا تُغيِّرُه الدهورُ ولا الأعوامُ ولا الشهور، وإنما يتغيَّرُ عليكم بما فيه صلاحُ شأنِكم، وهو تغييرُ الاسمِ والصِّفة لا غير، وأفعالُه جلَّ ذكره تظهرُ مِن القوَّة إلى الفعل كما يشاءُ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، أي: كلَّ عصرٍ في صورةٍ لا يشغلُه شأنٌ عن شأن.

وأما مَن قال واعتَقد بأن مولانا جلَّ ذِكرُه سَلَّم قدرتَه ونَقَل عظمتَه إلى الأمير عليٍّ، أو أشار إليه بالمعنويَّة، فقد أشرك بمولانا سبحانه غيرَه وسَبَقه بالقول. . فمن منكم يعتقدُ هذا القولَ فليرجعْ عنه ويَستَقِلْ منه ويستغفرِ المولى جلَّ ذِكرُه وتقدَّسَ اسمُه من ذلك. . ولا يجوز لأحدٍ يُشركُ في عبادته ابنًا ولا أبًا، ولا يشيرُ إلى حجابٍ يحتجبُ مولانا جلَّ ذكرُه فيه إلاَّ بعد أن يُظهرَ مولانا جلَّ ذكره أمرَه، ويجعلُ فيمن يشاءُ حِكمَتَه، فحينئذٍ لا مردَّ لقضائه ولا عاصيًا لحكمه.

وما أدراك ما حقيقةُ الحاكم؟ ولِمَ تسمَّى بالحاكم في هذه الصورة دون سائرِ الصور؟ ومولانا جلَّ ذكرُه غيرُ غائبٍ عن ناسوته، فِعلُه فِعلَ ذلكَ المحجوب عنا في نُطقهِ ذلك النطق، لا يَغيبُ اللاهوتُ عن الناسوت إلا أنكم لا تستطيعون النظر إليه، ولا لكم قُدرةٌ بإحاطة حقيقته.

وأراد بالحاكم، أي يحكمُ على جميع النطقاءِ والأُسسِ والأئمَّةِ والحُجج ويَستعبدُهم تحتَ حُكمه وسلطانه، وهي عَبيدُ دولتِه ومماليكُ دعوتِه الحاكم بذاته. . وتركُ الاعتراض فيما يفعلُه مولانا جلَّ ذِكرُه، ولو طَلَب من أحدكم أن يَقتل ولدَه لوجب عليه ذلك بلا إكراهِ قلب؛ لأنَّ مَن فَعَل شيئًا هو غيرُ راضٍ به لَم يُثَبْ عليه، ومَن رَضِي بأفعالِه وسَلَّم الأمرَ إليه، ولَم يُراءِ

إمامَ زمانه، كان من الموحِّدين الذين لا خوفَ عليهم.

واعلَموا أن الشركَ خَفِيٌّ المدخل، دقيقُ السِّتر والمَسبل، وليس منكم أحدٌ إلاَّ وهو يُشرِكُ ولا يَدري، ويَكفرُ وهو يَسري، ويَجحد وهو يزدري، وذلك قولُ القائل منكم: بأن مولانا سبحانه صاحبُ الزمان، أو إمامُ الزمان، أو وليُّ اللَّه، أو خليفتُه، أو ما شاكَلَ ذلك من قولكم: الحاكم بأمر اللَّه، أو سلام اللَّه عليه، أو صلواتُ اللَّه عليه»[1].

هذا وقد ورد في مصحفِ الدروز العهدُ الذي يقولون: إن الحاكم بأمر اللَّه أمَرَ بكتابته على جَميعِ الموحِّدين الذين آمنوا به، فيقول المؤمن به: «آمنتُ باللَّه، ربِّي الحاكم، العليِّ الأعلى، ربِّ المشرقَينِ وربِّ المغربين، وإلهِ الأصلَين والفَرعين، منشئِ الناطق والأساس، مُظهِرِ الصورةِ الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأُفق الأعلى، ثم دنا فتدلَّى، وآمنتُ به، وهو ربُّ الرُّجعى وله الأولى والآخرة، وهو الظاهرُ والباطن.

وآمنتُ بأولي العزمِ من الرسل، ذَوِي مشارقِ التجلِّي المباركِ حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميعِ الحدودِ، وأُومِنُ عاملاً قائمًا بكلِّ أمرٍ ومَنعٍ ينزِلُ من لَدُن مولانا الحاكمِ، وقد سَلَّمتُ نفسي وذاتي وذواتي، ظاهرًا وباطنًا، علمًا وعملاً، وأن أُجاهدَ في سبيل مولانا، سرًّا وجَهرًا بنفسي ومالي وولدي وما مَلَكَتْ يداي، قولاً وعملاً، وأشهدتُ على هذا الإقرارِ جميعَ ما خُلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمتُ وأَوجبتُ على هذا نفسي ورُوحي بصحَّةٍ من عقلي

---

(١) «رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني.

وعقيدتي، وإني أُقِرُّ بهذا، غيرَ مُكرَهٍ أو منافق، وإنني أُشهدُ مولايَ الحقَّ الحاكمَ، مَن هو في السماء إلهٌ وفي الأرض إله، وأُشهد مولايَ هادي المستجيبين، المنتقمَ من المشركين المرتدِّين، حمزةَ بنَ عليٍّ بنِ أحمدَ، مَن به أشرقت الشمسُ الأزلية، ونَطقت فيه وله سُحُبُ الفضل: إني قد بَرئتُ وخرجتُ من جميعِ الأديانِ والمذاهبِ والمقالاتِ والاعتقاداتِ قديمها وحديثها، وآمنتُ بما أَمر به مولانا الحاكمُ الذي لا أُشرِكُ في عبادتِه أحدًا في جميع أدواري.

وأُعيد فأقول: إنني قد سَلَّمتُ رُوحي وجسمي وما ملكَتْ يداي وولدي لمولانا الحاكم جلَّ ذِكره، ورَضِيتُ بجميعِ أحكامه لي أو عليَّ، غيرَ معترضٍ ولا منكرٍ منها شيئًا، سرَّني ذلك أم ساءني، وإذا رجعتُ أو حاولتُ الرجوعَ عن دِينِ مولانا الحاكم جلَّ ذِكره، والذي كتبتُه الآن، وأشهدتُ به علىٰ رُوحِي ونفسي، أو أشرتُ بالرجوع إلىٰ غيره، أو جَحدتُ أو خالفتُ أمرًا أو نهيًا من أوامر مولايَ جل ذكره ونواهيه:

كان مولاي الحاكمُ جلَّ ذِكرُه بريئًا مني، واستُحِقَّتْ عليَّ العقوبةُ في جميع أدواري من بارئِ الأنام جلَّ ذكره، وعلىٰ هذا أُشهدك ربِّي ومولاي، مَن بيدك الميثاق، وأُقِرُّه، فاجعلني من الموحِّدين الفائزين الذين جَعلتَهم في أعلىٰ عليين، ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣ - ١٤] مولاي إن تشاء.. آمين»[1].

---

(١) «مصحف الدروز» (ص١٠٧، ١٠٨).

ولقد أكرم اللَّه أحد المصريين، فقتل الحاكم إله الدروز غيرة للَّه ولرسوله ﷺ.

◻ وأما الحلول والتناسخُ، فيقولون: إن الجسدَ لا يرجعُ بعدَ الموت، ولكنَّ النفسَ تَحلُّ في جسدٍ آخر، فنَفسُ الموحِّدِ تنتقلُ إلى موحِّد، ونَفْسُ المُشرك إلى مشرك، ولا تتغيَّرُ الأنفس، ولكنها تُغيِّرُ قُمصانها ـ أي: أشكالُها ـ الخارجية»[1] .

◻ وقال الأستاذ عبداللَّه نجار الدرزي نقلاً عن الرسالة الموسومة «من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمان»: «إنَّ البَشَر، وهم عالم السواد الأعظم ـ سواءٌ في العالم العلوي، أعني الفلك ومافيه من المدبَّرات والنيرات والاستقصات، أم في العالم السفلي ـ: لم يتناقَصوا ولم يتزايدوا، مِن حيثُ الأرواح التي هي معدودةٌ من أول الأدوار، تظهر بظهوراتٍ مختلفاتِ الصور على مِقدارِ اكتسابها من خيرٍ وشرٍّ»[2] .

◻ ويقولون: «إنَّ اللاهوت ظَهر في صورةِ الناسوت، فظهر أولَ ما ظهر العليُّ، ثم البار، ثم أبي زكريا، ثم عليًّا، ثم المعل، ثم القائم، ثم المنصور، ثم المُعز، ثم العزيز، ثم الحاكم»[3] .

وكلُّهم نَفسٌ واحدة! .

◻ «وكان الحاكمُ هو الظاهرُ فيهم جميعًا»[4] .

◻ وأما الغَيبةُ والرَّجعة، فيقولون بغَيبةِ الحاكم ورَجعتِه في آخرِ الزمان

---

(١) انظر «رسالة الأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار» من رسائل الدروز.

(٢) انظر «مذهب الدروز والتوحيد» للأستاذ عبداللَّه نجار (ص٥٦) ط دار المعارف، مصر ١٩٦٥م

(٣) المصدر السابق (ص٩٥، ٩٦).

(٤) رسالة «السيرة المستقيمة» للدرزية.

كما ذكر ذلك حمزة في رسالته المُعَنونة «بنسخة السِّجِلِّ الذي وُجد معلَّقًا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم» كتب في آخره: «فقد غَضِب اللَّهُ تعالىٰ ووليُّه أميرُ المؤمنين سلامُ اللَّه عليه مِن عِظَمِ إسراف الكافة أجمعين، ولذلك خَرَج من أوساطكم.. فإذا أطلَّتَ عليكم الرحمةُ خَرج وليُّ اللَّه أمامَكم باختيارِه راضيًا عنكم ظاهرًا في أوساطكم»[1].

□ أما إبطالُ الشرائع ونسخُ الأديان، فقد ذكرناه سابقًا، وكما ذَكر المؤرِّخون أن الحاكمَ بأمر اللَّه نفسَه أبطلَ بعضَ الشعائر الدينية ـ مثل الجمعة وغيرها ـ، وكان يريدُ إبطالَ الصوم وغيرِه من العبادات، ولكنه قُتل قبل ذلك، وقد ذكر الأستاذ محمد عبداللَّه عنان ملخصًا لمذهب الدروز بقوله: «فهم علىٰ ما دعا إليه حمزةُ منذُ أكثرَ من تسعةِ قرون، يُنكرون الألوهية في ذاتها، ويعتقِدون في ألوهية الحاكم بأمر اللَّه، وفي رَجعته آخرَ الزمان، ولهم في تصويرها أقوالٌ مغرقةٌ أشرنا إليها من قبل، ويُنكرون الأنبياءَ والرسلَ جميعًا، ويُنكرون أصولَ الإسلام والنصرانيةَ واليهودية، بَيْدَ أنهم ينتسِبون ظاهرًا إلىٰ الإسلام، ويتظاهَرون أمامَ المسلمين بأنهم مُسلِمون، وأمام النصارىٰ بأنهم نصارىٰ، ويُبغضون في الباطن جميعَ أبناءِ الأديانِ الأخرىٰ ولا سيَّما المسلمون، ويَستبيحون دماءَهم وأموالَهم عند المَقدِرة، ويَعتقِدون أن الشياطين هم باقي الملل، وأن العقلاءَ أو خِيارَهم هم الملائكة، ولا يأخذون بشيءٍ من أصولِ الإسلام ـ كالصوم والصلاة والزكاة والحج ـ،

---

(١) انظر السجل المذكور ضمن رسائل حمزة المدرج بكامله في آخر كتاب «الحاكم بأمر اللَّه» (ص٣٩٧) و«مذهب الدروز والتوحيد» لعبداللَّه نجار (ص١١٩، ١٢٠).

بل يُنكرون أصولَ الإسلام جميعَها والشريعةَ الإسلاميةَ كلَّها، والألوهيةُ البشرية ـ وهي لُبُّ مذهبِهم ـ، عندهم مِنةُ المِنَن، ونِعمةُ النِّعم»(١) .

▫ وأما نبوةُ حَمزة ورسالتُه، فيقول صاحبُ كتاب «النقط والدوائر» الدرزي وهو يذكر حمزة: «فهو صلوات اللَّه عليه النورُ الكُلِّي، والجوهرُ الأزلي، والعنصر الأوَّلي، والأصلُ الجَلِي، والجنسُ العَلِي، فيه بدأت الأنوار، ومنه بَرزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرَّعت الأصول، وبه تنوَّعت الأجناس.. إلىٰ أن يقول: فهو الإمامُ والدليلُ علىٰ عبادة اللَّه، والداعي إلىٰ توحيدِ اللَّه، والناطقُ بحقِّ اللَّه، والبرهانُ علىٰ اللَّه، والرسولُ الذي أرسله اللَّه بالهدىٰ ودينِ الحق ليظهره علىٰ الدين كلِّه ولو كَرِه المشركون»(٢) .

✍ لعن اللَّه الدروزَ وأسكنهم النار جزاءَ ما عَطَّلوا ونسخوا من شريعة رسول اللَّه ﷺ وبدَّلوا دينه وعادَوه.

* النُّصَيريُّون ـ لعنهم اللَّه ـ:

النُّصَيريون أو «العلويُّون» فرقةٌ انشقَّت عن الإمامية الاثنا عَشْرية، قالوا: إن أبا شُعيب «محمدَ بنَ نُصير البَصري النُّمَيري» مؤسِّسَ النُّصيرية كان بابًا للإمام الحادي عشرَ من الشيعة الإمامية، وهو «الحسن العسكري».

▫ «وقد اتَّخذ محمدُ بنُ نُصير من مدينة «سامرَّاء» مقرًّا له، وظَلَّ المرجعَ الأعلىٰ للمذهب النُّصيري إلىٰ أن هَلَك عام ٢٦٠هـ، وكان قد ادَّعىٰ

---

(١) «الحاكم بأمر اللَّه» (ص٣١٦).

(٢) «االنقط والدوائر» (ص١٢) نقلاً عن «عقيدة الدروز» للخطيب (ص١١٠).

النُّبوَّة، وأن الذي أرسلَه هو أبو الحسن ـ علي بن أبي طالب ـ وكان يقول بالتناسخ، والغلوِّ في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبيَّة، والإباحة للمحارم»[1] .

وعند وفاةِ محمد بن نُصير حَلَّ مَحلَّه بابٌ آخرُ هو أبو محمد «عبداللَّه ابن محمد الحنان الجنبلاني» صاحب الطريقة الجنبلانية الصوفية .

◻ والنُّصيريون يؤلِّهون عليًّا، ويقولون: «إن عليًّا خَلَق محمداً، ومحمدٌ متَّصلٌ بعليٍّ ليلاً، منفصلٌ عنه نهارًا، ومحمدٌ خَلَق سلمانَ الفارسيَّ، وسلمانُ خَلَق الأيتامَ الخمسةَ الذين بيدهم مقاليدُ السماوات والأرض، وهم:

المقداد: ربُّ الناس وخالقُهم المُوَكَّل بالرُّعود والصواعق والزلازل .

وأبو الدُّرِّ: أي «أبو ذرٍّ الغفاري» المُوَكَّل بدَوَران الكواكب والنجوم .

وعبداللَّه بن رَوَاحة الأنصاري: المُوَكَّل بالرياح وقبض أرواح البشر .

وعثمانُ بن مَظْعون: الموكَّلُ بالمَعِدة وحرارةِ الجسد وأمراضِ الإنسان .

وقَنْبَر بن كادان: الموكَّلُ بنفح الأرواح في الأجسام» .

◻ ويقولون: «إن عَلِيًّا إمامٌ في الظاهر، إلهٌ في الباطن، لا يأكلُ ولا يشربُ ولم يَلِدْ ولم يُولَد، فأمَّا الظاهر.. فهو القسمُ بالبشريِّ منه «الناسوت» الذي يأكلُ ويشربُ ويلدُ ويولد» .

والإلهُ لم يَحُلَّ في عليٍّ فقط ـ حسب مزاعم النصيريين، إنما حَلَّ في

---

(١) «طائفة النصيرية ـ تاريخها وعقائدها» (ص٣٩) تأليف الدكتور سليمان الحلبي ـ المطبعة السلفية بالقاهرة، و«فرق الشيعة» (ص٧٨).

الأئمَّة من بعده.

◻ ويؤيِّد ذلك ما ورد في كتابهم المقدس «الهفت الشريف» عن قصة مقتلِ الحُسين ﷺ ما نصُّه: «وقامت الحربُ.. حينئذٍ دعا مولانا الحُسينُ جبريلَ، وقال له: يا أخي، مَن أنا؟ قال: أنت اللَّهُ الذي لا إلهَ إلاَّ هو الحيُّ القيومُ، والمميتُ والمحيي!! أنت الذي تأمرُ السماءَ فتُطيعُك، والأرضَ فتنتهي لأمرك، والجبالَ فتجيبُك، والبحارَ فتُسارعُ إلى طاعتِك.. وأنت الذي لا يُصلُ إليك كَيدُ كائد ولا ضَرَرُ ضارٍّ!»[1].

◻ والإمامُ عند النُّصَيرية أعلى منزلةً من النبي.. لأن الأنبياءَ يوحَى إليهم بواسطةِ جبريل.. والأئمـةُ يُكلِّمون اللَّهَ تعالى بغير واسطة.. فهم ـ كما ورد في كتابهم المقدس «الهفتِ الشريف» عن لسان جعفر الصادق، وهو منه بريء ـ: «نحن يَدُ اللَّه وجَنبُه، ونحن وجهُ اللَّه ويمينُه، وأينما نَظَر المؤمنُ يقصد النصيريَّ يرانا.. إن شئنا شاءَ اللَّه.. والحمدُ للَّه الذي اصطفانا من طِينةِ نورِ قدرتِه.. وَوَهبنا سِرَّ عِلمِ مشيئته»[2].

◻ والأئمَّةُ في اعتقاد النُّصيريين لا يُولَدون كغيرهم من بني البشر.. بل يولَدون بكيفيةٍ خاصةٍ لا يزاحمُهم فيها غيرُهم.

◻ يقول كتابهم «الهفت الشريف» ما نصه: «فإذا أراد اللَّهُ إظهارَ الإمامِ في الظاهر، تأديبًا لهذا الخَلْق، أرسل رُوحًا من عنده، فيتدخَّل في المولود الذي قد يتطهَّر مِن كلِّ دَنَس ولم يُزاحِمْه رَحِمٌ.. ولكن تدخلُ الروحُ فيه

(١) «الهفت الشريف» (ص١٢١) نقلاً عن «طائفة النصيرية» (ص٤٩).

(٢) «الهفت الشريف» (ص٢٢١ ـ ٢٢٢)، و«طائفة النصيرية» (ص٥٠).

تأديبًا للناس، أتدري يا مُفضَّلُ ما مَثَلُ ذلك؟ قلت: لا يا مولاي. قال: إن ميلادَ الإمامِ وموتَه ليس بميلادٍ ولا موت، وإنما مَثَلُه كمَثَل رجلٍ لبس قميصًا ونَزَعه حينما شاء»[١].

◻ وانظر إلى هذا القَسَم النُّصيري الذي أورد نَصَّه «ابنُ فضل اللَّه العُمري» في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» ونَقَله عنه القَلْقَشندي في كتابه «صبح الأعشى» (١٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، وهذا نصُّه: «إنني وحقِّ العليِّ الأعلى، وما أعتقدُه في المظهر الأسنى، وحَقِّ النور وما نشأ منه، والسَّحابِ وساكنِه، وإلاَّ برئتُ من مولايَ «علي» العليِّ العظيم، وولائي له، ومظاهرِ الحق، وكَشَفتُ حجابَ سليمانَ بغير إذن، وبَرِئتُ مِن دعوةِ الحُجة «نُصير» وخُضت مع الخائضين في لعنةِ ابنِ مُلجم.. وكفَرتُ بالخطاب، وأذعتُ السِّرَّ المصون، وأنكرت دعوىٰ أهل التحقيق، وإلاَّ قَلَعتُ أصلَ شجرةِ العنب من الأرض بيدي، حتىٰ أجتثَّ أصولَها وأمنعَ سبيلها، وكنتُ مع قابيل علىٰ هابيل، ومع النُّمرود علىٰ إبراهيم، وهكذا مع كلِّ فرعونَ قام علىٰ صاحبه، إلىٰ أن ألقَىٰ العليَّ العظيم وهو عليَّ ساخط، وأبرأُ مِن قول قَنْبر، وأقول: إنه بالنار ما تطهَّر».

فهُم في هذا القَسَم يلقِّبون عليَّ بن أبي طالب ﷺ بالعليِّ العظيم وهما من أسماء اللَّه، ويدَّعون أن سلمانَ هو صاحبُ الحجاب، وأن شجرةَ العنب مقدَّسةٌ عندهم، بحيث لا يجوزُ اقتلاعُها؛ لأن من ثَمرها تُصنَعُ الخَمر.. وهم يُعظِّمون الخمر[٢].

(١) «الهفت الشريف» (ص١١٣ ـ ١١٤).

(٢) انظر «طائفة النصيرية» (ص٥٤ ـ ٥٥).

❑ وهم يُسقطون التكاليف، ويُؤَوِّلونها إلىٰ تأويلاتٍ باطنية: فالصلاةُ عندهم والزكاة كما جاء في كتابهم المقدس «الهفت الشريف»: ـ «فأمَّا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [مريم: ٥٥]، فالصلاة أميرُ المؤمنين.. والزكاة معرفته، أما إقامة الصلاة فهي معرفتُنا وإقامتنا»[1].

حتىٰ وإنْ صَلَّوْا أحيانًا، فصلاتهم ـ كما قال الدكتور مصطفىٰ الشكعة ـ «ليس فيها سُجود، وإنْ كان فيها ركوع أحيانًا.. كما وأنَّهم لا يُصَلُّون الجمعةَ، ولا يعترفون بها كفَرضٍ.. ولا يتمسَّكون بالطهارة قبلَ أداءِ صلواتهم مِن وُضوء ورفعِ جَنابة.. فهم يقولون عن الجنابة «النجاسة»: إنها موالاةُ الأضداد، والجهلُ بالعلم الباطني، و«الطهارةُ»: معاداةُ الأضداد، ومعرفةُ العلم الباطني»[2].

❑ «والصيامُ عندهم ليس امتناعًا عن الأكلِ والشرب، بل هو امتناعٌ عن معاشرة النساء فقط طوالَ شهر رمضان.. ولا يعترفون بالحج.. بل يعتبرون الحجَّ إلىٰ بيت اللَّه الحرام كفرًا وعبادةَ أصنام»[3].

وقد ذكر الدكتور عبدالرحمن بدوي[4] أنه تُوجد خلاصةٌ وافيةٌ لتعاليمِ النُّصيريَّة وعقائدِها في كُتَيِّب صغير بعنوان: «كتاب تعليم ديانة النصيرية»، ومنه مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (٦١٨٢) وهو علىٰ طريقة السؤال والجواب، ويتألف من (١٠١) سؤال.. منها:

(١) «الهفت الشريف» (ص٦٤).

(٢) «طائفة النصيرية» (ص٥٨).

(٣) «طائفة النصيرية» (ص٦٦).

(٤) انظر (ص٤٧٤) من كتاب «مذاهب الإسلاميين» ـ للدكتور عبدالرحمن بدوي ـ دار العلم للملايين بيروت.

س١: مَن الذي خلَقنا؟

جـ ـ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س٢: مِن أين نعلمُ أن عليًّا إله؟.

جـ: مما قاله هو عن نفسِه في خطبة البيان.. وهو واقفٌ على المنبر، إذْ قال: «أنا سرُّ الأسرار، أنا شجرةُ الأنوار، أنا دليلُ السماوات، أنا أنيسُ المستجاب، أنا سائقُ الدعوة، أنا شاهدُ العهد، أنا زاجرُ القواصف، أنا محرِّكُ العواصف، أنا مُزْنُ السحاب، أنا نورُ الغياهب، أنا حُجَّةُ الحُجج، أنا مُيَمِّنُ اليُمْن، أنا سببُ الأسباب، أنا مُسدِّد الخلائق، أنا محقِّقُ الحقائق، أنا جوهرُ القِدم، أما مُرتِّبُ الحِكم، أنا الأولُ والآخرُ، والظاهرُ والباطن..».

س٥: كم مرة تحوَّل ربُّنا ليتجلَّى في صورةٍ إنسانية؟.

جـ: سبع مرات.. فقد احتجب:

(أ) في شخصِ «آدم» باسم «هابيل».

(ب) وفي شخصِ «نوح» باسم «شيت».

(جـ) وفي شخص «يعقوب» باسم «يوسف».

(د) وفي شخص «موسى» باسم « يوشع».

(هـ) وفي شخص «سليمان» باسم «آصف».

(و) وفي شخص «عيسى» باسم «بطرس».

(ز) وفي شخص «محمد» باسم «علي».

س٤٣: ما أسماءُ أمير المؤمنين في مختلَف اللغات؟

جـ: سماه العربُ باسم «عليٍّ»، وهو نفسُه سمَّى نفسه:

«أرسطوطاليس»، وفي الإنجيل اسمه «إيليا» «إلياس».

س٦٦: ما أسماءُ النجباء في العالم الصغير الأرضي؟.

جـ: يورد (٢٥) إسمًا أولها «أبو أيوب».. وآخرها «عبداللَّه بن سبأ».

س٧٢: ما القرآن؟

جـ: هو المُبَشِّر بظهور مولانا في صورة بشرية.

س٧٤: ما علامة إخواننا المؤمنين الصادقين؟

جـ: ع. م. س: وَ(ع) تدل على «عليٍّ»، و(م) تَدُلُّ على «محمد»، و(س) تدل على سلسل أي: «سليمان».

س٧٦: ما القدَّاس؟.

جـ: تقديس الخمر التي تُشرب على صحَّة النقباء أو النجباء.

س٨٦: هل يحقُّ للمؤمن أن يبوحَ لإنسانٍ آخر بِسِرِّ الأسرار؟

جـ: لا يبوحُ به إلا لإخوانه في الدِّين، وإلاَّ باء بسَخَط اللَّه[1].

والنُّصَيريُّون يقولون بالتناسخ، وهو انتقالُ الرُّوح من بدنِ إنسانٍ إلى بدنِ إنسانٍ آخر. أمَّا إذا انتقلت إلى بَدنِ حيوانٍ، فإنهم يُسمُّونه «مسخ».. وإذا انتقلت إلى جِسم حَشرة فهو «فسخ»، وإذا انتقلت إلى الشجر والنبات فهو «رسخ»[2].

❑ ويقول النصيريُّون بأن الجَنَّة هي معرفةُ ألوهيَّةِ مولاهم ـ عليِّ بن أبي

(١) انظر «طائفة النصيرية» (ص٦٦ ـ ٦٩).

(٢) «طائفة النصيرية» (ص٧٦).

طالب ـ والجحيمَ هو الكفرُ والجهلُ بها[1] .

◻ وفي إحدىٰ رسائل الدروز وهي رسالة «السؤال والجواب»[2] يقول السؤالُ رقم (٤٤) بالنَّص :

«س٤٤ : كيف انفَصَل النُّصيريَّة عن الموحِّدين «الدروز» وخرجوا من دين التوحيد؟ .

ويقول الجواب :

جـ : انفَصلوا بدعوىٰ النُّصَيْريِّ لهم . . حيث زَعم أنه عَبدُ مولانا أميرِ المؤمنين «علي» ، وأنكر لاهوت مولانا «الحاكم بأمر اللَّه» ، واعترف بلاهوت عليٍّ بنِ أبي طالب ، وقال : إن اللاهوت ظَهر في الأئمة الإثنىٰ عشر»[3] ، ومسيحيُّهم الحقيقيُّ الحيُّ الأبدي .

◻ ويقول نبيُّ الدروز «حمزة بن علي» في رسالة تحت عنوان : «الرسالة الدامغة للفاسق ، والرد علىٰ النصيريِّين «المارقة» لعنهم اللَّه في كل كَوْرٍ ودَوْر»[4] : «ومَن اعتقد التناسخ مثل النُّصَيْريَّة الملعونة . . في عليٍّ بن أبي طالب ، وعَبدِه ، خَسِر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين» .

◻ ويقول حمزة : «ثم إنه ـ أي : النصيري ـ إذا ذَكَر عَليًّا يقول : «علينا سلامُه ورحمتُه» ، وإذ ذكر مولانا «الحاكم» جَلَّ ذِكرُه يقول : «علينا

---

(١) المصدر السابق (ص٧٦ـ٧٧) .

(٢) انظر «مذاهب الإسلاميين» (ص٨٢٣) .

(٣) «طائفة النصيرية» (ص٧٨) .

(٤) الرسالة مخطوطة تحت رقم (١٤٢٣) عربي بباريس . . انظر «مذاهب الإسلاميين» (ص٨١٦) ، و«طائفة النصيرية» (ص٧٩ ، ٨١ـ٨٢) .

سلامُه»، فيطلب الرحمةَ من المفقود المعدوم، ويجحدُ الموجودَ «الحاكم» بذاته المنفرد عن مُبدِعاته.. ولا يكونُ في الكفر أعظمُ من هذا.. فصَحَّ عند الموحِّد العارف بأن الشركَ الذي لا يُغفر أبدًا هو بأن يُشرِكَ بين عليٍّ بن أبي طالب وبين مولانا جل ذكره. ويقول: عليٌّ مولانا الموجود، ومولانا: هو عليٌّ.. لا فرقَ بينهما.

والكفرُ ما اعتَقدَه هذا الفاسقُ «النصيري» من العبادة في عليٍّ بن أبي طالب والجحودِ بمولانا جَلَّ ذكره».

فهذا يدلُّ على عُمقِ العداوة بين الطائفتين الذي يَصلُ إلى تكفيرِ كلٍّ منهما للأخرى.

*** ادعاء النُّبوّة والألوهية في العصر الحديث عند النُّصيريين:**

◻ «وقد ادَّعى الألوهيَّةَ في زماننا هذا النُّصَيْريُّ «سلمان المرشد» وهو من قرية «جوبة برغال» شرقيَّ مدينةِ اللاذقية بسوريا، وآمن به واتَّبعه كثيرٌ من النصيريِّين.. وقد مَثَّلَ الدورَ تمثيلاً جيِّدًا، فكان يَلبَسُ ثيابًا فيها أزرارٌ كهربيَّة، ويَحملُ في جَيبه بَطَّرِيَّةً صغيرةً متصلةً بالأزرار.. فإذا أوصل التيارَ شَعَّتِ الأنوارُ من الأزرار، فيخرُّ له أنصارُه ساجِدين.. ومن الطريف أن المستشار الفرنسيَّ الذي كان وراء هذه الألوهية المُزَيَّفة كان يسجدُ مع الساجدين.. ويخاطبُ سلمانَ المرشد بقوله: «يا إلهي»!..

وقد اتَّخذ «سلمانُ المرشد» رسولاً اسمه: «سلمان الميدة» وكان يَشتغلُ جَمَّالاً عند أحدِ المُزارِعين في «حمص» في حين كان «سلمانُ المرشد» ـ مُدَّعي الألوهية ـ راعيَ أبقار.. وهكذا يكون الإلهُ راعيًا

والرسولُ جَمَّالاً!!»[١] .

وقد أُعدِم «سلمانُ المرشد» شنقًا في دمشق عام ١٩٤٦م[٢] مِن قِبَل الحكومة السورية.

□ «وقد سُئل مرةً قبلَ هلاكه: أنت إلهٌ؟! و«أغاخان» - زعيم الإسماعيلية الأغاخانية - إلهٌ؟ فكيف تَتَّسعُ الأرضُ لإلهين؟ فأجاب: إنَّ الخالق يَبُثُّ رُوحَه فيمن يشاءُ، وقد يبثُّها في مئةٍ من مخلوقاته، فيُصبحون أربابًا مِثلي».

وظلَّ النصيريُّون مُخلِصين لإلههم المشنوق، وبعد شَنقِه أَلَّهوا ابنَه «مجيب بن سلمان المرشد»، ومع أنَّ هذا الأخيرَ قُتِل أيضًا.. إلاَّ أنهم لا زالوا يُؤَلِّهونه»[٣] .

□ سُئِل شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحِمه اللَّه تعالىٰ -: ما تقولُ السادةُ العلماءُ أئمةُ الدين - ﷺ -، وأعانهم علىٰ إظهارِ الحقِّ المبين، وإخمادِ شَغَبِ المُبطِلين - في «النصيرية» القائلين باستحلالِ الخمر، وتناسُخِ الأرواح، وقِدَمِ العالم، وإنكارِ البعثِ والنشورِ والجنةِ والنارِ في غيرِ الحياة الدنيا، وبأن «الصلوات الخمس» عبارةٌ عن خمسةِ أسماء، وهي: «عليٌّ، وحسن، وحسين، ومُحسِّن، وفاطمة»، فذِكرُ هذه الأسماء الخمسة - علىٰ رأيهم - يُجزيهم عن الغُسلِ من الجنابة، والوضوء، وبقيةِ شروطِ الصلوات الخمسة وواجباتها.. وبأن «الصيام» عندهم عبارةٌ عن اسم ثلاثين رجلاً، واسم

---

(١) «إسلام بلا مذاهب» (ص٣٠٩) للدكتور مصطفىٰ الشُّكعة - بيروت.

(٢) «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٣/ ١٧٠) - دمشق.

(٣) «طائفة النصيرية» (ص٥٣)، و«الأعلام» (٣/ ١٧٠).

ثلاثين امرأة، يَعُدُّونهم في كتبهم، ويَضيقُ هذا الموضعُ عن إبرازهم، وبأن إلاهَهم الذي خَلَق السماوات والأرض هو عليٌّ بن طالب ﷺ، فهو عندهم الإلٰه في السماء، والإمامُ في الأرض، فكانت الحكمةُ في ظهورِ اللاهوت بهذا الناسوت ـ على رأيهم ـ أن يؤنِسَ خَلْقَه وعبيدَه؛ ليُعلِمَهم كيف يَعرِفونه ويعبدونه.

وبأن النُّصيريَّ عندهم لا يصيرُ نُصيريًّا مؤمنًا يجالسونه، ويشربون معه الخمر، ويُطلِعونه على أسرارهم، ويُزوِّجونه من نسائهم، حتى يخاطبَه مُعلِّمُه، وحقيقةُ الخطاب عندهم أن يُحلِّفوه على كتمانِ دينه، ومعرفة مشائخِه وأكابر أهل مذهبه، وعلى ألاَّ ينصحَ مسلمًا ولا غيرَه إلاَّ مَن كان مِن أهل دينه، وعلى أن يَعرفَ ربَّه وإمامَه بظهوره في أنوارِه وأدوارِه، فيعرفُ انتقالَ الاسم والمعنى في كلِّ حين وزمان، فالاسم عندهم في أول الناس «آدمُ»، والمعنى هو «شيث»، والاسم «يعقوب»، والمعنى هو «يوسف»، ويستدلُّون على هذه الصورة ـ كما يزعمون ـ بما في القرآن العظيم حكايةً عن يعقوبَ ويوسف ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فيقولون: أمَّا يعقوب، فإنه كان الاسم، فما قَدَر أن يتعدَّى منزلته فقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]، وأما يوسفُ، فكان المعنى المطلوبَ، فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] فلم يُعلِّقِ الأمرَ بغيره؛ لأنه عَلِم أنه الإلٰهُ المتصرِّفُ، ويجعلون «موسى» هو الاسم، و«يوشعَ» هو المعنى، ويقولون: «يوشع رُدَّت له الشمسُ لَمَّا أمرها فأطاعت أمره، وهل تُردُّ الشمس إلاَّ لربِّها؟!»، ويجعلون «سليمانَ» هو الاسم، و«آصفَ» هو المعنى القادر المقتدر، ويقولون: سليمانُ عَجَز عن إحضارِ عَرش بلقيس، وقَدَر عليه

آصف؛ لأن سليمان كان الصورةَ، وآصفُ كان المعنىٰ القادرَ المقتدر، وقد قال قائلهم:

هابيلُ شَيثُ يوسفُ يوشـعُ — آصفُ شمعونُ الصفا حَيدرُ

ويَعُدُّون الأنبياءَ والمرسلينَ واحدًا واحدًا علىٰ هذا النمط إلىٰ زمنِ رسول اللَّه ﷺ، فيقولون: «محمدٌ» هو الاسم، و«علي» هو المعنىٰ، ويُوصِّلون العَددَ علىٰ هذا الترتيب في كلِّ زمانٍ إلىٰ وقتنا هذا، فمِن حقيقةِ الخطاب في الدِّين عندهم أن عليًا هو الرب، وأن محمدًا هو الحجاب، وأن سلمانَ هو الباب، وأنشد بعضُ أكابرِ رؤوسائهم وفضلائِهم لنفسه في شهور سنةِ سَبْعمئة فقال:

أشـهـدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ — حَيدرةُ الأنـزعُ البطينُ
ولا حجـابَ عليـه إلاَّ — محمدُ الصادقُ الأمينُ
ولا طريـقَ إليـه إلاَّ — سلمانُ ذو القوة المتينُ

ويقولون: إن ذلك علىٰ هذا الترتيبِ لم يَزل ولا يزال، وكذلك الخمسةُ الأيتام، والاثنا عشر نقيبًا، وأسماؤهم مشهورةٌ عندهم، ومعلومةٌ من كُتبهم الخبيثة، وأنهم لا يزالون يَظهرون مع الربِّ والحجابِ والبابِ في كلِّ كَور ودَور أبدًا سرمدًا علىٰ الدوام والاستمرار، ويقولون: إن إبليسَ الأبالسةِ هو عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، ويَليه في رُتبةِ الإبليسيةِ أبو بكر رضي الله عنه ثم عثمان ـ رضي الله عنهم وشرَّفهم وأعلىٰ رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحالِ أنواع الضالين والمفسدين ـ، فلا يزالون موجودين في كلِّ وقتٍ دائمًا حسبما ذُكر من الترتيب، ولمذاهبهم الفاسدةِ شُعبٌ وتفاصيلُ تَرجعُ إلىٰ هذه الأصول المذكورة.

وهذه الطائفةُ الملعونة استَولت على جانبٍ كبيرٍ من بلاد الشام، وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب، وقد حَقَّق أحوالَهم كلُّ مَن خالَطهم وعَرَفهم من عقلاءِ المسلمين وعلمائهم، ومن عامةِ الناس أيضًا في هذا الزمان؛ لأنَّ أحوالَهم كانت مستورةً عن أكثرِ الناس وقتَ استيلاءِ الإفرنج المخذولِين على البلاد الساحلية، فلما جاءت أيامُ الإسلام انكشف حالُهم وظَهر ضلالُهم، والابتلاءُ بهم كثير جداً.

فهل يجوزُ لمسلمٍ أن يُزوِّجهم، أو يتزوَّجَ منهم؟ وهل يَحِلُّ أكلُ ذبائحهم والحالةُ هذه، أم لا؟ وما حُكمُ الجُبنِ المعمول من إنْفِحَّةِ ذبيحتِهم؟ وما حُكم أوانِيهم وملابسِهم؟ وهل يجوز دفنُهم بين المسلمين، أم لا؟ وهل يجوزُ استخدامُهم في ثغورِ المسلمين وتسليمُها إليهم؟ أم يجبُ على وليِّ الأمر قَطعُهم واستخدامُ غيرِهم من رجالِ المسلمين الكفاة، وهل يأثمُ إذا أخَّر طَردَهم؟ أم يجوزُ له التمهُّل مع أنَّ في عزمه ذلك؟ وإذا استَخدَمَهم وأقْطَعَهم أو لم يُقطِعْهم، هل يجوزُ له صَرفُ أموالِ بيتِ المالِ عليهم، وإذا صَرَفها وتأخَّر لبعضِهم بقيةٌ من معلومه المسمَّى، فأخَّره وليُّ الأمرِ عنه وصَرَفه على غيرِه من المسلمين أو المستحقِّين، أو أرصده لذلك: هل يجوزُ له فِعلُ هذه الصور؟ أم يجبُ عليه؟ وهل دماءُ النصيريةِ المذكورين مباحةٌ وأموالُهم حلال، أم لا؟ وإذا جاهَدهم وليُّ الأمرِ - أيَّده اللَّه تعالى - بإخمادِ باطلهم، وقَطْعِهم من حصون المسلمين، وحَذَّر أهلَ الإسلام من مناكحتهم، وأكلِ ذبائحهم، وألزَمَهم بالصوم والصلاة، ومَنَعهم من إظهارِ دينهم الباطل وهم الذين يَلُونه من الكفار: هل ذلك أفضلُ وأكثرُ أجراً من التصدِّي والترصُّدِ لقتالِ التتار في بلادهم وهدم بِلاد «سيس» وديارِ الإفرنج

علىٰ أهلها؟ أم هذا أفضلُ من كونه يجاهدُ النُّصيريَّةَ المذكورِين مرابطًا؟ ويكونُ أجرُ مَن رابط في الثغور علىٰ ساحِلِ البحر خشيةَ قَصدِ الفرنج أكبرَ، أم هذا أكبرُ أجرًا؟ وهل يجبُ علىٰ مَن عَرَف المذكورين ومذاهبَهم أن يُشهِرَ أمرَهم ويساعدَ علىٰ إبطالِ باطِلِهم وإظهارِ الإسلام بينهم، فلعلَّ اللَّهَ تعالىٰ أن يَهدِيَ بعضَهم إلىٰ الإسلام، وأن يجعلَ مِن ذُرِّيتِهم وأولادهم مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفرِ العظيم، أم يجوزُ التغافُلُ عنهم والإهمال؟ وما قَدرُ المجتهدِ علىٰ ذلك، والمجاهدِ فيه، والمرابطِ له والملازم عليه، ولْتَبسُطوا القولَ في ذلك مثابين مأجورين ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ، إنه علىٰ كل شيءٍ قدير، وحسبُنا اللَّه ونعم الوكيل؟[1] .

* **فأجاب شيخُ الإسلام تقيُّ الدين أبو العباس أحمد بن تيمية:**

الحمدُ للَّه رب العالمين، هؤلاء القومُ المسمَّون بالنصيرية هم وسائرُ أصنافِ القرامطة الباطنية أكفرُ من اليهود النصارىٰ، بل وأكفرُ من كثيرٍ من المشركين، وضَررُهم علىٰ أمةِ محمد ﷺ أعظمُ من ضررِ الكفار المحاربين مثلِ كفارِ التتار والفرنج وغيرهم؛ فإن هؤلاء يتظاهَرون عند جُهَّالِ المسلمين بالتشيع، وموالاةِ أهلِ البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون باللَّه ولا برسوله ولا بكتابِه، ولا بأمرٍ ولا نهي، ولا ثوابٍ ولا عقاب، ولا جَنةٍ ولا نار، ولا بأحدٍ من المرسلين قبلَ محمد ﷺ، ولا بِملَّةٍ من الملل السالفة، بل يأخذون كلامَ اللَّه ورسولِه المعروفَ عند علماء المسلمين يتأوَّلونه علىٰ أمورٍ يفترونها،

(١) هذا سؤال الشيخ العلاّمة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مري الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ الشيخ الإسلام ابن تيمية. . انظر «النصيرية طغاة سورية» أصدرتها دار الإفتاء بالرياض، وانظر «طائفة النصيرية» هامش (ص١٢٧).

يَدَّعون أنها علمُ الباطن، من جنس ما ذكره السائل، ومِن غير هذا الجنس، فإنه ليس لهم حدٌّ محدود فيما يدَّعونه من الإلحادِ في أسماء اللَّه تعالىٰ وآياته، وتحريفِ كلامِ اللَّه تعالىٰ ورسوله عن مواضِعه؛ إذ مقصودُهم إنكارُ الإيمانِ وشرائعِ الإسلام بكلِّ طريقٍ، مع التظاهُرِ بأنَّ لهذه الأمورِ حقائقَ يعرفونها من جِنسِ ما ذَكَر السائل، ومِن جنس قولهم: إن «الصلوات الخمس» معرفة أسرارهم، و«الصيام المفروض» كتمانُ أسرارهم، و«حج البيت العتيق» زيارةُ شيوخهم، وأن «يدَا أبي لهب» هما أبو بكر وعمر، وأن «النبأ العظيم» والإمامَ المُبين هو عليُّ بن أبي طالب، ولهم في معاداة الإسلام وأهلِه وقائعُ مشهورةٌ وكُتب مصنَّفة، فإذا كانت لهم مُكْنَةٌ سفكوا دماءَ المسلمين؛ كما قَتَلوا مرةً الحُجَّاجَ وألقَوهم في بئرِ زمزم، وأخذوا مرةً الحَجَرَ الأسود وبَقِي عندهم مُدةً، وقَتَلوا من علماءِ المسلمين ومشايخهم ما لا يُحصِي عددَه إلاَّ اللَّه تعالىٰ، وصنَّفوا كتبًا كثيرةً مما ذكره السائلُ وغيره، وصنَّف علماءُ المسلمين كتبًا في كشفِ أسرارهم وهَتكِ أستارهم، وبيَّنوا فيها ما هم عليه من الكُفرِ والزندقة والإلحاد، الذي هم به أكفرُ من اليهود والنصارىٰ، ومِن براهمةِ الهندِ الذين يعبُدون الأصنام. وما ذكره السائلُ في وصفهم قليلٌ من الكثير الذي يعرفُه العلماء في وصفهم.

ومن المعلوم عندنا أن السواحلَ الشامية إنما استولىٰ عليها النصارىٰ مِن جهتهم، وهم دائمًا مع كلِّ عدوٍّ للمسلمين، فهم مع النصارىٰ علىٰ المسلمين، ومِن أعظم المصائب عندهم فتحُ المسلمين للسواحل، وانقهارُ النصارىٰ، بل ومن أعظم المصائبِ عندهم انتصارُ المسلمين علىٰ التتار، ومِن أعظم أعيادِهم إذا استولىٰ - والعياذُ باللَّه تعالىٰ - النصارىٰ علىٰ ثغور

المسلمين، فإن ثغورَ المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين، حتى جزيرةُ «قبرص» يسَّر اللَّه فتحها عن قريب، وفَتَحها المسلمون في خلافةِ أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفان رضي الله عنه فَتَحها معاويةُ بن أبي سفيان إلى أثناء المئة الرابعة.

فهؤلاء المحادُّون للَّه ورسوله كثُروا حينئذٍ بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولَوا على «القدس الشريف» وغيره؛ فإن أحوالَهم كانت من أعظمِ الأسباب في ذلك، ثم لما أقام اللَّه ملوكَ المسلمين المجاهِدين في سبيل اللَّه تعالى كنُورِ الدين الشهيد، وصلاحِ الدين وأتباعهما، وفَتَحوا السواحلَ من النصارى، وممن كان بها منهم، وفتحوا - أيضًا - أرضَ مصر، فإنهم كانوا مُستَوْلِين عليها نحوَ مئتي سنةٍ، واتَّفقوا هم والنصارى، فجاهَدَهم المسلمون حتى فَتَحوا البلاد، ومِن ذلك التاريخِ انتشرت دعوةُ الإسلام بالديار المصرية والشامية.

ثم إنَّ التتارَ ما دَخلوا بلادَ الإسلام وقَتلوا خليفةَ بغداد وغيرَه من ملوك المسلمين إلاَّ بمعاونتهم ومؤازرتهم؛ فإن منجِّم هولاكو الذي كان وزيرَهم - وهو «النصير الطوسي» - كان وزيرًا لهم بـ «الألموت»، وهو الذي أمر بقتل الخليفةِ وبولاية هؤلاء.

ولهم ألقابٌ معروفة عند المسلمين، تارةً يُسمَّون «الملاحدة»، وتارةً يُسمَّون «القرامطة»، وتارةً يُسمَّون «الباطنية»، وتارةً يسمَّون «الإسماعيلية»، وتارةً يُسمَّون «النصيرية»، وتارةً يُسمَّون «الخُرَّمِيَّة»، وتارةً يسمَّون «المحمرة»، وهذه الأسماء منها ما يَعُمُّهم، ومنها ما يخصُّ بعضَ أصنافهم، كما أن «الإسلام والإيمان» يعمُّ المسلمين، ولبعضِهم اسم يخصه: إما

لِنَسَبٍ، وإما لمذهب، وإما للبلد، وإما لغير ذلك.

وشَرحُ مقاصِدِهم يطول، وهم كما قال العلماء فيهم: «ظاهرُ مذهبِهم الرفضُ، وباطنُه الكفرُ المحض»، وحقيقةُ أمرِهم: أنهم لا يؤمنون بنبيٍّ من الأنبياء والمرسلين؛ لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسىٰ، ولا عيسىٰ، ولا محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين -، ولا بشيءٍ من كتب اللَّه المنزَّلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن، ولا يُقِرُّون بأن للعالم خالقًا خلَقه، ولا بأن له دينًا أَمَر به، ولا أن له دارًا يَجزِي الناسَ فيها علىٰ أعمالِهم غيرَ هذه الدار.

وهم تارةً يبنُون قولَهم علىٰ مذاهبِ الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين، وتارةً يَبنُونه علىٰ قولِ المجوس الذين يعبُدون النور، ويضمُّون إلىٰ ذلك الرفضَ.

ويحتجُّون لذلك من كلامِ النبوات، إمَّا بقولٍ مكذوب ينقلُونه، كما ينقُلُون عن النبي ﷺ أنه قال: «أولَ ما خَلَق اللَّه العقلُ»، والحديث موضوعٌ باتفاقِ أهل العلم بالحديث، ولفظه: «إن اللَّه لما خلق العقل، قال له: أَقبِلْ، فأقبل. فقال له: أَدبِرْ، فأدبر»[1] ، فيُحرِّفون لفظه فيقولون: «أولُ ما خلق اللَّه العقل»، ليوافقوا قولَ المتفلسفة أتباعِ أرسطو في أن أول الصادراتِ عن واجبِ الوجود هو العقل، وإما بلفظٍ ثابت عن النبي ﷺ فيُحرِّفونه عن مواضعه كما يَصنعُ أصحابُ «رسائل إخوان الصفا» ونحوهم، فإنهم من أئمتهم.

---

(١) ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٧٤)، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ. . .» إلخ.

وقد دخل كثيرٌ من باطلهم على كثيرٍ من المسلمين وراج عليهم، حتى صار ذلك في كتبِ طوائفَ من المنتسبين إلى العلم والدين، وإن كانوا لا يوافقونهم على أصل كفرهم؛ فإنَّ هؤلاء لهم في إظهارِ دعوتهم الملعونةِ التي يُسمُّونها «الدعوة الهادية» درجاتٍ متعددةً، ويُسمُّون النهاية «البلاغ الأكبر والناموس الأعظم»، ومضمون البلاغِ الأكبر جَحْدُ الخالق تعالى، والاستهزاءُ به، وبمن يُقِرُّ به، حتى قد يكتبُ أحدُهم اسمَ اللَّه في أسفل رِجله، وفيه ـ أيضًا ـ جَحدُ شرائعِه ودينِه وما جاء به الأنبياء، ودعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين للرئاسة، فمِنهم من أحسن في طلبها، ومنهم مَن أساء في طلبها حتى قُتل، ويجعلون محمدًا وموسى من القِسم الأول، ويجعلون المسيحَ من القسم الثاني، وفيه من الاستهزاء بالصلاة، والزكاة والصوم، والحج، ومن تحليل نكاح ذوات المحارم، وسائر الفواحش، ما يطولُ وصفه.

ولهم إشاراتٌ ومخاطَباتٌ يَعرفُ بها بعضُهم بعضًا، وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثُر فيها أهلُ الإيمان فقد يَخفَون على مَن لا يعرفُهم، وأما إذا كثروا فإنه يعرفُهم عامةُ الناس ـ فضلاً عن خاصَّتهم ـ.

وقد اتَّفق علماءُ المسلمين أن هؤلاء لا تجوزُ مناكحتهم، ولا يجوزُ أن يَنكِحَ الرجلُ مولاتِه منهم، ولا يتزوجَ منهم امرأةً، ولا تُباح ذبائحهم.

وأما «الجبن المعمول بإنْفِحَّتهم»، ففيه قولان مشهورانِ للعلماء، كسائر إِنْفِحَّةِ الميتة، وكإِنْفِحَّةِ ذبيحةِ المجوس وذبيحةِ الفرنج الذين يقال عنهم: إنهم لا يُذكُّون الذبائح، فمذهب أبي حنيفة وأحمدَ ـ في إحدى الروايتين ـ: أنه يَحِلُّ هذا الجبن؛ لأن إنْفِحَّةَ الميتةِ طاهرة على هذا القول؛ لأنَّ الإنْفِحَّةَ لا

تموتُ بموتِ البهيمة، وملاقاةُ الوعاء النجس في الباطن لا ينجس.

ومذهبُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ ـ في الرواية الأخرىٰ ـ: أن هذا الجبنَ نجس؛ لأن الإنفحَّة عند هؤلاء نجِسة؛ لأنَّ لبنَ الميتةِ وإنفحتَّها عندهم نجس.. ومَن لا تؤكلُ ذبيحتُه فذبيحته كالميتة، وكلٌّ مِن أصحابِ القولَين يحتجُّ بآثارٍ ينقلُها عن الصحابة، فأصحابُ القول الأولِ نَقَلوا أنهم أكَلوا جبن المجوس، وأصحابُ القول الثاني نقلوا أنهم أكلُوا ما كانوا يظنون أنه من جُبنِ النصارىٰ، فهذه مسألةُ اجتهاد؛ للمقلِّد أن يُقلِّدَ مَن يُفتي بأحدِ القولين.

وأما «أوانيهم وملابسهم»، فكأواني المجوس وملابسِ المجوس، علىٰ ما عُرف من مذاهب الأئمة، والصحيحُ في ذلك أن أوانيهم لا تُستعمل إلاَّ بعد غسلها؛ فإن ذبائحَهم ميتة، فلا بدَّ أن يصيب أوانيَهم المستعملةَ ما يَطبخونه من ذبائِحهم فتَنجُسَ بذلك، فأمَّا الآنية التي لا يغلِبُ علىٰ الظن وصولُ النجاسة إليها، فتُستعمل من غيرِ غَسْلٍ كآنيةِ اللبن التي لا يَضَعُون فيها طبيخَهم، أو يغسِلونها قبلَ وضعِ اللبن فيها، وقد توضَّأ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ من جَرَّةِ نصرانيةٍ، فما شُكَّ في نجاسته لم يُحكَم بنجاسته بالشك.

ولا يجوزُ دفنُهم في مقابر المسلمين، ولا يُصلَّىٰ علىٰ مَن مات منهم، فإن اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نهىٰ نبيَّه ﷺ عن الصلاة علىٰ المنافقين، كعبداللَّه ابن أبي، ونحوه، وكانوا يتظاهَرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين، ولا يُظهرون مقالةً تخالفُ دينَ الإسلام، لكن يُسِرُّون ذلك، فقال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، فكيف بهؤلاء ـ الذين هم مع الزندقة والنفاق ـ يُظهرون الكفر والإلحاد.

وأما استخدامُ مثلِ هؤلاء في ثغورِ المسلمين أو حُصونهم أو جُندهم، فإنه من الكبائر، وهو بمنزلةِ مَن يستخدمُ الذئابَ لرعي الغنم، فإنهم مِن أغشِّ الناس للمسلمين ولولاة أمورهم، وهم أحرصُ الناس على فسادِ المملكة والدولة، وهم شرٌّ مِن المخامِرِ الذي يكون في العسكر؛ فإن المخامِر قد يكونُ له غَرضٌ، إما مع أميرِ العسكر، وإما مع العدو، وهؤلاء مع المِلَّة ونبيِّها ودينِها، وملوكِها، وعلمائِها، وعامَّتِها، وخاصَّتِها، وهم أحرصُ الناس على تسليمِ الحصونِ إلى عدوِّ المسلمين، وعلى إفسادِ الجند على وليِّ الأمر، وإخراجِهم عن طاعته.

والواجبُ على ولاةِ الأمور قَطعُهم من دواوينِ المقاتِلة، فلا يُتركون في ثَغر، ولا في غير ثغر؛ فإنَّ ضَررهم في الثغرِ أشد، وأن يُستخدمَ بدَلَهم من يُحتاجُ إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دينِ الإسلام، وعلى النُّصح للَّه ورسوله، ولأئمَّةِ المسلمين وعامتهم، بل إذا كان وليُّ الأمرِ لا يَستخدمُ مَن يَغُشُّه ـ وإن كان مسلمًا ـ، فكيف بمن يَغُشُّ المسلمين كلَّهم؟!.

ولا يجوزُ له تأخيرُ هذا الواجب مع القُدرة عليه، بل أيَّ وقتٍ قَدَر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك.

وأما إذا استُخدموا وعَمِلوا العملَ المشروطَ عليهم، فلهم إمَّا المسمَّى، وإمَّا أُجْرةُ المِثل؛ لأنهم عُوقدوا على ذلك، فإن كان العقدُ صحيحًا وجب المسمَّى، وإن كان فاسدًا وجبت أُجرةُ المِثل، وإن لم يكن استخدامُهم من

جنس الإجارة اللازمة، فهي من جنسِ الجِعالة الجائزة، لكن هؤلاء لا يجوزُ استخدامُهم، فالعقدُ عقدٌ فاسد، فلا يستحقُّون إلا قيمةَ عملِهم، فإن لم يكونوا عمِلوا عملاً له قيمة، فلا شيءَ لهم، لكن دماؤهم وأموالهم مباحة.

وإذا أظهروا التوبةَ ففي قبولها منهم نزاعٌ بين العلماء، فمَن قَبِل توبتَهم إذا التزموا شريعةَ الإسلام أقرَّ أموالَهم عليهم، ومَن لم يَقبَلْها لم تُنقل إلىٰ وَرَثَتهم مِن جنسهم، فإن مالَهم يكون فيئًا لبيت المال؛ لكنَّ هؤلاء إذا أُخذوا فإنهم يظهرون التوبة؛ لأن أصلَ مذهبِهم «التقيَّة» وكتمانُ أمرهم، وفيهم مَن يَعرف، وفيهم مَن قد لا يعرف.

فالطريقُ في ذلك أن يُحتاطَ في أمرهم، فلا يُتركون مجتمِعين، ولا يُمكَّنون من حَملِ السلاح، ولا أن يكونوا من المقاتلة، ويُلزَمون شرائعَ الإسلام، من الصلوات الخمس، وقراءةِ القرآن، ويُترك بينَهم مَن يُعلِّمُهم دينَ الإسلام، ويُحال بينهم وبين معلِّمهم.

فإن أبا بكر الصديق ﷺ وسائرَ الصحابة لَمَّا ظهروا علىٰ أهل الردَّة، وجاؤوا إليه، قال لهم الصديق: «اختاروا: إما الحربَ المُجلِية، وإما السِّلم المخزية. قالوا: يا خليفةَ رسول اللَّه، هذه الحربُ المُجلية قد عرفناها، فما السِّلم المخزية. قال: تَدُون قتلانا، ولا نَدي قتلاكم، وتَشهدُون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ونَقْسمُ ما أصبنا من أموالكم، وتردُّون ما أصبتم من أموالنا، وتُنزعُ منكم الحَلْقةُ والسلاح، وتُمنعون من ركوب الخيل، وتُتركون تَتَّبعون أذنابَ الإبل حتىٰ يُريَ اللَّهُ خليفةَ رسولهِ والمؤمنين أمرًا بعد ردَّتِكم». فوافقه الصحابة علىٰ ذلك، إلاَّ في تضمين قتلىٰ المسلمين. فإنَّ

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: «هؤلاء قُتلوا في سبيل اللَّه، فأجورُهم على اللَّه»، يعني: هم شهداءُ، فلا دِيةَ لهم، فاتفقوا على قول عمر في ذلك.

وهذا الذي اتَّفق الصحابةُ عليه هو مذهبُ أئمةِ العلماء، والذي تنازعوا فيه تنازَعَ فيه العلماء، فمذهبُ أكثرِهم أنَّ مَن قَتَله المرتدُّون المجتمعون المحارِبون لا يُضمَّن، كما اتفقوا عليه آخراً، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ وأحمدَ في إحدى الروايتين، ومذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ في الرواية الأخرى هو القولُ الأول.

فهذا الذي فَعله الصحابةُ بأولئك المرتدِّين بعد عَودهم إلى الإسلام يُفعل بمن أظهر الإسلامَ والتُّهمةُ ظاهرةٌ فيه، فيُمنع أن يكونَ من أهلِ الخيل والسلاح والدِّرع التي تلبسُها المقاتِلة، ولا يُترك في الجند مَن يكون يهوديًّا ولا نصرانيًّا. ويُلزمَون شرائعَ الإسلام حتى يَظهرَ ما يفعلونه من خيرٍ أو شر، ومَن كان من أئمَّةِ ضلالهم وأظهر التوبةَ أُخرج عنهم، وسُيِّر إلى بلادِ المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور، فإما أن يَهديَه اللَّه تعالى، وإما أن يموتَ على نِفاقه من غير مضرَّةٍ للمسلمين.

ولا ريبَ أن جهادَ هؤلاء وإقامةَ الحدودِ عليهم من أعظمِ الطاعات وأكبرِ الواجبات، وهو أفضلُ من جهادِ مَن لا يُقاتِلُ المسلمين من المشركين وأهلِ الكتاب؛ فإن جهادَ هؤلاء من جنسِ جهادِ المرتدِّين، والصِّدِّيقُ وسائرُ الصحابة بدؤوا بجهادِ المرتدِّين قبلَ جهادِ الكفار مِن أهلِ الكتاب؛ فإنَّ جهادَ هؤلاء حُفظ لَمَّا فتح من بلاد المسلمين، وأن يدخل فيه مَن أراد الخروج عنه، وجهادُ مَن لم يقاتِلْنا من المشركين وأهلِ الكتاب من زيادةِ إظهارِ الدين.. وحِفظُ رأسِ المال مقدَّمٌ على الربح.

وأيضًا: فضررُ هؤلاء على المسلمين أعظمُ من ضررِ أولئك، بل ضررُ هؤلاء من جنسِ ضررِ مَن يقاتلُ المسلمين مِن المشركين وأهل الكتاب، وضررُهم في الدين على كثيرٍ من الناس أشدُّ من ضرر المحارِبين من المشركين وأهلِ الكتاب.

ويجبُ على كلِّ مسلم أن يقومَ في ذلك بحسب ما يَقدِرُ عليه من الواجب، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يكتمَ ما يعرفُه من أخبارهم، بل يُفشيها ويُظهِرُها ليعرفَ المسلمونَ حقيقةَ حالِهم، ولا يَحِلُّ لأحدٍ أن يعاونَهم على بقائهم في الجُند والمستخدَمين، ولا يحلُّ لأحدٍ السكوتُ عن القيام عليهم بما أَمَرَ اللَّه به ورسوله، ولا يَحِلُّ لأحدٍ أن يَنهى عن القيامِ بما أمَرَ اللَّه به ورسوله؛ فإن هذا من أعظم أبوابِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل اللَّه تعالى، وقد قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، وهؤلاء لا يَخرُجون عن الكفار والمنافقين.

والمعاونُ على كفِّ شرِّهم وهدايتهم - بحسب الإمكان - له من الأجرِ والثوابِ ما لا يعلمُه إلا اللَّه تعالى؛ فإن المقصودَ بالقصد الأول هو هدايتُهم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كنتم خيرَ الناس للناس، تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تُدخِلوهم الإسلام»، فالمقصودُ بالجهاد، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر: هدايةُ العبادِ لمصالحِ المعاش والمعادِ بحسب الإمكان، فمَن هداه اللَّه سَعِد في الدنيا والآخرة، ومَن لم يَهْتَدِ كَفَّ اللَّه ضررَه عن غيره.

● ومعلومٌ أن الجهادَ والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر هو أفضلُ الأعمال، كما قال ﷺ: «رأسُ الأمرِ الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذُروةُ سَنامه الجهادُ في سبيل اللَّه تعالى».

● وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «إن في الجنة لَمِئَةَ درجةٍ ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، أعدَّها اللَّه ـ عز وجل ـ للمجاهِدين في سبيله»[1].

● وقال ﷺ: «رباطُ يومٍ وليلةٍ في سبيل اللَّه خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامه، ومَن مات مرابطًا مات مجاهدًا، وجَرى عليه عَمَلُه، وأُجرِي عليه رِزقُه من الجنة، وأَمِن الفتنة»[2].

* والجهاد أفضلُ من الحج والعمرة، كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢]، والحمد للَّه رب العالمين، وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[3].

---

(١) رواه البخاري في «الجهاد» (٢٧٩٠) عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في «الإمارة» (١٩١٣/ ١٦).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٥/ ٨٩ـ٩٧).

☐ وسُئِل ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ عن «الدُّرزية» و«النُّصيرية»: ما حُكمهم؟.

فأجاب: «هؤلاء «الدرزية» و«النصيرية» كفَّارٌ باتفاق المسلمين، لا يَحِلُّ أكلُ ذبائحهم، ولا نكاحُ نسائهم، بل ولا يُقَرُّون بالجزية؛ فإنهم مرتدُّون عن دين الإسلام، ليسوا مسلِمين، ولا يهود، ولا نصارىٰ، ولا يُقِرُّون بوجوبِ الصلوات الخمس، ولا وجوبِ صوم رمضان، ولا وجوبِ الحج، ولا تحريمِ ما حرَّم اللَّهُ ورسولُه من الميتة والخمر وغيرهما.. وإن أظهروا الشهادتين ـ مع هذه العقائد ـ فهم كفَّارٌ باتفاق المسلمين.

فأما «النصيرية» فهم أتباعُ أبي شعيب «محمد بن نُصير»، وكان من الغلاة الذين يقولون: «إن عليًّا إله»، وهم ينشدون:

أشـــهـدُ ألاَّ إلـهَ إلاَّ حَيدرةُ الأنـزعُ البطينُ
ولا حـجـابَ عليه إلاَّ محمدُ الصادقُ الأمينُ
ولا طريـقَ إليـه إلاَّ سلمانُ ذو القُوَّةِ المتينُ

وأما «الدرزية» فأتباع «هشتكين الدُّرزي»، وكان من موالي الحاكم، أرسله إلىٰ أهلِ وادي تَيم اللَّه بن ثعلبة، فدعاهم إلىٰ إلاهيَّةِ «الحاكم»، ويُسمُّونه «الباري، العلام»، ويَحلِفون به، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمدَ بنَ إسماعيل نَسَخ شريعةَ محمدِ بنِ عبدِاللَّه، وهم أعظمُ كفرًا من الغالية، يقولون بقِدَمِ العالم، وإنكارِ المعاد، وإنكارِ واجباتِ الإسلام ومحرَّماته، وهم من القرامطةِ الباطنيةِ الذين هم أكفرُ من اليهود والنصارىٰ ومشركي العرب، وغايتُهم أن يكونوا «فلاسفة» علىٰ مذهبِ أرسطو وأمثاله، أو «مجوسًا».. وقولُهم مركَّبٌ من قولِ الفلاسفة والمجوس

ويظهرون التشيُّع نفاقًا.. والله أعلم»(١).

* وقال شيخُ الإسلام ـ رحمه الله ـ ردًّا على طوائف من «الدروز»:

«كُفرُ هؤلاء مما لا يَختلفُ فيه المسلمون، بل مَن شكَّ في كُفرهم فهو كافرٌ مِثلُهم، لا هم بمنزلةِ أهلِ الكتاب ولا المشركين، بل هم الكَفَرةُ الضالُّون فلا يُباحُ أكلُ طعامِهم، وتُسبىٰ نساؤهم، وتؤخَذُ أموالُهم، فإنهم زنادقةٌ مرتدُّون لا تُقبل توبتُهم، بل يُقتَلون أينما ثُقِفوا، ويُلعنون كما وُصِفوا، ولا يجوزُ استخدامُهم للحراسة والبوابةِ والحِفاظ، ويجبُ قتلُ علمائهم وصُلحائهم لئلاَّ يُضِلُّوا غيرَهم، ويَحرمُ النومُ معهم في بيوتهم، ورِفقتُهم، والمَشْيُ معهم، وتَشييعُ جنائِزِهم إذا عُلم موتُهم، ويحرمُ علىٰ ولاةِ أمور المسلمين إضاعةُ ما أَمَر اللَّهُ من إقامةِ الحدود عليهم بأيِّ شيءٍ يراه المُقيم لا المقام عليه.. والله المستعان وعليه التكلان»(٢).

* الخَرْمِيَّة ـ لعنهم الله ـ:

☐ قال عبدُالقاهر البغدادي في «الفرق بين الفِرَق»: «زَعَمت الخَرْمِيَّةُ أن الرسلَ تَتْرَىٰ لا آخِرَ لهم»(٣).

فهم يُكذِّبون صريحَ القرآن في وصفِ رسول الله ﷺ بأنه ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وصَدَق الله ورسوله، وكَذَب الدجَّالون المرتدُّون.

(١) المصدر السابق (٣٥/ ٩٨).

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٣٥/ ٩٨ـ٩٩).

(٣) «الفرق بين الفرق».

* المُقَنَّع الخُراسانيُّ الزِّنديق ـ لعنه اللَّه ـ:

◻ قال الحافظُ ابن كثير في «البداية والنهاية» في أحداث سَنَةِ إحدىٰ وستِّين ومئة (١٦١هـ): «وفيها خرج رجلٌ يُقال له: «المُقَنَّع» بخراسانَ في قرية مِن قُرَىٰ «مَرْوَ»، وكان يقول بالتناسخ، واتَّبعه علىٰ ضَلالته، خَلْقٌ كثيرٌ، فجهَّز له المهديُّ عِدَّةً من أُمرائِه، وأنفَذَ إليه جيوشًا كثيرةً، منهم مُعاذُ ابنُ مسلمٍ أميرُ خراسان، فكان مِن أمره وأمرهم ما سنذكره»[١].

◻ وقال ـ رحمه اللَّه ـ في «البداية والنهاية» في أحداث سنة ثلاث وستين ومئة (١٦٣هـ)[٢]: «فيها حُصِر «المُقَنَّع» الزِّنديقُ الذي كان قد نبغ بخُراسان وقال بالتناسخ، واتَّبعه علىٰ جَهَالتِه وضَلالتِه خَلْقٌ من الطَّغَامِ وسُفَهاء الأنام، والسَّفِلَة من العَوامِّ، ومنعوه من الجنودِ في ذلك العام[٣]، فلما كان في هذه السَّنَة لجأ إلىٰ قَلْعَةِ كَشٍّ، فحاصَرَه سعيدٌ الحَرَشِيُّ، فألحَّ عليه في الحِصَار، فلمَّا أحَسَّ بالغَلَبة تَحَسَّىٰ سُمًّا وَسَمَّ نساءَه، فماتوا جميعًا ـ عليهم لعائن اللَّه ـ، ودخل الجيشُ الإسلاميُّ قَلْعَته، فاحتزُّوا رأسه، وبعثوا بها إلىٰ المهديِّ، وكان المهديُّ حين جاءه رأسُ المُقَنَّع بحلب».

◻ قال ابن خَلِّكان[٥]: «المُقَنَّعُ الخراساني: قيل: اسمُه «عَطاءٌ»،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٤٨٩).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» (٨/ ١٤٤ ـ ١٤٩)، و«الكامل» (٦/ ٦٠ ـ ٦٢)، و«المنتظم» (٨/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي وفيات سنة (ص١٤ ـ ١٦).

(٣) المقصود عام (١٦١هـ).

(٤) «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

وقيل: «حَكيمٌ»، والأول أشهرُ، وكان أوَّلاً قَصَّاراً[1] ، ثم ادَّعَىٰ الربوبية، مع أنه كان أعْوَرَ قبيحَ المَنْظَرِ، وكان يتَّخذ له وَجْهًا من ذهب، واتَّبعه علىٰ جَهَالَتِه خَلْقٌ كثيرٌ مِن الجَهَلة، وكان يُرِي الناسَ قمراً يُرَىٰ من مَسيرةِ شهرَيْن، ثم يغيبُ، فعَظُم اعتقادُهم فيه، ومَنَعُوه بالسِّلاح، وكان يزْعُمُ ـ لعَنه اللَّه، وتعالىٰ عمَّا يقول الظالمون عُلُوًّا كبيراً ـ أَنَّ اللَّه ظَهَر في صورة آدم، ولهذا سَجدت له الملائكةُ، ثم في نوحٍ، ثم في الأنبياءِ وَاحِداً فواحداً، ثم تحوَّل إلىٰ أبي مسلم الخُراساني، ثم تحوَّل إليه، ولما حاصره المسلمون في قلعته التي كان جَدَّدَها بناحية «كَشٍّ» ممَّا وراء النهر، ويُقال لها: سَنَامٌ، سَقَىٰ نساءَه وأهلَه سُمًّا، وتَحسَّىٰ هو أيضًا منه، فماتوا كلُّهم ـ لعنهم اللَّه أجمعين ـ، واستحوذ المسلمون علىٰ حواصِلِه وأمواله كلها».

◘ قال الرازي عن «المقنَّع»: «إنه ادَّعىٰ بعدُ ـ أي: بعد أبي مسلم الخراساني ـ النُّبوَّة، فعَظُمَ أمرُه، واجتمع عليه خلَقٌ كثير، ثم ادَّعىٰ الألوهيَّة»[2] .

*** مُدَّعو النُّبوَّة من زُعماء البابيَّة:**

*** المِرْزَة علي محمد (الباب) الشيرازي زعيم البابية:**

المِرزة عليٌّ محمدِ الشِّيرازي المُلَقَّب بالباب، مُنشِئُ «البابية»، وعميلُ روسيا الصليبيَّة (آنذاك)، مُدَّعي النُّبوَّة ثم الربوبية.. أيُّ كذبٍ وخرافةٍ وسخافةٍ وتفاهةٍ وسفاهةٍ وبَلادةٍ انطوىٰ عليها عقلُ ذلك القزم المأفون!!.

(١) القصَّار: المُبَيِّض للثياب (ق ص ر).

(٢) «اعتقادات فرق المشركين» للرازي (ص٧٦) ـ طبع مصر.

وُلد هذا الملعونُ بـ «شِيراز» في أول المحرم سنة ١٢٣٥هـ الموافق ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩م من بيت يَدَّعي زوراً الانتسابَ إلىٰ البيت النبويِّ، وهذا كَذِبٌ ظاهر، فلَقبُ «المرزة» لا يُطلَق علىٰ من ينتسب إلىٰ أهل بيت النبـوة.

تلقَّىٰ هذا المأفونُ ديانتَه من طائفة «الشيخيَّة» إحدىٰ الطوائف الشيعية الغُلاة التي أحدثها الشيخُ أحمد الإحسائي المتوفىٰ سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م)، وروَّجها تلميذُه كاظمُ الرشتي المتوفي عام ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م).. وأخذ تعاليمَ «الشيخية» من شيخه «الرشتي»، وكان من تلامذةِ الرشتي البارزين، وكان الرشتيُّ يُكرِّم الشيرازيَّ ويُجلُّه، وفي حياة الرشتي بدأ هذا الملعونُ يقول للخاصة: «إنه سيكونُ المهدي المعهودَ والموعود، بَيْد أن الوقتَ المناسِبَ لهذه الدعوىٰ لم يأتِ بعدُ، وكان في مجالس الرشتي التي يُظهرُ فيها كلَّ الحفاوةِ بالشيرازي، ويَجعلُ كلَّ الحاضرين يظنُّون أنه الموعودُ، وأنه القائم المنتظَر.

وكان هناك في تلك المجالس جاسوسٌ روسيٌّ «كنياز دالغوركي» المُتظاهِر باسم الشيخ «عيسىٰ النكراني»، يبحث عن عميلٍ يستعملُه للتفرقة بين المسلمين وتوهينِ قواهم وتشتيتِ شملهم، فكان هو الحائزَ الآخرَ علىٰ مراده ومَرامه، ولقد نَشَر هذا الجاسوسُ مذكِّراته باسم «مُذَكِّرات دالغوركي» في مجلةِ روسية «الشرق» عام ١٩٢٤م بعد زوال القيصرية وانقلاب «بالشويك»، ذَكَر فيها تلك الحوادثَ والوقائعَ بالتفصيل، وأنه كيف دَفَع هذا الغِرَّ المأفونَ إلىٰ المَهْدَوِيَّة، ومنها إلىٰ الرسالة والربوبية!!.

☐ وبحسب الخُطَّة المرسومة ـ التي أُحْكِمَتَ خيوطُها مِن قَبْل في

كربلاء ـ، أَعلن الشيرازيُّ سنة ١٢٢٦هـ في ٥ جُمادىٰ الأولىٰ الموافق ٢٣ مارس ١٨٨٤م ـ «أنه الباب المُوَصِّل إلىٰ الإمام الغائب المنتظَرِ عند الشيعة، أن «المَلاَّ حسين البشروئي»[1] هو «باب الباب»[2].

وسَلَّم أكثرُ «الشيخية» له بالزعامة والسيادة، واعترفوا بأنه هو الركنُ الرابعُ لهم بعد «الرشتي»، كما اجتمع حولَه ثمانيةَ عَشَرَ شخصًا من كبارِ تلامذة الرشتي، وزعماءِ الشيخية سماهم «حروف حي»؛ لأن «ح» و«ي» يعادل الثمانية عَشَرَ من العدد بحسابِ الحروف الأبجدية، وآمَن بالباب أغلبُ «الشيخية» وتَسَمَّوا بالبَابِيِّين.

«فتلاميذ «الباب» الثمانيةَ عشَرَ ـ وبإضافةِ الباب عليهم يكونون تسعةَ عشر ـ، عُرِفوا بحروف «الحي» وهم الذين أرسلهم البابُ إلىٰ جهاتٍ مختلفة في إيران وتركستان لنشر أخبارِ مجيئه وظهوره».

*** تطاولُه على النبيِّ الكريم ﷺ، وادعاؤه النُّبُوَّة:**

◻ وبعد ذلك تطاوَلَ هذا القزمُ علىٰ مَقامِ النبوَّة، واجترأ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وادَّعىٰ النبوَّةَ، فقال: «إنه هو النبيُّ، وإن اللَّه قد أنزل عليه كتابًا يسمىٰ بـ «البيان»، وإنه المُشارُ إليه بقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ ـ ٤]، والإنسانُ هو عليُّ محمد، والبيان هو هذا الكتاب المنزَّل عليه»[3].

(١) أحد تلامذة الرشتي، وأحد المساهمين المخَطِّطين لهذه المؤامرة.

(٢) «نقطة الكاف» (ص١٠٦) للكاشاني «فارسي» نقلاً عن «البابية» لإحسان إلهي ظهير (ص٦٠) ـ إدارة ترجمان السنة بلاهور.

(٣) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/٢٦) ط طهران.

وتلقب بـ «النقطة، والنقطة العليا، ونقطة البيان»[١] .

وما دام الناسُ أقرُّوا واعترفوا بإمكانِ حلولِ رُوحِ المهديِّ والقائمِ فيه ورُوحِ عليٍّ أيضًا، فأيُّ مانعٍ من أن يَحُلَّ فيه رُوحُ النبيِّ محمدٍ ﷺ ؟!.

◻ وقال عمرُ عنايت: «وعندهم «الشيخية» الشخصيةُ الإنسانيةُ التي تُميِّزُ الأفرادَ عن بعضهم ليست أكثرَ من مجموعةِ صفاتٍ وأخلاقٍ، إنْ وُجدت تامةً في شخصيةٍ أخرىٰ في أيِّ زمانٍ ومكان، دلَّت علىٰ رجوعِ الشخصيةِ السابقِ وجودُها إلىٰ الوجود»[٢] .

فلم يكتفِ هو الآخَرُ برُتبةٍ دونَ رتبة ومنصبٍ دون منصبَ ما دام المُعطُون راضين، والمطيعون مستسلمين.

◻ فيقول في «بيانه» الفارسيِّ: «محمد ﷺ نقطةُ الفرقان، وأنا نقطة البيان، وكلانا واحد»[٣] .

وإن النبيَّ بصفته ـ حسبَ زعمه ـ حَلَّ فيه رُوحُ الأنبياء السابقين[٤] .

◻ فحلَّ فيه أرواحُهم أيضًا: «كنتُ في يومِ نوحٍ نوحًا، وفي يوم إبراهيمَ إبراهيمَ، وفي يومِ موسىٰ موسىٰ، وفي يومِ عيسىٰ عيسىٰ، وفي يوم محمدٍ محمدًا، وفي يوم (عليٌّ قبل نبيل) عليًّا، ولأَكُونَنَّ في يومِ مَن

---

(١) «تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان (٣/ ٥٦٦).

(٢) «العقائد» لعمر عنايت.

(٣) «البيان الفارسي» للشيرازي الباب الخامس عشر من الواحد. الواحد.

(٤) أيضًا، الباب الثالث من الواحد، الثالث.

يُظهِرُه اللَّه مَن يُظهرُه اللَّه، وفي يومِ مَن يُظهرُه مِن بعدِ مَن يظهر اللَّه من بعد من يظهره اللَّه.. إلىٰ آخرِ الذي لا آخرَ له قبل أول الذي لا أول له.. كنتُ في كلِّ ظهورٍ حُجةَ اللَّهِ علىٰ العالَمين»[1].

◻ ويقول في «البيان الفارسي»: «في كلِّ الظُّهورات من آدمَ إلىٰ محمدٍ ـ وقبلَ آدمَ ـ لم يكن مَظهرُ المشية إلاَّ نقطةَ البيان ذاتُ الحروفِ السَّبعة، إلا أنه كان طِفلاً في وقتِ آدم، والآن شابٌ وسيم»[2].

◻ ويقول «اسلمنت» الداعية البهائيُّ الكبير: «ولكنَّ البابَ لم يكتفِ بدعوة المهدويَّة، بل تلقَّب بلَقَب «النقطة الأولىٰ»، وهذا لَقَبٌ لَقَّبه المسلمون لحضرةِ محمدٍ ﷺ، حتىٰ إن الأئمَّة أنفسَهم كان يُعدُّون لأنفسهم مقامًا بعد مقامِ النقطة، وكانوا يستمدُّون منها قوَّتهم وأحكامَهم، وباتخاذِ هذا اللقبِ ادَّعىٰ البابُ أنه من عِدادِ كبارِ مؤسسي الأديان كمحمد»[3].

◻ ويقول الشيرازي في «البيان العربي» عن نفسه: «إنه ما خُلق له من كُفءٍ وعَدلٍ، ولا شَبَهٍ، ولا قرينٍ، ولا مثال»[4].

◻ وإن ما نَزَل عليه فهو أعظمُ وأفضلُ ممَّا نَزَل مِن قبلُ مِن القرآنِ وغيره، «ما ينزل عليك في آخرِيِّك أعظمُ عما نزَّلنا عليك في أوَّليك ـ كذا ـ، فكنْ من الشاكرين، وإنَّ فَضْلَ ما نَزَّلنا عليك علىٰ ما نزلنا عليك من قبلُ

(١) «التراث اليوناني» (ص٢٣٧).

(٢) «البيان الفارسي» الباب السادس عشر من الواحد، الثالث.

(٣) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٢٤).

(٤) الباب الثالث من الواحد الرابع من البيان العربي.

كفضلِ القرآنِ على الإنجيل»[1] .

◘ ويقول حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء وهو يذكر الشيرازي وكتابه: «يا قوم، اتَّبعوا حدودَ اللَّه التي فُرضت في «البيان» من لدُن عزيزٍ حكيم، قل إنه ـ أي: الشيرازي ـ لَسلطانُ الرسلِ، وكتابُه لأَمُّ الكتاب، إن أنتم من العارفين»[2] .

وكان ذلك سنة ١٢٦٣هـ و١٢٦٤هـ أيامَ حَبسِه في قلعة «ماهكو» في ولاية آذربيجان، وهناك ألَّف كتابَه «البيان» الفارسي و«دلائل السبعة» أيضًا.

ومن لوازم النبوةِ والرسالةِ كان نَسخُ الشريعة الإلهية الأخيرة إلى الناس كافةً، فكان كالآتي:

عَقَد أقطابُ البابيين الذين عددُهم واحدٌ وخمسون، أو واحدٌ وثمانون شخصًا ـ مِن بينهم المَلاَّ حُسين البشروئي «باب الباب»، ومحمدُ علي البارفروشي الملقب «بالقدوس»، والمِرزة يحيى الملقَّب «بالوحيد» وصبح الأزل، وقرة العين زرين تاج الملقَّبة «بالطاهرة» (بطلة المؤتمر)، والمرزة حسين علي المازندراني ـ مؤتمرًا في بيداء «بدشت» على شاهرود بين خراسان ومازندران في شهر رجب سنة ١٢٦٤هـ، الموافق يونيو ١٨٤٨م، فعملوا فيه المنكر، وارتكبوا الفواحش والإباحيات، حتى قال «باب الباب» البشروئي

---

(١) الباب الرابع من الواحد الثالث من البيان العربي.

(٢) «لوح أحمد» لحسين علي البهاء (ص١٥٤) المنشور في «الكلمات الإلهية» ط لجنة النشر البهائية بكراتشي بباكستان.

مرةً: «أنا أقيم الحَدَّ على البدشتيِّين»[1] ـ وهو منهم ـ، وفعلوا غير ما فعلوا.

إنهم بحثوا في الأمرين الرئيسيين:

١ ـ انقاذ الباب من معتَقلِه، ونقلُه إلى مكانٍ آمن.

٢ ـ نسخُ الشريعة المحمدية، وإنشاءُ دينٍ جديد باسم «البابية».

◻ «ففيما يتعلق بالأمر الأول: تقرَّر إرسالُ المبلِّغين إلى النواحي والأكنافِ لِيَحثُّوا الأحباب على زيارةِ الباب في «ماه كو» مستصحِبين معهم مَن يتسنَّى استصحابُه مِن ذَوِي قُرباهم ووُدِّهم، وأن يجعلوا مركزَ اجتماعهم «ماه كو»، حتى إذا تمَّ منهم العددُ القيم الكافي، طَلبوا من محمد شاه الإفراجَ عن حضرةِ الباب، فإذا لبَّى الشاهُ طلبَهم فبها ونِعْمت، وإلاَّ أنقذوه بصارمِ القوةِ وحَدِّ الاقتدار».

وأما فيما يتعلق بالأمر الثاني: فقد ظَهَر بعدَ المُذاكراتِ الطويلةِ أن مُعظمَ المؤتمِرين «يعتقد بوجوبِ النَّسخ والتجديد، ويرى أن مِن قوانين الحكمةِ الإلهية في التشريع الديني أن يكون الظهورُ اللاحقُ أعظمَ مرتبةً وأعمَّ دائرةً من سابقه، وأن يكون كلُّ خَلَفٍ أرقى وأكملَ من سَلَفه، فعلى هذا القياسِ يكونُ البابُ أعظمَ مقامًا وآثاراً من جميعِ الأنبياء الذين خَلَوا من قَبلِه، ويَثْبُتُ أن له الخيارَ المطلَقَ في تغييرِ الأحكام وتبديلِها، وذهب قلائلُ إلى عدمِ جوازِ التصرُّفِ في الشريعةِ الإسلامية مستندِين إلى أن حَضْرةَ الباب ليس إلاَّ مُروِّجًا لها ومُصلِحًا لأحكامها.. وكانت «قُرةُ العين الطاهرة» من القسم الأول، لذا أصرَّت على وجوبِ إفهامِ جميعِ الأحبَّاء

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٥٥) للبابي الكاشاني ط ليدن بتحقيق بروفسور براؤن.

وإشعارِهم بأنَّ للقائم مقامَ المشرِّع وحقَّ التشريع، وعلينا وجوبُ الشروع فِعلاً في إجراء بعضِ التغييرات كإفطارِ رمضانَ ونحوه»[١] .

وخَطَبت «قُرَّةُ العين» في الحاضرين، ودَعت إلىٰ نَسخِ الشريعة الإسلاميَّة بأحكامِ الشريعة البابية الجديدة، وأُرسلت قراراتُ هذا المؤتمرِ إلىٰ المِرزة علي محمد الشِّيرازي إلىٰ مُعتقَلِه، فوافق علىٰ هذه القرارات، وخاصةً علىٰ نسخِ الشريعة الإسلامية.

◘ فقال في «بيانه العربي»: «لا تتعلَّمُنَّ إلاَّ بما نزل في «البيان» أو ما يُنشَىٰ فيه من عِلم الحروف وما يتفرَّعُ علىٰ البيان.. لا تتجاوَزُنَّ علىٰ حدودِ البيان فتحزنون.. ومَنْ يتجاوزْ لن يُحكمَ عليه بالهدىٰ، قلْ أنْ يا أولو الهدىٰ بهدايَ تهتدون»[٢] .

◘ ويَذكرُ محمدُ مهدي خان عنه أنه قال مخاطبًا العلماء: «ألم يأنِ لكم أيها العلماءُ أن تنبِذوا الهواء، وتتَّبِعوا الهدىٰ، وتتركوا الضلال؟! إنَّ نبيَّكم لَم يُخلِّفْ بعدَه غيرَ القرآن، فهاكم كتابي «البيان»، فاتلُوه واقرؤوه، تجِدوه أفصحَ عبارةً من القرآن وأحكامَه ناسخةً لأحكامِ القرآن»[٣] .

◘ وقال الشيرازي أيضًا: «والبابُ السادس في حُكمِ مَحوِ الكتب كلِّها، إلا ما أنشأت أو تنشأ في ذلك الأمر»[٤] .

---

(١) الباب العاشر من الواحد الرابع من «البيان» العربي.

(٢) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٣٧) ط عربي.

(٣) الباب السادس من الواحد والسادس من «البيان» العربي.

(٤) «الإيقان» لحسين علي المازندراني البهاء، (ص١٧١) ط باكستان و(ص١٣٨) ط عربي.

▫ وقال تلميذه المِرزة حسين علي المازندراني في كتابه «الإيقان» الذي كتبه إثباتًا لدعاويه ومزاعمه: «ففي عهدِ موسىٰ كانت التوراةُ، وفي زمن عيسىٰ كان الإنجيلُ، وفي عهد محمدٍ كان الفرقان، وفي هذا العصر البيان»[1] .

▫ وقال عباسُ بنُ المازندراني: «إنَّ النسخَ والفسخَ لَم يكن مِن قِبَلِ الباب، بل كان مِن قِبلِ أبيه والقُدُّوس والطاهرة» ـ أي قرَّة العين ـ.

*** كتابه «البيان» ومحاكاة القرآن:**

انظر إلىٰ هذا القِزم المأفون يحاولُ محاكاةَ القرآن في كتاب البابية المقدَّس «البيان» الذي يقول عنه: إنه أفضلُ من القرآن. . فانظرْ إلىٰ مهازِل «البيان» الذي نَسَخ به القرآن حسب زعمه: «ولا تكتُبُنَّ السور إلاَّ وأنتم في الآيات علىٰ عددِ المستغاثِ لا تتجاوزون، ومِن أولِ العَدَد أُذن لكم يا عبادي لتدقُّون، وأذِنتُ أن يكون مع كلٍّ نفسٍ ألفِ بيتٍ مما يشاء ليتلذَّذون، حينما يتلو وكان من المحرَزين، قل: إنما البيتُ ثلاثين[2] حرفًا إن أنتم تَعرِبون، لتحسبون[3] علىٰ عدد الميم ثم علىٰ أحسَنِ الحَسِن تكتبون وتحفظون، ذلك واحدُ الأول أنتم باللَّه تسكنون، ثم الثاني أنتم في كل أرضٍ بيت حرٍّ تبنيون، ولَتَلْطَفَنَّ كلُّ أرضِكم وكلُّ شيءٍ علىٰ أحسنِ ما أنتم مقتدرون، لئلاَّ يشهدَ عيني علىٰ كُرهٍ أنْ يا عبادي فاتقون»[4] .

(١) «تذكرة الوفاء» (ص٣٠٧) فارسي، البابية لإحسان إلهي ظهير من (ص١٨٤ ـ ١٩٠).

(٢) والصواب: «ثلاثون».

(٣) والصواب: «لتحسبوا».

(٤) الباب الأول والثاني من الواحد السادس من «البيان العربي».

وقد قيل قديمًا في الفارسية: «النقل «المُحاكاة» يحتاجُ إلىٰ العقل».

ولقد كان أبلَهَ الناسِ وأضعفَهم وأجهلَهم من جميع الدجَّالين الذين حاولوا مقابلةَ القرآن ومنافسته، مِن مُسيلِمةَ الكذَّاب، والأسودِ العنسي إلىٰ يومنا هذا.

هذا وأمَّا من ناحيةِ المعاني والمقصود، فإنه في كلتا اللغتين العربية والفارسية اللتين ألَّف فيهما ففقيرٌ محض ومفلسٌ خالص ـ كما يقوله العامة ـ حيث لا يُدرِكُ ولا يعرفُ القارئُ وهو يقرأُ الصفحات أنه ماذا يقصدُ مِن ورائها وماذا يريد؟! فعباراته مهملة، غامضة، معقدة، لا يُدرَكُ منها مطلوب.

وأجزمُ وأُوقن أنه هو نفسُه ما كان يعرفُ ماذا يقول ويكتب، وماذا يهدف من ورائها؟!.

◻ فمثلاً يقول أيضًا: «تبارك اللَّه من شَمخ، مُشْمَخ، شَمِيخ، تبارك اللَّه من بَذخٍ مُبذخٍ، بذيخ، تبارك اللَّه من بَدءٍ، مبتدئٍ، بَدِيء، تبارك اللَّه من فَخرٍ، مفتخرٍ، فخير، تبارك اللَّه من ظَهرٍ، مُظهِرٍ، ظهير، تبارك اللَّه من قَهرٍ، مُقهِرٍ، قهير، تبارك اللَّه من غَلبٍ، مغتلبٍ، غليب، تبارك اللَّه من عَلِمٍ، معتلم، عليم»[1].

◻ وأيضًا: «تبارك اللَّه مِن سَلطٍ مُستلِطٍ رفيع، تبارك اللَّه من وَزِرٍ مؤتزرٍ وزير، تبارك اللَّه من حكَمٍ محتكِمٍ بديع، تبارك اللَّه من جَمِلٍ مُجتمل جميل»[2].

(١) «مفتاح الأبواب» (ص٢٨٢).

(٢) أيضًا (ص٢٧٦).

◻ ومثلُه في «بيانه العربي»: «ولا تُضيِّعَنَّ خَلْقَ أحدٍ بعدما أكمل اللَّهُ خَلْقه لِمَا تُريدون مِن عزٍّ أيامٍ معدودة، فإنَّ كلتاهما ينقطعُ عنكم وأنتم من بعدِ موتِكم في النار تدخلون، تتمنَّون كأنكم ما خُلقتم وما اكتَسبتم في حقٍّ نفسٍ من حُزن، وإن تتعقَّلون تتمنَّون كأنكم ما قد خلقتم»(١).

هذا نصٌّ ما قاله، فهل هناك عربيٌّ أو متعلِّمٌ اللغةَ العربيةَ يفهمُ ويُبيِّنُ ماذا يريدُ بهذا الخَلْطِ والخَبْط والعَمَهِ والجَهل، صاحبُنا الجَهولُ المجهول المجعول هذا؟.. فعدلاً يا عباد اللَّه!.

◻ وأيضًا: «إنني أنا اللَّه الأسلطُ الأسلط، والأثبتُ الأثبت، والأغيثُ الأغيث»(٢).. وغيرها من الخرافات.

◻ ولْننظُرْ ما كتب الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «إن القارئَ لكتبِ الباب «الشيرازي» يشعر شعوراً صادقًا يطابقُ الحقيقةَ والواقعَ أنه رجل خُولط في عقلِه، وأن ما في هذه الكتب أمشاجٌ متباينةٌ متناقضة اختارها غلامٌ يتنازعُهُ فكرٌ مضطرب، وخيالاتٌ هاذِية، فلا ترىٰ فيها فكرةً نابهة، أو عاطفةً صادقة، أو تصويراً جميلاً، أو أسلوبًا مشرقًا. وإنما ترىٰ جُمَلاً ينفرُ بعضُها من بعض، وأشدُّ ما يُثير الدهشةَ والسخرية تلك السَّجَعاتُ التي يختمُ بها فقراته، فهي حروف مركَّبة تركيبًا لا يُوحي بمعنًى، ولا يُومئُ إلىٰ دلالة»(٣).

---

(١) الباب الثامن عشر من الواحد العاشر من «البيان العربي».

(٢) «البيان العربي».

(٣) «البهائية» لعبدالرحمن الوكيل، ط القاهرة.

ولا أدري كيف استساغ لرجالٍ يدَّعون العقلَ والفهمَ أن يتَّبعوا مِثلَ هذا المجنون ويعتنقوا أفكارَه وآراءه، ويعتقدوا بمهدويته ونبوَّته بل وألوهيته؟!.

* قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* **لُغتُه وجَهلُه:**

وأما لُغته فتنضَحُ جَهلاً، وكان قليلَ العلم، كثيرَ الجهل، فاقدَ البصيرة والفِكرة، غزيرَ السفاهةِ والبلاهة، مغترًّا مغروراً، وكان يَرىٰ نفسَه مع وَفْرةِ بلادتِه وجَوْدةِ حُمقِه أنه أعقلُ الناس وأفقهُهم، ومع غفلته وعدمِ إلمامه بالعلوم العربية والشرعية أنه أعلمُ الناس وأمهرُهم، فلم يَكَدْ يتكلمُ بكلمةٍ إلاَّ وقد أظهر «عُمقَ علمه» و«غَوْرَ معرفته» مع تلك الدعاوىٰ الفارغةِ الكبيرة، والمزاعمِ الموهومة الرفيعة، فلقد ادَّعىٰ الرسالةَ والنبوة، وأخيراً الأُلوهيَّة، والربوبيَّة، واستَدلَّ عليها واستند بقوله: «إن أقوىٰ دليلٍ وأقنَعَه علىٰ صحةِ دعوةِ رسول اللَّه هو كلامه»، كما دَلَّل علىٰ ذلك بقوله: «ألَم يكفِهم أنا أنزلنا عليك الكتاب[1]، ولقد آتاني اللَّه هذا البرهان، ففي ظرفِ يومين وليلتين أُقرِّرُ أني أَقدِرُ أن أُظهِرَ آياتٍ تُوازِي في الحجم جميعَ القرآن»[2].

◻ وأيضًا: «إنني أفضلُ من محمدٍ، كما أن قرآني أفضلُ من قرآنِ

---

(١) والسفيه لم يفهم أنه ليس كلامه ﷺ بل هو كلام اللَّه.

(٢) «مطالع الأنوار» لنبيل الزرندي البهائي، (ص ١٥٠) ط عربي.

محمد، وإذا قال محمد بعجزِ البشرِ عن الإتيان بسورةٍ من سور القرآن، فأنا أقولُ بعجزِ البشر عن الإتيان بحرفٍ مثلِ حروف قرآني»[١] .

◻ وقال مخاطبًا علماء المسلمين: «إنَّ نبيَّكم لَم يُخلِّفْ بعدَه غيرَ القرآن، فهاكم كتابي «البيان» فاتلوه واقرؤوه تجِدوه أفصحَ عبارةً من القرآن، وأحكامَه ناسخةً لأحكام الفرقان»[٢] .

فلنفْحَصْ كلامَه ونُلْقِ عليه نظرةً ـ ولو عابرةً طائرة ـ، حتىٰ نَرىٰ صدقَ دعواه أو كَذِبَه، ونعرفَ حقيقةَ تطاوُلِه أو بطلانه.

◻ ولْنبدأْ مِن أولِ كتابه الذي كتبه ـ حسبَ زعمهم ـ تحقيقًا لرغبة الملأ حسين البشروئي، دليلاً علىٰ دعواه المهدوية، فيكتب فيه: «ولا يقولوا: كيف يُكلِّمُ عن اللَّه مَن كان في السنِّ خَمسةً وعشرونَا، فوربِّ السماء والأرض إني عبدُ اللَّه آتاني البينات من عندِ بقيةِ اللَّه المنتظَرِ إمامكم، هذا كتابي قد كان عند اللَّه في أُمِّ الكتاب بالحقِّ علىٰ الحق مسطوراً، وقد جَعَلَني اللَّهُ مباركًا أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والصبر ما دمتُ فيكم علىٰ الأرض حيًّا، وإن اللَّه قد أنزلَ له بصورةٍ من عنده والناسُ لا يقدِرون بحرفه علىٰ المِثل دون المثل تشبيرا»[٣] .

ويدركُ القارئ أنه جَمَع عباراتِ القرآن المختلِفة، وكلَّما خَرج عنه بدأ ينزلقُ علىٰ قدميه، ويعثَرُ علىٰ وجهه، وإلاَّ فأيُّه لغةٍ هذه؟! «والناسُ لا

(١) «مفتاح باب الأبواب» (ص٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٨).

(٣) «تفسير سورة يوسف» لعلي محمد الباب الشيرازي نقلاً عن كتاب فارسي «في بهائي باب وبهاء» (ص٨٨).

يقدرون بحرفه على المثل دون المِثْل تشبيرا»؟ ـ وما معناها؟!.

ويقول مفسرًا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

□ يقول: «وقد قَصَد الرحمنُ من ذِكْر يوسف نَفْسَ الرسول، وثَمَرةَ البَتول حسينَ بن علي بن أبي طالب مشهوداً، وقد أراد اللَّه فوق العرش مُشعِرُ الفؤاد أن الشمسَ والقمرَ والنجومَ قد كانت ساجدةً للَّه الحقِّ مشهودا»[1].

ويلاحَظُ في هذه العبارة القصيرة ما يدلُّ على ركاكة التأويل، ووضاعة التفكير، ورداءة التركيب واللغة، وتفاهةِ الأسلوب والمنطق، وإتيانِ الكلمات المهمَلة التي لا علاقةَ لها بالمعنى.

□ وأما كتابه الثاني الذي يُعدُّه بمنزلة القرآن وأفضلَ منه ـ عياذاً باللَّه ـ في الفصاحة والبلاغة والبيان، ويُعِدُّه معجزةً من معجزاته، ألاَ وهو تفسير سورة الكوثر يقول فيه: «فانظر لطرفِ البَدءِ إلى ما أردتُ أرشحناك من آياتِ الختم إن كنتَ سكنتَ في الأرض إلاهوت، قرأت تلك السورة المباركة في البحر الأحدية وراءَ قلزم الجبروت، فأيقن كلُّ حروفها حرفٌ واحدة، وكلٌّ يغاير أنقاظها ومعانيها ترجع إلى لفظة واحدة؛ لأن هنالك المقامَ والفؤادَ ورتبةَ مُشعِرِ التوحيد.. وإنْ ذلكَ هو الأكسير الأحمر الذي مَن مَلَكَه يَملكُ مُلْكَ الآخرة والأولى، فوربِّ السماوات والأرض لَم يعدل كلُّها كُتبُ كاظم عليه السلام، وقبل أحمد صلوات اللَّه عليه في معارف الإلهية،

(١) المصدر السابق.

والشؤونات القدسية، والمكفهرات الإفريدوسية بحرف، أنَّا إذا ألقيت إليك بإذن اللَّهِ فاعرفْ قَدْرها، واكتمها بمثل عينيك على أرض الجبروت، وتقرأُ تلك السورَ المباركةَ فاعرفْ في الكلمة الأولى من الألف ماءَ الإبداع، ثم من النون هواءَ الاختراع، ثم مَن الألف الظاهر ماءَ الإنشاء، ثم ركن المخزون المقدَّم لظهورِ الأركان الثلاثة حَرْفَ الغيب بعنصر التراب.. وإني لو أردتُ أن أُفضِّل حرفًا من ذلك البحر المواج الزَّاخر الأجاج، لَنَفِدَ المداد، وانكسر الأقلام لا نفاد لما ألهمني اللَّه في معناه»(١).

◻ ويقول في حرف «الألف» مبيِّنًا ومفسِّرًا لكلِّ جُزءٍ من أجزائه في تفسير هذه السورة: «ثم الألفُ القائمةُ على كلِّ نفسٍ التي تعالت واستعالت، ونَطَقت واستنطقت، ودارت واستدارت، وأضاءت فاستضاءت، وأفادت واستفادت، وأقامت واستقامت، وأقالت واستقالت، وسُعِّرت واستسعرت، وتشهَّقت واستشهقت، وتصعَّقت واستصعقت، وتبلبلت واستبلبت، وإنَّ في الحينِ أَذِنَ اللَّه لها فتلجلجت ثم فاستلجلجت، وتلألأت ثم فاستلألأت، وقالت بأعلى صوتها تلك شجرةٌ مباركة طابت وطَهُرت، وزَكَت وعَلَت، نبتت بنفسها من نفسها لنفسها إلى نفسها»(٢).

وربِّي لا يتكلَّمُ بمثل هذا الكلام حتى المجانين والصبيان!.

أبهذه السخريةِ والأضحوكة يريدون أن يُضاهِئوا كلامَ اللَّه المنزَّل من السماء رحمةً للعالمين على الحبيب محمدٍ ﷺ بوساطةِ الرُّوح الأمين عليه السلام؟

---

(١) «تفسير سورة الكوثر» لعلي محمد الشيرازي، نقلاً عن كتاب فارسي «بهائيكري» لأحمد الكسروي الإيراني.

(٢) نقلاً عن «بهائيكري» (ص٧٨)، و«البابية» لإحسان إلهي ظهير (ص١١٣).

وإن كانت المعجزاتُ مثلَ هذه الكلمات المهمَلة التافهة، فما كان للمعجزات معنًى ولا قيمة.

ويَعلم أهلُ العلم، وغيرُ أهلِ العلم أيضًا من العرب وأطفالهم ونسائهم وشيبانهم أن المتفوِّهَ بمثلِ هذا الكلام لا يقال له «عاقل» دون العالم والبصير والمتفقه، ولا يمكنُ لطبيعةٍ عربية، وقريحةٍ مهذَّبةٍ أدبية، أن تَعُدَّه مقبولاً للسماع فضلاً عن الإصغاء والانتباه.

وأكرِّر قولي ـ وأنا على ثقةٍ ويقين ـ: إن بُلهاءَ العرب وسفهاءَهم، وحَمْقاهم ومجانينَهم لا يتكلَّمون بمثلِ هذا الكلام المهمَلِ الرديء الذي لا معنًى له ولا مفهوم أصلاً، وحتى لا يوجدَ فيه الرونقُ اللفظيُّ ولا الابتهاجُ السَّماعي، فلا لفظَ ولا معنًى.

فهل هناك شكٌّ لشاكٍّ وريبٌ لمرتابٍ أن الشيرازي لم يكن إلاَّ الأفيوني الحشَّاش من الذين يُعمِيهم الأفيون، ويسلُبُ عقلَهم البِنج، ويُخِلُّ بحواسِّهم الحشيش.

وهل يُتصور صدورُ مثل هذه الخرافات والهذيان من طالبٍ مستبصر، ودارسٍ متنورٍ دون مَن يدَّعي المَهدوية والنبوةَ والرسالةَ بل والربوبيةَ والألوهية؟.

ولقد كان الشيرازي أجهلَ المتنبئين، وأغبى الدجَّالين الكذَّابين، وأسفلَ السافلين من مُدَّعي الألوهية والربوبية ـ وهي الغباوة والسفاهة ـ منذ اليوم الذي بدأ الكذَّابون والدجَّالون يظهرون على وجهِ هذه البسيطة الغَبراء.

ويُثير عَجَبي وحيرتي أناسٌ يعتقدون بمثلِ هذا البليد، ويؤمنون بمثلِ هذه السخافات، رجلاً سطحيَّ الثقافة، مُعوجَّ التفكير، جاهلاً عن قواعد اللغة ومعانيها، بعيداً كلَّ البعدِ عن أساليب الكلام ومواقعه، وصياغةِ الجُمل والكلماتِ والحروف، كثيرَ الأخطاء واللحن، غيرَ عارفٍ مقتضياتِ العصر ومتطلَّباته، ويَزدادُ التعجُّبُ عندما نَسمعُ من مبلِّغيهم أو نقرأُ في كتبهم: «إن أكثرَ المؤمنين بالشيرازي في أولِ الأمر كانوا علماء، والمُلاَّ[1] حُسين البشروئي سمع تفسير سورة «يوسف» وآمن به، ولُقِّب بـ «أول من آمن» و«باب الباب»، والمُلاَّ يحيىٰ الدارابي الملقب بـ «الوحيد» قرأ تفسير سورة «الكوثر» واعتنق دينه، والمُلاَّ حسين اليزدي الملقب بـ «كاتب الوحي» والمُلاَّ يحيىٰ النوري الملقب بـ «صبح الأزل» والمُلاَّ محمد علي البرفروشي المقلب بـ «القدوس»، والمُلاَّ علي الزنجاني الملقب بـ الحُجة» والمُلاَّ حسين علي المازندراني الملقب بـ «البهاء» وابنة المُلاَّ قرة العين الملقبة بـ «الطاهرة» وغيرهم.

ويدرَكُ من كلامِ الشيرازي، وقيمتِه ومقامه، مدىٰ عِلمِ هؤلاء الجَهَلة المغرورين بألقابٍ فخمة، وأسماءٍ ضخمة، ويُدرَكُ حقيقَتُهم وأصلُهم، فإن كان هؤلاء علماءَ فخلت الأرض من الجهل والسفه.

وما ندري عن المُلاَّ الدارابي جَذْبه أيَّ شيءٍ من هذا التفسير الذي يسمونه تفسيراً حتىٰ رَهَن نفسَه لإشارته، ودفعه إلىٰ البابية إن كان عالمًا؟.

وأيةُ فصاحةٍ وبلاغةٍ، وأيُّ جمال في قوله في «الألف»: «وأقالت

---

(١) كلمة «الملاَّ» تُطلق علىٰ العالِم في بلاد العجم.

واستقالت «أي الألف» وسُعِّرت واستسعرت، وتشهَّقت واستشهقت، ونَطقت واستنطقت، وتبلبلت واستبلبت، وإن في الحين إذنَ اللَّه لها فتلجلجت ثم فاستلجلجت».

نعم هناك أناسٌ علماءُ في اللغة، وفقهاءُ في الفهم والتعبير والمعنى، سمعوا من رسول اللَّه ﷺ الصادق الأمين كلام ربه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر].

فاضطروا إلى القول: «ما هذا بكلام البشر».

نعم وإن هناك رجالاً هم أشدُّ أعداءِ اللَّه ورسوله، وأكبرُ المعاندين والمخالفين للشريعة السماوية الإلهية، وألدُّ خصوم الإسلام ومَن جاء به، قالوا في كلام البارئ المتعال: «إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لَمُغدِق، وإن فَرْعَه لَجُناة»[1] ـ ولقد قال هذا الوليدُ بنُ المغيرة أحد سادة قريش ـ.

وحتى اليومَ مع مُضِيِّ أربعةَ عَشَرَ قرنًا على نزوله من لُدُنْ عليمٍ خَبير لم يستطع كُفَّارُ الشرق والغرب أن يأتوا كتابًا مِثلَه في عُذوبةِ البيان ونُدْرةِ الخيال والتفكير، وقوةِ المنطق والبرهان، وسلامةِ الأسلوب، ورَوعةِ الخيال، وغزارةِ العلم والحكمة، وعَظمةِ الأحكام، ومُرونةِ الشريعة، وسلامةِ القواعد والأصول، ومتانةِ اللغة ورصانتها، وكرامةِ التعليم وشرافته، ولَبَاقةِ القولِ ولياقته، فما أعظمَه شأنًا، وما أعلاه مَقامًا، وما أجملَه، وما أحسَنه، وما أكملَه!.

يَزيدُك وجهُـــه حُسنًا إذا مـــا زِدتَــه نَظرًا

---

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٧٠).

فسبحانَ ذي المُلكِ والملكوت الذي أنزله هدايةً للبشر كافةً، وحُجةً على الخلق إلى يوم النشور: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٢-٣].

وصَدَق اللَّهُ مولانا العظيم، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤].

❑ وأخيرًا نتكلَّمُ على كتابه «البيان» الذي يدَّعي فيه حُسينُ علي المازندراني البهاء «أنه هو كتاب العصر» كما قال في كتابه «الإيقان» الذي ألفه ببغداد تأييداً لأستاذه الشيرازي ودعاويه، وحمايةً له ولها كأحد المُخلِصين له والمؤمنين به، قال فيه: «فمثلاً في عهد عيسى كان الإنجيل، وفي زمن موسى كانت التوارة، وفي عهد محمدٍ رسول اللَّه كان القرآن، وفي هذا العصر البيان»[1].

❑ وقال فيه الشيرازي نفسه: «إن اللَّه يبعثُ في كلِّ زمان كتابًا وحُجةً للخَلق وفي سنة ١٢٧٠هـ مِن بعثة محمد رسول اللَّه أنزل الكتاب «البيان» وجَعل حجته ذات الحروف السبعة ـ ع ل ي م ح م د ـ»[2].

❑ وأيضًا: «إنما البيان حُجَّتنا على كلِّ شيء، يَعجزُ عن آياتِه كلُّ العالَمين»[3].

---

(١) «الإيقان» لحسين علي المازندراني (ص١٣٨).

(٢) «الواحد الأول من مقدمة البيان العربي» مترجمًا عن كلمة فارسية أدرجها فيه.

(٣) الواحد الأول من البيان العربي.

❑ وأيضًا: «إن فَضلَ ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبلُ، كفضلِ القرآن على الإنجيل»(١) .

❑ وأيضًا: «قد نزَّلتُ «البيان» وجعلتُه حجةً من لدُنَّا على العالَمين، فيه ما لَم يكن له كُفْوَ ذلك آياتُ اللّه قلْ كلٌّ منها يعجِزون، فيه ما لم يكن له عَدلُ ذلك ما أنتم به تدَّعون، فيه ما لم يكن له شَبَهُ ذلك ما كنَّا فيه لَمفسرين، فيه ما لَم يكن له قرينُ ذلك جوهر العلم والحكمة أنتم به تجيبون، فيه ما لم يكن له مِثلُ ذلك ما ينطق به الفارسيون وأنتم في الواحد لتنظمون»(٢) .

❑ وأكثر من ذلك: «فلتمحُوُنَّ كل ما كتبتم، ولَتستدِلُّنَّ بـ«البيان» وما أنتم في ظِلِّه تُنشِئون»(٣) .

❑ وقال: «لا يجوزُ التدريس في كتبٍ غير البيان، ولا تتعلمون إلاَّ بما نزل في البيان، أو ما ينشئُ فيه من علمِ الحروف وما يتفرَّعُ على البيان. . ولا تتجاوزون عن حدودِ البيان فتحزنون»(٤) .

❑ وأيضًا: «اعرفْ قُدرةَ ربِّك في الآيات، ثم اشهد ذِكرًا لا نهايةَ في كلِّ شيء، ثم عَجْزَ الناسِ عما نزل في البيان، فإنَّ به يَثْبُتُ ما تُريد»(٥) .

هذا فلْنَرَ ما فيه من العجائبِ والغرائب، والمضحِكات والمُبكِيات من السخريات والتُّرَّهات.

---

(١) الباب الرابع، الواحد الثالث من الواحد.

(٢) الباب الأول من الواحد السادس من «البيان» العربي.

(٣) الباب السادس من الواحد السادس من «البيان» للشيرازي.

(٤) الباب العاشر من الواحد الرابع من «البيان» العربي.

(٥) الباب الأول من الواحد الثاني.

◻ فيقول في هذا الكتاب ـ وبأسلوبٍ ـ لم يعرفه العرب منذ ما خُلقوا، ولن يعرفوه إلىٰ أبدِ الدهر عن غير هذا المتحلِ الكذاب، فيقول في بدايته: «وإنَّا قد فَرَضْنا في باب الأول ـ كذا ـ ما قد شَهِد اللَّه علىٰ نفسه ـ كذا ـ علىٰ أنه لا إلهَ إلاَّ هو ربُّ كل شيءٍ، وأن ما دونه خُلق له. . وأن ذاتَ حروفِ السبع ـ كذا ـ بابُ اللَّه لمن في ملكوتِ السماوات والأَرَضين. . ثم كلُّ بابٍ ذِكْرُ اسمٍ حقٍّ ـ كذا ـ من لدُنَّا، وذِكرُ أحدٍ من حروفِ الحيِّ بما رجعوا ـ كذا ـ إلىٰ الحياة الأولىٰ محمدٍ رسول اللَّه ـ كذا ـ والذين هم شُهداءُ مِن عند اللَّه ثم أبوابُ الهدىٰ وخُلقوا في النشأة الأخرىٰ ـ كذا ـ بما وَعَد اللَّهُ في القرآن إلىٰ أن يظهرَ عدد الواحد، ذلك واحد الأول ـ كذا ـ من الواحد المعدَّد يذكرُ في شهرِ البهاء قد بدأنا ذلك الخَلق به ولَنُعيدَنَّ كلاًّ به وعداً علينا»[1] .

والعبارةُ غنيةٌ عن النقد والتبصرة، وناطقةٌ بتفاهةِ عقلِ المتفوِّه بها وجهلِه بأبسط القواعدِ اللغوية وأسهلِها التي يعرفُها حتىٰ الأطفالُ والصبيان.

ثم وماذا يقصدُ من هذا الكلام المبهَمِ المعقَّد الفضولي؟!.

◻ وهناك مُضحكٌ أكثرَ وأكثرَ ومثيرُ السخرية والهُزْء، فانظره ماذا يقول وكيف يقول: «لا تسألُنَّ في أولاي ولا في أخراي ـ كذا ـ إلاَّ في كتاب، ولَتَعْلَمُنَّ كل واحدٍ في مسالككم ـ كذا ـ لعلكم تتأدَّبون. . قلْ إنه لَشمس أم نجعلنكم وآثاركم مرآتا ـ كذا ـ تَرَون فيها ما أنتم تحبُّون إذا أنتم بالحق تقابلون»[2] .

---

(١) الواحد الأول من «البيان» العربي.

(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من «البيان» العربي.

◻ وكذلك: «من ينشئ كلماتا ـ كذا ـ للَّه، قلْ خُذْ لنفسك على أجذبِ خطٍّ ـ كذا ـ ثم تَهَبُ من تشاء، فإن ذلك قِسطاسُ حقٍّ مبين»[١].

وهل يُتصوَّرُ من مبتدئ في تعلم اللغة العربية أن يلحن مثلَ هذا اللحنِ الفاحش؟!.

◻ ومِثْله كثيرٌ في هذا الكتابِ الذي يَعُدُّه أفصحَ عبارةً من القرآن ـ عياذاً باللَّه ـ كقوله: «يا محمدُ معلِّمي، فلا تَضرِبْني قبل أن يمضيَ عليَّ خمسُ سنة ـ كذا ـ ولو بطرف عين»[٢].

◻ وأيضًا: «قل أنْ يا أولو الهدىٰ ـ كذا ـ بهداي تهتدون»[٣].

◻ وأيضًا: «فلَتقرأُنَّ آيةَ الأولىٰ ـ كذا ـ إن أنتم تقدرون»[٤].

◻ «وأنتم في الرضوان خالدون، وإلا أنتم فانيون ـ كذا ـ»[٥].

◻ و: «قل إنما البيت ثلاثين ـ كذا ـ حرفًا، ذلك واحدُ الأول ـ كذا ـ أنتم باللَّه تسكنون. أنتم في أرض بيتِ حرٍّ تبنيون ـ كذا ـ»[٦].

◻ ويجتمعُ رداءةُ اللغة، وجهلُ القواعد النحوية، وضَعفُ التركيب، وقصورُ التعبير، والتعقيدُ اللفظي والمعنوي، والإبهامُ في كلمةٍ مختصرة في مقدمةِ «البيان العربي»: «وإنا قد جعلنا أبوابَ ذلك الدينِ عدد «كل شيء»

---

(١) الباب الثامن عشر من الواحد الثالث من «البيان» العربي.

(٢) الباب الحادي عشر من الواحد الرابع من «البيان» العربي.

(٣) الباب الحادي عشر من الواحد الرابع من «البيان» العربي.

(٤) الباب الثالث من الواحد الثاني من «البيان» العربي.

(٥) الباب السادس من الواحد الثاني من «البيان» العربي.

(٦) الباب الأول الثاني من الواحد السادس من «البيان» العربي.

عددُ الحَول، لكلِّ يوم بابا ـ كذا ـ ليدخُلَنَّ كلُّ شيءٍ في جنةِ الأعلىٰ ـ كذا ـ وليكونَنَّ في كلِّ عددٍ واحدٍ ذَكَرٍ حرفٌ من حروف الأول ـ كذا ـ للَّه ربٌّ السماوات»[1] .

◻ وبهذه المناسبة نذكرُ أيضًا جملةً من «بيانه الفارسي» التي جاء فيها ببعض العبارت العربية فيقول: «لَم تَرَ عينُ الوجود بمثلِه لا من قبلُ ولا مِن بعد، ذلك اسم الألوهيةِ وطَلعةُ الربوبية ـ كذا ـ المستقرَّة في ظلٍّ وِجهةِ الألوهية ـ كذا ـ والمستدلَّة علىٰ سلطان الوحدانية ـ كذا ـ، ولو علمت أن يذوقَنَّ كلُّ شيء حبَّه ما ذكرت ذكرنا؟ وإذا أنها لَمَّا لَم تسجد لها ـ كذا ـ خُلقت كينونتها بما هي فيها وعليها؟ وإلاَّ كلٌّ لَمَّا يذوقَنَّ ـ كذا ـ من حُبِّه نورٌ في نورٍ من نورٍ إلىٰ نورٍ يَهدي اللَّه لنوره من يشاء ويرفعنَّ اللَّه ـ كذا ـ لنوره من يريد أنه هو المبدئ المعيد»[2] .

فهذه العبارةُ المشحونةُ بالأخطاء الفاحشة، والأغلاطِ الظاهرة الصريحة، والإبهامِ في المعنىٰ والمقصود، وغموضِ الفكرة، وعدمِ المقدرة علىٰ التعبير لِمَا يريدُ تعبيرَه، والعبارةُ السابقة من مقدِّمة «البيان العربي» تُعطي فكرةً واضحةً لعقلية الرجل وثقافته، وعن عدمِ معرفتهِ بقواعد اللغة وأسلوبِ البيان، غير الأدب الرفيع، وسموِّ المعاني، وقوةِ المنطق والفِكر، ورزانةِ العقل، ومتانةِ الحِجَىٰ، وإن تدلَّ علىٰ شيءٍ تدلَّ علىٰ أن المتكلِّمَ بها والمتفوِّهَ ليس إلاَّ رجلٌ جاهلٌ صرف، وكان مسكينًا مستكينًا خالطه

(١) مقدمة «البيان» العربي من الواحد الأول.

(٢) مقدمة «البيان» الفارسي لعلي محمد الشيرازي.

الوسواسُ ففعل أفعالَ المجانين، وتكلَّم مثلَ كلامهم.

وهل هناك شيءٌ أدلُّ على ما قلناه من قوله لَمَّا اعتُرض عليه في مثل هذه الأخطاء اللغوية والنحوية، وفي كثرةِ لحنِه وغلطِه مع ادعاءاته الكبيرةِ من الرسالة والنبوة والألوهية، والحال أن النبيَّ والرسول، والإلهَ والربَّ لا يخطئ ولا يلحن، وحاشا للَّهِ أن يَلْحَنَ هذا اللحنَ الفاحش؟!.

◻ أجاب بقوله المضحِكِ والمبكِي معًا، مزدريًا العقولَ التافهةَ السخيفةَ التي تؤمن بهذا المخبولِ المجنون المأفون، أجاب: «إن الحروفَ والكلماتِ كانت قد عُصمت، واقتَرفت خطيئةً في الزمن الأول، فعوقبت على خطيئتها بأنْ قُيِّدت بسلاسل الإعراب، وحيث إن بَعثتنا جاءت رحمةً للعالمين فقد حَصَل العفو من جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات، فأُطلقت من قَيدِها تذهبُ إلى حيث تشاءُ من وجه اللحن والغلط»[1].

◻ وأيضًا: «إن اللَّه أجلُّ من الخضوع إلى هذه القواعدِ التي إنْ هي إلا صفاتٌ بشريةٌ ونقصٌ من نواقص الإنسانية»[2].

◻ ومؤرِّخُ البهائية «عبد الحسين آواره» يذكر في كتابه: أن الباب (الشيرازي) قرأ الخُطبةَ بحضرةِ وليِّ العهد «ناصر الدين شاه القاجار» «بتبريز»، وفي بداية الخطبة قال: «الحمد للَّه خلق السماواتَ والأرضين»، - ونَصَب التاء في «السماواتَ» -، فاعترض عليه وليُّ العهد - وهو ليس من علماء اللغة الغربية - قائلاً: إن تاء السماوات لا تكون إلا مكسورةً في موقع

---

(١) «دائرة المعارف» للبستاني، (٥/ ٢٦)، ط طهران.

(٢) «الكواكب» (ص٢٢٥)، ط فارسي.

الجرِّ والنصب، واستشهد بابنِ مالك في «ألفيته»:

وما بتــاءٍ وألــف قــد جُمِـعا   يُكسَرُ في الجرِّ وفي النصب معا[(١)]

◻ فمن يقولُ للجهل المركَّب هذا: «إن كلامَ اللَّه لا يكونُ إلا محكمًا بليغًا متقنًا وواضحًا جليًا، يقفُ أمامه فطاحلُ الشعراءِ وأئمَّةُ الفصحى والبلغاء مشدوهين متحيِّرين، ولا يَسَعُهم في ذلك المقام إلاَّ الإظهارُ بالعجز وقصورِ الباع، ولقد كان نزولُ القرآن في عصرِ الفصحاء الذين كانوا لا يَعُدُّون أحداً مقابلَهم ومُنازِلَهم في ميادين الفصاحة والبلاغة، وإتقانِ اللغة وإحكامِها مع السلاسة في الأسلوب، والدقَّةِ في التفكير، والروعةِ في التعبير، والجمالِ المنطقي، والحُسنِ المعنوي، والتصويرِ الفني، ورونقِ العبارة، وبهجةِ العلم، وبهاءِ المعرفة، فلما سمع هؤلاء كلامَ اللَّه وفي لُغتهم وبَعْدَ التحدي: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨].

وأيضًا: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [الإسراء: ٨٨].

ما استطاعوا مع هذه التحديات ـ ورَغْمَ المخالفاتِ والعِداءِ الشديدِ له وللذي نزل عليه ـ أن يأتوا ولو بآيةٍ لمنافسته ومعارضته.

وأما هذا الأعجميُّ الجهول، فلم يَستحِ من أن ينسِبَ هذا الكلامَ الملحونَ ـ المحشوَّ من الأغلاط والأخطاءِ اللفظيةِ والمعنوية، والخالي عن المقصد والمعنى، والمهملِ المبهمِ الصبياني، والمثيرِ للهُزءِ والسخرية ـ إلى

---

(١) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص٢٢٥) أيضًا.

الوحي والإلهام، وليس هذا فحسب، بل يَعُدُّه أفصحَ وأفضلَ من ذلك الكتابِ القيِّم المهيمن على كتب الأولين والآخرين!!.

❑ ولْنُلق نظرةً أخرى على بيانه وأسلوبِ بيانِه والمقاصدِ التي يُضمِّنُها، فيقول في الواحد العاشر: «إنما السابع، فلتبلُغنَّ إلى مَن يُظهره اللَّهُ كلُّ نفسٍ منكم بِلَّوْر عطر ممتنع ـ كذا ـ رفيع ـ كذا ـ من عندِ نقطةِ البيان، ثم بين يدي اللَّه تسجدون بأيديكم ـ كذا ـ لا بأيدي دونكم ـ كذا ـ وأنتم لا تستطيعون ـ كذا ـ فلا تسجدون إلاَّ على البِلَّور ـ كذا ـ فيها من ذرَّاتِ طينِ الأولى ـ كذا ـ والآخر ـ كذا ـ ذكراً من اللَّه (يا اللَّه!) في الكتاب لعلكم شيء ـ كذا ـ غيرُ محبوب لا تشهدون، فلَيَمْلِكُنَّ من كلِّ نفس ـ كذا ـ من أسباب بلور ـ كذا ـ ممتنع رفيع عدد الواحد ـ كذا ـ على قَدْرِ ما يتمكن»[1].

فهل تحتاجُ هذه الجملُ المتفكّكةُ المتنافرة بعضها من بعض، والمفعمةُ من الأخطاء والأغلاط، والخارجةُ عن حدود اللغة العربية، قواعدِها وأصولِها، والباغيةُ على صاحبها ومتكلِّمها، والمهملَة الأطفاليةُ الصبيانيةُ، والمضحِكةُ الجنونية، إلى النقد والتبصرة؟!.

فهل لأولي الأبصارِ أن يعتبروا؟! وأولي الأحلام أن يتَّعظوا؟!.

❑ ومثلُ هذه العبارة عبارةٌ أخرى تجمعُ جميعَ السيئات في طيَّاتها، وهي: «ولتأمُرنَّ كلَّ أرض ـ كذا ـ أن ينتظمون ـ كذا ـ بيوتَها وأسواقَها وأماكنَها ـ كذا ـ وتميز كلَّ صِنف ـ كذا ـ في مقعده ـ كذا ـ عن الآخَرِ حيث لا يختلط اثنين ـ كذا ـ منهم إلا في مكانهما؟ وكلُّ صنفٍ كانوا ـ كذا ـ في مكانٍ

---

(١) الباب الثامن والتاسع من الواحد العاشر من «البيان العربي».

واحدٍ على أحسنِ نَظمٍ محوب ، ولتأمرن أن يكونَ كلٌّ صنفٍ في خانٍ، فإن ذلك أقربُ للنفع والتقوى ـ يا للتقوى ـ . ولا تأمرون ولا ترضيون ـ كذا ـ»[١] .

◘ أهذا هو الكتابُ المقدَّس للبابية لمهديِّها الموعود، والقائم المُنتظَر، والنبيِّ الأعظم، والرسول الأكبر من جميع الأنبياء والمرسلين؟! وقال فيه إلهُ البهائية حسين علي البهاء: «إنه لسُلطان الرُّسُل، وكتابه «البيان» لأمُّ الكتاب»[٢] .

بل وأكثرُ من ذلك، يعتقدون فيه «أنه إلهٌ وربٌّ» كما أثبته بالأدلةِ الثابتة والبراهين القاطعة ـ حَسْبَ زعمه ـ المازندرانيُّ في كتاب «لوح ابن ذئب» و«الإيقان» وغيرهما .

فسبحان اللّه ذي العرش المجيد، الذي أظهر كَذِبَ الدجَّالين المُفتَرِين عليه ببهتانٍ من كلامهم أنفسِهم .

ويا أسفًا على السِّفْلةِ الذين يَجعلون مثلَ هؤلاء المهابيلِ والأفَّاكينَ رُسلاً وآلهةً، ويظنون هذه الخزعبلاتِ والترَّهاتِ كلامَ الربِّ المتعال، تعالى اللّه عما يأفِكون .

وهل مِثلُ هذا المأفونِ المعتوهِ الذي لا يَقدِرُ على تعبيرِ ما يختلجُ في صدره وما يريدُ أداءه، ولا يعرفُ الفَرقَ بين «أن ينتظمون» و«أن ينتظِموا» وبين «كل أرض» وصيغتها، أو إعادة الضمير في «بيوتها وأسواقها

---

(١) «البيان العربي» للشيرازي المخبول المجهول، الباب السابع عشر والثامن عشر من الواحد العاشر .

(٢) «لوح أحمد» لحسين علي المازندراني (ص١٥٤) ـ طبع باكستان ـ في «الألواح الستة» .

وأماكنها»، ولا يجدُ المقدرةَ على التعبير لقوله على حدِّه: ويستعملُ لها «مقعد» ولا يدركُ معناه، ولا يُفرِّقُ بين الفاعل والمفعول في «لا يختلط اثنين»، وإعادة الضمير في «منهم»، ولا يشعر استعمال أداة الاستثناء في قوله: «إلا في مكانهما» ومواضع استعمالها، ولا يفرِّقُ بين الأسماء والأفعال في «كلِّ صنف كانوا في مكان»، ولا ينتبه لمعنى «النفع والتقوى»، حيث يجعلُهما مقارنًا لوضع الأصناف في مَحلِّها، فأيُّ التقوى فيه؟! ويجهلُ العمل لأداةِ الطلب والنهي في «لا تأمرون ولا تفعلون» وتصريف الأفعال في «لا ترضيون».

أوَ مثلُ ذلك المجهولِ المفتري الكذَّابِ الدجَّال يريدُ منافسةَ القرآنِ كلامِ اللَّه ربِّ العالمين؟!.

هذا مِن قِبَلِ الألفاظ والقواعد.

وأما من جهة المعاني، فهل مِثلُ هذا يكونُ كلام اللَّه؟ معاذَ اللَّه أن يكونَ كلامُه تلك الخرافاتِ والهذيانات.

فانظر كلامَ اللَّه، ومعاذَ اللَّه أن نُورِدَه للموازنة بتلك البذاءة والتفاهة، بل لتعطيرِ الأذهان، وتزكيةِ القلوب، وطهارةِ الأرواح بعد أدرانها وتلوُّثِها بتلك النجاسة الظاهرة والباطنة، ولانشراحِ الأنفس وابتهاجها بعدما انقبضت بسماعِ تلك المهمَلات والبَشِعات واشمئزازها.

* فيقول اللَّه ـ عز وجل ـ في كتابه الخالد الذي: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فصلت: ٤٢] يقول فيه: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢-٩٣].

وصدق اللَّه مولانا العظيم.

ولْنُعِرْ الانتباهَ أنَّ النبيَّ والرسولَ لا يتكلَّمُ بكلامٍ إلا لِيَفهمَه السامعون والحاضرون، وإنْ لَم يفهموه ـ أو لا يكون ذلك الكلامُ قابلاً للفهم ـ، فما الفائدة بالتكلم به والتلفظ؟!.

* وإليه أشار اللَّه ـ عز وجل ـ في كلامه المجيد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فكلامُ اللَّه يَنزِلُ لهدايةِ البشر، والهدايةُ لا تتأتَّىٰ إلا بعد فَهمِه وإدراكِ مطالبِه، ولكنَّ الأمورَ منعكسةٌ عند الشيرازي تمامًا، فالكتابان اللذان يَعُدُّهما معجزةً من معجزاته منافستَينِ للقرآن في الفصاحة والبلاغة والمتفوِّقتين عليه من حيث المعاني والمطالب هما «تفسير سورة الكوثر» و«البيان» وكلاهما في اللغة العربية غيرُ لغة القوم، قومه.

ولَم يختَرْ هذه اللغةَ إلا لجهلِ الإيرانيين بها وإرعابهم وتهديدهم بغزارةِ علمِه وكثرةِ فهمه، ونفاذِ بصيرته، وإظهارِ تفوُّقِه عليهم، وتغطيةً

علىٰ عيوبه، وجهلِه، ونقصِه، حيث أكثرُهم لا يدرِكون ماذا يقول؟ وكيف يقول؟ ومِن أين يقول؟ .

لأنه لو قال في الفارسية ما قاله في العربية لَعَرف القومُ الحقيقةَ من الجهل البادئ المتدفِّق من كلامه الضئيل الضعيف، ولذلك كلَّما تكلَّم في مجلس في لغته ـ أي الفارسية ـ أُدرك وأُفحم، ثم لم يَجِدِ النجاةَ إلا في السكوت والصمت، وأما في العربية، فأطلق عنانًا يذهبُ أينما يشاء، ويروحُ أينما يريدُ، لا القوم ترتعدُ عند سماع الفقرات الفخمة المكبرة «لا إله إلا هو البهي البهي، لا إله إلا هو هو المبتهي، وللَّه بهي بهيان بهاء السماوات والأرض»[1] .

فكان السُّذَّجُ من الناس والأعاجم يَسمعون هذه الكلماتِ المُهمَلة في ملبوسٍ عربي، ويُعظِّمونها متوهِّمين أنها تدلُّ علىٰ جلالةِ قَدْرِ المتكلِّم، غيرَ عارفين أنْ لا معنىٰ لها علىٰ الإطلاق، وليست إلا صنيعةَ الماكرِ الخدَّاع الكذوب الهارب من مواجهة الحقيقة، والمتستِّر والمتقنِّع بستارِ الباطل وقناع الزور.

◘ وخيرُ دليلٍ علىٰ ما قلنا: إن البهائيين ـ وَرَثَةَ الباب ـ يكتمون كُتبَ الباب ويمحونها إنْ وَجَدوها خوفَ الفضيحة والذِّلَّة، وشَهِد بذلك أكبرُ المحبِّين لهم من المستشرقين، برفسور «براؤن» في «مقدمة نقطة حرف ك» وكُتبِه الأخرىٰ عنهم ـ كما ذكرنا سابقًا ـ، وحتىٰ الآن لَم يَطبع البهائيون والبابيون كتابًا واحدًا من كتب الشيرازي ومؤلفاته .

---

(١) «البيان الفارسي» نقلا من كتاب «فصاح الأبواب» (ص٢٧٥).

◻ ولِلَّه درُّ من قال: «إنَّ أقوىٰ الدليل علىٰ صِدقِ رجلٍ وكَذِبِهِ هو كلامُه».

وشاء اللَّه أن يُذِلَّ هذا الدجَّال المفتري علىٰ اللَّه ببهتانٍ مرَّةً أخرىٰ، وبعد أن ادَّعىٰ هذه الدعاوَىٰ الكبيرةَ والمزاعمَ الفارغة الكاذبة.

*** توبته مرةً ثانية:**

ويذكر المؤرِّخون أن الأنباء عن هذا المؤتمر وصلت إلىٰ مسامع الحكومة، فأمرت بنقل الشيرازي من قلعة «ماه كو» إلىٰ قلعة «جهريق»، وفي أثناء السفر مرُّوا «بتبريز»، ومكثوا فيها أيامًا جرىٰ فيها نِقاشٌ مشهورٌ بين العلماء وهذا الدجَّال بحضرةِ وليِّ العهد «ناصر الدين شاه القاجاري»، «ضُرب بعدَه ثماني عشْرةَ ضربةً في رجليه»[1].

اللَّهم إلا أنه اضطرب بالضربات هذه، ورجع إلىٰ الصواب، وقدَّم الاعتذارَ والمعذرةَ عن دعاوِيه، وتاب مرةً أخرىٰ عن النبوة والمَهْدَوِيَّة والقائمية وغيرها.

*** وثيقة توبته التاريخية:**

وأثبت البروفسور «براؤن» المُوالي للبابية ورَاوِيتُهم في الغرب توبتَه هذه بوثيقتين تاريخيتين، وإبقاءً علىٰ تلك الوثيقتين التاريخيتين نُورِدُ واحدةً منها بنصِّها وترجمتِها من الفارسيَّة حرفيًّا.

◻ فلقد كَتَب الشيرازي علي محمد إلىٰ وليِّ العهد ناصر الدين شاه ما نصه: «فداك روحي، الحمدُ للَّه كما هو أهلُه ومستحقُّه، فالحمدُ للَّه الذي

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٣٨).

يحيطُ كافةَ عبادِه بظهوراتِ فضلِه ورحمتِه، ثم الحمدُ للَّه أنه جعَلك يُنبوعَ الرأفة والرحمة، وعَطوفًا على المجرمين، ورحيمًا على العصاة المذنبين، أُشهِدُ اللَّه أنه لَم يكن لهذا العبدِ الضعيف ـ الذي وجودُه الذنبُ المحضُ ـ أيُّ قصدٍ خلافَ رضا اللَّه وأهلِ ولايته، وبما أن قلبي موقِنٌ بوحدانية اللَّه ونبوَّةِ رسوله وولايةِ أهلِ الولاية، ولساني مُقِرٌّ بكلِّ ما نزل مِن عند اللَّه أرجو رحمته، ولَم أُرِدْ مخالفةَ الحقِّ مطلقًا ـ وإن صدَر عني وعن قَلَمي كلماتٌ تخالفُ الحقَّ ـ، فلم يكن قصدي المعصية، ففي كلِّ الأحوال أنا مستغفرٌ وتائبٌ، وأنه ليس لي أيُّ ادعاءٍ وزَعْمٍ، وأستغفرُ اللَّهَ ربي وأتوبُ إليه من أن يُنسَبَ إليَّ أمر، وأما بعضُ الكلمات أو المناجاة التي جرَت من لساني لا تدلُّ على أيِّ شيء، وأنا لا أدَّعي لا النيابة عن حضرة «المَهديِّ» وغير النيابة، ولن أدَّعيَ أيضًا، وأنا أرجو من ألطافِ حضرةِ الشاهنشاه وحضرتِكم أن تجعلوني مَوْرِدَ ألطافِكم ورأفتِكم ورحمتِكم، والسلام»[1] .

فهذه حقيقةُ المفتري الدجَّال، ولكنَّ افتراءآته لم تكن مقصورةً إلى هذا الحد ـ ولا حدَّ للجنون ـ، فإنه بعد هذه الفضائح والويلات والصرخات ارتقى مرةً أخرى إلى درجةٍ أخرى، ولَم تكن تلك الدرجةُ بعد ادِّعائه النبوة والرسالة إلاَّ درجةً واحدةً وهي الربوبية والألوهية.

*** دعواه الألوهيَّة والربوبيَّة:**

فاعتلى مِنبرَها، ومَن كان يمنعه عن ذلك ما دام لم يَمتنعْ مع التوبات

---

(١) انظر «الدراسات في الديانة البابية» لبراؤن (ص٢٥٧) طبع إنجليزي، و«البابية» لإحسان إلهي (ص١٩٣).

والرجوعات عن النبوة والمهدوية؟! وما دامت البقيةُ الباقيةُ من الباطنية والهمجيةِ الشيعيةِ موجودةً في حواليه وحوله، فالقومُ منهم مَن كان يؤلِّهُ «عليًّا»، ومنهم مَن يجعل «الحاكمَ» ربًّا وغيرَه ـ كما مر بالتفصيل ـ.

فهل يُستبعد مِن أولئك الأنعام مِن الناس الذي اتخذوه نبيًّا ورسولا ونَسَخوا بخرافاته وهفواته القرآن المجيد، أنْ لا يجعلوه ربًّا ينصرُهم وهو خَذلان، ويَسقيهم وهو عطشان، ويَهديهم وهو حَيران في تِيهِ الضلالة وسكران؟!.

وما دام تجلَّت فيه رُوحُ باب المهدي أولاً، ورُوحُ المهديِّ ثانيًا، ثم روح عليٍّ، وروحُ النبيِّ الأُميِّ أخيرًا، فلم لا تتجلّىٰ فيه روحُ اللَّه نفسه؟!.

◘ فلم يَكَدْ أن يُرمىٰ في غياهب قلعة «جهريق» إلا وقد اكتملت ألوهيَّته وانتضجت ربوبيتُه، وبدأ يقول: «كنتُ في يومِ نوحٍ نوحًا، وفي يوم إبراهيم إبراهيم. . » إلىٰ آخر ما ذكرناه قبل ذلك قريبًا.

◘ وأيضًا: «أنا قيُّومُ الأسماء، مَضىٰ من ظُهوري ما مضىٰ، وصَبَرتُ حتىٰ يُمَحَّصَ الكلُّ ولا يَبقىٰ إلاَّ وجهي، وأعلمُ بأنه لستُ أنا، بل أنا مِرآةٌ فإنه لا يُرىٰ فيَّ إلاَّ اللَّه»[1].

◘ وقال عنه برو كلمان: «وبينا لَم يرغبْ أولَ الأمر إلاَّ أن يُعتبر الإمامَ المهدي. . فإننا نجدُه يدعو نفسَه بعد ذلك «المرآة» التي يستطيعُ المؤمنون أن يشاهدوا بها اللَّهَ نفسه»[2].

---

(١) «العقيدة والشريعة» لجولدزيهر (ص٢٤٢) ط عربي و«مفتاح باب الأبواب» (ص١٠٠).

(٢) «تاريخ الشعوب الإسلامية» (٣/ ٦٦٥).

◘ وعلى ذلك الأساس ولقوله بأنَّ: «أرفعَ المراتبِ الحقيقيةِ الإلهيةِ حلَّت في شَخصه حُلولاً ماديًّا وجسمانيًّا»[1].

◘ كتب وصيته إلى المرزة يحيى «صبح الأزل» كالرب والإله، ووصيُّ الرب والإلهِ لا يكونُ إلا إلهًا، فهو رب أيضًا. وهذا نصُّ الوصية بألفاظها العربية نَقَلها بروفسور «براؤن» في مقدمة «نقطة الكاف»: «اللَّه أكبر تكبيراً كبيراً، هذا كتابٌ من عند اللَّه المهيمنِ القيومِ، قلْ كلٌّ من اللَّه مُبدَؤون، قلْ كلٌّ إلى اللَّه يعودون، هذا كتاب مِن عليٍّ قبل نبيل[2]. ذِكرُ اللَّه للعالمين إلى مَن يَعدِلُ اسمُه اسمَ الوحيد[3]، ذِكرُ اللَّه للعالَمين، قلْ كلٌّ مِن نقطةِ البيان ليبدؤون أنْ يا اسمَه الوحيد فاحفظْ ما نزل في البيان وأْمُرْ به، فإنك لَصراطُ حقٍّ عظيم»[4].

وكان البابيون يسمُّونه «الرب» كما ورد عدةَ مراتٍ في كتاب التاريخ البابي «نقطة الكاف»، وفي غيره «حضرة الرب الأعلى»[5].

وحُسين علي البهاء أيضًا كان يُسميه «الرب والإله»، وكان يستدلُّ من الآية القرآنية على ألوهيته: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ كما كان يطلق عليه اسم «مالك الغيب والشهود»[6].

---

(١) «العقيدة والشريعة» (ص٢٤٢).

(٢) يريد به نفسه أي علي محمد لأن النبيل يطابق محمداً في العدد بحساب الجمل.

(٣) يعني به يحيى؛ لأنه يطابق عدداً بالوحيد.

(٤) «مقدمة نقطة الكاف» لبروفسور براؤن، ص«لد» و«له» ط فارسي.

(٥) «نقطة الكاف» (ص٢١٣ و٢٤٠) ووو.

(٦) لوح ابن ذئب، (ص٧٨)، و(ص٨٣) للمازندراني ط باكستان.

◘ وذُكر في «دائرة المعارف للأديان والمذاهب»: «أن البابيين كانوا يعتقدون في الشيرازي الربوبيةَ، ويخاطبونه بحضرةِ الربِّ الأعلىٰ.. ويَظهرُ أيضًا من بيانه وما كَتب عنه المِرزة الكاشاني أنه كان فائزًا علىٰ مقامِ الألوهية ومرتبته»[1] .

◘ ويقول داعيةُ البهائيين «أبو الفضل الجلبائيجاني» في مقدمة كتابه «الفرائد»: «نحن لا نعتقدُ في المِرزة علي محمد الباب إلاَّ أنه ربٌّ وإله»[2] .

فهذه هي القصةُ بكاملها، بدأت من الشوقِ إلىٰ رؤية المهدي المنتظَرِ الموعود الغائب الموهوم بناءً علىٰ الأساطير البالية القديمة، وانتهت من البابية إلىٰ المهدوية، ومِن المهدوية إلىٰ المسيحية، وإلىٰ النبوة المستقلة، ثم أخيراً إلىٰ الألوهية والربوبية.

* شريعةُ البابية الناسخةُ للشريعة الإسلامية ـ كما يزعم الدَّجالون ـ:

◘ تقول البابيةُ بلسانِ مؤسِّسها وبانيها الشيرازي، وفي أقدس كتاب لها «البيان» الذي قيل فيه: «إنه ناسخٌ للقرآن، وإنَّ اللَّه كان ولا يزال، وفي كلِّ زمانٍ يُقدِّر اللَّهُ ـ عز وجلَّ ـ كتابًا وحُجَّةً لِخَلْقه، وفي سنة ١٢٧٠هـ بعد بَعثةِ محمدٍ رسول اللَّه قَرَّر اللَّهُ أن يكونَ كتابُه «البيان» وحُجَّته علىٰ محمد»[3] .

◘ والذي قال فيه: «وإذا قال محمدٌ: «يعجِزُ البشر عن الإتيان بسورةٍ

---

(١) «دائرة المعارف للمذاهب والأديان» ص١ م٣ج٢ ط إنجليزي.

(٢) «الفرائد» (ص١٥) ط باكستان.

(٣) الواحد الأول من «البيان» العربي.

من سور القرآن»، فأنا أقول: يعجِزُ البشرُ عن الإتيان بحرفٍ مثل حروف قرآني»[١] .

◻ يقول الشيرازي على محمد الباب: «قد فُرض على كُلِّ مَلَك يُبعث في دين «البيان» أن لا يجعلَ أحد ـ كذا !! ـ على أرضٍ ممن لم يَدِنْ بذلك الدين، وكذلك فُرِض على الناس كلِّهم أجمعون ـ كذا ـ إلاَّ مَن يتَّجِرُ تجارةً ينتفع به ـ كذا ـ الناس»[٢] .

◻ ولقد أقر بهذا «عباسُ أفندي بن حسين المازندراني» في مكاتيبه: أن الباب والبابيين كانوا يأمرون بقَتلِ جميعِ مَن لا يعتنقُ البابية، فيقول: «وفي يوم ظهور حضرة الأعلى كان منطوقُ البيان ضربُ الأعناق، وحَرقُ الكتب والأوراق، وهَدْمُ البقاع، وقتلُ الجميع إلاَّ مَن آمن به وصَدَّقه»[٣] .

* أين هذا مِن قول اللَّه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

◻ ليس هذا، بل وزيادةً على ذلك أَمَرَ هذا المأفونُ المجهولُ بمحوِ كلِّ الكتب المقدسة «فلَتَمْحُونَّ كلَّ ما كتبتم، ولَتستَدِلُّنَّ بالبيان وما أنتم في ظِلِّه تنشأون»[٤] .

◻ ويدَّعي هذا الكافرُ أن اللَّهَ ليس هو خالقَ كلِّ شيءٍ، بل الخالقُ

---

(١) «مفتاح باب الأبواب» (ص ٢٠).

(٢) الباب السادس عشر من الواحد السابع من «البيان» العربي.

(٣) «مكاتيب عبد البهاء» لعباس (٢/ ٢٦٦).

(٤) الباب السادس من الواحد السادس من «البيان العربي».

للأشياء كلِّها هي المشيئة التي تظهرُ في مظاهرِ اللَّه كما يقول، والمَظهَرُ هذا الذي ظهرت فيه المشيئة الخالقة للأكوار هو الشيرازي علي محمد المأفون المجنون في الماضي والحاضر: يقول: «والتي تظهرُ في المظاهر هي المشيئةُ التي تَخلُقُ كلَّ الأشياء، ونِسبتُها إلى الأشياء نسبةُ العلَّةِ إلى المعلول، والنارِ إلى الحرارة، وتَظهرُ هذه المشيئة في الأكوارِ حسب تلك الأكوار»[1].

◻ «وما كان مُظهِرُ المشيئة في العصور كلِّها إلاَّ نقطةُ البيان ذاتُ الحروف السبعة ـ علي محمد ـ»[2].

◻ «وهو نفسُ محمدٍ ﷺ الذي كان نقطةَ الفرقان»[3].

◻ والفرق: «أن ظهورَه في هذا العصر في إيرانَ أقوىٰ وأكملُ وأعلىٰ وأشرفُ من ظهورِه في العرب قبلَ ثلاثةَ عشرَ قرنًا (بصورة محمد ﷺ) وقبل اثني عشرَ ألفَ سنةٍ بصورة آدم ـ عياذًا باللَّه ـ»[4].

◻ ويقول عن نفسه صراحةً: «كنتُ في يومِ نوحٍ نوحًا، وفي يوم موسىٰ موسىٰ، وفي يومِ عيسىٰ عيسىٰ، وفي يوم محمدٍ محمداً، وفي يومِ عليٍّ قبل نبيل عليًّا، ولأكونَنَّ في يومِ مَن يُظهره اللَّه مَن يُظهِرُه اللَّه.. إلىٰ آخر الذي لا آخِرَ له قبلَ أول الذي لا أولَ له، كنتُ في كلِّ ظهورٍ حُجةَ اللَّهِ

---

(١) الباب الثالث عشر من الواحد الثاني، والباب السابع والثامن من الواحد الثالث من البيان الفارسي.

(٢) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي.

(٣) الباب الخامس عشر من الواحد الأول، والباب الثالث من الواحد الثامن من البيان الفارسي.

(٤) الباب الثالث عشر من الواحد الثالث من البيان الفارسي.

علىٰ العالَمين»[١] .

◻ ويعتقد البابيُّون أن محمداً ﷺ ليس هو بخاتَم المَظَاهِر، كما صرَّح ذلك المجنون، وحتىٰ الشيرازي ليس بخاتم المظاهر: «يكونُ بعد ظهور مَن يُظهِرُه اللَّهُ ظهوراتٍ أخرىٰ إلىٰ ما لا نهاية لها»[٢] .

◻ وهذا خلافُ ما يعتقدُه البهائيون كما يقول البهاء المازندراني بأنه هو آخرُ المظاهرِ كما صَرَّح به في كتابه «إشراقات»: «فلما أراد الخَلْقُ البديع فَصْلَ النقطةِ الظاهرة المشرقة من أُفق الإرادة، وأنها دارت في كلِّ بيتٍ على كلِّ هيئة إلىٰ أن بلغت مُنتهىٰ المقام أمراً من لدىٰ اللَّه مولىٰ الأنام، وأنها هي مركزُ دائرةِ الأسماء ومختم ظهوراتِ الحروف في ملكوت الإنشاء، وبها بَرَز ما دَلَّ علىٰ السرِّ الأكتم الحاكي عن الاسم الأعظم في الصحيفة النوراء والورقةِ المقدسة المباركة البيضاء»[٣] .

والبابيون ينكرون جميعَ أمورِ الآخرةِ ـ من القيامة والبعث والصراط والحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك ـ، مما يُقرُّها الإسلام وجميعُ الأديان السماوية الإلهية الأخرىٰ.

◻ أما القيامة، فيقول الشيرازي عنها: «إنها عبارةٌ عن وقتِ ظهورِ شجرةِ الحقيقة في كلِّ الأزمنة مثلاً، إن بعثةَ عيسىٰ كانت قيامةً لموسىٰ، وبِعثةَ رسولِ اللَّه قيامةً لعيسىٰ، وبعثته هو قيامةٌ لرسول اللَّه، وكلُّ مَن كان

---

(١) «التراث اليوناني» ترجمة الدكتور البدوي (ص٢٣٧).

(٢) البيان الثالث عشر من الواحد الرابع من البيان الفارسي.

(٣) «إشراقات» للمازندراني (ص٩٣).

علىٰ شريعة القرآن كان ناجيًا إلىٰ ليلةِ القيامة أي مِن يوم الساعة، وهي الساعة الثامنة والدقيقة الحادية عشرة من غروب الشمس من اليوم الرابع وأولِ الليلةِ الخامسة من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٢٦٠هـ»[١] .

◻ والميزانُ: يقول عنه «البيان الفارسي» : «إنَّ الميزانَ هو الكتابُ الذي يُقدَّمُ إلىٰ الأمة، فكان القرآنُ ميزانًا في عصره، كما هو «البيان» في هذا العصر»[٢] .

◻ والحساب والميزان: يقول عنه الشيرازي: «أتحسَبون أن الحسابَ والميزان في غير هذا العالم، قل سبحان اللَّه عما يظنون»[٣] .

◻ وأما الجنة والنار: فيقول عنهما ذلك الدَّجَّال: «إن الجنةَ حُبُّ اللَّه، ثم رضاؤه، وإن ذلك حقٌّ لا عدل له، إنا كنا فيها خالدين. . وإنما النارُ قبل أن يُبدل بالنور نار اللَّه ذلك مَن يُظهره اللَّه قبل أن يُعرِّفكم نفسَه أنتم في نارِ الحبِّ تدخلون»[٤] .

◻ ومَنَعوا صلاةَ الجماعة: «ولَتُصلُّنَّ كلُّكم مرةً، فُرادىٰ تقعدون»[٥] .

◻ أما كيف تُؤدَّىٰ الصلاة، فلا ذكر لها، اللَّهم إلاَّ السجود علىٰ البِلَّور «فلا تسجدون فيها إلاَّ علىٰ البِلور»[٦] .

---

(١) الباب السابع من الواحد الثاني من «البيان» الفارسي.

(٢) البيان الفارسي.

(٣) البيان الفارسي.

(٤) الباب السادس عشر من الواحد الثاني من «البيان» العربي.

(٥) الباب الثالث عشر من الواحد الثامن من «البيان» العربي.

(٦) الباب الثامن من الواحد العاشر من «البيان» العربي.

◻ وللصلاة معنًى آخرُ عندهم كما قال المرزة «جاني الكاشاني» أحد البابيِّين الأوائل: «إنَّ المقصودَ من الصلاة التكبيرُ والتحميدُ والتعظيمُ قولاً وفعْلاً لحضرة النقطة - أي: الشيرازي -، وهذا هو المفهومُ لقولِ الأمير عليه السلام: «نحن الصلاة»..»[1].

◻ والوضوءُ لا يكونُ إلاَّ بماءِ الوردِ والعِطر: «ولتُوَضِّئَنَّ كلُّ هيكلِ الواحد بمثل طِيبِ مثلِ وردٍ لعلَّكم بين يَدَي يوم القيامة بماء الورد والعطر تدخلون»[2].

◻ وأباحوا تعرِّي النساء لأزواجِهنَّ في الصلاة.

◻ وتأمرُ الديانةُ البابيةُ معتنقيها «إبقاءَ الأموات في البيت تسعةَ عشَرَ يومًا وليلة، وأن يُدفنَ في قبر من البلور أو المرمر المصقول».

◻ وتجبر البابيةُ الأراملَ اللائي تُوفِّي عنهنَّ أزواجُهُنَّ، أو الذين تُوُفِّيت عنهم زوجاتُهم أن لا يَصْبِرْنَ فوقَ خمسةٍ وتسعين يومًا، ولا يصبرون فوقَ تسعين يومًا مهما كان من الأمر، سواءً كنَّ يائِساتٍ أم حاملاتٍ أو شبابًا أو شابات.. وإن صبروا فوقَ ما كتب اللَّهُ عليهم أوْ هُنَّ فوقَ ما قد كتب اللَّهُ عليهنَّ بعد ما يستطِعْنَ ويَقْدِرْن، أو يستطيعون ويقدرون، عليهم أن ينفقوا تسعين مثقالاً من ذهب، وعليهنَّ أن يُنفِقْنَ خمسةً وتسعين مثقالاً من ذهب[3].

---

(١) «نقطة الكاف» بتحقيق براوْن (ص١٤٨) - طبع ليدن.

(٢) الباب العاشر من الواحد الثامن من «البيان» العربي.

(٣) الباب العاشر من الواحد العاشرمن «البيان» العربي.

◻ والقِبلةُ عندهم فيها إبهامٌ وغموض:

فمرةً يقولون: إنها بيتُ الشيرازي، أو مستقر الشيرازي.

◻ والزكاةُ فيها مثلُ الغموضِ والإبهام.

◻ وأما الصوم فهو «كَفُّ النفس عن كلِّ ما لا يرضاه الشيرازي»[1].

◻ والشهرُ عند البابيين تسعةَ عشَرَ يومًا، والسَّنة تسعةَ عشر شهراً.

◻ والحجُّ عندهم هو زيارة البابيِّين للبيت الذي وُلِد فيه الشيرازي أو البيت الذي عاش فيه، أو بيوت أصحابه الثمانيةَ عشَرَ «حروف الحي» والحجُّ مفروضٌ عندهم على الرجال دون النساء.

ويَحرُمُ على النساء لُبسُ النقاب، ويُجوِّزون نكاحَ الأخت.. إلى آخرِ هذه التُّرهات والأباطيل والخرافات والخزعبلات[2].

* قَتلُ الشيرازي نبيِّ البابيِّين وإلههم:

أفتى علماءُ إيران بوجوبِ قتله، وتقرَّر تنفيذُ الحكم في صبيحةِ يوم الإثنين في السابعِ والعشرين من شعبانَ سنة ١٢٦٦هـ - الثامن من يوليو ١٨٥٠م، ولمَّا عَلِم بذلك الشيرازيُّ انهارت قُواه، وأُسقِط في يده، وصار يبكي وينوح، وغَمَرَه الذهولُ العميق والشرود، حتى فَهِم أصحابُه في السجن أنَّ هناك أمرًا قد قُرِّر، ولكنهم ما أرادوا أن يسألوه.

◻ وبدأ يُردِّدُ هذه الأبيات:

ترومُ الخُلْـدَ في دارِ المنـايـا فكم قد رام مِثلُك ما تـرومُ

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٤٨).

(٢) انظر «الشريعة البابية» من (ص١٩٧-٢٤٦) من كتاب «البابية» لإحسان إلهي ظهير.

تنامُ ولم تنمْ عينُ المنايا ... تنبَّه للمَنيَّة يا نؤومُ
لَهَوْتَ عن الفناءِ وأنت تفنى ... فما شيءٌ من الدنيا يدومُ

◘ ويَروي الكاشاني أنه قال في تلك الليلة أيضًا: «سيقتلوني صباحًا بالذِّلَّة والإهانة، فيا حبَّذا لو وُجِد مَن يقتلُني هذه الليلةَ في هذا السِّجن حتى لا أرى الذِّلةَ والمهانة من الأعداء، إنه لو فَعل أحدٌ من الأحبَّاءِ لكان عَمَلُه عين الصواب»[1].

◘ ولَمَّا استعدَّ لذلك المُلاَّ محمد علي الزنوزي المجنون، ارتعَد مرةً أخرى، وتراجع حينما رأى سَيْفَه مسلولاً، «وبدأ ينتحب ويبكي كما بكى أصحابُه وأتباعُه في السجن»، وكان يظنُّ أن مربيه الروس والإنجليزَ سيحاولون كلَّ الجهد لبقائه وإنقاذه من مخالب الموت، وفعلاً عملوا كلَّ ما في وُسعِهم، وما آلَوْا جهدًا، ولكن لم يكن ليُردَّ قضاءُ اللَّه وقَدَرُه و«صباح ذلك اليوم طافوا بالشيرازي واليزدي والزنوزي في شوارع «تبريز» حيث نُقلوا هناك للإعدام»[2].

فأَغلقَ الناسُ دكاكينَهم، وصكُّوا متاجِرَهم، واندفعوا إلى الميدانِ الكبير الذي اختِير كساحةٍ للقتل، واحتَشَد هناك الرجالُ والنِّساءُ حتى لم يَبْقَ مَحلٌّ في الميدان، فطَلَع الناسُ على سُطوح البيوت المُطِلَّة على الميدانِ وجُدرانها.. ولما رأى كاتبُ وحيه «حسين اليزدي» هذا المنظرَ الرهيب أخَذَه الرعبُ والخوفُ وبدأ يُمطِرُه سَبًّا ولَعنًا، ويتبرأ منه، ويَتَنكَّرُ للبابية، ويَرجعُ

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٤٦).

(٢) «نقطة الكاف» (ص٢٤٨).

إلىٰ الإسلام، فأطلق سراحه.

▫ «وسيق الشيرازي والزنوزيُّ إلىٰ محل الإعدام، وَوُثِقا بحبلٍ من القنب المحكم بالعمود الغليظ الذي كان بجانب حُجرات الثكَنة العسكرية، فَرَبطوهما به، وعُلِّقا علىٰ ارتفاعٍ من الأرض»[1].

وكان البابُ الشيرازي خائفًا مرتعدًا مرعوبًا نادمًا، بينما كان صاحبُه رابط الجأش، وكان مِن بين الحاضرين لهذا المشهد القُنصلُ الروسيُّ أيضًا، ولم يكن يائسًا حتىٰ ذلك الوقت، وكان يَرىٰ أن عَمَله وخُطَّته ستُجدي، وفِعلاً كاد أن يَظفرَ وينجحَ في مقاصدِه لولا قُدرةُ القادرِ القَهَّار.

▫ فإنه «لما أَطلَقَ الجُندُ الرصاصَ، ودَوَّتِ البنادقُ في الفضاء، واغبَرَّت الساحةُ بالدُّخَانِ الكثيف، رأىٰ الناسُ بعد انكشافِ الدخان قتيلاً واحدًا ممزَّقًا مضرَّجًا بالدماء، ولا أثر للثاني (الشيرازي) هناك، حيث أُحكمت الرصاصة إلىٰ الحبل الذي كان الشيرازي مشدودًا به وقُطعت بالتدبير المدبَّر من قبل، فتهلَّل وَجهُ القُنصل ورفاقة لَمَّا كانوا هَيَّؤوا الأسبابَ لاختطافه من قبلُ وإخفائه في أحدِ المنازل التابعة للقيصرية، أو انقاذه من الموت علىٰ الأقلِ حسب الدستور الرائج: أن الذي ينجو من الموت مرَّة لا يُعدَم ثانية.

ولكنهم فشِلوا في المحاولتَيْن، حيث لم يستطيعوا الذهابَ به إلىٰ المكان المُمَهَّد له من قبل، والإشاعة بين الناس «أن المهدي لا يغلبه أحد ولا يَقتلُه أحد»، كما لم يتمكنَّوا مِن مَنْع جَرِّه إلىٰ ساحةِ القتل مرَّةً أخرىٰ، حيث قُبض عليه في مخبأه الذي اختبأ فيه هاربًا في ظلامِ الدُّخَان الكثيف في

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٤٨).

حُجرته التي كان مسجونًا فيها علىٰ رواية البابيِّين، أو في المِرحاض الذي كان بجانبِ الحجرات للأُسارىٰ حسب رواية المسلمين.

لأنَّ الجنود أحاطوا كلَّ الحجراتِ والطُرق المؤدِّيةِ إلىٰ خارجِ الساحة، وما لَبِثوا بُرهةً يسيرةً إلاَّ وقد عثَروا عليه»[1].

واقتادُوه إلىٰ الساحة مرةً ثانية.

☐ وكان البابيُّون الموجودون هنالك بدؤوا يُذيعون ويُوسوِسون للناس: «أن الباب رَجع إلىٰ غَيْبته، وارتفع إلىٰ السماء، ولكنهم فشِلوا في تلك المحاولات، حيث وجدوه عاجلاً في إحدىٰ الحجرات للثكنة العسكرية»[2].

☐ وبدأ ذلك الدَّعيُّ الزور، والكاذبُ علىٰ اللَّه، والمدَّعي للألوهية والربوبية يرتمي في أيديهم وأرجلهم ويسألُهم الرحمة.

☐ وشرع في تحريضهم علىٰ تشيُّعهم والاستعطاف والاسترحام بقوله: «أنا ابنُ رسول اللَّه فلا تظلموني، ولا تَعدموني، فاتقوا اللَّهَ، واستحيوا من الرسول، ولا تقتُلوا ابنَه، ولم أُذنب مطلقًا»[3].

ولكن ما أثَّرَت فيهم صرخاتُه هذه حيث عَلَّقوه بالحبل من جديد، وغُيِّر الجنود المُرتشون، وجيء بالوِحدة العسكرية الأخرىٰ، فما أطلقوا الرصاصَ إلاَّ وقد مَزَّق جسدَه وسَقط كُتلةً واحدةً لحمًا وعظمًا ودمًا، حيث اختَرق جِسمَه بِضْعٌ وعشرون رصاصةً لم تُخطئ منها واحدة، فانهار قنصلُ

---

(١) «دائرة المعارف» لوجدي (ص٧، ٨) نقلاً عن جوبينو الفرنساوي.

(٢) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٧)، و«نقطة الكاف» (ص٢٤٩).

(٣) «نقطة الكاف» (ص٢٤٩).

الروس «واعتلاه الغمُّ والألم، وبدأ يبكي أسفًا وحسرةً من هول وقعِ هذه الكارثة»[1]، ولعدم نجاحِه في المحاولة الأخيرة لإنقاذِ عميله وآلةِ دولةِ الروس، وعدوِّ الأمة المحمديَّةَ ـ علىٰ صاحبها الصلاة والسلام ـ، وخَصْمِ شريعته السمحاء البيضاء التي ليلُها كنهارها.

أمَّا المؤمنون فسُرُّوا باستئصال هذه الفتنة وشأفتها، وقتْلِ هذا المفترِي الكذَّاب، وأظهروا الفرحَ بذلك الحكم، وسبُّوا الشيرازي ولعنوه.

▫ «وربَط المأمورون الجثَّتيْنِ بالحبال، وجَرُّوهما إلىٰ المَيدان، وألقَوْهُما في خندق خارج المدينة».

▫ «وبقَيَتْ جثتُه ونَعْش الزنوزي في ذلك الخندق ثلاثَ ليالٍ حتىٰ أكلتهما الطيورُ الجارحة، ولَقَمَتْهما الكلابُ والسِّباع»[2].

▫ رَوىٰ محمدُ مهدي الإيراني قال: «ذهب أبوه في اليوم الثاني بعد قتله، فوجد الكلابَ أكلوا من الشيرازي إحدىٰ رِجليه وبعضَ الجسم»[3].

▫ وكان عُمُر الشيرازي يومَذاك إحدىٰ وثلاثين سنة وسبعةَ أشهرٍ وعشرين يومًا علىٰ أصحِّ الأقوال وأدقِّها[4].

✍ فيا له من إلهٍ مسكينٍ!!! وربٍّ تَعِسٍ جبان!!.

ويا لَلدموعِ المسكوبة من خالقِ الكون ومالكِ الغيب والشهود!!.

---

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٤٩).

(٢) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٧).

(٣) «مفتاح باب الأبواب» تحت ذكر جثة الباب.

(٤) «البابية» لإحسان إلهي ظهير (ص٩٧ ـ ١٠٣).

ويا له من انهيارٍ وشرودٍ وذهولٍ عميقٍ ليلةَ قتله، وفُقدانِه الشهامةَ والرجولةَ ـ التي لم تكن فيه يومًا ما ـ وحتى رَمَقِها الأخير!!.

ويا له من أنينٍ تنبثقُ منه حقيقةُ شخصيته وكُنهُها!!.

يا له من إلهٍ تأكلُه الكلابُ والسِّباع!!.

* ولقد صدَق اللَّه ـ عز وجل ـ حيث قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وصدق اللَّه مولانا العظيم.

* **مُدَّعي النُّبوَّة: المُلاَّ محمد علي البارفروشي:**

يلي في المرتبة بعدَ «زرين تاج قرة العين»، محمد علي البارفروشي عشيقُها وحبيبُها، عند البابيين، وكان له سيطرةٌ عظيمةٌ وتأثيرٌ كبير عليهم، حتى إنَّ البشروئي الذي لُقِّب بـ «باب الباب» من قِبَل الشيرازي وأول المؤمنين به كان يحترمه ويُعظِّمُه ويَخضعُ أمامه ويخشع، «ويقف بين يديه كالعبد الذليل بين يدي طَلْعةِ مولاه الجليل»[1].

«وحتى الباب الشيرازي نفسه سَجَد له مرتين»[2].

وُلد محمد علي هذا على فراشِ المِرزة مهدي البارفروشي أحد أعيانِ «الشيخية» في مدينة «بارفروش» من مقاطعة مازندران.

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٦١).

(٢) «تاريخ البابية» (ص٢٠٩).

وكان ولَدَ الزنا كما يصرِّحُ به أحدُ أتباعه المخلِصُ والمبالغُ في حبه «المرزة جاني الكاشاني» الذي كان من أوائل البابيين الذين قُتلوا في هذا السبيل.

◻ يقول ذلك البابي في كتابه «نقطة الكاف» ـ وهو أول كتاب على الإطلاق في تاريخ وحوادث هذه الديانة، وخاصةً من شخصٍ بابيٍّ ومخلصٍ كهذا ـ، يقول: «إن والدة القدوس لَمَّا زُفَّت إلى والده كانت حُبلى من ثلاثة أشهر، وبعد ستةِ أشهر من الزواج وضعت حَمْلَها، وأنجبت حَضرتَه ـ أي: محمد علي القدوس ـ لذلك كان الأعداءُ يُعرِّضون به، وينسِبون إلى أُمِّه التُّهمة، ويطعنون في نَسَبه، ولكنَّ الأحباءَ والمخلصين يؤوِّلون هذا بالخير ويَعُدُّونه معجزةً، حكايةَ عيسى»[1].

◻ وليس هذا وحسب، بل أقر بذلك البارفروشي أمامَ الذي وُلد على فراشه، حيث قال له مرةً: «فاعلم أني لست بولدك.. بل أنا عيسى، وظهرتُ بصورةِ ابنك، واعترفتُ بأبوَّتك مصلحةً»[2].

◻ ونقول للبابيين الذين يفتخرون بهذه المعجزة ويَعُدُّونها كرامةً للبارفروشي: نعم هذه كرامة، ولكنها كرامةُ أُمِّه لا كرامتُه هو.

وكان شابًّا وسيمًا متألِّقًا وجميلاً، وطَموحًا في المعالي، وحريصًا في المناصب، ولكن وَصمةُ العار كانت في جبينِه، والكلُّ كانوا يعرِفون حقيقتَه وأصلَه، ولم يكن في وُسعه أنْ يَغسِلَ هذا العارَ ما دامت «بارفروش» وأهلُها أحياءً.

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٩٩).. والمقصود أنهم يرونه كعيسى عليه السلام!.

(٢) المصدر السابق (ص١٩٩و ٢٠٠).

□ «وكانت دراستُه دراسةً سطحيةً؛ لأنه لم يكن مِن بيتِ العلم والعلماء، ولكنه دَرَس بعضَ العلوم الدينية منها وغير الدينية، كعادةِ أبناءِ ذلك العصر»

□ وكانت دراستُه أيضًا على الطريقة الشيخية، وكان من أصدقاء المُلاَّ حسين البشروئي وزملائِه مع التفاوت في السنِّ، فإن البشروئي كان أسنَّ منه، ولَمَّا سَمع المُلاَّ البارفروشي من البشروئي أن أحدًا من «شيراز» أعلن بابيته ويطلبُ منه ـ أي: البشروئي ـ أن يَجمعَ له أنصاراً ونُقباءَ، فأدرك بذكائه أنَّ هذا المدَّعي ليس إلاَّ الشيرازي، فاعترف ببابيته بدون أدنى تأمل، قائلاً للبشروئي: «أعلمُ قطعيًّا وأقولُ يقينًا: إن المدَّعي ليس إلاَّ علي محمد الشيرازي»، ثم لُقِّب من قِبَله بـ«القدوُّس»، ولم يكن عمرُه آنذاك أكثرَ من واحدٍ وعشرين سنةً، «وارتقى بعد ذلك إلى دعوى المَهْدَوية والقائمية»[1].

لقد وصل «القدوس» البارفروشي إلى النبوة والمسيحية[2].

□ وادعى الزنيمُ الذي صار «قدوسًا» «أنه عيسى الذي وُلد بلا والدٍ بقُدرة اللَّه وإظهاراً للمعجزة الربانية»[3].

□ ولَمَّا رأى البُلهاءَ أنهم صدَّقوه وصدَّقوا ذلك المجنونَ الذي ادَّعى الأُلوهيَّةَ والربوبية، ادعى ثالثةً «أنه هو رَجعةُ رسولِ اللَّه نفسِه ـ عياذًا باللَّه ـ»[4].

---

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٠١) وأيضًا (ص٢٠٧) طبع ليدن.

(٢) «نقطة الكاف» (ص١٩٩، ٢٠٧).

(٣) «نقطة الكاف» (ص١٩٩).

(٤) «نقطة الكاف» (ص١٥٢، ١٥٣).

◻ ثم انهمك في الفسوق والفجور، وجَهر بالمنكر والفحشاء مع الباغية الطاغية «قرة العين»، وعاش معها عِيشةً فاجرةً مع زواجها من المُلاَّ محمد وعدمِ طلاقه إياها ظاهرًا، عِيشةَ الدُّيوثة حيث يراها تلعبُ بهذا وذاك مع جَعلها إياه سيدًا لجسمها، ومالكًا لعِرضها، ويظهرُ من سيرته وحياته أنه كان غريقًا في الفجور إلىٰ حدٍّ لم يكن ليفرِّق بين الرجالِ والنساء، وعباراتُ «نقطة الكاف» في كثيرٍ من المواضع تشيرُ إلىٰ هذا، وخاصةً عند ذِكره وذِكر المِرزة «يحيىٰ صبح الأزل»: «لَمَّا رأىٰ البافروشي المرزة يحيىٰ، ورأىٰ حُسنَه وجمالَه سُرَّ جدًّا، واستقبله استقبالاً حافلاً للغاية، وذهب به بعيدًا عن الأصحاب، وأظهر له لُطفَه ومودَّته، فحادثه مُدَّةً، وأنشأ خُطبةً في حُسنِه وجماله وأوصافه، وأخذ يُغنِّي بلحنٍ يُحيي الأموات مِثلِ نفخ عيسىٰ في الأرواح، وزَرَع بَذْرَ حُبِّه في مزرعة قلبه، وخَطَّ وُدَّه علىٰ لوحِ فؤاده، وجَذَبه إليه بالنفحات السِّرية والعلنيَّة، وسقاه من خَمره النادر المؤثِّر، وجَعَله سَكرانًا أبد الدهر، ولم يرجع إلاَّ وقد ظهر علىٰ المرزة يحيىٰ آثارُ الجمال والجلال مِن طلعته البهيَّة، ثم أرسله إلىٰ الطاهرة؛ لتلعبَ به دورَها في دَورتها، وفعلت به ما فعلت»[1] !!!.

◻ كلُّ هذا باسم الدِّين الجديد؛ لأنه هو الذي طهَّره من ذلك العار، وجعل له مرتبةً ومقامًا «يحقُّ له أن يحرِّمَ الحلال ويُحِلَّ الحرام»[2] .

ومَن يكنْ هذا شأنُه، فما لَه وللحرام؟!.

---

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٤١).

(٢) «نقطة الكاف» (ص١٨٥).

وإن كان هناك فَرْقٌ بين الحرام والحلال، فلماذا الدِّينُ الجديدُ ونسخُ الشريعة الإسلامية الحقة؟!.

*** قتل هذا النبي الدجَّال الدَّعِي:**

قُتل هذا الزنيمُ بعد العذابِ الشديد بدلَ ما كان يفعل بالمسلمين، «ويأمر بنَصبِ رؤوسِهم على أبراجِ القلعة بعد قتلِهم خيانة وغُدرًا»[1]، وبدل الشناعات التي ارتكبها هو وأصحابُه، فقُتل في مدينةِ «بارفروشَ، وأُحرقَ نعشُه، ورُمِي به في خرابةِ إحدى المدارس هناك، وذلك في أول رجب سنة ١٢٦٥هـ بعد حوادث قلعة الطبرسي، وكان عمره يومئذ سبعةً وعشرين سنةً.

□ وكان هذا الدَّعِي قد تنبَّأ «سيرتفع البناءُ على قبره، ويأتي لزيارته الناسُ من البلاد البعيدة»[2].

□ وقد تنبأ أيضًا البابُ الشيرازي بهذا، «أنه في المستقبلِ القريبِ سترتفعُ الأبنيةُ الرفيعةُ والضريحُ الكبير على قبره، ويأتي الناسُ فوجًا فوْجًا من كلِّ العالم لزيارةِ ضريحه»[3].

□ «وبكى عليه الشيرازيُّ تسعةَ عشَرَ يومًا كاملاً، وترك المطاعم، وأرسل شخصًا واحدًا من أقربائه ليأتي ترابًا مِن تُربته هديةً له»[4].

---

(١) «نقطة الكاف» (ص١٧٧).

(٢) المصدر السابق (٢٩٨).

(٣) «نقطة الكاف» (ص٢٠٩).

(٤) المصدر السابق.

والحالُ أنه إلىٰ يومنا هذا لا يُعرَف قبرُه دون البناءِ والضريحِ والأبنية الرفيعة، فكذَّب اللَّهُ الكذَّابين، وفيه عبرة لمن يعتبر.

◻ ولقد نقل مؤرِّخُ البابية «الكاشاني» عن المرزة حسين المازندراني البهائي «أن «القدوس» كان يُريد ادِّعاءَ شيءٍ، ولكنه لم يُمهِله الأَجَلُ»[1].

◻ وفعلاً ادَّعىٰ هذا الدجَّالُ «أن أصلَ النقطة والربِّ هو، وليس الشيرازي إلاَّ بابُه وداعيته»[2].

ألا لعنةُ اللَّه علىٰ الكاذبين!!.

*** أسدُ اللَّه التِبريزي المُلَقَّب بالديان:**

◻ «هو االذي أرسله الشيرازيُّ إلىٰ المرزة يحيىٰ، ونَصَّبه علىٰ مَنصِبِ كاتب وحيه-أي: وحيِ صبح الأزل-، وكان عارفًا باللغة العبرية والسريانية»[3].

ولَمَّا رأىٰ هذا جَهْلَ النوريِّ «صبح الأزل» وعدمَ معرفتِه بالعلوم ومُسايرةِ الأمور وعجزَه عن إدراك الحقائق، ظنَّ أنَّ أملَه قد خاب.

ثم رأىٰ أن يدَّعيَ بنفسه بدلَ أن يكتفيَ علىٰ كتابةِ آياتِ ذلك الجاهل الذي هو دونَه بكثيرٍ في اختراع الآيات وافترائه علىٰ اللَّه.

◻ فادَّعىٰ وهو في بغداد بأنه هو الذي أخبَرَ بظهوره الشيرازي «أن مَن يُظهِرُه اللَّه سيظهرُ قريبًا». فقال: أنا هو. . «فناظره المازندراني المرزة حسين علي البهاء وجادله، وطَلَب منه أنْ يرجعَ عن دعواه، ولكنه لَم يرجعْ ولَم

---

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٠٠).

(٢) «نقطة الكاف» (ص٢٠٧).

(٣) مقدمة «نقطة الكاف».

يَرْضَ، فقَتَله البابيُّون وأغرقوه في شَطِّ العرب بعد أن أوثقوا برجلَيهِ الحَجَرَ الثقيل»[١] .

وكان أتباعُه يُسمَّون «الأسديون».

* ذبيح البابي:

◻ ادَّعى المَظهريَّةَ والنبوَّةَ طفلٌ مدلَّلٌ ومراهقٌ جَميل «ذبيح»، وكان حُلوانيًا، ولَم يبلغ السابعةَ عشَرَ من العمر، «وكان طَلعةُ جمالِه جَذابةً للغاية، وحُسنُه محييًا للأموات، وقَدُّه كالغصن في الطول، وعيناه المباركة كأنها عينُ اللَّه الناظرة، وحواجبُه كالقوس، وأُذناه اللطيفة كسمعِ اللَّه، ولسانُه الحلوُ كلسانِ اللَّه الناطق، وكان يَقتلُ ويصطادُ الناسَ بلحظاته، فمِشيتُه العزَّة للَّه، ونظرُه جذبُ اللَّه، وسكوتُه الحِكمة، وتكلُّمه الرأفة، ووقوفُه القيامة، وحركتُه إيجادُ العوالم البديعة، فسبحان اللَّهِ ما أجمله، والشمسُ تخجلُ من لَمَعانِ بهائِه وجماله، فاللسان أعجزُ مِن أوصافه ونعوته»[٢] .

وليس هذا من الشِّعر الغَزَلي، ومن أبيات ليلى والمجنون، وجميلِ بُثينة، وكُثيِّر عزة، بل هي نصوصٌ أثبتها البابي القتيلُ المرزة جاني الكاشاني في كتابه التاريخي «نقطة الكاف».

فمَن كان هذا وصفُه وشأنُه لا بدَّ وأن يكون نبيًّا ورسولاً!! .

فادَّعى النبوَّةَ والرسالةَ أولاً، ثم الألوهيةَ والربوبيةَ، ومِثلَ الشيرازي

---

(١) مقدمة «نقطة الكاف»، وانظر «البابية» لإحسان إلهي ظهير (ص٢٧٩).

(٢) «نقطة الكاف» (٢٥٢، ٢٥٣).

حَذْواً بحذوٍ، ونعلاً بنعلٍ قائلاً: «إنني أنا اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ أنا»، وتبعه بعضُ البابيين (متأثِّرين من حُسنه وجماله). وخالفه الأكثرون، ومَنعوه جبراً وقهراً بأن لا يُظهِرَ دعاويه أمامَ أحد»[1].

وكان هذا في السَّنة الثانية بعدَ قتل الشيرازي.

* بَصيرُ الهندي ـ لعنه اللَّه ـ:

كان رجلاً أعمىٰ سَمَّاه المِرزة يحيىٰ «بصيراً»، واشتُهر بعد ذلك باسم «السيد بَصير الهندي»، ومكث طويلاً عنده وعند أخيه حسين علي.

□ وأنزل فيه المِرزة يحيىٰ آياتٍ: «أن يا حبيبُ قد اصطفيناك بين الناس»، وأنزل آيةً «باسمه الأبصر الأبصر»[2].

فغرَّته تلك الألقابُ الفارغةُ التي أُعطِيَت للبابيين بكلِّ جُودٍ وسخاء، وادَّعىٰ أخيراً أنه هو أيضًا مَن يُظهره اللَّه، «فاعتَنَق دعاويه ناسٌ من البابية بأصفهانَ وغيرها من المُدن الأخرىٰ بإيران»[3].

* ودَجَّالون كاذبون آخرون ادَّعوا النُّبوَّة:

ادَّعىٰ آخَرون دَجَّالون كذَّابون مِن زعماءِ البابية النُّبوَّة: «المِرزة عبداللَّه الغوغا، وحُسين الميلاني، والسيد حُسين الهندياني، وآغا محمد الكردي وغيرهم، ادَّعىٰ كلُّ واحدٍ مِن هؤلاءِ النبوةَ والرسالةَ والمظهرية»[4].

□ وحتىٰ المِرزة زرندي المعروف بالنبيل صاحب كتاب تاريخي بهائي

(١) «نقطة الكاف» (ص٢٥٥)، وانظر «البابية» لإحسان إلهي (ص٢٧٩ـ ٢٨٠).

(٢) «نقطة الكاف» (ص٢٥٨).

(٣) «دائرة المعارف للمذاهب والأديان» (٢/ ٣٠٢).

(٤) مقدمة «نقطة الكاف» لبراؤن ص «م» طبعة ليدن ١٩١٠م.

«مطالع الأنوار» أيضًا ادَّعىٰ بهذه الدعوىٰ، حتىٰ قال الشيخ أحمد الكِرماني البابي الملقَّب «بروحي أزلي»: «وصل أمرُ الادِّعاءات إلىٰ هذا الحدِّ بأنه ما كان أحدٌ يقومُ صباحًا ويستيقظُ مِن نَومه إلاَّ وقد بيَّن نفسَه بهذه الدعوىٰ»[١].

* **صُبح الأزل خليفة الشيرازي وزعيم «الأزلية»:**

كان من أتباعِ الشِّيرازي الباب علي محمد أخوانِ لأبٍ المرزة يحيىٰ النُّوري والمرزة حسين علي النوري. . آمَنَ يحيىٰ النوريُّ بالشيرازي، وكان عمرُه يومَذاك ستةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ عامًا»[٢].

حَضَرَ مؤتمر «بدشت» الذي نُسِخ فيه الإسلام، وأحبَّته قُرة العين الداعرة.

❑ يقول «براؤن» وهو يَذكُره: «إنَّ الشيرازي أحبَّه لتقشُّفه وزُهده وانهماكه في تبليغ الديانة البابية، وجمالِه وعُمرِه كالبارفروشي وشاعرة قزوين «قُرَّة العين» حتىٰ بعد قتل البارفروشي وهلاك البشروئي والدارابي في السَّنة الخامسة من دعواه لقَّبه الشيرازيُّ بـ«صُبح الأزل»، ليجعلَه مِصداقًا لتلك الرواية الشيعية ـ الموضوعة ـ: نور أشرق من صبح الأزل، فيلوح على هيكل التوحيد آثارُه»[٣].

وجَمَع الشيرازي مكتوباتِه وخاتَمَه ولباسَه ومَقْلَمَته ومخلَّفاته في جُعبةٍ، وأرسلَها مع مفتاحِها إليه، وأمَرَه أن يُتمَّ «البيان» بكتابةِ الأوحاد

---

(١) مقدمة «نقطة الكاف» ص «م»، و«مقالة سائح» تعليق براؤن (ص٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) «نقطة الكاف» (ص٣٩).

(٣) مقدمة «نقطة الكاف» ص «لد».

الثمانية التي تركها لخليفته، ونصَّ علىٰ أنه لا يُكملُها إلاَّ وَصِيُّه ووليُّه، كما نصَّ علىٰ خلافتِه في ورقةِ الوصية التي خَتَمها بخَتمه، وأرسلها إليه أيضًا بتوقيعه قال فيها: «اللَّه أكبر تكبيرًا كبيرًا، هذا كتابٌ من عند اللَّه المهمين القيومُ إلىٰ اللَّه المهيمن القيُّوم، قل كلٌّ من اللَّه مبدؤون، قل كلٌّ إلىٰ اللَّه يعودون، هٰذا كتابٌ مِن علي قبل نبيل[1] ذِكرُ اللَّه للعالمين إلىٰ مَن يَعدلُ اسمُه اسمَ الوحيد[2] .

ذِكر اللَّه للعالمين، قل كلٌّ مِن نقطةِ البيان ليبدؤون أنْ يا اسمَ الوحيد فاحفظْ ما نزل في البيان، وأمر به، فإنك لصراط حق عظيم»[3] .

واتَّفق جميعُ المؤرِّخين علىٰ أن المرزة يحيىٰ كان وصِيًّا للباب وخليفتَه بلا نزاع كائنٍ بين البابيين، ولم تختلف فيه اثنان.

وقد اعترف عباس أفندي الملقب «بعبد البهاء» نبيُّ البهائيين وابن ربِّهم المرزة حسين علي البهاء في «مقالة سائح» بأن أصلَ الوصيِّ والخليفة للشيرازي كان صبح الأزل لا أباه[4] .

وبعدَ الخلاف بينه وبين أخيه البهاء المازندراني كان كبارُ «البابيين»، وبقيةُ السيف من «حروف الحي» معه. . ومات هذا اللعينُ عن عمر يناهز «٨٢» سنة.

---

(١) معناه علي قبل محمد يعني به علي محمد؛ لأن نبيل عدده عدد محمد حيث الحروف الأبجدية.

(٢) يعني به يحيىٰ؛ لأن عدد الوحيد يُطابق عدد يحيىٰ بحساب الحروف الأبجدية.

(٣) مقدمة «نقطة الكاف» ص «لد» و«له» و«نقطة الكاف» (ص٢٤٤).

(٤) «مقالة سائح» (ص٥٥).

وألَّف كتبًا عديدةً، منها «تكملة البيان الفارسي» ـ حسب وصيةِ الباب الشيرازي ـ، و«المستيقظ»، و«آثار الأزلية»، و «أحكام البيان»، و«ألواح أزل»، و«رياض المهتدين»، و«صحائف الأزل»، وكتاب «النور»، و«مرآة البيان»، وكتاب «الهياكل».

وأشهرها «المستيقظ» الذي يظنون فيه أنه ناسخٌ للبيان، كما كان «البيان» ناسخًا للقرآن.

والأزليُّون تفرَّقوا بعد موت يحيىٰ، ولبُعدِ الدار انقطعت الروابطُ بينه وبين البابيين، حتىٰ إن ابنَه الكبير تنصَّر، ومات بقيَّتُهم في الفقر والإفلاس[1].

* ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[2].

*** بَهاءُ اللَّه المازندراني، مؤسِّس «البَهائيَّة»:**

وُلدِ هذا الكذَّابُ الملعون في قرية «نور» من قرىٰ المازندران بطَهْرانَ من إيرانَ سنة ١٨١٧م (١٢٣٣هـ)، وفي عام ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) ـ لَمَّا أعلن البابُ الشيرازي دعوتَه اعتَنق المِرزة حسينُ بن عليٍّ البهاء أَمْرَ الدِّينِ الجديد بشجاعة، وكان إذ ذاك في السابعةِ والعشرين من عُمره.

ولم يُدخلْه الشيرازيُّ في «حروف الحيِّ» ـ أي: خاصتَّه ـ وإن أدخل

(١) دائرة «المعارف الأردية» و«البابية» لإحسان إلهي ظهير (ص٢٧٨).

(٢) كل ما كتبناه عن «طائفة البابية» إلىٰ هنا مُلَخصٌ عن كتاب «البابية» للشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه اللَّه ـ وأجزل له المثوبة.

أخاه الأصغر «صبح الأزل» في عداد هؤلاء(١) .

واستطاع البهاءُ البروزَ في «مؤتمر بدشت» المعروف في تاريخ البابيَّة، حيث تمكَّن من الوصول إلى «قرة العين» غانية البابيِّين، وزعيمتِها الأولى، والتقرُّبِ إليها، وتأييدِه المطلَق لها بكلِّ ما تريدُه من الفِسق والفجور وهَتك الأعراض، وكسرِ الحدود الشرعية، والقِيَمِ الرُّوحية، وفوقَ ذلك نَسخُ شريعة اللَّه التي تَفرِضُ على الناسِ هذه الحدودَ حفاظًا على شرفِ الإنسانية وكرامتِها.

ولَمَّا قام الهياجُ وتعالت الأصواتُ على مُنكراتِ قرَّة العين في «مؤتمر بدشت» وتَجَرُّئِها على القول بنسخ الإسلام، أيَّدَها حُسين علي البهاء بكلِّ قوةٍ وصرامة، ففتح المصحفَ وقرأ منه سورةَ «الواقعة»، وفسَّرَها يُؤيِّد ما قالته قرَّةُ العين ويُصَوِّبها، وكتب بعد ذلك إلى الباب الشيرازي بـ «ماه كو» يطلبُ منه الفصلَ في القول، فوافق الشيرازي قرَّة العينَ وحسينَ علي وعصابتَهما القائلين بنسخ الإسلام.

◻ ويُصرِّحُ المؤرِّخُ البهائي: «أن قُرَّة العين تأثرت بحسين علي بعدما لَقِيَتْه وعَرَفَتْه إلى حَدٍّ لم تكن تأمرُ بشيءٍ أو تفعلُ فَعلةً إلاَّ بعد إذنٍ منه».

فبها وبواسطتها وعلى عِرْضِها، بنى عمارةَ عزِّه وجاهِه، والجديرُ بالذِّكرِ والطريفُ أنَّ لقب «بهاء اللَّه» منحته قرَّةُ العين له، خلافَ مشاهير البابيَّة الآخرين، فإنهم كلَّهم أو جُلَّهم، ما مُنِحوا ألقابَهم إلاَّ مِن قِبَلِ الباب الشيرازيِّ نفسه، أما البهاء، فمنحته هذا اللقبَ قرَّةُ العين، وخلعته عليه،

---

(١) «نقطة الكاف» للمرزه جاني الكاشاني ص(٢٣٩، ٢٤٠).

ورَوَّجته بين الناس، ولقد اعترف بذلك أولُ مؤرِّخٍ بابي بهائي في كتابه التاريخي «الكواكب الدُّرِيَّة في مآثر البهائية»، حيث ذَكَر «أنَّ أوَّل المتفوِّهين بكلمةِ «بهاء اللَّه» كانت قرَّةُ العين»[1].

والجديرُ بالذِّكر أن سفير روسيا الصليبيَّة آنذاك «كنياز دالغوركي» سهم عمليًّا في تكوينِ وتخليقِ الديانة البابية والبهائية كما هو واضحٌ في مذكَّراته التي نشرتها مجلة سوفياتية «الشرق» سنة ١٩٢٤م.

*** عمالته:**

◻ وعندما اعتُدِي على الشاه مِن قِبَلِ «المُلاَّ شيخ علي» تدخل السفير الروسي «كنياز» لتبرئة البهاء، واعترف البهاءُ بذلك، فقد قال في كتابه «سورة الهيكل»: «يا ملكَ الرُّوس.. ولما كنتُ أسيراً في السلاسل والأغلال في سجن طهران نَصَرني سفيرك»[2].

بل وسارعت الحكومةُ الروسيةُ بتقديمِ الجنسيَّةِ الروسية، وحضورِ مندوبِ السفارة الروسية عند استجوابه، وتدَّخل السفيرُ الإنكليزي لصالحه.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ المازندراني وابنَه عباس أفندي أفادا الإنجليز في الإطاحةِ بالخلافة العثمانية، وساعداها على الاستيلاء على البلاد العربية، وفلسطينَ على الوجه الأخصِّ.

---

(١) «الكواكب االدرية» لآوازه (١٣٨)، انظر «البهائية» لإحسان إلهي ظهير (١٤) ـ دار ترجمان السنة بلاهور بباكستان.

(٢) «سورة الهيكل» للمازندراني المندرج في كتابه «لوح ابن ذئب» (ص٤٢) ـ طبع باكستان بلاهور بباكستان.

◻ «ولقد اعترف الداعيةُ البهائي «اسلمنت» بكلٍّ وقاحةٍ وفضاحةٍ بما فعله نبيٌّ البهائيَّة عباس عبدالبهاء، وفرحِه باحتلال بريطانيا بـ «حيفا» وطردها للأتراك، وإنعامِ الإمبراطورية البريطانية عليه بنيشان فرسان الإمبراطورية البريطانية في احتفالٍ وقع في حديقة الحاكم العسكري بـ «حيفا» في ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٠م»[1].

◻ أما خيانتُه للإسلام والمسلمين في فلسطين، وإغداقِ العطاءِ الفاحش عليه من اليهود، فذلك متواترٌ يعلمه القاصي والداني.

◻ والبهائيةُ مبنيَّةٌ على البابيَّة ومؤسَّسةٌ عليها، وكان البابُ الشيرازي يُكثِرُ من ذِكرِ مَن يأتي بعده الذي يُعَبِّر عنه بـ «مَن يظهره اللَّه» أي شخصًا يظهره اللَّه برسالته ونبوَّته بعده، حَسَبما كان يعتقدُ بأن النُّبُوَّةَ والرسالةَ ما انقطعت على يد سيِّد الخلق وأفضل البشر محمدٍ الصادق الأمين ﷺ رسول اللَّه إلى الناس كافةً، بل يتسلسلُ بعده مجيءُ الرسل والأنبياء، فهو نبيٌّ بعدَه حسبَ ظنِّه ووهمِه ووحي الشيطان، وبعده أيضًا سيأتي الأنبياء، ومَن يأتي بعدَه يكونُ ناسخًا لديانته «البابية»، وكتابُه يكون ناسخًا «للبيان» كتاب الشيرازي، كما كان «بيانه» ناسخًا للقرآن، وعلى ذلك بدأ ينصحُ أتباعَه وأُمَّته أن يؤمنوا به حين ظهوره وبَعثتِه وألاَّ يؤذُوه مطلقًا.

◻ فيقول في «بيانه العربي» بعبارته المعقَّدة الرديئة لغةً ومعنًى ما نصُّه: «الثالث: ما أنتم مِن ملك تورثون.. لتؤمِنُنَّ بمن يُظهِرُه اللَّهُ ثم بآياته تُوقنون»[2].

---

(١) انظر «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٧٠).

(٢) الواحد العاشر، الباب الثالث من «البيان العربي» للشيرازي.

☐ وقوله: «إن «البيانَ» ميزانُ الحق إلى يوم مَن يظهرُه اللَّه . . وإن قيامةَ البيان تقومُ يومَ ظهورِ مَن يظهره اللَّه»[1] .

وبعد قتلِ علي محمد الباب الشيرازي، ادَّعى كثيرٌ من البابين أنهم «مَن يظهره اللَّه» مِثل المرزة أسد اللَّه التبريزي الملقب بالديَّان، والمرزة عبدِاللَّه الغوغاء، وحُسين الميلاني المعروف بحسين جان، وسيد حسين الهندياني، والمرزة محمد الزرندي الملقَّب بـ«النبيل»، حتى قال الشيخ أحمد الكِرماني البابي في كتابه «هشت بهشت» (الجنات الثمانية): «وصل الأمرُ إلى حدٍّ أن كلَّ مَن كان يقومُ من النوم صباحًا كان يُزيِّنُ جسدَه بلباسِ هذا الادِّعاء. . أي أنه مَن يُظهره اللَّه»[2] .

وبعد وصيةِ الباب لصبح الأزل نازعه أخوه البهاءُ بعد أنْ أقرَّ وسَلَّم له، إلاَّ أن هذا الملعونَ البهاء ادَّعى بايعازٍ من المرزة «آقاجان الكاشي» بأنه هو «من يظهره اللَّه» الذي بشَّر به الباب الشيرازي في كتبه وألواحِهِ سنة ١٢٧٩هـ يوم الأربعاء ثالث ذي القعدة الموافق ٢١ أبريل ١٨٦٣م في حديقة نجيب باشا خارج بغداد حسب قول «اسلمنت» و«الحسني»، وسنة ١٢٨٠هـ، على قول النبيل المورخ البهائي، وعلى قول حسين علي كما سيأتي، وسنة ١٢٨٣هـ في «أَدِرْنة» حسب تحقيق المستشرق «براؤن»[3] .

وهذا ما يوكده «جولدزيهر»[4] و«بروكلمان»[5] .

---

(١) الباب السادس والسابع من الواحد الثالث من «البيان» الفارسي.

(٢) «هشت بهشت» للكرماني نقلاً عن «مقدمة نقطة الكاف» لبرؤان.

(٣) مقدمة «نقطة الكاف» ص مج ومد.

(٤) «العقيدة والشريعة» لجولدزيهر (ص١٤٤).

(٥) «تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان (٣/ ١٦٥).

◻ وعلىٰ كلٍّ يُخبر عن هذا الادعاء «اسلمنت» الداعية البهائي: «صَدَر أمرُ الحكومة التركية باستدعاء بهاء اللَّه إلىٰ «الأستانة» بناءً علىٰ طلب الحكومة الإيرانية، وبعد جملةِ مخابراتٍ معها، ولَمَّا وَصلت هذه الأخبارُ وقع أحبَّاؤه في اضطرابٍ، إذ حاصرت الدولةُ منزلَ رئيسِهم المحبوبِ، لدرجةِ أن أُسرته اتَّخذت حديقةَ نجيب باشا خارج المدينة مقرًّا لهم مدةَ اثني عشَرَ يومًا ريثما تتجهَّزُ القافلةُ للسفر الطويل، وفي اليوم الأول من هذه الاثني عشر يومًا ـ ٢١ أبريل سنة ١٨٦٣م لغايةِ ٣ مايو سنة ١٨٦٣م ـ أي في السَّنة التاسعةَ عشْرةَ بعد ظهور دعوةِ الباب بَشَّر بهاءُ اللَّه الكثيرين من أتباعه بأنه هو الموعود الذي أخبر عنه البابُ وسمَّاه بـ «من يظهره اللَّه» وأنه هو الموعودُ أيضًا من جميع الأنبياء السابقين، وقد عُرِفت تلك الحديقةُ التي أُعلنت فيها الدعوة بـ «حديقة الرضوان»، وعُرفت الأيام التي قضاها بهاء اللَّه فيها بـ «بعيد الرضوان». . »[1] .

◻ ويقول المازندراني نفسه مخاطبًا البابيين: «انظروا بعينِ الإنصاف إلىٰ مَن أتىٰ من سماءِ المشية والاقتدار، ولا تكونُنَّ من الظالمين، ثم اذكروا ما جرىٰ من قلم مبشِّري في ذِكرِ هذا الظهورِ وما ارتكبه أُولو الطغيان في آياته، إلا أنهم من الأخسرين»[2] .

◻ وأيضًا: «يا ملأ البيان اتَّقوا الرحمن».

◻ ثم انظروا ما أنزله في مقامٍ آخَرَ، قال: «إنما القبلةُ مَن يُظهره اللَّه،

---

(١) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» لاسلمنت (ص٣٧).

(٢) «الأقدس» للمازندراني.

متىٰ يَنقلب تنقلب إلىٰ أن يستقرَّ، كذلك نَزَل مِن لدُن مالكِ القَدَر إذا أراد ذكر هذا المنزل الأكبر، تفكَّروا يا قوم ولا تكونُنَّ من الهائمين، لو تنكرونه بأهوائكم إلىٰ أيَّةِ قِبلةٍ تتوجَّهون يا معشر الغافلين.. ليس لأحدٍ أن يتمسَّك اليومَ إلا بما ظَهَر في الظهور، هذا حكم اللَّه من قبلُ ومن بعدُ وبه زَيَّن صحفَ الأولين.. مَن عرفني فقد عَرف المقصود، ومَن توجَّه إليَّ قد توجَّه إلىٰ المعبود، وكذلك فُصل في الكتاب وقُضي الأمر من لدىٰ اللَّه رب العالمين»[1].

❑ و: «ياملأ البيان أُقسِمُكم بربِّكم الرحمن بأن تَنظروا فيما نزل بالحق بعين الإنصاف ولا تكونن من الذين يرون برهان اللَّه وينكرونه، ألاَ إنهم من الهالكين، فقد صرح نقطة البيان في هذه الآية بارتفاع أمري قبلَ أمره، يشهدُ بذلك كلُّ منصفٍ عليم، كما ترونه اليومَ أنه ارتفع علىٰ شأنٍ لا يُنكره إلاَّ الذين سكِرت أبصارُهم في الأولىٰ وفي الأُخرىٰ لهم عذابٌ مهين، قل تاللَّه إني لمحبوبه والآن يَسمعُ ما ينزلُ من سماءِ الوحي، وينوحُ بما ارتكبتم في أيامه، خافوا اللَّهَ ولا تكونُنَّ من المعتدين، قل يا قوم إنْ لم تؤمنوا به لا تعترضوا عليه، تاللَّه يكفي ما اجتمع عليه من جنودِ الظالمين»[2].

❑ وأطال قولَه حولَ دعواه هذا في كتابه «لوح ابن ذئب»، وأورد جميعَ أقوال الشيرازي عن «من يظهر اللَّه»، وطَبَّقها علىٰ نفسه، وأثبت أنه هو المقصودُ منها.

❑ وقال في إحدىٰ ألواحه: «إن حضرة المبشِّر «أي: الشيرازي» روحُ

(١، ٢) «الأقدس» للمازندراني.

ما سواه، فَدَاه بَشَرٌ سَنَةَ سِتّين بالروح الجديد، وفاز العالَمُ سنةَ ثمانين بالنور الجديد والروح البديع»[1].

ومثله كثيرٌ في جميعِ كتبه وألواحه يطولُ بذِكره الكلام.

◻ وخلاصةُ القول: إن المازندراني البهاء ادَّعىٰ وقال: «إنه هو مِصداقُ بشائرِ الشيرازي وأقوالِه، وإنه هو مَن يُظهِرُه اللَّهُ، ولأجلِ ذلك تلقَّب بالبهاء، حيث الشيرازي علي محمد الباب كان يلقِّبُ مَن يظهره اللَّه بهذا اللقب، ويُكثِرُ استعماله في كلامِه بمناسبةٍ أو بدون مناسبة».

◻ وقَطعُ النظر عن حقيقة هذا الادِّعاء وحقَّانيته في نفس الأمر نقول: «هذه أُكذوبة أخرىٰ كبيرة عن البهائيين وبهائهم، ونتحيَّرُ كيف يَجترأُ علىٰ مثلِ ذلك رجلٌ يدَّعي النبوةَ والرسالة ـ بل الألوهية والربوبية ـ؟! مع أنها لا تُتصوَّرُ من رجلٍ عاديٍّ سُوقيٍّ عاميٍّ؛ لأن كلام الشيرازي عن «مَن يظهره اللَّه» كلامٌ واضحٌ لا غُبارَ عليه، حيث إنه وقتما يُبشِّرُ ويُخبِرُ عنه، يُعلِنُ ويعرفُ وقتَ ظهوره أيضًا، كما أنه يبيِّنُ ببيانٍ واضحٍ وجَليٍّ أنه لا يَظهرُ إلا بعدما يَكمُلُ دينُه «البابية» ويعتنقُه أكثرُ أهلِ العالَم، وخاصةً بعد دخول إيران كلِّها فيه، وليس هذا فحسب، بل إنه يُحدِّدُ التاريخَ كي يكونَ الناسُ علىٰ معرفةٍ وبصيرةٍ تامةٍ.

◻ فيقول الشيرازي في بيانه الفارسي ما معناه: «كلُّ الأديانِ لا تقومُ قيامتُها إلا بعد وصولها درجةَ الكمال، فلمَّا بَلَغ دينُ موسىٰ هذه الغايةَ قامت قيامتُه ببعثة عيسىٰ، وشريعةُ عيسىٰ عند وصولها الغاية والعُروجِ

---

(١) «لوح العالم» للمازندراني.

الحقيقي قامت قيامتُها ببعثةِ رسول الإسلام، وبعد ١٢٧٠ سنة على وصولِ الإسلام غايةُ الكمال قامت قيامتُه بشجرةِ الحقيقة وشجرةِ البيان «أي: نفسه» في سنة ١٢٨٠هـ؛ لأن الشيءَ ما لم يَبلغْ كمالَه ومنتهاه لا تقومُ قيامتُه، وقيامةُ البيان تقوم يومَ ظهورِ مَن يُظهِرُه اللَّه بعد وصولِه غايتَه القصوىٰ وحَدَّه الأعلىٰ»[1].

ومعناه أن مَن يُظهره اللَّهُ لا يَظهرُ إلا بعد وصول دينِ الباب حدَّ الكمال واعتناقِ العالَم كلِّه أو جُلِّه إياه والتشبثِ بأذياله، لأنه ـ حَسْبَ قوله ـ لا تقومُ قيامةُ دينٍ ومذهبٍ إلا بعدَ وصولِه منتهىٰ الرُّقيِّ والتقدُّم والازدهار، ولأجلِ ذلك كان يتنبأُ أن إيرانَ يومًا ما ستعتنق البابية، وأن مُلوكَ العالَم يَحكُمون بشريعتِه كما هو ظاهرٌ من تعليمات «البيان» وكتبه الأخرىٰ، وهذا لم يحصلْ إلىٰ هذا اليوم فضلاً عن ذلك اليوم الذي ادَّعىٰ فيه دعواه زعيمُ البابية وأحد تلامذةِ الباب المِرزة حسين علي المازندراني.

وأكثر من ذلك أن الباب الشيرازي صرَّح أيضًا بأنَّ عُروجَ دين البيان وكمالَه وثُمَّ قيامَتَه لا يكون إلاَّ بعد ألفَيْ سنةٍ تقريبًا، كما قال في البيان الفارسي[2].

◻ وثَبَت من كلام الشيرازي إلهِ البابيــة الكذَّاب أنَّ «مَن يظـهرُه اللَّه» ـ حسب زَعمه ـ لا يَظهرُ إلاَّ بعدَ ١٥١١ سنة على الأقل، أو ٢٠٠١ سنة علىٰ الأكثر ـ كما جاء في بيانه الفارسي والعربي ـ، غيرَ أن المِرزة حسين علي أحدَ تلامذة الشيرازي لم يَصبر علىٰ هذا أكثرَ من عشرين سنة، وكَذَب علىٰ

(١) انتهىٰ ملخصًا من الباب السابع، الواحد الثاني من «البيان» الفارسي للشيرازي.

(٢) «البهائية» لإحسان إلهي ظهير (ص٢٩١ ـ ٢٩٤).

أستاذه، حيث نسَبَ إليه بأنه ظهر مِصداقَ بشائرِه وأخبارِه، مع أنه لم يكن وحيدًا من الذين ادَّعوا هذه الدعوىٰ.

فالرجلُ ليس بكذّابٍ وخدَّاعٍ عند المسلمين فحسب، بل إنه لَكذّابٌ عند البابيِّين أيضًا، حيث كَذَب عليهم وعلىٰ زعيمهم الذي هو ربُّهم.

فهذا هو الكَذَّابُ الكذوب، ربُّ البهائية ومؤسِّسُ دينِهم.

◘ وكِذْبةٌ أخرىٰ كبيرةٌ مِثلُ سابقتها، وهي أن حُسين علي المازندراني البهاء بعدما ادَّعىٰ أنه «مَن يظهره اللَّه» «أي: النبي» الذي بَشَّر عنه عليُّ محمد الشيرازي الباب، تقدَّم خُطوةً أخرىٰ وقال: إنه هو الذي أنزل «البيان» علىٰ «الباب» وما هو إلاَّ وحيُه هو ومُرسِلُه نفسُه، فيقول: «قد نزّلنا البيان وجعلناه بِشارةً للناس؛ لأن لا يَضِلُّوا السبيل، فلمَّا أتىٰ الوعدُ وظَهَر الموعودُ أعرضوا إلاَّ الذين ترىٰ في وجوههم نَضرةَ النعيم، إذا قيل لهم: بأيِّ حُجةٍ آمنتم باللَّه؟ يقولون «البيان»، فلمَّا جاءهم مُنزِلُه «يعني نفسَه» كفروا بالرحمن، ألاَ إنهم هم الخاسرين، قل البيان نزل لنفسي، وزُيِّن بذِكري لولا ظهوري ما ظهر حرفٌ منه»[1].

وفي موضعٍ آخَرَ مِن «الأقدس» كتابه المقدس ينسبُه إلىٰ الشيرازي، فهذا هو الكذبُ الناطق الصارخ، وهذا هو ربُّ البهائية المدَّعي النبوةَ والرسالةَ، بل وللألوهية والربوبية كما سنبيِّن.

* **لعنةُ اللَّه على البهاء:**

◘ لَمَّا وَجَد الكذَّابُ البهاءُ أن خُزعبلاته قد لاقت القبولَ من البابيِّين

---

(١) «المبين» للمازندراني (ص٤).

الجهلةِ، انتقل مِن ادِّعاءِ النُّبوَّة ونزولِ الوحي إليه إلىٰ القول بأنه هو الذي أَخبر بمجيئِه جميعُ الأنبياء والرسل: «وفي ليلةٍ من الليالي في عالم الرؤيا سمعتُ هذه الكلمةَ العليا من جميعِ الجهات: إنا ننصرُك بك وبقلمك، لا تحزنْ عما وَرد عليك ولا تَخَف، إنك من الآمنين، سوف يبعثُ اللَّهُ كنوزَ الأرض وهم رجالٌ ينصرونك بك وباسمك الذي به أحيا اللَّه أفئدةَ العارفين»[1] .

□ و: «استمِعوا مَن الذي يدعوكم تحتَ السيف إلىٰ اللَّه العليم الحكيم، هل الذي يدعوكم في غَمَرات البلايا ينطقُ عن الهوىٰ، لا وربِّكم العليِّ الأعلىٰ. . كذلك أشرقت عليك شمسُ البيان مِن أُفق الوحيِ لتكونَ مطمئنًا بفضلِ ربِّك الرحمن»[2] .

□ وأيضًا: «سبحان الذي نزَّل الآياتِ بالحقِّ في هذا السِّجن الذي جَعَله اللَّهُ المنظر الأكبر، تنزلُ فيه ملائكةُ اللَّه الأمر في العشيِّ والإشراق»[3] .

□ ويكتب في رسالته التي أرسلها إلىٰ الشاه ناصر الدين القاجار: «يا سلطان، إني كنتُ كأحدٍ من العباد، وراقدًا علىٰ المِهاد، مرَّت عليَّ نسائمُ السبحان، وعلَّمني عِلمَ ما كان، ليس هذا من عندي، بل من لدُن عزيزٍ عليم، وأمرني بالنداء بين الأرض والسماء بذلك، ورد عليَّ ما ذَرَفَتْ به عيونُ العارفين. . هذه ورقةٌ حرَّكَتْها أرياحُ مَشيَّةِ ربِّك العزيز الحميد. . قد

---

(١) «لوح ابن ذئب» (ص١٤)ـ طبع باكستان.

(٢) «الكلمات الإلهية» مجموعة الألواح للمازندراني (ص١٠٢).

(٣) «الكلمات الألهية» مجموعة الألواح للمازندراني (ص١٠٢).

جاء أمرُه المبرَمُ وأنطقني بذكره بين العالمين، إني لم أكن إلاَّ كالميت تلقاءَ أمرِه قلَّبتني يدُ إرادة ربك»[1] .

◻ وأيضًا يقول: «قد كنتُ راقدًا هزَّتني نَفحاتُ الوحي، وكنتُ صامتًا أنطقني ربُّك المقتدر القدير، لولا أمرُه ما أظهرتُ نفسي، قد أحاطت مشيَّته مشيتي، وأقامني على أمرٍ به، وردَّ على سِهامِ المشركين»[2] .

◻ ويقول: «يا ملأ الفرقان قد أتى الموعودُ الذي وُعدتم به في الكتاب»[3] .

◻ ويزدادُ في التعالي والتفاخر ويقول: «الحمد للَّه الذي أظهر النقطةَ وفَصَّل منها علمَ ما كان وما يكون، وجعلها مناديةً باسمه ومبشِّرةً بظهوره الأعظم الذي به ارتعدت فرائصُ الأمم.. هذا هو الذي ذكره محمدٌ رسول اللَّه ومِن قبلِه الروح ومِن قبله الكليم.. وهذا الذي كان مكنونًا في أفئدةِ الأنبياء ومخزونًا في صدور الأصفياء»[4] .

◻ وصرَّح بكونه مسيحًا، حيث قال: «قل يا قومُ قد جاء الروحُ مرةً أخرى ليتم ما قال مِن قبل، كذلك وُعدتم به في الألواح إن كنتم به من العارفين»[5] .

◻ و: «اعلم بأنَّ الذي صَعِد إلى السماء قد نزل بالحق، وبه مرَّت روائحُ الفضل على العالم، وكان ربُّك على ما أقول شهيدًا، قد تعطَّر العالَمُ

---

(١) المصدر السابق (ص١٢٨).

(٢) «الرسالة السلطانية» (ص٣ و٤).

(٣) «لوح مبارك» (ص٣٥ و٣٦) ط باكستان.

(٤) المصدر السابق (ص٣٧ و٣٨).

(٥) «إشراقات» للمازندراني (ص٩٤ و٩٥) من المجموعة.

برجوعه وظهوره»[١] .

❑ وهذا كان في «بغداد»، وأما في «أدِرْنه»، فزاد الجنونُ والمُجون، إلىٰ أن قال: «وإنك أنت أيقِنْ في ذاتك بأنَّ الذي أعرض عن هذا الجَمال أعرض عن الرسل من قبل، ثم استكبر علىٰ اللَّه في أزلِ الآزال إلىٰ أبد الآبدين»[٢] .

❑ ثم ادَّعىٰ الربوبيةَ والألوهيَّةَ في عباراتٍ غامضة، وبَعْضُ المَكَرَةِ من البهائيين يَخدعون عامَّةَ الناسِ بقولهم: «إن المقصودَ من هذه العبارات كلِّها نَبيٌّ ورسولٌ لا غير؛ لأنها تُطلَقُ عليهم هذه الألفاظ والأوصاف تجوُّزًا»[٣] .

❑ والحقيقةُ غيرُ هذا كما بيَّناه من عباراتهم الصريحة، من المازندراني وابنه، والداعية الجلبائيجاني، و«اسلمنت» وغيرهم.

❑ ولقد صرَّح العباس ابن المازندراني، أن المازندراني لم يكن كالأنبياءِ السابقين ـ مثل موسىٰ وعيسىٰ وغيرهم ـ، بل كان من طرازٍ آخر، فاسمعْ منه ماذا يقول: «إن الأيام التي ظَهر فيها موسىٰ كانت أيامَ موسىٰ، والأيامَ التي ظَهَر فيها المسيح كانت أيامَ المسيح، وأيامُ إبراهيم.. وهكذا أيامُ الأنبياء كلُّها، وأما ذلك اليوم، (يومَ ظهور المازندراني الكذاب) كان يوم اللَّه»[٤] .

❑ وقَبْلَه الدجَّالُ نفسُه بيَّن لِمَ سَمَّىٰ هذا اليومَ يومَ اللَّه قائلاً: «هذا يومٌ فيه أتىٰ الرحمنُ علىٰ ظُللِ العرفان بسلطانٍ مشهود، إنه هو الشاهدُ علىٰ

---

(١) «مفتاح باب الأبواب» (ص٣٨٦) للدكتور محمد مهدي.

(٢) المصدر السابق (ص٣٨٢).

(٣) «كتاب القيامة»، وغيره من الكتب.

(٤) «مفاوضات عبدالبهاء» (ص٢١٤) للعباس.

الأعمال وإنه هو المشهود»[1] .

◻ وهل هناك أوضحُ من ذلك؟ نعم هنالك أوضحُ من هذا: «إن الجمال الأقدسَ الأبهىٰ (حسين علي المازندراني) قد استوىٰ ذلك اليوم ـ يومَ دعواه الخبيث ـ علىٰ عرش ربوبية الكبرىٰ، وتجلَّىٰ علىٰ أهلِ الأرض والسماء بكلِّ أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا»[2] .

◻ وعلىٰ ذلك يقول «جولدزيهر»: «فبهاء اللَّه أعظمُ مِن الباب؛ لأن البابَ هو القائم والبهاء هو القيوم، أي: الذي يَظَلُّ ويبقىٰ»[3] .

◻ يقول عباس أفندي نبيُّ البهائية وخليفةُ المازندراني وهو يبيِّن مقامه ومقام أبيه بقوله: «اسمي عبدالبهاء، وحقيقتي عبدالبهاء، والعبوديةُ للجمال المبارك ـ أي: المازندراني ـ هي تاجي، إلهي الأبهىٰ. . إذًا يجبُ علىٰ الأحباء أنْ يساعدوا عبدالبهاء في العبودية للَّه الواحد الحقِّ ـ أي: المازندراني ـ أبيه»[4] .

◻ وبعد أن كان عابدًا ذليلاً خاضعًا للشيرازي ـ حَسْبَ زعمه ـ صار معبودًا ومسجودًا حتىٰ للشيرازي ـ حَسْب مزاعمه ـ، وادَّعىٰ أنه هو الذي كان يَنزلُ عليه الوحيُ كما أُنزل عليه «البيان» شريعة البابية، وها هو يتبختر في مزاعمه ويقول: «لو أن النقطة (أي: الشيرازي) حَضَر اليوم لقال بأنني أنا أولُ العابدين»[5] .

(١) «لوح مبارك» (ص١١٢) من الكلمات.

(٢) «دروس الديانة» (ص٨١) للبهائية.

(٣) «العقيدة والشريعة» (ص٢٤٤).

(٤) «مكاتيب عبدالبهاء» (ص٤٢٩).

(٥) «تجليات» للمازندراني (ص١٧٣) من المجموعة.

◻ و: «قد طلع الفجرُ والقومُ لا يفقهون، قد أتت الآياتُ ومُنزِلُها (المازندراني) في حُزنٍ مشهود.. ثم اذكُرْ إذ كنتَ قائمًا لدىٰ المظلوم ونُلقي عليك آياتِ اللَّه المهيمنِ القيوم»[1].

◻ و«يا ملأ البيان واللَّهِ قد أتىٰ منزلُه ومرسلُه، اتَّقوا الرحمان ولا تكونوا من الظالمين»[2].

هذا وقد أعلن المازندراني أكثرَ من مرةٍ بعباراتٍ صريحة أن إلهٌ وربٌّ، مثل اللعين الأكبر فرعون، وها هي الشواهد:

◻ يقول في كتابه «مبين»: «يا قوم طهِّروا قلوبَكم، ثم أبصارَكم لعلكم تعرِفون بارِءَكم في هذا القميصِ المقدَّس اللميع»[3].

◻ و: «تاللَّه قد أتىٰ الرحمنُ بقُدرةٍ وسلطان.. قل هذا يومٌ فيه استوىٰ مُكلِّمُ الطور علىٰ عرشِ الظهور وقام الناسُ للَّه ربِّ العالمين.. طوبىٰ لِمَن عرفه وفاز به، وويلٌ لمن أنكره وأعرض عنه»[4].

◻ و: «وقد أشرق النورُ من أُفقِ الظهور، وأضاءت الآفاقُ، إذ أتىٰ مالكُ يومِ الميثاق، قد خَسِر الذين ارتابوا ورَبِحَ مَن أقبل بنورِ اليقين إلىٰ مَطْلَعِ الإيقان»[5].

◻ ويقول مخاطبًا: «جبل كِرْمِل» حينما جعله مسكنًا لنفسه: «يا كِرْمِل

---

(١) «كلمات فردوسية» للمازندراني «فارسي» (ص١٧٤، ١٧٥).

(٢) «الأقدس» للمازندراني.

(٣) «مبين» (ص٣٠).

(٤) «إشراقات» (ص١٠٣، ١٠٤).

(٥) «إشراقات» (ص١٢١).

انزلي بما أقبل إليك وجهُ اللَّه مالكُ ملكوتِ الأسماء وفاطرُ السماء، إذا أخذها اهتزاز السرور ونادت بأعلى النداء: نفسي لإقبالك الفِداء، ولعنايتك الفداء، ولتوجُّهك الفداء»(١) .

◘ ويكتب في إحدى ألواحه: «فلمَّا أتى الرحمنُ بملكوتِ البيان كَفَروا به، ألاَ لَعنةُ اللَّه على الظالمين»(٢) .

◘ وأصرحُ من هذه العبارات كلِّها ما ننقلُها من كتابِ البهائيين، الذي يزعُمونه أرفع الكتب السماوية، وأعلاها مرتبةً وشأنًا، وناسخًا لجميع الكتب السماوية بما فيها كتابُ اللَّه الخالد ـ القرآن العظيم ـ، ننقل عن هذا الكتاب حرفيًا ما قاله طاغوتُ البهائية وشيطانُها، حيث يذكر يومَ ظهوره فيقول: «هذا يومٌ لو أدركه محمدٌ رسول اللَّه ﷺ لقال: قد عرفناك يا مقصودَ المرسلين، ولو أدركه الخليلُ لَيضعُ جبهتَه على التراب خاضعًا للَّه ربِّك ويقول: قد اطمئن قلبي يا إلهَ مَن في ملكوتِ السماوات والأرضين»(٣) .

◘ وفي مقامٍ آخرَ استدلَّ على ربوبيته بقول الباب الشيرازي مخاطبًا أحد مُريديه البابيين: «خف عن اللَّه أن المبشِّر قال: إنه ـ يعني: الموعود ـ ينطقُ في كلِّ شأنٍ: «إنني أنا اللَّه لا إلهَ إلاَّ أنا المهيمنُ القيوم». . »(٤) .

◘ وأيضًا: «إذا يراهُ أحدٌ في الظاهر يجدُه على هيكلِ الإنسان بين أيدي الطغيان، وإذا يتفكَّرُ في الباطل يراه مهيمنًا على مَن في السماوات

(١) «لوح ملكة كرمل» للمازندراني (ص٢٢) ـ طبع باكستان.

(٢) «لوح البقاء» (ص٨) ـ طبع عربي.

(٣) «الأقدس» للمازندراني.

(٤) «طرازات» (ص١٩٧) من المجموعة.

والأرضين»(١) .

◻ وهل هناك أكثرُ من هذا؟ نعم هناك أكثرُ مِن هذا وأكثر، فانظره كيف يهذي: «لا يُرىٰ في هيكلي إلا هيكلُ اللَّه، ولا في جمالي إلا جمالُه، ولا في كينونتي إلا كينونته، ولا في ذاتي إلا ذاتُه، ولا في حركتي إلاَّ حركتُه، ولا في سُكوني إلا سكونُه، ولا في قلمي إلا قلمُه العزيز المحمود، قل لم يكن في نفسي إلا الحقُّ، ولا يُرىٰ في ذاتي إلا اللَّه»(٢) .

◻ وقبل ذلك كان المازندراني أعلن عن نفسه بأنه هو المستغاثُ، حيث قال: «يا معشرَ الروح لعلكم في زمنِ المستغاث توفَّقون، ومِن لقاءِ اللَّه في أيامه لا تحتجبون»(٣) .

وهل من العجائب أكبرُ من هذا بأنَّ عاجزاً وذليلاً كذَّابًا مثل المازندراني يُجعل إلهًا يُستغاثُ به وربًّا ينادىٰ؟! وهو الذي يعترفُ بعبوديته الفانية وعجزِه، ويمدُّ يديه أمام الآخرين طالبًا المددَ والعونَ بقوله وهو في بغداد: «وها قد مَضىٰ الآن سَتَانِ والأعداءُ قائمون بنهايةِ الجدِّ والاهتمام علىٰ إهلاك هذا العبدِ الفاني مع ذلك ما قام أحدٌ من الأحباب لنصرتنا»(٤) .

◻ ويشكو نفسَه من الآلام والهموم وهو في «عكا» في آخرِ حياته، حيث كتب إلىٰ السلطان ناصر الدين شاه «شاه إيران المعظَّم» ما نصه: «ما وجدتُ في أيامي مَقرًا من علىٰ قِدْرِ أضعُ رجلي عليه، كنتُ في كلِّ

(١) «اقتدار» للمازندراني (ص١١٤) ـ طبع عربي.
(٢) «سورة الهيكل» للمازندراني نقلاً عن «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٥٠).
(٣) «الإيقان» (ص١٣٩) ـ طبع عربي.
(٤) «الإيقان» (ص١٧٤).

الأحيانِ في غَمَرات البلايا التي ما اطَّلع عليها أحد . . كم من أيامٍ اضطربت فيها أحبَّتي لضُرِّي! وكم من ليالٍ ارتفع فيها نحيبُ البكاء من أهلي خوفًا لنفسي، ولا ينكرُ ذلك إلا مَن كان عن الصدق محرومًا»[1] .

◻ ويعترفُ بفقره وذِلَّته مقلِّدوه ومُتَّبِعوه، حيث يكتب عنه «اسلمنت»: «ولم يكن الفقرُ ولا السلاسلُ ولا الذِّلَّةُ الظاهرية بمانعةٍ لهم عن إدراكِ جلالِ ربِّهم»[2] .

نعم حينما يُعمِي اللَّهُ أحدًا لا يرىٰ الأشياءَ الواضحةَ ولا يُبصر .

◻ ويبكي وينوحُ ويشتكي هذا الكذَّابُ الدجال إلهُ البهائيين وناصرُهم ومُعينُهم بأنْ لا ناصرَ له ولا معين، ويُعلي الصُّراخ والعويل ويقول: «كم من ليالٍ فيها استراحت الوحوشُ في كنائسها، والطيورُ في أوكارها، وكان الغلام - الغلام والرب؟ - في السلاسلِ والأغلال، ولم يَجِدْ لنفسه ناصرًا ولا معينًا»[3] .

إلهٌ يستصرخ، وربٌّ يحتاجُ إلىٰ ناصرٍ ومعين؟ فالعدلَ العدلَ! ! .

هل يُستغاث بهذا الفقير، الحقير، والمحتاج، الذي لا يستطيع مَدَدَ نفسه ونصرة شخصه، فهل يَنصُرُ الآخرين ويُنجيهم من المآزِقِ والمهالك؟ .

فيا للأبصار التي عَميت، والأُذنِ التي صُمَّت، والقلوبِ التي قَسَت، والعقولِ التي تحجَّرت، ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] .

---

(١) «الرسالة السلطانية» للمازندراني (ص٤).

(٢) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٦٥).

(٣) «الرسالة السلطانية» (ص٣).

* وصدق اللَّه عز وجل: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

☐ ولا أدري أنه كيف يَجترئُ مع ذِلَّته وهوانه، وعجزِه ومسكنته أن يدَّعي ويقول: «إذا غرب شمسُ جمالي.. أنا معكم في كلِّ الأحوال، وننصرُكم، إنا كنا قادرين!»(١).

فأنت يا غلام، ما استطعتَ أنْ تدفعَ عنك الهمومَ والآلامَ وكيدَ الأعداءِ في حياتك.. فكيف استطعتَ بعد موتِك وفَنائِك، وبعد صيرورتِك رميمًا تحتَ الترابِ، أن تَنصرَ شياطينَك وبُلهاءَك الذين اغترُّوا بك وانخدعوا بتُرَّهاتِك؟!.

* وما أصدقَ قولَ الحقِّ وما أجْمَلَه: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

* وقولُه جلَّ وعلا: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١١٧-١١٨].

* وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

* ولقد صدق اللَّه ـ عز وجل ـ حيث قال: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ

(١) «الأقدس» للمازندراني.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

☐ فانظرْ لهذا الكذَّابِ المفترِي الدَّجالِ الذي يَصِفُ نفسَه مرةً بأنه مظلومٌ ومسجون، ثم يتقَّلبُ ويدَّعي أنه مهيمنٌ على السماوات والأرض، وأنه الربُّ الذي أتى بمجدِه الأعظمِ بين الأمِ!!.

☐ وما أكذبَ المازندرانيَّ حين يَجمعُ في كلامه في سطرٍ واحدٍ تناقضًا عجيبًا، حيث يقول: «قد كان المظلومُ معكم يَسمعُ ويَرىٰ وهو السميع البصير»[1].

فانظر ما أبلَهَه! وما أحمَقَه! أهذا هو إلهُ البهائية؟ واللَّهِ ما أجهلَهم! وما أسفَهَهم! أمظلومٌ وإلهٌ؟! وإله ومسجون؟!.

ضِـــدَّانِ مفترِقـــانِ أيَّ تفـــرُّقِ

ولكن مِن أين لهؤلاءِ البهائمِ العقولُ، وأنَّىٰ لهم البصائرُ، الذين يتركون أُلوهيَّةَ الحيِّ القيومِ الصمد، ويؤلِّهون عبدًا حقيرًا ذليلاً.

يعبدون مقهورًا مظلومًا مطرودًا منفيًّا تارةً، ومسجونًا تارةً أخرىٰ، المسجونُ الذي مات في سِجنه حَسَبَ إقرارِه واعترافه، ويستغيثون بمَن لم يستطعِ الخروجَ منه طوالَ الحياة، ويُنادُون لدفعِ المشكلات مَن لم يقدِرْ على دَرءِ مصائبِه وآلامِ نفسه، ويَخضعون أمامَ الذليلِ الحقيرِ الذي كان يَحضعُ أمامَ جبابرةِ الأرض ويسجدُ بين يدي طغاتها.

* ويتركون إلهَ العالمين، إلهَ المسلمين، الذي لو اجتمع أهلُ العالَمين بأجمعِهم أن يُصيبوه بشيءٍ ما استطاعوا، أو أن يأخذوا منه شيئًا لم يقدِروا عليه، وهو الذي وَصف نفسَه جلَّ وعلا بكلامِه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين

(١) «الأقدس».

يديه ولا من خلفه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

* مؤلَّفات المازندراني:

وقد ألف المازندراني كتبًا عديدةً، وبعبارةٍ صحيحةٍ رسائلَ كثيرة، إذ لا يتجاوزُ أكثرُ مؤلَّفاته من عشراتِ الأوراق، فمثلاً كتابه «الأقدس» الذي هو أهمُّ ما كتبه وألفه، ذلك الكتابُ الذي يظنُّه ناسخًا لجميع الكتب السماوية الأخرىٰ ـ بما فيه القرآن الكريم ـ، قد طَبعه السيد الحَسَني ملحقًا بكتابه «البابيون والبهائيون» في ٢٢ صفحة بالحرفِ الكبير والخطِّ الجليِّ، و«الرسالة السلطانية» في ١٤ صفحة، وأكثرُ ما كَتب من السور والألواح لا يتجاوز حَجمًا ١٠ صفحات، والبعضُ أقلُّ منها حجمًا، مثل «لوح أحمد»، و«لوح علي»، و«سورة الأمين»، و«لوح طرازات» و«بشارات»، و«تجليات»، وغيرها لا يتجاوزُ كلُّ واحدٍ من هذه الكتب أن تسمَّىٰ كتبًا عن خمس وخمسٍ ورقات، وهكذا دوالَيك؛ ولقد نبَّهنا إلىٰ ذلك لأن البهائيين يُرعِبون الغَفَلَةَ من الناس بذِكرِ الأسماء الكثيرة والأعدادِ الكبيرة لمؤلَّفات حسين علي المازندراني.

هذا من ناحيةِ الكمية.. وأمَّا من ناحية الكيفية، فلقد خَصَصْنا لأسلوبه واللغةِ التي استعملها في كتبه مقالاً خاصًّا بعنون «لُغة حسين علي

وجهله»، بحثنا فيه عن أسلوبه المُعوَجِّ، والغامق، الغامض، وعن استعماله الألفاظ للمعاني الغيرِ المقصودةِ، والمطالبِ الغيرِ المفهومة.

ونذكرُ ههنا أنَّ أهمَّ ما ألَّفه هو كتابه «الإيقان»، فقد ألفه أثناء إقامته في بغداد تأييداً للشيرازي ومزاعمه، وشرع في كتابةِ «ألواح الملوك»، في «أدرْنة»، وأتمَّه في «عكا»، وكتب «الرسالة السلطانية» وهو في عكا، وكتب «الأقدس» أيضاً في عكا. وكذلك «ألواحُ الملوك»، «وسورة الهيكل»، و«لوح ابن ذئب» وغيرها من الكتب والرسائل، كَتَب أكثرها في «حيفا وبهجة».

* **«الأقدس» أو «الأنْجَس» كتاب البهائيين المُقَدَّس:**

□ مثلما ادَّعى البابيُّون ـ عليهم لعنة اللَّه ـ بأن كتابهم «البيان» ناسخٌ للقرآن، أتى الكذَّابُ الدجَّال المازندراني، فادَّعى أن كتابه «الأقدس» ناسخٌ للقرآن «والبيان»، يزعمون أن «الأقدس» ناسخٌ لجميع الكتبِ السماوية، و«آية واحدة منه خيرٌ من كتبِ الأولِّين والآخرين»[1].

□ قال الشيخ إحسان إلهي ظهير عن «الأقدس» في كتابه «البهائية»: «لم يَطبعوه إلاَّ بعدما نقَّحوه من الأخطاء وصحَّحوه من الأغلاط، والذي ذكره الشيخُ الكبير محمد رشيد رضا في تفسيره «المنار» بقوله: «وإن لحسين علي البهاء كتابًا سماه «الأقدس» حاول فيه محاكاةَ القرآن في فواصل آياته وفي أنباء الغيب، ولكن أتباعه الأذكياء لم يجدوا بُدًّا من إخفاءِ هذا الكتاب وجَمعِ ما كان تفرَّق من نُسَخِهِ المطبوعة في الأقطار، ولا يَدري إلاَّ اللَّه ماذا يفعلون فيه بعد أن يَثِقوا بأنهم استردوا سائر نُسَخه من تصحيحٍ وتنقيح»[2].

(١) «الأقدس» للمازندراني.

(٢) «المنار» للشيخ محمد رشيد رضا المصري.

والجديرُ بالذكر أن البهائيين لم يَطبعوا «الأقدس» مدةً طويلةً، وبعكس ذلك كانوا يمنعون الآخرين عن أتباعهم مِن طبعه خوفًا من الخزي والفضيحة، ورغبةً في إخفاء الجهل الشائن والحُمقِ المطلَقِ المتدفِّقِ في كلِّ سطرٍ من سطوره وفَقرةٍ من فقراته، لا يقعُ في مِثله متعلِّمٌ مبتدئٌ، فضلاً عن العالِمِ والعارف المثقَّف، لِمَا فيه من أخطاءَ فاحشةٍ، وتراكيبَ ساقطةٍ، وعباراتٍ مهمَلَةٍ فاسدة، وعُجْمةٍ بيِّنةٍ ظاهرة، وأسلوبٍ ركيك، وعربيةٍ ضعيفة.

فهذا هو ابنُ المازندراني وزعيم البهائية عباس أفندي، يردُّ على مَن يستأذنُ منه طبع «الأقدس» أن الكتاب «الأقدس» لو طُبع لانتشر ووقع في أيدي الأراذل والمتعصِّبين، لذا لا يَجوزُ طَبعُه»[1].

◻ وعلى ذلك ذكر البروفسور «براؤن» كبير المؤيِّدين للبابية والبهائية في مقدمة «التاريخ الجديد»: «أستطيع أن أقول بعد تجاربي الشخصيةِ: إنه لا يمكنُ الحصولُ على كتبِ البهائية الأصلية لأحدٍ، هديةً ولا استعارةً، وفي مركزهم «عكه» تُعدُّ النظرةُ الطارئةُ على كتبهم معجزةً من المعجزات»[2].

ومع كلِّ هذه الاحتياطات والتحفُّظات أراد اللَّه إفضاحَهم وإظهارَ زَيغِهم واطِّلاعَ الناس على قبائحِهم وسقطاتهم.

◻ ولنبدأْ ونَقُلْ: يوجد عندنا وفي أيدينا عدةُ نُسخٍ «للأقدس»:

١ ـ النسخة المطبوعة على الحَجَر في «بومباي» التي حصلنا عليها من المركز البهائي بالسيالكوت ـ باكستان.

---

(١) «مكاتيب عبدالبهاء» (٣/ ٤٤٤).

(٢) «مقدمة التاريخ الجديد» لبراؤن (ص٢٨).

٢ ـ نسخة طبعها القاديانيون في منطقة «ربوة».

٣ ـ نسخة مطبوعة ملحقة بكتاب السيد الحسني «البابيون والبهائيون».

٤ ـ نسخة خطيَّة وجدناها في إحدىٰ المكتبات العامة بلاهور.

ونعتمدُ في سَرد العبارات علىٰ نُسخة الحَسني ونسخة بومباي لكونهما مسلَّمتان معترَفَتان عند البهائيين، ولا نستشهدُ إلاَّ علىٰ الأخطاء التي توجَدُ في جميعِ النسخ، ولقد أعطينا لهذا الكتاب وكتاب «الإيقان» أهميةً أكثرَ، لكونِ كلٍّ واحدٍ منهما أساسًا للديانة البهائية، ومعجزةَ لحُسين علي وعِلمِهِ وفصاحته وبلاغته. فيبدأ حسين علي في كتابه «الأقدس» الذي يشتملُ علىٰ اثنتين وعشرين صفحةً من الحجم المتوسِّط وخمسين صفحةً من القطعة الصغيرة ويقول: «إن أولَ ما كَتب اللَّه علىٰ العِباد عرفانُ مشرقِ وحيه.. مَن فاز به قد فاز بكلِّ الخير، والذي مَنع إنه مِن أهلِ الضلال ولو يأتي بكلِّ الأعمال»[1].

وقطع النظر عن الغموضِ والتعقيد المعنويِّ، فقد استعمل «مَن فاز به قد فاز» وكان الأفصحُ والأنسبُ «مَن فاز به فقد فاز».

ثم قال: «والذي منع أنه.. إلخ» ويريدُ من المَنع الامتناع. والفَرقُ بين المنع والامتناع واضحٌ وجَلِيٌّ يعرفُه الطالبُ المبتدئ.

وأيضًا أيَّةُ فصاحةٍ وبلاغةٍ في قوله: «إنه من أهلِ الضلال ولو يأتي بكلِّ الأعمال».

وإن أراد محاكاةَ القرآن الكريمِ ـ الذي لا يُمكن لأحدٍ أن يحاكيَه بعقلٍ

---

(١) «الأقدس» للمازندراني.

وفهم ـ، كان الأجدرُ به أن يقول: «مِن قبله فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن امتنع فقط حَبِط عملُه وهو في الآخرة من الخاسرين»، ولكن كما قيل قديمًا في الفارسية: «النقل أيضًا يحتاجُ إلىٰ العقل».

وهل هنا عاقل يتبارىٰ لمضاهاة أفصحِ الكتب وأبلغها وأعلاها حكمةً وعلمًا وحسنًا وجمالاً ورونقًا، كتاب اللَّه الخالق المتعال الكبير.

◻ ويقول في الفقرة الرابعة: «إنا أمرناكم بكَسرِ حُدودات النفسِ والهوىٰ، لا ما رُقم منَ القلم الأعلىٰ»[1].

فأولاً لفظة «حدودات» لا يَنطقُ بها العربُ؛ لأن «الحدَّ» جمعُه «حدود» لا غير.

وثانيًا: لا معنىٰ لـ «حدودات النفس والهوىٰ» أصلاً.

وثالثًا: لفظة «رقم» لا تحتاجُ إلىٰ صلة «مَن» إن كان معروفًا، وتُوصَل بـ «الباء» إن كان مجهولاً، أي: «ما رُقم بالقلم الأعلىٰ»، لا «من القلم الأعلىٰ».

ورابعًا: الفقرة كلُّها مهمَلة، وإلاَّ فما المقصودُ من كسرِ حدوداتِ النفس والهوىٰ، وعدمِ كسر ما رَقَمه القلمُ الأعلىٰ؟!.

◻ والفقرةُ الثالثة من الكتاب «يا ملأَ الأرض، واعلَموا أن أوامري سُرُجُ عنايتي بين عبادي، ومفاتيحُ رحمتي لبريَّتي، كذلك نَزَل الأمرُ من سماءِ مشيَّةِ ربكم مالِكِ الأديان»[2].

---

(١) «الأقدس».

(٢) المصدر السابق.

«فالعناية» التي يُكثِرُ استعمالها المازندراني لفظةٌ فارسية بمعناها، وليست بعربية؛ لأن العناية معناها في الفارسية الحبُّ والرحمة واللطف والكرم، وهذا ما يقصده هاهنا وفي المواضع الأخرىٰ الكثيرة في «الأقدس» وغيره.

أما العناية في اللغة العربية، فمعناها «الحفظ والاهتمام» ـ كما لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ له أدنىٰ صِلةٍ باللغة العربية ـ.

وأما استعمالُه «العناية» العربية في معناها الفارسي، لا يدلُّ إلاَّ علىٰ جهله بمدلولات الألفاظ ومنابعها.

والفقرةُ السابعة من «أقدسه» لا يتُقدَّرُ بلاغتُها وفصاحتُها بمقادير، فقد فاق بها الإنسَ والجن، الأولين منهم والآخرين، وأجبَرهم علىٰ الخضوع والانحناء أمامَه، وأمام عبارته الرائعة البديعة، وأدهش الأخفشَ وسيبويهِ والخليلَ والصمعيَّ!! الفقرة التي لا يمكنُ لطلاَّبِ اللغةِ العربية في الابتدائية أن يأتوا بمثلِها في الرداءة والبذاءة، وسوءِ الصياغة، وضعفِ التأليف، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً!!.

□ وإليكم الفقرةَ هذه: «لو يجدُ أحدٌ حلاوةَ البيان الذي ظَهر من فمِ مشيَّةِ الرحمن لينفقَ ما عنده ولو يكونُ خرائنُ الأرض كلُّها ليثبت أمراً مِن أوامره المشرقة من أفق العناية والألطاف»[1].

□ وأمَّا الفقرةُ الثامنة، فهي: «قلْ من حدودي يمرُّ عَرْف قميصي، وبها تُنصب أعلام النصر علىٰ القنن والأطلال، قد تكلم لسانُ قدرتي في

(١) «الأقدس» للبهاء.

جبروت عظمتي مخاطبًا لبريَّتي أن اعملوا حدودي حبًّا لجمالي»[١] .

فلنضربِ الصفحَ عن المعاني ومفهومِ الفقرة - التي لا مفهومَ لها -، ونقول «لفارس المعاني في مضمارِ الحكمة والبيان» و«صاحب القلم الأعظم» : إن فعلَ المرور لا يتعدىٰ «بمِن» ولا يوجدُ له شاهدٌ في كلام العرب قديمًا وحديثًا، بل إنه يتعدىٰ «بالباء» و«علىٰ» أو بنفسه عند البعض كما قيل قديمًا :

أمرُّ على الديارِ ديـــارِ ليـــلى أُقبِّلُ ذا الجـــدارَ وذا الجـــدارَا

وما حُبُّ الديـــارِ شَغَفْنَ قلبي ولكن حُـبُّ مَن سَـكن الديـــارَا

❑ وأما «بالباء»، فكما قال جرير في رواية :

مررتُم بالديار ولم تَعُـوجوا كلامُـكم عـليَّ إذًا حـرامُ

❑ ورُوي أيضًا :

تمرُّون الديـــارَ ولم تَعـوجـــوا

أي تعديته بنفسه .

وثانيًا: العَرْف - بفتح العين وسكون الراء -: الرائحة طيبةً كانت أم مُنتنة، وقصدُه هاهنا الرائحة الطيبة، ونُلفِتُ النظرَ إلى أن العربَ لا يستعملون لفظة المرور بالعَرف بمعنى الرائحة الطيبة، بل يستعملون لفظة «تَضوَّع، ونفح، وفحَّ، وتفرَّق، وانتشر، وسطع»، ولكنَّ البليدَ هذا لا يعرفُ استعمالاتِ العربِ، ويصوغُ التراكيبَ كيفما يشاءُ غيرَ عارفٍ بأن لكلِّ لغةٍ قواعدَ ومناسبات، ولا تَجمُلُ الجُمل وتَحسُنُ الصياغةُ إلَّا حسب

(١) «الأقدس».

دستور اللغة ونظامها، ولا يُحكمُ على الكلامِ بالفصاحة والبلاغة أو الرداءة والبذاءة إلا حسب ذلك الدستور وتلك القواعد.

◻ فانظر كلامَ العرب، وأنهم كيف يستعملون لفظةَ: «الريح والعَرف»، فيقول أحدُ الشعراء المتقدمين:

إذا التفَّتْ نَحوي تضوَّع رِيحُها نسيمُ الصَّبا جاءت بريا القرنفلِ

◻ وقال الشاعرُ الثقفيُّ عبدُاللَّه بن نُمير:

تضوَّع مِسكًا بطنَ نَعمانَ إن مَشَتْ به زينبُ في نِسوةٍ عطِراتِ

◻ ومثالُ استعمالِ «النفح» في كلامِ العرب: قول «جران العود» يذكر امرأته:

قد عالجتني بالقبيحِ وصَوبُها حديدٌ ومِن مِردانِها المسكُ يَنفَحُ

إلى غير ذلك.

وثالثًا: إنه قال «مخاطبًا لبريَّتي - و - أن اعمَلوا حدودي -»، وكان الأفصح والأنسبُ والصحيحُ أن يقول «مخاطبًا بريتي» بدون الصِّلة باللام، وإتيانِ الصِّلةِ على الحدود؛ لأنه لا معنى لـ «اعملوا حدودي».

فالمقصودُ أن حُسين عليٍّ المازندراني إلهَ البهائية وربَّهم، ومدَّعِي الفصاحةِ والبيان يتخبَّطُ العشواءَ حيث لا يدري ماذا يختارُ من الألفاظ والحروف وماذا يترك!! وهذا بقطع النظر عن المعاني والمفاهيم طبعًا؛ لأن كلامَه خالٍ من المطالب والمقاصد والمفاهيم، ولم يكن غَرضُه إلاَّ حشوُ الكتبِ من الغَثِّ والسمين - ولا سمينَ له - كي يقالَ إنه مؤلِّف ومصنِّف!!.

أبهذه السفاهةِ والحُمقِ والبلاهةِ والجهلِ أراد مخالفةَ كتابِ اللَّه الخالد

المعجزِ ومعارضته؟ فتلك إذًا قسمةٌ ضيزىٰ.

* وإليك بعضَ الآيات المباركة من ذلك الكتاب العظيم: ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١-١٣].

* وصدق اللَّه مولانا العظيم: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

□ وأما الفقرة التاسعة فهي: «طوبىٰ لحبيبٍ وَجد عَرْفَ المحبوب من هذه الكلمة التي فاحت منها نفحاتُ الفضل علىٰ شأنٍ لا توصفُ بالأذكار»[(١)].

فالفقرةُ كلُّها نموذجٌ لركاكةِ الأسلوب وضَعفِ اللغة العربية، وهَلُمَّ جرًّا.. إلىٰ آخرِ فقرات «الأقدس»، الكتاب الذي تَعُدُّه البهائيةُ ناسخًا لجميع الكتب السماوية والصحف الإلهية، والذي قال فيه طاغوتُهم المازندراني نفسه: «تاللَّهِ لا تُغنيكم اليومَ كتبُ العِلمِ ولا ما فيه من الصحف

(١) «الأقدس» للمازندراني.

إلاَّ بهذا الكتاب الذي يَنطِقُ في قطبِ الإبداع أنه لا إلهَ إلاَّ أنا العليم الحكيم»[١].

فكلُّ فقرةٍ من فقراته وعبارةٍ من عباراته مُهمَلَةٌ رديئة، ومليئةٌ بالأخطاء من حيثُ اللغة والقواعد، بل وكلُّ جُملةٍ من جُمَلِه وكلمةٍ من كلماته تخالفُ محاوراتِ العرب وأساليبَهم، فلا تجدُ عربيًّا يكتبُ مثلما كَتب، ولا ينطقُ مثلما نَطَق، لا الأوَّلين ولا الآخِرين، وأطفالُهم وجهلتُهم يشمئزُّون وينفِرون من تلك العربية التي يصوغُها حسين علي إلهُ البهائية وربُّهم.

▫ أمَا ترىٰ فقرته: «لا يُبطِلُ الشَّعرُ صلواتِكم، ولا ما مَنع عن الرُّوح مِثل العِظام وغيرها، البَسوا السمور كما تلبسون الخَزَّ والسنجاب وما دونهما، وإنه ما نُهي في الفرقان، ولكن اشتَبه علىٰ العلماء أنه لهو العزيز العلاَّم»[٢].

فما معنىٰ: «لا يُبطل الشَّعر صلواتكم»؟ ثم وأيةُ لغةٍ هذه: «ولا ما منع عن الروح مثل العظام»؟!.

ولعلَّه يريد أن يقول: ما خَلِيَ عن الروح، أو: ما لا رُوحَ فيه، وعلىٰ كلٍّ، فالعرب لا يعرفون هذا الأسلوب قطعًا ومطلقًا.

ثم وما المفهومُ من العبارةِ هذه: «إن الشَّعر والعِظامَ وغيرَها لا تُبطلُ الصلوات»؟ هل يريدُ أنْ يا تُرىٰ أنه لو لَبِس أحدٌ العظامَ أو الشَّعر لا تَبطُلُ صلواتُه؟ أو من صَلَّىٰ عليها جازت صلاتُه؟ وهل يُلبس الشَّعر أو العظام، أو يمكن الصلاةُ علىٰ العظام؟.

(١) «الأقدس» للمازندراني.

(٢) «الأقدس» الفقرة ٢٠.

لا ندري ماذا يقصد من كلامه هذا، فعندنا في اللغة الأُردية مثلٌ يضرب به «ما كَتَبه موسىٰ لا يقرأه إلا هو»، أي: لا يفهمُه أحدٌ غيره.

وخيرُ مَن يصدُقُ عليه هذا المثلُ هو صاحبُنا هذا المسكين!.

ثم وما المحلُّ لاستعمالِ كلمة «وما دونهما» بعد الخزِّ والسِّنجاب بدل «سواهما»، وكذلك كلمة «إنه ما نهي في الفرقان»، فمن الذي نَهىٰ، والضمير يرجع إلىٰ الغير المذكور في كلِّ الفقرة إن كان «نهىٰ» معروفًا، وإن كان مجهولاً فعن أيِّ شيءٍ «مَنع»، كما هو غيرُ مذكور بعد النهي؟! والعبارةُ لا تستقيمُ إلاَّ بعدَ القول: «ما نُهي عنها»، أو: «ما نهىٰ اللَّه في الفرقان عنها».

ونُلخِّصُ القولَ، ونذكرُ بعضَ أخطاته النحوية بعدما فَصَّلنا القولَ في لغته وجهلِه باللسان العربي المبين.

◘ ومنها قوله: «تفكروا في هذه الآية، ثم أنصِفوا باللَّه، لعلَّ تجدون لآلئ الأسرارِ من البحر الذي تموج»[1].

وما أكثرَ استعمالَه «لعل» هكذا، والمعروفُ أن «لعل» من الحروف المشبهة بالفعل، ولا تدخل إلا علىٰ الأسماء أو الضمائر. وهذا ما يعرفُه التلامذةُ، فضلاً عن المَهَرة والأساتذة، وقد كَثُر استعماله عند العرب:

أُحبُّ الصالحين ولستُ منهم ... لعلَّ اللَّه يهديني صلاحَا

◘ وقال مجنونُ بني عامر:

يقول أناسٌ عليَّ مجنونُ عامر ... يرومُ سَلُوا قلتُ: إني لمَا بيا

(١) «الأقدس».

◻ ودخولُها على الضمائر مثل قول الشاعر:

أيا سِربَ القَطا! هل مَن يُعير جناحه لعلِّي إلى مَن قد هَوَيتُ أطيرُ

◻ ولكن ما أكثرَ ما أدخلها هذا الجهولُ على الأفعال، مثل قوله في «الأقدس» أيضًا: «انظروا ما نزل في مَقامٍ آخر، لعل تَدعون ما عندكم»(١).

◻ و«اغتمِسوا في بحرِ بياني، لعلَّ تَطلُعون بما فيه»(٢).

◻ ويقول في مقامٍ آخر من «الأقدس»: «اتقوا اللَّهَ يا أُولي الأبصار ولا تنكرون»(٣).

فهل يمكن لأحدٍ يعرفُ القواعدَ البدائيةَ أن يقول «تنكرون» بعد صيغة الأمر.

◻ ومن أخطائه أيضًا قوله: «ليس هذا أمر تلعبون به»(٤).

فهذا السفيهُ لا يعرفُ عملَ «ليس» بأنه يرفعُ الاسم وينصبُ الخبر.

◻ ويقول: «لعل الأحرارَ يطَّلِعْنَ على قَدْرِ سُمِّ الإبرة»(٥).

فمن يخبره أن «أحرار» جمع «حُرٍّ»، والذكورُ لا تُرجعُ إليهم ضمائرُ التأنيث، وإن أراد التأنيثَ أي «الحُرّة» فجمعُها «الحرائر» لا «الأحرار».

فهذا هو الحالُ لأهم كتب البهائيين وأقدسِها بعد ما صحَّحوه ونقَّحوه مراتٍ عديدة من الأخطاء، وما كانوا يريدون طبعَه خوفًا من الفضيحة التي حَصَلت والخزيِ الذي لَحِق، فلا رادَّ لقضاء اللَّه وقَدَره.

فقد أعطينا أمثلةً قليلةً، وأوردنا منه ما يكفي لأخذِ الفكرة، وإلاَّ الوريقات هذه، فإنها مليئة كلّها من مئاتِ الأخطاء النحوية واللغوية، ما

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) «الأقدس».

تُثبت قطعًا أنه ليس من الوحي السماويِّ الإلهيِّ الذي هو مُنزَّهٌ عن النقص والعيب اللفظيِّ والمعنويِّ، وتنبئُ أنه لم يتفوَّه بها إلاَّ حاطبُ ليلٍ لا يدري الهابلَ من الوابل والغثَّ من السمين.

والباحثُ والقارئُ يدركُ أيضًا خلالَ عباراتِ «الأقدس» أنه تكلُّفَ مَحضَ محاولةٍ عابثةٍ لمنافسة القرآن سجعًا وإرسالاً وازدواجًا؛ لأن السجعَ والإرسال والازدواج المهمَل لا يجعلُه مشابهًا للقرآن، بصرفِ النظرِ عن سياق الكلام وصياغته وتركيبه وألفاظه وحُروفه، وإلا ما كان لداعيةِ البهائية الكبير أبي الفضل الجلبائيجاني أن يردَّ على كتاب «يحيى صبح الأزل» أخِ البهاء ومنافسِه في وصاية الباب وولايته قائلاً: «إنَّ كتابه - أي يحيى المالدراني - يحتوي على عباراتٍ عربيةٍ ركيكةٍ وسخيفةٍ وملفَّقةٍ على مِنوالِ آياتِ القرآن الشريف صورةً، ولكنها خاليةٌ عن المعنى، وغيرُ مرتَّبةٍ، ومليئةٌ من الأغلاطِ اللفظيةِ والمعنويةِ، ومُخالِفةٌ لقواعدِ اللغة العربية، حيث لا يمكنُ أن يَتحمَّل سماعَها مَن له أدنى إلمامٍ باللغة العربية.. وهذا دليلٌ على أنه أسطورة بشريةٌ، لا نَغمةٌ سماويةٌ»[1].

وقد يَصدُقُ كلُّ هذا على كلامِ أخِ «يحيى صبح الأزل»، حسين علي البهاء حيث كانا نسيجًا وحدَه وإتباعًا لجَهولٍ واحدٍ عليٍّ محمد الباب الشيرازي، فلا يمكن أن يصيرَ القُبحُ حَسنًا، والحَسنُ قُبحًا بتبديل الأشخاص، فإنَّ النَّقصَ نَقصٌ، والكمالَ كمالٌ، نُسب إلى مَن كان وأيٍّ كان»[2].

---

(١) «مجموعة رسائل» للجلبائيجاني (ص١٤٥، ١٤٦، ١٤٧) ط مطبعة سعادة بمصر. سنة ١٩٢٠م.

(٢) «البهائية» لإحسان إلهي ظهير.

* «الإيقان» كتاب المازندراني:

◻ أما كتابُ «الإيقان»، فقد قال عنه: «إنه الذي جَرىٰ من قلم الرحمن في نواحي هذه الأزمان فإنه مع وجازته تبيان الزُّبُر والألواحِ، ومترجمُ كتبِ اللَّه فالقِ الإصباح، به فُكَّ خَتمُ النبيِّين وَحَلَّ عِقدَ إشاراتِ السابقين، فابذلْ غايةَ الجهدِ والتدبُّرِ في هذا الكتاب المستطاب، ليُلهِمَك الصوابَ في كلِّ باب، واحفظْ قلوبَ الأحباب عن مَظانِّ الشكِّ والارتياب»[1].

◻ يقول المازندراني البهاء في كتابه «الإيقان»: «وعلىٰ اللَّهِ أتوكَّلُ، وبه أستعين، لعلَّ يجري من هذا القلمِ ما يُحيي به أفئدةَ الناس، ليقومَنَّ الكُلُّ عن مراقدِ غفلتهم، وليسمَعَنَّ أطوارُ ورقات الفردوس من شجرٍ كان في الروضة الأحَديَّة من أيدي القدرة بإذنِ اللَّه مغروسًا»[2].

ركاكةُ أسلوب، وضعفُ تعبير، وعباراتٌ سقيمة لفظًا ومعنىٰ، لغةً وصرْفًا.. فالعربية تأفَّفُ من هذا الجزَّار، وتترفَّعُ عن أن يكون الفصحاءُ والبلغاءُ سُوقةً جهلةً كهذا الدجَّال المازندراني.

فأين مُسيلِمة الكذَّاب والأسودُ العنسيُّ ـ مع كذبهما ودَجَلِهما ـ من هذا المفتري صاحبِ الأضحوكات والحماقات والجنون والهذيان!!.

* أبمثلِ هذه العبارات التافهةِ المهمَلَةِ يُضاهىٰ القرآن؟ كَلاَّ ثم كَلاَّ، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الأحزاب: ٨٨].

---

(١) «مجموعة رسائل» للجلبائيجاني (ص٣٦).

(٢) «الإيقان» (ص١٤) طبع المحفل البهائي ـ باكستان عام ١٩٥٥م.

* البهاءُ المازندراني الدجَّال:

◻ هذا المجرمُ الأثيم هو قِبلةُ البهائيين، يقول: «وإذا أردتم الصلاةَ ولُّوا وجوهَكم شَطري، الأقدس المقام المقدس الذي جَعله اللَّهُ مطافَ الملإ الأعلى، ومَقبلُ أهلِ مدائن البقاء، ومصدرُ الأمر لمن في الأرضين والسماء»[1].

* انْظُرْ إِلَى الدِّين الَّذي أتَى به دَجَّالُ الدَّجَاجلَة:

◻ الصَّلاَةُ: مَن يطالع كتبَهم المقدسة ـ النجِسة ـ، لا يجدُ فيها طريقةَ أدائها، إلاَّ ما كتبه البهاء في كتابه «الأقدس» الفقرة ١٩: «قد فصَّلنا الصلاةَ في ورقةٍ أخرىٰ، طوبىٰ لمن عمِل بما أُمر به من لدُن مالكِ الرِّقاب».

◻ فأين ذهبت هذه الورقة؟ قالوا: «إن خصومَ البهاء سَرقوها منه، وهم لذلك يبكون ويتألمون!!!».

◻ ويُحرِّمُ الصلاةَ جماعةً بقوله: «كُتب عليكم الصلاة فُرادىٰ، قد رُفع حُكمُ الجماعةِ إلاَّ في صلاة الميت، إنه لهو الآمرُ الحكيم»[2].

◻ الصَّوْمُ: «قد كُتب لكم الصيام في شهر العلاء، صوموا لوجهِ ربِّكم العزيزِ المتعال»[3]، و«شهرُ العلاء» هو آخرُ الشهورِ البهائية التسعةَ عشَرَ، ويشتملُ علىٰ الأيامِ التسعةَ عشَر، وأما فريضةُ الصوم، فقد عُفي عنه المسافرُ والمريضُ والحاملُ والمُرضعُ والهَرِم والكسول.

---

(١) «الأقدس» الفقرة ١٤.

(٢) «الأقدس» الفقرة (٣٠).

(٣) «لوح كاظم» للمازندراني، و«خزينة حدود وأحكام» (ص٣٦).

◻ و«عند التكسُّر والتكاسُل لا يجوزُ الصلاةُ والصيام، وهذا حُكمُ اللَّهِ من قبلُ ومن بعد»[1] .

◻ الزَّكَاةُ: قال البهاء: «سوف نُفصِّلُ لكم نِصابها ـ إذا شاء اللَّه وأراد ـ، إنه يفعلُ ما يشاءُ بعلمٍ من عنده، إنه لهو العلاَّم الحكيم»[2] .

والعلام الحكيم لم يستطع بيانَ نصابها وتفاصيلها!! .

◻ بل قالوا: «يُعمل في الزكاة، كما نَزل في الفرقان»[3] ، أي: القرآن، والمعروفُ لمن له أدنى إلمام بالإسلام أن تفاصيل الزكاة ونصابها في السُّنة لا في القرآن!» .

◻ الحَجُّ: «الحج للبيت الأعظمِ في بغداد، وبيتِ النقطة في شيراز، وهو واجبٌ على الرجال دون النساء» .

◻ الطَّهَارَةُ: «رُفع حكمُ دون الطهارة عن كل الأشياء ـ قذِرةً كانت أم نَجسة ـ وعن مِللٍ أخرى، موهبةً من اللَّه إنه هو الغفور الكريم»[4] .

فهذه شريعةُ البهائيين، مُنتنةٌ خبيثة؛ كأحكامِها، وقذِرةٌ نجسة .

* الْمُحَرَّمَاتُ عِنْدَ الْبَهائِيِّينَ:

لا يُحرِّمون إلاَّ زوجةَ الأب، وبقيةُ نساءِ العالَم حلالٌ عندهم في كُتبهم، ويُحرِّمون تعدُّدَ الزوجات فوق الاثنين .

---

(١) «خزينة حدود وأحكام» (ص٣٧) .

(٢) «الأقدس» الفقرة ٣٥١ .

(٣) «لوح رين المقربين»، للمازندراني .

(٤) «الأقدس» الفقرة ١٦١ .

□ وانظر ما يقول الفاجر: «ومن اتخذ بِكراً لخدمته لا بأس عليه؛ كذلك كان الأمرُ من قَلم الوحي بالحقِّ مرقومًا»(١).

بل من قلمِ الشيطانِ أيها العربيد.

أَمَّا الزِّنَا: فإنهم لا يَعُدُّون الزنا إلاَّ ما لم يَرْضَ به أحدُ الطرفين، ومَنِ اقترف هذه الجريمةَ بدون الرضا لا عقابَ عليه، بل يؤخَذُ منه الأجرة؛ لأنها بالأجرة تنقلِب السيئةُ حسنةً.

□ يقول المازندراني: «قد حَكم اللَّهُ لكلِّ زانٍ وزانيةٍ ديةً مُسَلَّمةً إلى بيتِ العدل، وهي تِسعةُ مثاقيلَ من الذهب».

أما الزاني المحصن والزانيةُ المحصنة، فلا حُكم عليهما، إلاَّ أن يحكمَ عليهما بيتُ العدل.. هذا قول نبي البهائية عباس عبد البهاء.

هذا الفاجرُ البهاء قصتُّه وفجورُه مع «قُرَّة العين» شيطانةِ البابية ـ وقد كانت متزوجةً ـ، والغريبُ أنها هي التي منحته هذا اللقب «بهاء اللَّه»، «فالطاهرةُ» ـ كما كانوا يلقِّبونها ـ أسمته: «بهاء اللَّه»، فهي أولُ المتفوِّهين بكلمة «بهاء اللَّه»، وكفاه هذا جزاءً.

وهذا المأفونُ مَنع من الارتقاء على المنابر.

*** كَذِبُه على النبيِّ ﷺ في التحليل والتحريم:**

□ كَذَب هذا الأفَّاكُ الأثيمُ على النبيِّ ﷺ عند استدلاله من قول اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾ باستدلالٍ باطنيٍّ خبيثٍ، حيث قال: إنه ﷺ: «لو يحكُمُ على الصواب حُكْم الخطأ، وعلى الكفر حكم

(١) «الأقدس» الفقر ١٤٢.

الإيمان حقٌّ من عنده، هذا مقام لا يُذكر ولا يوجد فيه الخَطاءُ والعصيان»[1].

◻ وكل مَن له أدنىٰ إلمامٍ ومعرفةٍ بالشريعة السماوية السمحاء يعلمُ أنَّ النبي ﷺ ليس له أن يحكمَ علىٰ شيءٍ من قِبَلِ نفسِه، وليس له أن يُحِلَّ ما حَرَّمه اللَّهُ، أو يقول عن الكفر: إنه إيمان.

* الْكَذَّابُ يُظْهِرُ اللَّهُ كَذِبَهُ وَيَفْضَحُهُ:

◻ يقول البهاء في رسالته إلىٰ الشاه: «قد جَعل اللَّهُ البلادَ غاديةً لهذه الدسكرة الخضراء، وذُبالةً لمصباحه الذي به أشرقت الأرض والسماء».

◻ يقول «اسلمنت» داعيةُ البهائية: «وقد تنبأ بهاءُ اللَّه وعبدُالبهاء بأصرحِ وأوثقِ عبارة، عن النصر السريع للأمور الروحانية».

◻ ولَمَّا سُئل عباسٌ عبد البهاء: «إذا كانت دولةٌ من دول العالمِ العظيمةِ تؤمنُ بالديانة البهائية، أجاب: سيؤمن جميعُ أهلِ العالم».

◻ وصرَّح أيضًا: «هذا القرنُ قرنُ شمس الحقيقة، وهذا القرنُ قرنُ تأسيس ملكوتِ اللَّه علىٰ الأرض، بل وصرَّح أيضًا بأن سنة ١٩٥٧ تتأسَّسُ وِحدةُ الإنسانية».

وكَذَبَ الكذابُ وابنُه.

انظر لعميلِ الروس الذي ادَّعىٰ الألوهيةَ، كيف أظهر اللَّهُ عَجزَه ومسكنته؟ ينوحُ ويبكي ويشتكي، ويُعلِي العويلَ والصُّراخ لشاه إيران!! رَبٌّ في السلاسل والأغلال لا يجدُ له ناصرًا ولا مُعينًا.. إلهٌ يستصرخ،

---

(١) «إشراقات» للمازندراني (ص١٠٥).

وربٌّ يحتاج!!!! ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [الحج: ٧٨].

* جزاؤه ونهايته:

هذا الدجَّالُ الكَذَّابُ فَضَحه اللَّه في الدنيا قبل الآخرة، ونُفي من بلده بدلاً من إعدامه، وقبل ذلك لَقِيَ كلَّ الذُّلِّ والمهانة.

✍ وأظهر اللَّهُ كَذِبَه في كلِّ نُبوآته:

□ فقد ادَّعى هذا الدَّعي متنبِّئًا باعتناقِ أهل العراق البهائيةَ وافتخارِهم بها في المستقبل وهذا نصُّه: «ينبغي لأهلِ العراقِ أن يفتخروا بك، سوف يفتخرون، ولكن اليومَ لا يفقهون»[1].

وأظهر اللَّهُ كَذِبَه، فلا يوجد في العراق ـ مُدنِها أو قراها ـ مَحْفَلٌ بهائيٌّ أو مركزٌ بهائي واحد.

□ وتنبَّأ هذا الأفَّاكُ الأثيم أن «طِهران» عاصمةَ إيران ستكون مركزًا للبهائيين ومحلاً لانطلاقهم، وسيحكمها مَن يرفعُ شأنَ البهائيين، وكان عكس ذلك، وكانت طهران هاويةً ومأتمًا لهم.

□ وتنبأ بأن البهائية ستسودُ العالَمَ، وأنها ستغلبُ وتسودُ على الأديان كلِّها، ويعتنقُ أكثرُ أهلِ العالم ديانتَه، وكَذَّب اللَّهُ هذا الأفَّاك الأشِر، والواقعُ خيرُ شاهد، فما يعتنقُ البهائيةَ إلاَّ كُلُّ قِزمٍ مأفونٍ مخبولٍ تافه.

□ ونُقل عن أحد أبناء حُسين علي المازندراني أنه جُنَّ في آخرِ حياته وقبلَ موته بمدَّةٍ كما ذَكَره «عمر عنائت» نقلاً عن ابنه: «إن البهاءَ جُنَّ في

(١) «سورة الأمين» للمازندراني (ص١٩) طبع باكستان.

أواخرِ أيامه. وكان ابنه «عباس عبد البهاء» يعملُ كحاجب له، فاستأثر بالأمر، وأغدق على الجماعة أموالاً، فحبَّب فيه الأتباع»[1] .

ولم يكنِ الجنونُ طارئًا عليه قبل موتهِ فحسب، بل كان مَجنونًا منذ البداية، ويدلُّ على جنونه اعتناقُه البابيةَ ثم ادعاؤه النبوَّة والرسالة والألوهية.

ومات هذا الدَّعِيُّ الأفَّاكُ بعدَ إصابتِه بالحُمَّى في ٢٨ مايو سنة ١٨٩٢م، ودُفن قرب منزله بعكا.

* نبيُّ البهائية الدجَّال ابنُ الدجّال: عباس أفندي عبدالبهاء:

◻ قال الجلبائيجاني، والعراقيُّ، والعَلمي - وهم من كبار دعاة البهائية - «بتسلسل الأنبياء والرسل، والمظاهر الإلهيَّة، ونَعَقوا بأنَّ انقطاعَ الوحيِ نقصٌ وعيب»[2] .

عباس أفندي المسمِّي نفسَه بـ «عبدالبهاء» وَصِيُّ المازندراني وخليفتُه وأمينُه على مؤامراته، ومشارِكُه في قتلِ المخالفين.

◻ كَتَب البهاءُ كتابَ وصيَّته، وختَمه بمهره، وجَعَل الأمرَ مِن بعده في العباس «الغصن الأعظم»، وبعده لابنه الثاني المِرزة محمد علي «الغضن الأكبر»: «قد اصطفينا الأكبرَ بعد الأعظم أمراً من لدن عليمٍ خبير».

◻ ودَبَّ الخلافُ بين الابنين الكذَّابَين، وافترقت البهائية إلى فرقتَين:

- فرقة تتبع «العبَّاس»، وتُسَمَّى «العباسية»، ويسمِّيهم مخالفوهم «المارقين».

---

(١) «العقائد» لعمر عنانت (ص١٥٦).

(٢) «الفوائد» للجنبائيجاني، و«التبيان والبرهان» للعراقي، وكتاب «القيامة» للعلمي.

ـ وطائفة اتَّبعت المِرزة «محـمـد علي» الابن الأصـغـر، وتُسـمَّىٰ «الموَحِّدون»، ويلقِّبهم أعداؤهم بـ «الناقضين».

وحَلَّ بينهما قتالٌ وخطف، وقَتل العباسُ ـ الذي ادعىٰ النبوَّةَ بعد أبيه ـ خادمَ أبيه «المرزة آقاجان الكاشاني» «خادم اللَّه»، وسَلَبه أمواله.

◻ ادَّعىٰ المرزة «عباس أفندي» نَجْلُ البهاء النُّبُوَّة والرسالة مخالفًا النصوصَ الصريحة لأبيه في انقطاع الأمرِ بعدَه إلىٰ ألفِ سنةٍ، فقد قال: «مَن يَدَّعي أمرًا قبل إتمامِ ألفِ سنةٍ كاملةٍ إنه كذَّابٌ مُفترٍ، نسألُ اللَّهَ بأن يؤيِّدَه علىٰ الرجوع إن تاب إنه لهو التوَّاب، وإن أصرَّ علىٰ ما قال يُبعث إليه مَن لا يرحمُه، إنه لشديد العقاب، مَن يُؤوِّلُ هذه الآيةَ أو يُفسِّرُها بغيرِ ما نزل في الظاهر، إنه محرومٌ من رَوح اللَّه ورَحمته التي سبقت العالمين»[1].

◻ ادَّعىٰ هذا الدَّعِيُّ أنه «رسولُ الميثاق»، كما ذكر ذلك المِرزة «أحمد سهراب البهائي» في «يومياته»: «إن العباس كَتب إلىٰ أتباعه بعدما رجع من أسفاره الطويلة: سيأتي يومٌ لا أكون فيه معكم، فإن أيامي أصبحت محدودة، ولا يوجد عندي فَرحٌ إلا في ذلك الأمر، فكم أُحبُّ أن أرىٰ الأحبَّاء متَّحِدين كأنهم عِقدُ لؤلؤٍ مُضيئ، أو نجوم الثريا، أو أشعةُ الشمس الواحدة، أو غزلان مرعًىٰ واحدٍ. . هذه حَمامةُ القُدس تُغنِّي أفلا يُنصتون؟ هذا مَلاكُ الملكوت الأبهىٰ يناديهم أفلا يُلبُّون؟ وهذا رسولُ الميثاق يدافعُ أفلا ينتبهون؟ إني منتظرٌ لأسمع. . ألاَ يستمعون لتمنِّياتي ويُتمِّمون آمالي ويُلبُّون دعائي؟ ها أنا ذا منتظرٌ منتظرٌ بفراغ صبر»[2].

---

(١) «الأقدس» للمازندراني.

(٢) «يوميات مرزة أحمد سهراب» ٢ إبرايل سنة ١٩١٤ نقلاً عن «بهاء اللَّه» (ص٦٨).

◻ وقد ذَكر المستشرق «براؤن» في مقدمة «نقطة الكاف»: «أنه مع اطلاعه الكثير على أمر البابية والبهائية لا يَعرفُ حقيقةَ دعاوىٰ العباس، اللَّهم إلاَّ أنَّ أتباعَه يعتقدون فيه بأنه مَظهَرُ العصر الحالي، واعتقاداً بأنَّ فيضَ اللَّه لا ينقطعُ يَعُدُّونه نبيًّا ومَظهراً إلهيًّا»[1] .

◻ ويقول في مقالته لدائرة المعارف للمذاهب والأديان: «إن العباس ادَّعىٰ بعد وفاةِ المازندراني بأنَّ الوحيَ وسلسلتَه والإلهامَ لم ينقطع بعد أبيه، وأنه هو موردُ ذلك الوحي والإلهام بعد أبيه»[2] .

◻ وذكر في كتابٍ آخَرَ نقلاً عن المِرزة «جاويد القزويني»: «أن عباس ادَّعىٰ بعد أبيه في أمريكا بأنه هو المسيحُ الذي وُعد بمجيئه وابن اللَّه، وادَّعىٰ في إحدىٰ خطاباته في الهند أنه هو البهرام الذي وُعد بمجيئه للزراد شتيين»[3] .

◻ وقد قال العباس نفسُه عن نفسه: «إنه مُطلعُ الوحدة بين البشر، والمنادي باسمِ الحقِّ الواحد بين الأمم بقوةٍ رُوحانيةٍ، وهو المُبين للكتاب حسبَ النصِّ القاطع، وهو الغِذاءُ لكلِّ فردٍ من الأحبَّاء في هذه الدارِ الفانية»[4] .

◻ وأيضًا: «أنا الذي أكشفُ الكتابَ الجليَّ وإن لم أُوثِّقْ كتابَ اللَّه لا يؤتَمَنْ عليه»[5] .

---

(١) «مقدمة نقطة الكاف» (ص٥).

(٢) «دائرة المعارف للمذاهب والأديان» (٢/ ٣٠٤).

(٣) «الدراسات في الديانة البابية» (ص٧٧).

(٤) «مكاتيب عبدالبهاء» (٢/ ٤٢٩) ط انكليزي.

(٥) «مجلة نجمة الغرب» (ص٢٣) الصادرة ١٩١٣م.

◘ و: «وليس الحقُّ إلا ما يَنطقُ به لساني، فاسألوا من الآيات ومتونِها منِّي، وليس لأحدٍ أن يتكلَّمَ بغير رضايَ بلفظةٍ ولا كلمة»[1] .

◘ وعلى ذلك قال المرزة «جاويد»: «إنه ادَّعى الادعاءات التي لا تليقُ لغيرِ النبي والرسول»[2] .

◘ وعلى ذلك حَصَلَ الخلاف بينه وبين «جورج خير اللَّه» والمرزة «محمد علي» و«القزويني» و«الكاشاني» وغيرهم كما مرَّ سابقًا.

وحقيقةً لَمَّا انفتح بابُ النبوة ما كان لأَنْ ينغلق بتلك السهولة، وما دام الشيرازي والمازندراني دخلوا هذا البابَ، فليس لهما أن يمنعا الآخرين، وكان العباس بدهائه وذكائه وملعونيته أحقَّ وأولى من أن يدخلَه كما أن لغيره حقًّا ممن لعب الشيطان بعقلِهم أن يتجاوز هذا البابَ، وفعلاً دخلوه وتجاوزوه.

* **النبوءاتُ الكاذبةُ لعباس عبدالبهاء الدجَّال:**

حتى يفضحَه اللَّهُ مثلما فَضَح والده من قبلُ، أخبر عباسٌ بنبوءاتٍ ظَهَر كذبُها:

◘ ولقد ذكر «اسلمنت» داعية البهائية في الكتاب الدعائي البهائي في باب «نبوءات بهاء اللَّه وعبد البهاء»، نبوَّةً للأب والابن معًا بعنوان «مجيء ملكوت اللَّه» ويقول: «ومِن بين هذه الأوقاتِ العصيبة ينشأُ وينمو أمرُ اللَّه، ويُسبِّبُ كثرةَ المصائب الناتجة عن النزاع الذاتي للبقاء والفردي والكسب

---

(١) المصدر السابق نقلاً عن «الدراسات في الديانة البابية» (ص٢٣٨).

(٢) المصدر السابق.

الوطني أو المذهبي أو الجنسي، يلتجئُ الناسُ أخيراً إلىٰ التوجُّهِ بعد اليأس إلىٰ العلاج الذي قدَّمَتْه الكلمةُ الإلهية، وكلَّما زادت المصائبُ كلَّما زاد توجُّهُ الناسِ إلىٰ هذا العلاج الحقِّ».

◻ ويقول بهاء اللَّه في رسالته إلىٰ الشاه: «قد جَعل اللَّه البلادَ غاديةً لهذه الدسكرة الخضراء وذُبالةً لمصباحه الذي به أشرقت الأرضُ والسماء».

◻ ويكتب «اسلمنت» بعد ذلك: «وقد تنبَّأ بهاءُ اللَّه وعبدُ البهاء بأصرحِ وأوثقِ عبارةٍ عن النصر السريع للأمور الروحانية وفوزِها علىٰ الأمور المادية وعن تأسيسِ الصُّلحِ الأكبر بعدها، وقد كَتب عبدُالبهاء في ١٩٠٤: اعلم أن الصعوباتِ والمصائبَ تزدادُ يومًا فيومًا ويقعُ العَالَمُ في الضِّيق، وتغلق أبوابُ السرور والسعادة من كلِّ الجهات وتنشأ الحروبُ الفظيعة، ويُحيطُ اليأسُ والحزنُ كلَّ الأمم من كلِّ الجهات إلىٰ أن يضطروا للرجوعِ إلىٰ اللَّه، وإذ ذاك تُضيءُ أنوارُ الفرح الأعظم جميعَ الآفاق حتىٰ يرتفعَ ضجيج «يا بهاء الأبهىٰ» من جميع الجهات»[(١)].

◻ ولَمَّا سُئل «عباس أفندي» الملقب «بعبدالبهاء» في فبراير ١٩١٤م إذا كانت دولةٌ من دول العالم العظيمة تؤمنُ بالديانة البهائية والأمرِ البهائي أجاب: «سيؤمن جميعُ أهل العالم.. الآن قد أحاط أمرُ اللَّه جميعَ العالَم، وبدون شك سوف يأتي الجميعُ ويدخلون في ظلِّ أمر اللَّه ـ أي أمر البهائي ـ»[(٢)].

(١) «كتاب الحرب والإسلام» (ص١٨٧) نقلاً عن «بهاء اللَّه والعصر الجديد» لاسلمنت (ص٢٣٩).

(٢) «صحيفة بهائية إنجليزية» «نجمة الغرب» (ص٩)، (ص٣١).

◻ وقد قرَّر صراحةً بقُربِ حصولِ ذلك، وبأنه يَتِمُّ في هذا القرن الحالي، ففي خطابةٍ خطبها قال: «هذا القرن قَرنُ شمس الحقيقة، وهذا القرنُ قرنُ تأسيسِ ملكوت اللَّه على الأرض»[1] .

◻ ويقول «اسلمنت» بعد هذا كله: «إن عبدالبهاء عباس الملهَم والموحَىٰ إليه حَسْبَ زعمهم - صرَّح في محادثةٍ على المائدة بحضرته: يتأسس الصلحُ العامُّ على أساسٍ متين، وتترقَّى اللغةُ العامَّةُ، ويزولُ سُوءُ التفاهم، ويُنشر الأمر البهائي في جميع الأقطار، وتتأسسُ وِحدةُ الإنسانية سنة ١٩٥٧ الميلادية حَسب البشارات القديمة»[2] .

فهذه هي النبوَّة الأخرىٰ الكبيرة التي تنبَّأ بها حسينُ علي ربُّ البهائية، وفسَّرها وبيَّنها ببيانٍ واضحٍ جليٍّ ابنُه عباس عبدالبهاء نبي البهائية وشارحها.

ولقد أطلنا فيها النقلَ لأنها مهمةٌ، حيث لا تَقبلُ التأويلَ وحَمْلَها على محمل آخر، وحدَّدها عبدالبهاء بعام مخصوص وهي ١٩٥٧م، وهي السَّنَة التي جاء ذِكرُها في البشارات القديمة أيضًا حسب زعمه وزعمهم.

وهي آخرُ السنوات التي تعمُّ فيها البهائيةُ العالَمَ، وتُنشر في أرجائه وأنحائه، وتَعتنقُ الدولُ العظيمةُ السخافةِ البهائية إلى هذه السنة، ويرتفع فيها ضجيجُ هُتافِ البهائية، وشعارُها «يا بهاء الأبهىٰ» من جميع الجهات، ويجعلُ اللَّه البلادَ غاديةً لهذه الدسكرة الخضراء وذبالةً لمصباحه الذي به

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٢٤٠).

أشرقت الأرضُ والسماء، فماذا حدث أيها الناسُ إلىٰ عام ١٩٥٧م، بل حتىٰ إلىٰ عام ٢٠٠٦م أي بعده بخمسين سنة؟!.

فأيةُ دولةٍ من الدول العظيمةِ اعتنقت البهائية؟ وأيُّ العالَم وأرجاؤه وأنحاؤه انتشر فيه البهائيون، وأي الدنيا ارتفع فيها ضجيجُ الشعار البهائي، وفي أيةِ قطعةٍ مِن قِطاع الأرض عَمَّت فيها تعليماتُهم، فضلاً من أن تُحيطُ العالَمَ بأسرِه؟!.

لا توجدُ دولةٌ من الدول.. فالبهائية طريدة مطرودة.. شريدةٌ مشرودة في جميعِ أطرافِ العالم وآفاقه فَطُرِدت من إيران يومَ ولادتها لغدرها وخيانتها وولائها للدولة الاستعمارية الروسية آنذاك، وشُرِّدت من العراق يوم نشأتها لفسادها ودمارها، ثم أُجليت من «أدرنه» واستانبول إلىٰ أن آواها الاستعمارُ البريطاني، واحتضنتها الصهيونية في فلسطين المغصوبة لخدماتها الجليلة لصالح العُصبة الصهيونية والإمبريالية الإنكليزية، ومِن بعد ذلك لم يستقرَّ لها المَقام، حتَّىٰ هُوجمت في مصرَ التي بدأت تتمركزُ فيها، واستُئصِلت شأفتُها من ليبيا العربية وسوريا ومراكش، وقُضي عليها في باكستان وأفغانستان في بدايةِ أمرها حيث تداركَ العلماءُ والساهرون علىٰ مصالح أمةِ محمدٍ ﷺ خطَرَها الكبيرَ والدهماءَ التي كانت تكِنُّ من وراءِ دعوتها الخلابةِ الجذابةِ بطريق المكر والخداع والدعارة العلنية، والإباحية المطلقة، والتجمُّعات الخليعة المكشوفة بين الرجال والنساء باسم «مساواة الرجال والنساء». ولا توجدُ الآن ضلالتُها وظلامُها إلا في بعض الإمارات وفي بعض البيئات المنحلَّة وبعضِ الأعاجم الغاضبة الحاقدة علىٰ الرِّسالة العربية والأمةِ المجيدة.. فهذا هو شأنُها في العالم الإسلامي.

□ وأما العالَمُ الغربيُّ الأوروبي، فلم يأبه بها رغم الدعاوىٰ الزائفة الكبيرة الباطلة، فالدولةُ الأوروبيةُ لا يوجد في أكثرها بهائيٌّ صرفًا إلا أمريكا، فإن يهودَها يُربُّونها ويموِّلونها، وأخيراً أنشؤوا لها مركزًا في «شيكاغو»، وهذا مع أنهم ـ أي: اليهود ـ منعوهم من التبليغ لدينهم في «عكا وحيفا» المراكز الأصلية لهم في فلسطين، حيث تقعُ فيها الحفرة التي دُفن فيها المازندراني والهُوة التي رُمي فيها ابنُه عباس.

وهذه هي حالتهم في إفريقيا، رغم الجهود التي بُذلت، والأموالِ الطائلة التي صُرفت، والمؤامرات التي نُسجت خيوطُها لإحباط الإسلام في هذه القارة، وإبعادِ الناس عن الرسول العربي الكريم، البشيرِ والنذيرِ للناس كافةً ﷺ.

وإلاَّ أيَّةُ دولة يحكمُها البهائيُّون؟! وأيَّةُ بلادٍ ينتشرون فيها وقد مضىٰ علىٰ ١٩٥٧ أكثر من خمسين عامًا؟!.

فأين نُبوءةُ حسين علي البهاء؟! وأين نُبوءةُ ابنِه عبدالبهاء؟! حيث يقول: «سيؤمن جميعُ أهلِ العالَم . . » إلخ؟.

وأين دعوىٰ الداعية «اسلمنت»: «ومِن بين هذه الأوقات العصيبة ينشأُ وينمو أمرُ اللَّه . . » إلخ؟!.

□ فماذا يقول عن دعواه: «ومِن ذلك يتَّضحُ جليًا بأنَّ بهاءَ اللَّه هو مُبِينُ حقٍّ، ولسانُ صِدقٍ لإرادةِ اللَّه الخلاقية، وزيادةَ التمعن في تنبوآت بهاء اللَّه وتحققها في الأعيان يُثبت حقيقته إثباتًا قويًا مؤكَّدًا»[1].

✍ فماذا يا «اسلمنت» الكذَّاب. مُتَّبِع الكذَّاب ابن الكذَّاب؟!.

---

(١) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص ٢٣١).

ونبوءةٌ أخرى:

◻ وهناك نبوءة أخرىٰ لعبدالبهاء عباس آفندي، حينما يُخبر أن أمرَ البهائية يؤول إلىٰ حفيده «شوقي آفندي» ومِن بعده بِكرًا بعد بِكر من أولاده، فيقول: «إن الجميعَ يتوجَّهون بعدي إلىٰ آيةِ اللَّه وغُصنِه الممتاز، ووليٍّ أمرِ اللَّه ومرجع الأغصان والأفنان وأيادي أمر اللَّه وأحبائه، الذي هو مُبينُ آياتِ اللَّه، ومِن بعده بِكرًا بعد بكرٍ من سُلالته الذي يكونُ في حفظِ جمال الأبهىٰ ورعايته.. مَن خالفه فقد خالف اللَّهَ، ومَن عارضه فقد عارض اللَّه، ومَن نازعه فقد نازع اللَّه، ومَن جادله فقد جادل اللَّه، ومَن أنكره فقد أنكر اللَّه، ومَن انحاز وافترق واعتزل عنه فقد اعتزل واجتنب وابتعد عن اللَّه.. عليه غضبُ اللَّه، عليه قهرُ اللَّه، وعليه نِقمةُ اللَّه»(١).

فأخزاه اللَّه وأذلَّه حث مات «شوقي آفندي» صبيحةَ الرابعِ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧، ولم يُنجب بِكرًا ولا غيرَ بكر، ولم يُخلِّف بعده أحدًا، فكذَّبه اللَّهُ كما كذَّب أباه من قبلُ حينما أخبر بولايةِ العهد وخلافته لولده «العباس عبدالبهاء»، ومِن بعده لولده الثاني «المرزة محمد علي»، كما نصَّ في الكتاب «العهدي»: «يتوجَّهُ عمومُ الأغصان والأفنان والمنتسبين إلىٰ الغُصن الأعظم «عبدالبهاء عباس»، انظروا إلىٰ ما أنزلناه في كتابي «الأقدس» إذا غِيض بحرُ الوصال، وقُضي كتابُ «المبدأ في المآل»، توجَّهوا إلىٰ مَن أراده اللَّه الذي انشعب من هذا الأصل القديم، وقد كان المقصود من هذه الآية المباركة الغصنُ الأعظم، كذلك أظهرنا الأمر فضلاً من عندنا،

(١) «ألواح وصاياي المباركة» لعباس أفندي (ص١١، ١٢).

وأنا الفضال الكريم، قد قَدَّر اللَّهُ مقامَ الغصن الأكبر «المرزة محمد علي ابنه الثاني» بعد مقامه إنه هو الآمرُ الحكيم، قد اصطفينا الأكبر بعد الأعظم أمرًا من لدن عليمٍ خبير»(1) .

◻ والحالُ أن ذلك «المصطفىٰ» والذي قد «قَدَّر اللَّه له ذلك المقام» لم ينل حقَّه، بل طُرد من البهائية، وسُمِّي هو ومَن والاه من البهائين «الناقضون للميثاق»، وشُتم ولُعن، حيث يقول عنه البهاء عباس عنده في وصاياه: «فرجع كيدُ مركز النقضِ إلىٰ نحرِه، وباء بغضبٍ من اللَّه، وضُربت عليه الذِّلَّةُ والهوان إلىٰ يوم القيامة، فتبًّا وسحقًا وذُلاً لقومٍ سَوءٍ أخسرين»(2) .

◻ و: «إن مركز النقض وقُطبَ الشِّقاق الميرزة محمد علي «المصطفىٰ، والغصن الأكبر كما سماه أبوه المازندراني ربُّ البهائية»، انحرف عن ظلِّ الأمر «البهائي» ونَقض الميثاق، وحَرَّف آيات الكتاب، وأوقع الخللَ العظيم في دينِ اللَّه، وشتَّت حِزب اللَّه، وقام ببغضٍ عظيم لإيذاء عبدالبهاء، وهجم بعِداءٍ شديدٍ علىٰ الأستانه المقدسة»(3) .

* **هلاك عبّاس أفندي الكذَّاب:**

هَلَك عباسٌ الدَجَّال بعدما ترك أربعَ بناتٍ كُنَّ مساعداتٍ لأبيهنَّ في دَجَله، وزوجتُه «منيرة خانم» التي كانت عشيقتَه قبل زواجه بها(4) !!! في

(1) «الكتاب العهدي» للمازندراني نقلاً عن كتاب «البابيون والبهائيون» للحسني (ص٤٣ و٤٤).

(2) «ألواح وصاياي المباركة» (ص٢٦) ط باكستان.

(3) المصدر السابق (ص٤).

(4) «بهاء اللَّه والعصر الجديد» (ص٦٠).

٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢١م الموافق ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٠هـ.

وحَزِن الإنجليزُ على وفاته حزنًا عميقًا؛ لأنهم لم يَجِدوا عميلاً وَفِيًّا لهم مثلَه، فأبرقت حكومةُ بريطانيا عن طريق وزير المستعمرات مستر «تشرشل» إلى حاكم فلسطين السير «هربرت صموئيل» - المندوب السامي في فلسطين - أنْ يُبَلِّغ آلَ البهاء والبهائيين عامةً تعازِي الحكومة، وأنها تشاركُهم الأحزان، كما أن الجنرال «اللّنبي» - حاكم مصر - أرسل برقيَّةً عبَّر فيها عن شديدِ أسَفِه وألمه عن هذا المصاب الأليم وفقدانِ السير عبدالبهاء العظيم!!!

وشَيَّع جنازتَه المندوبُ السامي وفاءً لعميلهم وجاسوسهم في فلسطين المسلمة، والخائنِ الغادرِ للَّه ولرسوله ﷺ، المفتري على اللَّه ورسوله وأمته.. فهو المؤسس الحقيقي والمطوِّر للبهائية الموجودة.

ودُفن في حُفرته في سفح جبل «الكرْمِل» قرب حفرة «الشيرازي».

*** سَماءُ اللَّه البهائي - لعنه اللَّه - و«السَماويَّة»:**

بعد هلاك بهاءِ اللَّه المازندراني انقسمت البهائيةُ إلى أكثرَ من فرقة، وكانت الفرقةُ السادسةُ من فرق البهائية هي «السماوية» التي أوجدها وأنشأها شابٌ بهائيٌ إيرانيٌّ، وهو المدعو «جمشيد ماني»، ولد في بيئةٍ بهائية في خُراسانَ، ونشأ وترعرع في أحضان البهائية، ودَرَس الدراساتِ العصريةَ في مختلفِ جامعات أوربا، ولما رأى أنَّ البهائيةَ فَتحت بابَ النبوَّة والرسالة على مصراعيه، وأنَّ المازندراني لم يَقتنعْ بالنبوَّة والرسالة فحسب، بل ارتقى إلى عرشِ الربوبيَّة والأُلوهيَّة، ومع سفاهته وجهلِه استطاعَ جَلبَ الكثيرين من الإيرانيين وغيرِهم من الأوربيين التائهين إلى ديانته السخيفة،

أراد «جمشيد» أن يُجرِّبَ حظَّه في ذلك أيضًا، وبعدما أكمل دراستَه الجامعية وانتُدب للتدريس في إحدىٰ جامعات إندونوسيا، وفعلاً في سنة ١٩٦٦م وفي شهر يناير أَعلن فجأة بين البهائيين بأنه عُرِج به إلىٰ السماء، وفاز برؤية اللَّه ولقائه، وتشرَّف بالكلام معه، واختير نبيًّا ورسولاً لهذا العصر، ولُقِّب من قِبَل حَضرةِ الباري بـ «سماء اللَّه»، وبدأ يُنزل الألواح ويكتبُ الصحف مثل المازندراني والباب الشيرازي، فاتبعَتْه طائفةٌ من البهائية أيضًا، وسُمِّيت «السماوية».

وهذه هي الفرقةُ السادسةُ من الفرق البهائية، يعتقدون «الباب الشيرازي» مبشِّرًا، و«بهاءَ اللَّه المازندراني» ربًّا، و«العباسَ عبدَ البهاء» نبيًّا ورسولاً، و«جمشيد سماء اللَّه» مَظهرًا إلهيًّا آخرًا مثل العباس، ولقد رأيتُه[1] يومَ زيارته إلىٰ باكستان قبل أعوام، وكان آنذاك في مُقتبل شبابه لم يتجاوزِ الثلاثينَ من العمر، فاستطاع اصطيادَ الكثيرين من البهائية في إندونوسيا وإيران وباكستان، كما فَتح مركزًا له في كاليفورنيا في أمريكا، وكانت حُجَّته الوحيدةُ أقوالُ «الشيرازي» حولَ «مَن يظهره اللَّه» مثل «إن أيَّ شخصٍ يدَّعي النبوةَ والرسالةَ لا ينبغي أن يَرُدَّ عليه ويُنكرَ دعواه»[2] .

وأيضًا عبارتُ «البهائيين» عامةً «بأن فيض اللَّه لا ينقطع»، فما دام لم ينقطع بعد محمدٍ رسول اللَّه، كيف انقطع بعد المازندراني والعباس؟! .

◻ ولقد ذكر أحدُ الذين كتبوا في البهائية من إيران «بأنَّ كلامَ سماء اللَّه

---

(١) «الكلام» للشيخ إحسان إلهي ظهير.

(٢) «برنس دالغوركي» (ص٧٦).

لا يقِلُّ عن كلام المازندراني والشيرازي فصاحةً وبلاغةً ورداءةً وركاكة»[1] .

وألَّف كُتُبه التي يُسمِّيها ألواحًا وصُحُفًا في اللغة الفارسية الفصحىٰ أحسنَ مما ألَّفه الشيرازيُّ والمازندراني ودُونَ لغة العباس، ولكنَّ الأُسلوبَ والتعبير هو عينُ أسلوب الشيرازي والمازندراني، بل هو محاكاةٌ حرفيةٌ لهما وللعباس.

▫ وأما ما ألَّفه في اللغة العربية، فركيكٌ أكثَرَ ركاكةً من المازندراني وأقربَ إلىٰ جهل الشيرازي، وعندي بعضُ الرسائل من مؤلَّفاته المترجمة إلىٰ اللغة الإنكليزية، ولكني لا أريدُ إضاعةَ وقتِ القارئ بنقل العبارات عنها، حيث إنها لا تشتملُ إلا علىٰ الكلام الفارغِ المتكرِّر، المقتَبَسِ المسروق من كتب الشيرازي والمازندراني والعباس وغيرهم من البهائية وأكابرِ مجرميها، اللَّهم إلاَّ عبارةٌ موجزةٌ من كتابه «العرفان»، فإنه يؤوِّلُ فيها كلامَ المازندراني حولَ مسألةِ انقطاعِ الوحي بعدَه إلىٰ ألفِ سنةٍ، فيقول:

١ ـ إن حضرةَ عبدِالبهاء شارحِ الكتاب «الأقدس» ومُبيِّنُ آياتِ الربِّ حسب النصوص «البهائية»، أوَّل هذه الآيةَ المباركةَ، حيث قال: «بأنَّ كلَّ يوم من هذه الألف سنةٍ كألفِ سنةٍ، فيصيرُ كلُّ سنةٍ كثلاثمِئةٍ وخمسٍ وستينَ ألفَ سنة، ومعناه بأنَّ الانقطاعَ يمتدُّ إلىٰ أبد الآبدين».

ومعنىٰ هذا بأن هذه الآية المباركة «للمازندراني» تَحتملُ التأويلَ، حيث أوَّلها حضرةُ عبد البهاء.

٢ ـ إن حضرةَ عبد البهاء لم يَعُدَّ هذه الآيةَ مانعةً من ادِّعاء النبوة،

---

(١) «رحيق مختوم» لأشراق الخاوري (ص٣٢٠، ٣٢١).

ولذلك ادَّعىٰ كما هو معروفٌ، وكما نحن نعتقدُ فيه.

٣ ـ لقد عَلمنا من كلامِ حضرةِ المبشِّر وحضرة بهاءِ اللَّه وحضرةِ عبد البهاء بأن الفيضَ الإلهيَّ لا انقطاعَ له، ومَن ينكرْ هذا ينكرْ سُنَّةَ اللَّهِ التي لن تَجدَ لها تبديلاً.

وبناءً علىٰ ذلك أقول: إن للمَظهرِ الإلهيِّ حقَّ أن يُبيِّنَ تأويلَ هذه الآيةِ وتأويلَ كلمةِ «ألف»، وقيمتُها العددية: «ألف» مركبةٌ من حروف ثلاثة: (أ) و(ل) و(ف)، و(أ) عدده (١) و(ل) عدده (٣٠) و(ف) عدده (٨٠)، فيَصيرُ المجموع (١١١)، ومعنىٰ ذلك بأنَّ حضرةَ بهاءِ اللَّه بيَّن مُدَّةَ الديانةِ البهائية إلىٰ (١١١) سنة، وبعده تنتهي الديانةُ البهائية بمَظهرٍ جديد ورسولٍ جديد»[١].

والجديرُ بالذِّكر أنه يَعُدُّ بَدءَ الديانة البهائية من يومِ إعلانِ الباب، وكان إعلانُ الباب في شهرِ جُمادىٰ الأولىٰ سنة ١٢٦٠هـ الموافق مايو ١٨٤٤م.

فهذا قليلٌ من كثير أردنا ثَبْتَه نموذجًا للتأويلات الكاسدةِ الباطنية التي أخذتها البهائيةُ كمطيَّةٍ سهلةٍ لها، فاستعملها الآخرون لهدم ما بَنَوه، أعاذنا اللَّهُ منها ومنهم.. ولا يزال «السماويون» موجودين في باكستان بعد ما كانوا بهائيين عباسيين قبل ذلك، ومن الطرائف أنه لم يعتنقِ البهائيةَ أحدٌ في باكستان إلاَّ وكان قاديانيًّا قبل ذلك، اللَّهم إلا عددًا يُعدُّ علىٰ الأنامل من متطرِّفي الشيعة والفقراءِ من الناس خُدعوا أم أُغرُوا بالمال»[٢].

---

(١) كتاب «عرفان» لجمشيد سماء اللَّه و«برنس دالغوركي».

(٢) والحمد للَّه لم يبق هؤلاء أيضًا في «البهائية والسماوية» حيث انتهىٰ أمرهم تقريبًا في باكستان.

* **النبيُّ الأوربي «ميسن ريمي»!!!:**

كان أحدَ المقرَّبين إلىٰ «شوقي أفندي» شخصٌ أوربي يدعىٰ «ميسن ريمي»، وكان جميلاً وسيمًا، ويقولون عنه بأنه هو الذي أفسد «شوقي آفندي» وعرَّفه علىٰ كثيرٍ من زوايا الحياة الأوربية المتفسِّخة، وبعد أنْ صار «شوقي آفندي» وليًّا للأمر البهائي، جَعَله من أقربِ مقرَّبيه، ولَقَّبه بلقب «رئيس»، وبعد ما مات «شوقي آفندي» أبترَ لا خَلَفَ له ادَّعىٰ «ميسن ريمي» ولاية الأمرِ البهائي بعده، ثم ارتقىٰ إلىٰ منصبِ النبوة والرسالة، وتبعه بهائيو فرنسا وبعضُ البهائين من بلدان أوربية أخرىٰ، ويسمَّون بـ «ميسن ريميين» أو أتباع «الرئيس»[١، ٢] .

* **غُلام أحمد القادياني، دَجَّال الهند ـ لعنه اللَّه ـ[٣] :**

◻ عميلُ الإنجليز، الكذَّابُ الدجَّال، انظر إلىٰ عقيدته، ثم انظرْ بعد ذلك إلىٰ نهايته. يقول المتنبِّي القادياني «غلام أحمد»: «قال لي اللَّه: إني أُصلِّي وأصوم، وأصحو وأنام»[٤] .

◻ ويقول الكذَّاب: «قال اللَّه: إني مع الرسول أُجيب، أُخطئُ وأصيب، إني مع الرسول محيط»[٥] .

◻ ويقول أيضًا: «أنا رأيتُ في الكَشف بأني قَدَّمتُ أوراقًا كثيرةً

---

(١) «برنس دالغوركي» (ص٧٦، ٧٧).

(٢) «البهائية» لإحسان إلهي ظهير (ص٣٤٨ـ٣٥١، ٣٥٢).

(٣) من كتاب «القاديانية دراسات وتحليل» تأليف الأستاذ: إحسان إلهي ظهير.

(٤) «البشرىٰ» (٢/ ٩٧) للغلام القادياني.

(٥) «البشرىٰ» (٢/ ٧٩).

إلىٰ اللَّه، ليوقِّعَ عليها، ويُصدِّقَ علىٰ الطلباتِ التي اقترحتُها، فرأيتُ أن اللَّه وقَّع علىٰ الأوراق بحبرٍ أحمر، وكان عندي وقتَ الكشف رجلٌ من مريديَّ، يقال له: «عبداللَّه»، ثم نَفَض الربُّ القلمَ، وسَقَطَتْ منه قطراتُ الحبرِ الأحمر علىٰ أثوابي وأثوابِ مريدي عبداللَّه»[1] .

□ ويقول: «نستطيعُ أن نَفرضَ لتصويرِ وجودِ اللَّه بأنَّ له أيادي وأرجلاً كثيرة، وأعضاؤه بكثرة لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ، وفي ضخامةٍ لا نهايةَ لطولها وعرضها، ومثلُ الأخطبوط له عُروقٌ كثيرة، التي هي امتدَّت إلىٰ أنحاء العالم وأطرافها»[2] .

وهؤلاء القاديانية المرتدُّون يعتقدون أن اللَّه جامَعَ وباشَرَ نبيَّهم «غلام أحمد»، وليس هذا فحسب؛ بل هو النتيجةُ أيضًا لهذه المباشرة.

فأولاً: الذي باشره اللَّهُ هو نبيُّهم «غلام أحمد».

ثانيًا: ثم وهو الحامل.

ثالثًا: هو المولود.

□ قال القاضي يار محمد القادياني: «إنَّ المسيح الموعود ـ أي: الغلام ـ بيَّن مرةً حالتَه فقال: إنه رأىٰ نفسَه كأنه امرأة، وإن اللَّه أظهر فيه قوَّته الرجولية»[3] .

□ ويقول المتنبي القادياني بنفسه: «قد نُفخ فيَّ روح عيسىٰ، كما نُفخ

---

(١) «ترياق القلوب» (ص٣٣).

(٢) «توضيح المرام» للقادياني (ص٧٥).

(٣) «ضحية الإسلام» ليار محمد (ص٣٤).

في مريم، وحُبلتُ بصورةِ الاستعارة، وبعد أشهرٍ لا تتجاوزُ عن عشرةِ أشهر، حُوِّلتُ عن مريم، وجُعلتُ عيسىٰ، وبهذا الطريق صرت ابنَ مريم»[1].

◻ ويقول: «إن اللَّه سمَّاني بمريم التي حَبَلت بعيسىٰ، وأنا المقصودُ من قوله في سورة التحريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[2].

وعلىٰ هذا الأساس تعتقدُ القاديانيةُ بأن «غلامَ أحمد» هو ابنُ اللَّه، بل هو عينُ اللَّه.

◻ يقول المتنبِّي الكذَّاب: «قال لي اللَّه: أنت من مائنا، وهم من فشل ـ أي الجُبن»[3].

◻ ويقول: «خاطبني اللَّه بقوله: اسمعْ يا ولدي»[4].

◻ وقال: « قال لي الربُّ: أنت مني، وأنا منك، ظهورُك ظهوري»[5].

✍ تعالىٰ اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

◻ ونريدُ أن نشيرَ بأن الإلهَ، الذي ادَّعىٰ القاديانيةُ بأن الغلامَ ابنٌ له، كان إنكليزيًّا، كما صرَّح «غلام أحمد»، فيقول: «أنا أُلهمت عِدَّةَ إلهامات في الإنكليزية، وفي المرة الأخيرة ألهمت: «I Can what I Will do»، يعني:

---

(١) «سفينة نوح» للغلام القادياني (ص٤٧).

(٢) «هامش حقيقة الوحي» للغلام (ص٣٣٧).

(٣) «انجام آتم» للغلام (ص٥٥).

(٤) «البشرىٰ» (١/ ٤٩) للغلام.

(٥) «وحي المقدس» للغلام (ص٦٥٠).

«أنا أعمل ما أشاء»، فظننتُ من اللَّهجة والتلفُّظ كأنه إنكليزيٌّ قائمٌ على رأسي يتكلم»[1] .

▫ ويعتقد «غلام أحمد» أن النبوة ما خُتمت برسول اللَّه ﷺ، فيقول هذا الدجال: «أحلفُ باللَّه الذي في قبضته رُوحي، هو الذي أرسلني وسماني نبيًّا، وناداني بالمسيح الموعود، وأنزَلَ لصِدقِ دعواي بينات، بلغ عددُها ثلاثَمئة ألف بينة»[2] .

▫ ويقول: «هو الإلهُ الحق، الذي أَرسل رسولَه في القاديان، وأن اللَّه يحفظُ القاديان، ويحرسها من الطاعون، ولو يستمرُّ إلى سبعينَ سنة؛ لأنها مَسكنُ رسولِه، وفي هذا آية للأمم»[3] .

*** الطَّاعُونُ يَقَعُ بالْقَاديَانِ، وَالْجَزَاءُ مِن جِنْسِ الْقَوْلِ والْعَمَلِ:**

▫ ومِن قُدرة القهَّار الجبَّار أنْ وقع الطاعون في هذه القرية التي أنجسها «غلام أحمد»، وعَمَّ القرى المجاورة، بل ودخل إلى بيتِ «غلام أحمد» نفسِه، فيقول في رسالةٍ أرسلها إلى صِهره: «ودخل الطاعون حتى في بيتنا» .

✍ والجزاء من جنس قولِ الكذَّاب، ففضحه اللَّه في حياته:

▫ ويقول القادياني: «أنا وحدي أُعطيتُ كلَّ ما أُعطي لجميع الأنبياء»[4] .

---

(١) «براهين أحمدية» للغلام القادياني (ص٤٨٠).

(٢) «تتمة الوحي» للغلام (ص٦٨).

(٣) «دافع البلاء» للغلام (ص١٠، ١١).

(٤) «در ثمين» لغلام أحمد (ص٢٨٧).

□ ويقول بنزول جبريل عليه السلام: يقول الغلام: «إن جبريل جاء إليَّ واختارني، وأدار أُصُبعَه، وأشار إليَّ بأن اللَّهَ يحفظُك من الأعداء»[١] .

□ بل وحيُه كوحيِ محمدٍ ﷺ، وإلهامتُه كالقرآن: يقول الغلام: «واللَّهِ العظيمِ، أؤمن بوحيي، كما أؤمن بالقرآن، وبقيةِ كتبٍ أُنزلت من السماء، وأنا أومنُ بأن الكلامَ الذي ينزل عليَّ ينزلُ من اللَّه، كما أؤمن بأن القرآنَ نزل من عنده»[٢] .

□ ويقول: «إيماني بالإلهامات التي تنزلُ عليَّ، كالإيمان بالتوراة والإنجيل والقرآن»[٣] .

ومن اعتقادات القاديانية أنه نزل على «غلام أحمد» الكتاب، كما نَزل على بعض الرسل، وأن الذي أُنزل عليه أكثرُ مما أُنزل على كثيرٍ من الأنبياء، واسمُ هذا الكتاب المنزل عليه: «الكتاب المبين».

□ يقول «غلام أحمد»: «نزل عليَّ كلامُ اللَّه بهذه الكثرة، لو يُجْمَعُ لَمَا يَقِلُّ عن عشرين جزءً».

ويعتقدون أن «القاديان» ـ قريةَ الكذابِ المخبول ـ أفضلُ من مكةَ والمدينة، وفيها قطعةٌ من قطعات الجنة.

□ يقول الغلام القادياني: «قد أنزل اللَّه قوله في القرآن: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ [آل عمران: ٩٧] وصفًا لمسجدي في القاديان»[٤] .

---

(١) «مواهب الرحمن» للغلام (ص٤٣).

(٢) «حقيقة الوحي» للغلام القادياني (ص٢١١).

(٣) «تبليغ رسالة» (٦/ ٦٤).

(٤) «إزالة الأوهام» للقادياني (ص٧٥).

◘ وقال «غلام أحمد»: «إن الذي لا يَجيءُ إلى القاديان أخافُ على إيمانه»(١).

◘ ويقول محمود أحمد بن الغلام: «قد انقطع ثمرةُ مكة والمدينة، ولكنَّ ثمرةَ القاديان ما زالت طازجة»(٢).

الْحَجُّ: «الحج عندهم هو حضورُ المؤتمر السنوي في القاديان».

◘ يقول ابنُ الغلام: «إن مؤتمرنا السنويَّ هو الحج، وإن اللَّه اختار المقامَ لهذا ـ الحج ـ القاديان»(٣).

◘ وقال الغلام الكذَّاب: «إن البقاء في القاديان أفضلُ من الحجِّ النَّفْلي»(٤).

◘ وفي قرآن القاديان «الكتاب المبين» آيات، ومِن بعض آياته: «إن اللَّه ينزل في القاديان»(٥).

◘ «يَحمَدُك اللَّهُ من عرشه ويَمشي إليك»(٦).

* عَقِيدَةُ الْجِهَادِ نَجِسَةٌ عِنْدَ عَمِيلِ الإِنْجِلِيزِ:

◘ قال المتنبِّي الدجال: «إن هذه الفِرقةَ «الفرقة القاديانية» لا تزالُ تجتهدُ ليلاً ونهاراً، لقمعِ العقيدةِ النجسة، عقيدةِ الجهاد من

(١) «أنوار الخلافة» (ص١١٧).

(٢) «حقيقة الرؤيا» (ص٤٦).

(٣) «بركات الخلافة» لمحمود أحمد (ص٥، ٧).

(٤) «مرآة كمالات الإسلام» للغلام (ص٥٢).

(٥) «البشرى» للغلام (ص٥٦).

(٦) «عاقبة آثم» للغلام (ص٥٥).

قلوبِ المسلمين»[1].

*** الْمُتَنَبِّي الْقَادِيَانِي وَإِهَانَتُه لِلأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ:**

*** يُفَضِّلُ نفسَه على آدم:**

▫ فيقول: «صار آدم ذليلاً مصغَّرًا، ثم خَلَقني اللَّهُ لكي أهزمَ الشيطان»[2].

*** وَيُفَضِّلُ نَفْسَهُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ:**

▫ فيقول: «إن اللَّه أنزل لصِدقِ دعواي آياتٍ وبيناتٍ بهذه الكثرة، لو أُنزلت على نوح لم يغرَقْ أحدٌ من قومه»[3].

*** ويُفَضِّلُ نَفْسَهُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ:**

▫ فيقول: «إنا يوسفَ هذه الأمة - يعني: أنا العاجز الحقير - أفضلُ من يوسف بني إسرائيل؛ لأن اللَّه شهد لبراءتي بنفسه، وبآياتٍ كثيرة، حينما احتاج يوسفُ بنُ يعقوب لبراءته إلى شهادة الناس»[4].

*** وَيُفَضِّلُ نَفْسَهُ عَلَى عِيسَى:**

▫ فيقول: «إن اللَّه أرسل من هذه الأمةِ المسيح، الذي هو أعظمُ شأنًا من المسيح الأول بمراتب، واللَّهِ الذي في قبضته رُوحي، إنْ كان عيسى في زمنِ الذي أعيشُ فيه أنا، ما كان يستطيعُ أن يعملَ ما أعملُه أنا»[5].

---

(١) «عريضة الغلام إلى الحكومة المندرجة في ريويواف ريليجنز، نمرة ٥، ١٩٢٢م.

(٢) «ما الفرق في آدم والمسيح الموعود» للغلام.

(٣) «تتمة حقيقة الوحي» للغلام (ص١٣٧).

(٤) «براهين أحمدية» للغلام.

(٥) «حقيقة الوحي» للغلام (١٤٨).

* أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ:

□ يقول: «جاء أنبياءُ كثيرون، ولكن لم يتقدَّمْ أحدٌ عليَّ في معرفةِ اللَّه، وكلُّ ما أُعطي لجميع الأنبياء أُعطيت أنا وحدي بأكمله»[(١)] .

* وَيَقْذِفُ الأَنْبِيَاءَ:

□ يقول: «أنا أرىٰ بأن المسيحَ ما كان يتنزَّهُ عن شرب الخمر»[(٢)] .

□ ويقول الكذاب: «إن أُسرةَ عيسىٰ أسرةٌ عجيبة، كانت جَدَّاتُه الثلاثُ فاجراتٍ، ومِن هذا الدم المطهَّر! تكوَّن وجودُ عيسىٰ، ولعلَّه كان مَيَلانُ عيسىٰ إلىٰ المومساتِ لهذه النسبة، وإلاَّ لا يسمحُ أحد من المتقين، أن يَمسَّ رأسَه شابةٌ زانية، وتُعطِّرَه بمالها الحرام، فلْيَفهَمِ الناسُ كيف كان أخلاقَ هذا المسيح».

□ والحمد للَّه أن هذا الخبيث يردُّ علىٰ نفسه، فيقول: «الذي يسبُّ أو يشتمُ الأخيارَ المقدَّسين فليس إلاَّ خبيث، ملعون، لئيم».

* تَطَاوُله عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ:

□ يقول الدجال: «إن النبي ﷺ له ثلاثةُ آلاف معجزة، ولكنَّ معجزاتي زادت علىٰ مليون معجزة»[(٣)] .

□ ويقول ابنه وخليفته: «إن الارتقاءَ الذهنيَّ لإمامنا كان أزيدَ وأكثرَ من النبي الكريم»[(٤)] .

---

(١) «در ثمين» للغلام (ص٢٨٧، ٢٨٨).

(٢) «ريويو» (١/ ١٢٣)، ١٩٠٢م.

(٣) «ضميمة أنجام آتتهم» للغلام (ص٧).

(٤) «البلاغ المبين» (ص١٩).

ويقول «غلام أحمد»:

لَهُ خُسِفَ القَمَـرُ المُنِيـرُ وَإِنَّ لِي غَسَـا القَمَـرَانِ المُشْرِقَانِ أَتُنْكِرُ(١)

ويقول: «إن الإسلام بدأ كالهلال، ثم قُدِّر له أن يكونَ في هذا القَرنِ كالبدر، وإلى هذا أشار اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾(٢) [آل عمران: ١٢٣]».

وقال هذا الدجالُ: «وأما تجلِّياتُ كمالاتِ رسولِ اللَّه، ما كانت راقيةً إلى منتهاها، بل هذه التجلِّياتُ بَلغت إلى ذُروتها في عهدي وفي شخصي»(٣).

ويقول: «إن المراد في قول اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] هو أنا؛ لأن اللَّه سماني في هذا الوحيِ محمداً ورسولاً»(٤).

ويقول: «أنا هو المِصداق؛ لقول اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٥) [الصف: ٩]».

ويقول: «أنا المراد في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٦) [الأنبياء: ١٠٧]».

---

(١) «تذكرة الشهادتين» للغلام (ص٤١).

(٢) «ريويو القادياني» مايو سنة ١٩٣٩م.

(٣) «خطبة إلهامية» (ص١٧٧) للغلام.

(٤) «قول الغلام المندرج في تبليغ رسالت» (١٠/ ١٤) لقاسم القادياني.

(٥) «إعجاز أحمدي» للغلام، «ضميمة نزول المسيح» (ص٧).

(٦) «أربعين» نمرة ٣، للغلام (ص٢٥).

◘ ويقول: «وأنا المقصود في قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1] [الإسراء: ٧٩]».

◘ ويقول محمود أحمد خليفة القاديانية: «لو أن أحدًا يريدُ أن يتقدَّمَ علىٰ رسول اللَّه مرتبةً وشأنًا يستطيعُ أن يتقدم».

فأيُّ كُفرٍ وخَبثٍ ونجاسةٍ أعظمُ من هذا؟! وهكذا يجترئُ الأوباشُ علىٰ مَقامِ رسول اللَّه ﷺ.

◘ كتب أحدُ القاديانيين أنه سمع من أحد مُبلِّغي القاديانية، الذي هو من أهلِ بيت ـ يريدُ أولادَ الغلام ـ أنه يقول: «أين أبو بكر وعمرُ من «غلام أحمد»؟ إنهما لا يستحقَّانِ أن يَحمِلاَ نعلَيه».

◘ ويقول الغلام الكذاب: «أنا هو المهديُّ الذي سُئل عنه ابنُ سيرين، هل هو في مرتبةِ أبي بكر؟ فقال: أين أبو بكرٍ منه؟ بل هو أفضلُ من بعض الأنبياء»[2].

◘ ويقول: «يوجد فيكم عليٌّ حيٌّ فتتركونه، وتبغُون عليًا ميتًا»[3].

◘ ويقول: «يقولون عنِّي بأني أفضِّلُ نفسي علىٰ الحسن والحسين، فأنا أقول: نعم، أنا أُفضِّلُ نفسي عليهما، وسوف يُظهِرُ اللَّهُ هذه الفضيلة»[4].

◘ وقال ابنُه: إن أبي قال: «مئةُ حسين في جيبي، فالناسُ يفهمون معناه، إنه يساوي مئةَ حسين، ولكني أقولُ أكثرَ من هذا، وهو: إن تضحيةَ

---

(١) «أربعين» (ص١٠٢) للغلام.

(٢) «معيار الأخبار» لغلام المدرج في تبليغ رسالت (٩/ ٣٠).

(٣) «ملفوظات أحمدية» (١/ ١٣١).

(٤) «إعجاز أحمدي» للغلام (ص٥٨).

ساعةٍ واحدةٍ لخدمةِ الدين من أبي، أفضلُ من تضحياتِ مئةِ حسين»[١].

* الغلامُ رجلٌ أفيونيٌّ خَمَّار:

◻ يقول ابنه: «كان أبي يقول: إن الأفيون نِصفُ الطب، ولذا استعمالُه للتداوي يجوزُ ولا بأسَ به، وإنه صَنع دواءً باسم «ترياق إلهي»، بهَدي اللَّه وعونه، وكان الجزءُ الأكبرُ في هذا الدواء الأفيون، وكان يُعطي هذا الدواءَ لخليفتهِ الأول «نور الدين»، كما كان يستعملُه هو أيضًا حينًا بعد حينٍ لمختلف الأمراض».

◻ وأرسل الغلام إلىٰ أحدِ مريديه في «لاهور» أن يرسلَ إليه «وائن»، ويشتريه من دكان رجل يقال له «بلومر»، وحينما سأل «بلومر» عن «وائن» ماذا هو؟ فقال: «إن وائن قِسم قَويٌّ مُسكر، من أقسامِ الخَمر الذي يُستوردُ من إنجلترا في القوارير المختومة»[٢].

* جَزَاءُ الْكَذَّابِ فَضْحُهُ وإظْهَارُ كَذِبِه:

هذا الذي كَذَب علىٰ اللَّه، وكَذَب علىٰ رسوله ﷺ، أظهر اللَّهُ كَذِبَه وشَهَره بهذا.

◻ يقول الكاذب: «لا يوجدُ أيُّ شيءٍ أحسنُ وأفضلُ لاختبارِ صِدقي وكَذِبي من تنبؤاتي»[٣].

◻ ونقول له: «يداكَ أوكتا، وفُوكَ نَفَخ».

---

(١) خطبة الجمعة في القاديان، المنشورة في مجلة قاديانية «الفضل» الصادرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٦.

(٢) «مكتوب الإمام باسم الغلام» للطبيب القادياني، محمد حسين (ص٥).

(٣) «مرآة الكمالات» للغلام (ص٢٣٢).

* النُّبُوءَةُ الأُولَى:

تناظر «غلام أحمد» مع «عبداللَّه آتم» المسيحي في إحدىٰ مدن الهند سنة ١٨٩٣، وبعد نقاشٍ طويل ما وصلا إلىٰ نتيجة، ولم يَفُزْ واحدٌ منهما علىٰ الآخر، فما أصبح الصباح يوم ٥ يونيو سنة ١٨٩٣، إلاَّ وقد أعلن بأنه أَخبر عن اللَّه بأن «عبداللَّه آتم» سيموت في خمسةَ عشرَ شهراً، أي إلىٰ ٥ سبتمبر سنة ١٨٩٤، فعاش «عبداللَّه آتم» المذكور طويلاً، ونُكِّس رأسُ الملعون، وأذلَّه اللَّه في هذه الدنيا أمامَ الملإِ.

* النُّبُوءَةُ الثَّانِيةُ:

◻ ذهب رجلٌ من أقربائه ـ يُسمىٰ «أحمد بك» ـ إليه في أمرٍ كان يتعلَّقُ به، واستدعاه للمساعدة، فقال له: أساعدك بشرطِ أن تزوِّجني ابنتَك «محمدي بيجوم»، فأبىٰ أحمدُ أن يقبلَ هذا الشرط، فجُنَّ جنون «غلام أحمد»، وبدأ يُهدِّدُه ويتوعَّده، وبَلَغ به الولعُ بهذه البنت أن قال: «إنَّ الابنةَ الكبيرة لأحمد بك تُزوَّجُ لي، مع أن أهلها يخالفون ويمانعون، ولكنَّ اللَّه يزوِّجُها لي، ويَرفعُ كلَّ الحواجز، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يحولَ دون تحقيق هذا»(١).

◻ ويقول: «قد قال اللَّه ـ عز وجل ـ: زوَّجناكها نحنُ بأنفسنا، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يُبدِلَ كلماتي»(٢).

◻ ويقول: «إن لم يتحققْ هذا النبأُ، فأكونُ أخبثَ الخبثاء، هذا ليس افتراءً من إنسان، ولا لُعبةَ خبيثٍ مفتري، بل هذا وعدُ اللَّه الحق، الإلهِ الذي

---

(١) «إزالة الأوهام» للغلام القادياني (ص٣٩٦).

(٢) «الحكم السماوي» لغلام أحمد (ص٤٠).

لا تبديلَ لكلماته، والربِّ الذي لا مانع لإرداته»[1] .

☐ وظَلَّ يتذلَّل أمام أحمد بك، ويسترحمه: «أنا أرجو منكم بكلِّ أدبٍ وعجزٍ أن تَقبلوا زواج ابنتكم مني».

وحَرَم «غلام أحمد» ابنَه «سلطان» من الإرث وطلَّق أمه، وحَرَم ابنه «فضلاً» من إرثه أيضًا؛ لأنهم لم يساعدوه في الزواج من هذه المرأة.

وفَضَحه اللَّه علىٰ رؤوس الأشهاد، وتزوَّجت من غيره.

* النُّبُوءَةُ الثَّالِثَةُ:

وهي بموت زوجِ هذه المرأة وزواجِها منه، ولكنَّ الكاذبَ يموت، وتظلُّ هذه المرأةُ حيَّةً مع زوجها، حتىٰ ماتت في نوفمبر سنة ١٩٦٦، ومات هذا الكذَّابُ سنة ١٩٠٨.

* النُّبُوءَةُ الرَّابِعَةُ:

☐ في سنة ١٨٦٦م، وبتاريخ ٢٠ فبراير، حينما كانت امرأةُ «غلام أحمد» حُبلىٰ، أَعلن أنه أُلهم من اللَّه ما نصه: «إن اللَّه الرحيمَ الكريم، الذي هو قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، أخبرني بأنه يُظهر آيتَه، آيةَ الرحمة، آيةً بينة، ولدٌ جميلٌ وجيهٌ زكي، مَظهرُ الأولِ والآخر، مظهرُ الحقِّ والعلاء؛ كأنَّ اللَّهَ نزل من السماء، وهذا الولدُ يكبرُ عَجِلاً، ويفكُّ الأسارىٰ، ويَتبرَّكُ به الأقوام».

فولدت امرأةُ الغلام بعد هذه الإعلانات الطنانة ابنةً، وليس ابنًا، وسُمِّيت «عصمت»، ثم ماتت بعد خمس سنوات فقط، أي سنة ١٨٩١م.

---

(١) «ضميمة الجام آتم» لغلام أحمد (ص٥٤).

* النُّبُوءَةُ الخَامِسَةُ:

أعلن بتاريخ ٢٠ فبراير، سنة ١٨٨٦: «إن اللَّه بشَّرني بأنه يكونُ لي ذُريةٌ كثيرةٌ من النسوة ذواتِ البركات اللاتي أتزوَّجُ بعضَهن بعد هذا الإلهام».

وكَذَّبه اللَّه، فما تزوَّج بعد هذا؛ لا النسوةَ، بل ولا امرأةً واحدة، والأولاد!!.

* النُّبُوءَةُ السَّادِسَةُ:

◻ وُلد له ولدٌ بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٨٩٩ وسمَّاه: «مبارك أحمد»، وبعد ولادته بأيام أعلن الدجال: «إن هذا الولدَ نورٌ من نور اللَّه، ومُصلحٌ موعود، وصاحبُ العظمة، ومسيحيُّ النفس، ومُشفِي الأمراض، وكَلمةُ اللَّه، وسعيدُ الحظ، وهذا يَشتهرُ في أنحاءِ العالم وأطرافِها، يَفُكُّ الأُسارىٰ، ويتبرَّكُ به الأقوام»[1].

◻ فمَرِض هذا الولدُ سنة ١٩٠٧، وفي تاريخ ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٧، حينما خَفَّ مرضُه، أعلن الدجالُ: «ألهَمَني اللَّهُ بأنه قد قَبِل الدعاء، وذَهب المرض».

وما إن أعلَنَ المتنبِّي القادياني هذا الافتراءَ على اللَّه حتىٰ عاد المرضُ من جديد، وفي ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٧، مات هذا المصلحُ الموعودُ الذي يَفُكُّ الأُسارىٰ، ويضعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم.

* النُّبُوءَةُ السَّابِعَةُ:

◻ عن الطاعون، وأنه لا يقعُ في القاديان، فوقع، وقال: «إن بيتي

(١) «ترياق القلوب» للقادياني (ص٤٣).

كسفينةِ نوح، من دخله حُفِظ عن كلِّ الآفات والمصائب»[1] .

فدخل الطاعونُ بيتَه، حتى أصابه هو.

* النُّبُوءَةُ الثَّامنَةُ:

تنبؤه بمولودٍ لأحدِ مُريديه، فولدت زوجةُ هذا المريد بنتًا، وأخبره أنه لن تموتَ زوجةُ هذا المريد إلا أن تضعَ الابن، فماتت.

* النُّبُوءَةُ التَّاسعَةُ:

◻ تَناقَشَ مرةً مع المتنبي رجلٌ من المسلمين ـ دكتور عبدالحكيم ـ وتحدَّاه بأنه كذَّاب، وأعلن: «أن عبدالحكيم يموتُ في حياتي؛ لأنه يُهينُني ويُذِلُّني».

◻ ويقول: «لكنَّ اللَّه بشَّرني بأني أُعمَّرُ ثمانين سنةً أو أكثر».

فلم يَمُتْ عبدُالحكيم في حياته، بل بَقِي حيًّا بعده، وعُمِّر ومات وهو في الثامن أو التاسع بعد الستِّين من عُمرِه.

وكم كَذَب الدجَّال، وما تحقَّقت نبوءةٌ له واحدة، عقابًا مِن الملك القهَّار لهذاالمفتري الكذَّاب، وألبَسَه اللَّهُ رداءَ قولِه في الدنيا.

والجزاء من جنس القول والعمل.

* عَاقِبَتُهُ ومَوتُهُ:

وموتُ الغلام كان فضيحةً له، وجزاءً وفاقًا؛ فقد كان دجَّال القاديان يجلبُ اللعناتِ على نفسه؛ لافتراءاته على اللَّه، والرسولِ، والقرآنِ، والأنبياء، ونازَلَه العلماء، وأفتَوا بالإجماع بكُفره ودَجَله، وكان على رأسِ هؤلاء العلماء الشيخُ الجليل العلامة: «ثناء اللَّه الأمرتسري»، مناظِرُ

(١) «سفينة نوح» للغلام (ص٢٧).

الإسلام، ومحامي المسلمين في القارة الهندية، فقد جرىٰ بينه وبين الغلام القادياني عدةٌ مناظراتٍ ومناقشاتٍ تحريرية وتقريرية، ودومًا كان الانتصارُ حليفًا لرجلٍ إلهي[1] ، وبطل الإسلام، فاستشاط من ذلك المتنبي القادياني غضبًا، وأصدر نشرةً سنة ١٩٠٧م، وبتاريخ ١٥ إبريل بالضبط، وكتب فيها ما يلي: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم: نحمدُه ونصلِّي علىٰ رسوله الكريم، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]. إلىٰ خدمة الأستاذ ثناء اللَّه.

السلامُ علىٰ مَن اتَّبع الهدىٰ، من زمانٍ وأنا أُكَذَّبُ وأُفَسَّقُ في مجلَّتكم «أهل حديث»، ودائمًا تسمونني في مجلتكم هذه «ملعونًا كذابًا»، و«دجالاً مفسدًا»، وتُشهِرُني في العالم بأني مفتري كذابٌ دجَّال، وأفتري في دعواي المسيحية، فأنا تأذَّيتُ منك كثيراً وصبرت، ولكني لَمَّا رأيتُ نفسي بأني مأمورٌ لنشر الحقِّ، وأنت تمنعُ العالَم من التوجُّه إليَّ بسبب افتراءاتك عليَّ إنْ أنا كذَّاب ومفتري، كما تذكرني في مجلتك، فأهلِكُ في حياتك؛ لأني أعلمُ أن عُمْرَ الكذَّابِ والمفسدِ لا يكونُ طويلاً، بل هو يموت خائبًا في حياةِ أشدِّ أعدائه بالذِّلة والهوان، وتكونُ في موته منفعةٌ لعباد اللَّه، حيث لا يُضِلُّهم، فإن لم أكن كذابًا ومفتريًا، بل أكون متشرِّفًا بمخاطبة اللَّه والمكالمةِ معه، وأكون مسيحيًّا موعودًا، فأدعو أن لا تنجوَ من عاقبةِ المكذِّبين، حسبَ سُنةِ اللَّه فأعلن: إن لم تمتْ أنت في حياتي بعقابِ اللَّه، الذي لا يكونُ من عند اللَّه محضًا، مثل أن يموتَ بمرضِ الطاعون أو الكوليرا، فلن أكونَ مرسلاً من اللَّه تعالىٰ، وهذا لا أقولُ نبوءة، بل طلبتُ القضاءَ من اللَّه

(١) هكذا سمّاه العلاّمة الشيخ محمد رشيد رضا في مجلته «المنار».

تبارك وتعالىٰ، وأدعو اللَّهَ، يا مولاي البصير القدير، العليم الخبير، يا عالمَ أسرار القلوب، إنْ أنا كاذبٌ ومُفسِدٌ في نظرك، وأفترِي عليك ليلاً ونهاراً يا اللَّه، فأهلِكْني في حياة الأستاذ «ثناء اللَّه»، وسُرَّه وجماعتَه بموتي، آمين.

ويا اللَّه، إنا صادق، و«ثناء اللَّه» علىٰ باطل، وكذَّاب في التُّهم التي يُلصِقُها بي، فأهلِكْه - يا رب العالمين - في حياتي بالأمراض المهلِكة، مثلِ الطاعون أو الكوليرا أو غيرِه من الأمراض، آمين.. يا رب، أنا أوذيتُ وصَبرتُ، ولكني أرىٰ الآن أنه قد تجاوز الحدَّ، وأنه يظنني أفسقَ من السارقين والغاصبين الذين يَضُرُّون العالَم، ويَحسَبُني أرذلَ خلق اللَّه، وقد شَهَرني في البلدان النائية بأني في الحقيقة مُفسِد، ونَهَّابٌ، وطمَّاع، وكذَّاب، ومفتري، وخبيث، وإن لم يكن لهذه الكلماتِ صدًىٰ، كنتُ صبرتُ عليه، ولكنِّي أرىٰ أن «ثناء اللَّه» يريدُ بهذه التهم أن يُفنِيَ دعوتي، ويهدمَ عِمارتي التي بَنَيْتها أنت يا رب، ويا مَن أرسلتني، ولذا ألتجأ إليكَ يا اللَّه، آخذاً بذيلِ رحمتِك وتقدُّسِك، فاقضِ بيني وبين «ثناءِ اللَّه» بالحق، وأهلِكِ الكذَّابَ والمفسدَ في حياةِ الصالح، أو ابتليه في آفة، تكونُ مثلَ الموت، فافعلْ هكذا يا ربي الحبيب، آمين ثم آمين: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وأخيراً، أرجو من الأستاذ «ثناء اللَّه» أن ينشرَ هذه النشرةَ في مجلَّته، ثم يعلِّقَ عليها ما يشاء، فالقضاء الآن بيد اللَّه.

الراقم عبدُاللَّه الصمد غلام أحمد المسيح الموعود، عافاه اللَّه وأيدَّه»[1].

---

(١) «إعلان الغلام القادياني» المنشور بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٩٠٧، المندرج في «تبليغ رسالت» (١٠/ ١٢٠)، «مجموعة إعلانات الغلام المرتبة من قاسم القادياني».

◻ وبعد هذا الإعلان والدعاء بعشرة أيام، نَشَر الغلامُ القادياني في جريدةٍ قاديانية: «إن كلَّ ما قيل من «ثناءِ اللَّه» ليس من عند أنفسنا، بل من قِبَل اللَّه، كما أُلهمتُ الليلةَ عن الدعاء الذي دعوتُه ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، ومعنىٰ هذا الإلهام أنَّ دعوتي قد قُبلت»[1].

وفِعلاً قُبلت دعوته هذه، وقُضي بينه وبين «ثناء اللَّه» بالحقِّ، فبعد ثلاثةَ عشَرَ شهراً وعشرةِ أيامٍ بالضبط جاءه قضاءُ اللَّه وقَدَرُه، بصورةٍ بشعة، كان يتمنَّاها للشيخ الجليل «ثناء اللَّه»، نعم بنفس الصورة، وبنفسِ المرض الذي نصَّ عليه هو! بالكوليرا، وإليك بيانه:

◻ يكتب ابنُ الغلام القادياني وزعيم القاديانية «بشير أحمد» في سيرته: «أخبرتني أمي أنَّ حَضْرَتَه - أي الغلام - احتاج إلىٰ بيتِ الخلاء بعد الطعام مباشرةً، ثم نام قليلاً، وبعد ذلك احتاج مرةً أخرىٰ إلىٰ بيتِ الخلاء، فذهب مرةً أو مرتين إليها بدون أن يُشعِرَني، ثم أيقظني، فرأيتُ أنه ضَعُف جداًّ، وما استطاع الذهابَ إلىٰ سريره، فلذا جلس علىٰ سريري أنا، فبدأت أمسحُه وأمسِّجُه، وبعد قليلٍ أحسَّ الحاجة مرةً أخرىٰ، ولكن الآن ما استطاع الذهابَ إلي بيتِ الخلاء، فلذا قضاها عند السرير، واضطجع قليلاً بعد القضاء، ولكنَّ الضعفَ بَلَغ إلىٰ منتهاه، فجاءته الحاجةُ مرةً أخرىٰ، فقضاها، ثم جاءه القَيءُ، وبعدما فرغ من القيء خرَّ علىٰ ظهره، واصطدم رأسه بخشب السرير، وتغيَّرت حالته»[2].

◻ وكتب «رحيمه» - أبو زوجه -: «الليلةَ التي مرِضها حَضْرَتُه - الغلام -

---

(١) جريدة بدر القاديانية، الصادرة في ٢٥ أبريل سنة ١٩٠٧.

(٢) «سيرة المهدي» لبشير احمد بن الغلام (ص١٠٩).

كنتُ نائمًا في غرفتي، ولَمَّا اشتدَّ مرضُه أيقظوني، فذهبتُ إلىٰ حضرته، ورأيتُ ما يُعانيه من الألم، فخاطبني قائلاً: أُصبتُ بالكوليرا، ثم لم يَنطِقْ بعد هذا بكلمةٍ صريحة، حتىٰ مات اليوم الثاني بعد العاشرة من الصباح»[1].

◻ هذا، وقد نَشرت الجرائد الهندية آنذاك: «إن «غلام أحمد» المتنبي القادياني، لما ابتُلي بالكوليرا كانت النجاسةُ تخرجُ من فمِه قبل الموت، ومات وكان جالسًا في بيت الخلاء لقضاء الحاجة».

◻ كما نُشر بيان محمد إسماعيل القادياني في جريدة قاديانية: «إن المخالفين يقولون: إن النجاسةَ كانت تخرجُ من فمِ حضرة المسيح الموعود وقت الموت»[2].

يا للَّه.. النجاسةُ تخرجُ من الفم الذي طالَمَا أخرجَ النجاسات، وافترىٰ علىٰ اللَّه وأنبيائه وأوليائه.

مات «غلام أحمد» في العاشرة والنصف صباحًا بتاريخ ٢٦مايو، سنة ١٩٠٨[3]، فمات وكان «ثناء اللَّه» حيًّا، وبقى حيًّا بعد موته قريبًا من أربعين سنة يهدمُ بنيانَ القاديانية، ويقمعُ جُذورَهم.

وهكذا كَذَّب اللَّهُ الكذَّاب، حتىٰ آخرِ لحظةٍ من حياته، وعَذَّبه في الدنيا، وعذابُ الآخرة أشدُّ وأنكىٰ.

ومات «غلام أحمد» في «لاهور»، ثم نُقل نَعشُه إلىٰ القاديان، وهكذا إلىٰ بعد الموت، أَثبت أنه كان كذابًا في دعواه النبوة، فكلُّ نبيٍّ يُدفن حيث

---

(١) «حياة ناصر» لرحيم الغلام القادياني (ص١٤).

(٢) «بيان محمد إسماعيل القادياني في جريدة قاديانية: بيغام صلح»، في ٣مارس، سنة ١٩٣٩.

(٣) «جريدة الحكم القاديانية» ٢٨ مايو سنة ١٩٠٨، و«سيرة المهدي».

قُبض، فذهب الكذَّابُ إلى مزبلة التاريخ، وصدَق اللَّه ورسوله.

* قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

* **محمود محمد طه السوداني مُدَّعي النُّبوَّة:**

ولد عام (١٩١١م)، وتَخرَّج فِي جامعة الخرطوم، أنشأ حزبًا سَمَّاه الحزب الجمهوري عام (١٩٤٥م) إبَّانَ الاستعمارِ البريطانِي على السودان.. سُجن عدَّةَ مرات، واعتكف عدَّةَ سنوات، وخَرج على إثرِها بآراءَ عقائديةٍ وفكريةٍ وسياسيةٍ شاذَّةٍ ومشوَّشةٍ ومضطربة، استخلصها من أديانٍ وآراءَ ومذاهبَ كثيرةٍ قديمةٍ وحديثة، تتكوَّنُ من العقائد الصوفية الباطنية، وآراءِ الفلاسفة، والاشتراكية الماركسية، والنصرانية.. وقد زَعم أنه رسولُ الرسالة الثانية، أمَّا مُحمدٌ ﷺ فهو رسولُ الرسالة الأولَى!! كما زعم أن الإنسان يتَرقَّى حتَّى يكون اللَّه!!.

وأسقط أصولَ التكليف ـ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها ـ، وله فِي القرآن تأويلاتٌ باطنيةٌ تَصرِفُه عن ظاهره.

كَثُر أتباعُه ومُناصروه، ومعظمُهم من النساء والمثقفين الذين خلا فكرهم من الثقافة الدينية الإسلاميَّة.

حُكم عليه بالإعدام بتهمة الزندقة، وأُمهِل ثلاثةَ أيامٍ فلم يتُب، فنُفِّذ فيه الحكمُ شنقًا يوم الجمعة (٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ. ١٨/ ١/ ١٩٨٥م) على مرأًى من الناس، وانْحسر أتباعه[1].

---

(١) «الثبات على دين اللَّه وأثره في حياة المسلم» للشيخ الأمين الصادق الأمين (١/ ٦٧) طبع دار ابن الجوزي، وانظر «الموسوعة الميَسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٨٣ ـ ١٩٠).



فهرس الموضوعات

فهرس المجلد الأول